

رَهْبَانُكَ لِلدَّيْكَ

تأليف

سَيِّدِ بْنِ حَسَنِ الْعَفَّانِي

الجزء الأول

الناشر

مكتبة ابن تيمية

القاهرة - هاتف ٨٦٤٢٤٠

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م

الطبعة الثانية

١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م

رَهْبَانِكُمُ اللَّيْلُ

إهداء

إلى التي أعطتني الرجيق كل الرجيق من شفاف قلبها وحنايا
الوجدان وعند الله وحده جزاؤها
إلى أمي

مقدمة الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

أحمد الله تعالى وأشكره ، وأستعين به وأستظهره ، وأصلى وأسلم على عبده
ورسوله محمدٍ خيرٍ عابدينٍ وسالك ، القائل : « قد ترككم على البيضاء ليلها
كنهارها ، لا يزيغ عنها بعدى إلا هالك » .

أما بعد

فإنا لانزال بحمد الله نستشرف - في هذا العصر - طلائع البعث الإسلامي
المرتقب ، نُظهِرُ العجائب ، وتُبْرِزُ خبايا المواهب ، وتنبؤاً من مقاعد البذل
والعطاء أرفع المراتب .

وهذا المجموع الحافل الذي قيده الأخ الحبيب في الله السيد بن حسين
العفاني - لأزال سعيه مشكوراً ، وعمله في الدارين مبروراً - يَسُدُّ ثغرةً طالما
أعوزَ شبابَ الصحوة سَدُّها ، ويُحيي سَنَةَ عَزَّ فِينَا من يحفل بها ، فأين عمال الله
في هذه الأعصار ؟ أين رهبان الليل وفرسان النهار ؟ بانوا وكأنهم ما كانوا :

وقد كانوا إذا عُدُّوا قليلاً فقد صاروا أعز من القليل
فيا من أراد النجاة يوم الحساب ، تدبر ما حواه هذا الكتاب ، والأزم
سابقك المحراب ، فإنه للاستقامة باب ، وأحى هذه السنة في نفسك ، ثم ذكر
بها من ينتفع بنصحك ، لعلك تجلو بهذا العمل سَنَاهَا ، وتُعدُّ يوم القيامة
فيمن أحيائها .

على أنه مما ينبغي للحاذق الفطن مراعاته : التوسط بين الحقوق

والواجبات ، بإعطاء كل ذي حق حقه ، وتقديم فرائض الأعمال على مستحباتها لينجو من الوزر ، وفاضلها على مفضوها ليسلم من الغبن ، فإن الفقه - كل الفقه - أن تبصر أهم الواجبات فتقدمه ، وتعرف خير الخيرين فتبعه ، وشر الشرين فتدفعه .

ولعل الله تبارك وتعالى يوفق أئمانا أباتراب ليشفع هذا المجموع بتوأمه الذي لم يفارقه عند أسلافنا الأبرار ، مجموع حافل لأحوال فرسان النهار ، من المجاهدين في كافة الأعصار ، لتقر بالمجموعين عيون عباد الرحمن ، وتصفّر وجوه أولياء الشيطان .

والله جل وعلا المستول المرجو الإجابة أن يجعل هذا العمل في ميزان حسناته ثقيلاً ثقيلاً ، وأن يجزيه بما يتمناه ، ويطلب في أفياء السلامة والعافية بقاءه .

اللهم اجعلنا بالخير موصوفين ، ولا تجعلنا له - فحسب - وصّافين ، واشفنا من النوم باليسير ، وارزقنا سهراً في طاعتك ومناجاتك ، وأعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك ، وصل اللهم على عبدك ، ورسولك محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، والحمد لله رب العالمين .

محمد أحمد إسماعيل

الإسكندرية في

الأحد ٢١ رجب ١٤٠٩ هـ .

٢٦ فبراير ١٩٨٩ م .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِأَنَّ مُحَمَّدًا يَا مَعْ بَشَرْتُمْ بِنُورٍ وَجْهَهُ أَسْمَاءُ كَمَا لَمْ يَكُنْ وَكَانَ سَطْرًا بِأَمْرِهِ نَزَلَ اللَّيْلُ بِأَنَّ
شَيْءًا لَمْ يَكُنْ يُرَى مِنْهُ لَيْلٌ مِنْ سَمَاءِ رَبِّنَا ،
وَأَنَّ صَلَاةَ الْإِسْلَامِ عَلَى مُحَمَّدٍ أَجْمَا لَيْلٌ بِمُتَّجَاهَةِ الْحَبِيبِ ، وَصَبْحُ السَّحَرِ
بِأَنَّ مُحَمَّدًا بِنُورِهِ وَعَلَى الْقِيَادِ وَالنَّسْتِغَانِ وَالْمَجَاهِدِ ، وَبِهِ لَزِمَ الْحَقُّ وَعَمَلُ
الْحَقِّ فَمَنْ سَلَّمَ إِلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ :

أَطْلَعْتُ لِلَّيْلِ كُلَّ حَقِّكَ
قَالَ لَمْ يَكُنْ لَيْلٌ فِي حَقِّكَ حَقًّا

عَامِرُ الْحَبِيبِ الْكِرَامِ
كَتَبْتُهُ بِرِجَالِ حَقِّكَ الْكِرَامِ

بِهِ مَرَّةً كَثِيرًا جَالِدٌ وَفِيهِ وَارِدٌ دَيْبِيهِ أَيْ مَبَارَكٌ وَشَرُّهُ مَبْرُورٌ هُوَ
جَبِينًا فِي اللَّهِ السُّبْحَانِ عَسَى الْعَفَافِي - وَقَدْ طَلَعْتُ مَا كُنْتُ فِي هَذَا أَجَلِ
الْحَقِّ « رِصَانُ اللَّيْلِ » خَلَفْتُ لَطْفِي وَامْتَعْتُ بِصَرْفِي وَأَسْتَوْفَقْتُ طَوْلِي
طَوْلِي وَأَعْلَيْتُ : أَلَنْ الصَّبْرَ مِنْ حُوفِ الْفَرَامِ فَمَا بِيهِ آتِيَتْ حَكْمُهُ وَبِشَأْنَاتِ
وَقِصَّةِ شَائِقَةٍ وَسِرَّةِ عَطْرِهِ وَسَيْتِ خَلْقِهِ
فَعَلَيْتُ أَنْ يَكُونَ الرَّجُلُ الْمَبَارَكُ كَهَرَفَةٍ تَأْتِي مِنَ الْكُرَى لِيَصْطَادَ بِنَاتِ افْتِكَارِهِ
وَوَدَّعَ رِضَايَ (خَيْرٌ لِعَيْنِهِ لِيَنْعَمَ بِرُؤْيَاهُ مِنَ الْجَوَارِ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ
عَلَى اللَّهِ أَنْ يَكْتَلِبَهُ أَجْرَهُ مَوْجُورًا وَأَنْ يَكْتَلِبَ سَعْيَهُ مَكْتَلِبًا وَعَمَلَهُ سَوْرًا
وَالشَّيْءُ مِنْ سَلَامٍ وَحَيَاةٍ وَشَوْقٍ وَصَلَاةٍ لِحَقِّكَ الْإِسْمِ وَكَانَ كَلِمَتُهُ

كُتِبَ : عَامِرُ الْحَبِيبِ الْكِرَامِ

١٤١٢ / ١١ / ٢٢

بسم الله الرحمن الرحيم

لك الحمد يا من أشرقت بنور وجهه السموات والأرض ولك الشكر
يا من ينزل لأوليائه في الثلث الأخير من الليل إلى سماء الدنيا .

والصلاة والسلام على من أحيأ الليل بمناجاة المحبين وضوء السحر
بأعذب الأئين وعلى العباد والنسك والمجاهدين ، ومن لزم المحجة وحمل الحجة
حتى نلقى الله رب العالمين :

قلت لليل هل بجوفك سر عامر بالحديث والأسرار
قال لم ألق في حياتي حديثا لحديث الأحباب في الأسرار

بين يدي هتاف خالد وفيض وارد دججه أخ مبارك وشهم مدره هو
حبيبنا في الله السيد بن حسين العفاني ، وقد طالعت ما كتب في هذا السجل
الحافل : « رهبان الليل » فلفت نظري وأمتع بصري واستوقفني طويلا طويلا
وقلت : « كل الصيد في جوف الفرا » فما بين آية محكمة وحديث ثابت
وقصة شائقة وسيرة عطرة وبيت خلاب .

فعلمت أن هذا الرجل المبارك هرق كأس الكرى ليصطاد بنات أفكاره
وودع رضاب الخرد العين لينعم بإذن الله في جوار رب العالمين .

عسى الله أن يكتب له أجره موفورا وأن يجعل سعيه مشكورا وعمله
مبرورا وليتقبل مني سلامي وتحياتي وأشواقي .

وصلى الله على الهادي الأمين وآله وصحبه وسلم .

كتبه

عائض بن عبد الله القرني

أبها

١٤١٢/١١/٢٣

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة بقلم فضيلة الشيخ أبي إسحاق الحويني

إنَّ الحمد لله تعالى نحمده ، ونستعين به ، ونستغفره ، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا . من يهده الله تعالى فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

● أما بعدُ

فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى ، وأحسن الهدي هدي محمدٍ صلى الله عليه وآله وسلم، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار .

فإن قيام الليل من أفضل الطاعات، وأجلِّ القربات، بعد الصلوات المفروضات، كما قال الصادق المصدوق - بأبي هو وأمي - فيما أخرجه مسلم (٢٠٣/١١٦٣) عن أبي هريرة أنه صلى الله عليه وسلم سئل عن أفضل الصلاة بعد المكتوبة؟ فقال: « أفضل الصلاة بعد المكتوبة ، الصلاة في جوف الليل » .

ومن أعذب الأحاديث في ذلك ما أخرجه النسائي (٣/٢٠٧، ٢٠٨) ، وصححه الترمذي (٢٥٦٨) ، وابن خزيمة (٢٤٥٦) ، وابن حبان (٣٣٤٩) ، ٣٣٥٠ ، (٤٧٧١) ، والحاكم (٢/١١٣) عن أبي ذر رضي الله عنه مرفوعًا: « ثلاثة يحبهم الله عز وجل ... » فذكر منهم: « ... وقوم ساروا ليلتهم ، حتى إذا كان النوم أحبَّ إليهم مما يُعدل به ، نزلوا ، فوضعوا رؤوسهم ، فقام يتملقني

ويتلو آياتي» . وسنده مقاربت . وله طريق آخر صحيح عن أبي ذرٍ أخرجه أحمد (٥ / ١٧٦) ، والطيالسي (٤٦٨) ، والطبراني في « الكبير » (ج ٢ / رقم ١٦٣٧) ، والبيهقي (٩ / ١٦٠) وفيه : « ... ورجلٌ سافر مع قوم ، فارتحلوا حتى إذا كان من آخر الليل وقع عليهم الكرى - أو النعاس - فنزلوا ، فضربوا برؤوسهم ، ثم قام فتطهر ، وصلى رغبةً لله عز وجل ، ورغبةً فيما عنده » .
 وفضل هذه الصلاة معلومٌ ، وتجدّه مع شواهد كثيرة في هذا المجموع الحافل ، وسرُّ المسألة أن هذه الصلاة لا يقدر عليها إلا متجردٌ ، عظيم الإخلاص ، والله درُّ قتادة بن دعامة إذ قال فيما رواه أبو نعيم في « الحلية » (٢ / ٣٣٨) بسندٍ صحيحٍ : كان يقال : قلما سهر الليل منافق . ولو قال : ما سهر لما أبعد ، ولعله احتزر .

وهذا قولٌ صحيحٌ ؛ لأن هذه الصلاة لا تتم للعبد إلا بتجريد الإخلاص ، وإذا كان شهود العشاء ثقیلاً على المنافقين - كما في الحديث الصحيح - فما بالك بجوف الليل الآخر ؟!

ولكم هزني ما قرأته منذ سنوات في « ثقات العجلي » (٢٨٠ - ترتيب الهيثمي) في ترجمة حسن بن صالح بن حُيي أنه باع جاريةً ، فلما صارت عند الذي اشتراها قامت في جوف الليل ، فقالت : يأيتها الدار ، الصلاة الصلاة ! قالوا : طلع الفجرُ ؟! قالت : وليس تُصلون إلا المكتوبة ؟! قالوا : نعم ، ليس نصلي إلا المكتوبة . فرجعت إلى الحسن وقالت : بعثني إلى قومٍ سوءٍ ليس يصلون بالليل ، فردني . فردها .

ولكم كنت في رغبة أن أرى مجموعاً في هذا المعنى ، حتى أقر عيني ، وعين كل سني - إن شاء الله - صاحبنا الشيخ سيد بن حسين العفاني بهذا الكتاب فجزاه الله خيراً .

إن جيلنا - الذي أوتي من الضعف والهوان أضعاف ما أوتي أسلافنا من الجِد والقوة - في أمسِّ الحاجة إلى من يشحذ همهم بعد أن استكانوا واجتمع عليهم أعداؤهم من كل صوب ، وليعلموا أن ما كان عند أسلافنا من العلم إنما وفقوا إليه بمجدهم وإخلاصهم دينهم لله تعالى ، وإني لأعرف رجلاً من أكابرهم، ممن يشار إليه بالبنان في العلوم الشرعية إذا أعيته مسألة ، أو ندَّ عنه معنى يريدہ يقول كما يخبر عن نفسه : حينئذ أقوم فأعدُّ لنفسي كوبًا من الشاي ، أو أتلمَّسُ نسمة هواءٍ وأعلل نفسي بأنني متى روحت عنها استعاد الذهنُ نشاطه ، فيمكنه أن يحصل بغيته بعد قليل ، وإن عجز بعد كل ذلك ترك الموضوع إلى حين ميسرة، أين هذا مما حكاه لنا ابن القيم - رحمه الله - عن شيخه وشيخ الإسلام تقي الدين ابن تيمية - رحمه الله - أنه قال : ربما استغلقت عليَّ المسألة فأستغفر الله ألف مرة أو يزيد حتى يفتح لي ، قال : وربما ذهببت إلى الخلوات أمرغ خدي في التراب وأقول : يا معلم إبراهيم ، علمني !!

إن هذا المجموع الذي بين يديك - أيها المسلم - مجموعٌ حافلٌ في بابه ، فاحفل به ، ولقد أعلم أنه عانى عليه صاحبه كثيرًا في جمع الأقوال من بطون الكتب وتوثيقها وترتيبها - فله دره - ولا يُقدَّر ما قلتهُ إلا من كابد التأليف الجاد. ومن رحمة الله بعباده، ولطفه بهم سبحانه أنه لم يخص بالعلم قومًا دون قومٍ، ولا وقفه على زمن دون زمن ، بل جعله مشتركًا مقسومًا بين عباده ، يفتح للآخر منه ما أغلقه عن الأول وبينه المِقْلُ منه على ما أعقل عنه المكثُر ، ويحييه بتأخر يتعقب قول متقدِّمٍ ، وتالٍ يعترضُ على ماضٍ ، وإن كان ما عندنا من العلم بالنسبة لمن مضى من أسلافنا، كقطرة في بحر خضم، أو كما قال الأول: فضلُ بُراق. وأنا في غنى عن مدح هذا الكتاب ، فهو ينطق بذلك ، وقد سبقني في التعريف به والثناء عليه صاحبنا الحبيب الشيخ أبو الفرج محمد بن إسماعيل، حفظه الله. والله أسأل أن ينفع به كما نفع بصاحبه ، وأن يهبه غنمه ، وأن يتجاوز له برحمته

عن غرمه ، وأن يعيننا على شكره وذكره وحسن عبادته .
وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه ، والحمد لله
رب العالمين .

وكتبه

راجي عفو ربه الغفور

أبو إسحاق الحويني الأثري

حامدًا الله تعالى ، ومصليًا على نبينا

محمد وآله وصحبه

آخر شهر صفر / ١٤١٤ هـ

مقدمة بقلم فضيلة الشيخ صفوت نور الدين الرئيس العام لجماعة أنصار السنة بمصر

الحمد لله رب العالمين وخالقهم ومبدعهم ، أنزل شرعه وخلق كونه ،
وبعث رسله إلى الناس جميعاً ليخرجوا الناس من الكفر إلى الإيمان ، والظلمة إلى
النور، ومن الجهالة إلى العلم، فجعل العلم النافع نورا يستضيء به المتعلم ويستضيء
به كل الذين يقتدون بعلمه .

والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين ، وقدوة للأنام أجمعين ، إمام
المجاهدين وأسوة العابدين ، وعلى صحبه الكرام والتابعين من بعدهم الذين اتبعوا
نبيهم ونصروه، فنصرهم الله سبحانه، فانتصروا على شهواتهم وشيطانهم ، فقطعوا
نهارهم في الجهاد فرسانا ، والليل في الجهاد رهبانا ، فكان أنسهم بربهم في ليلهم
إذا هجعت الأصوات والتف الناس نياما في البيوت ، صاروا هم لله قائمين يأمنون
بصحبه ومناجاته ، القرآن الكريم ورؤدهم ، والصلاة بالليل شغلهم ، والبكاء
متذكرين القيامة والحساب والدعاء خائفين من يوم اللقاء، كل ذلك هو حالهم ،
فإذا أصبح عليهم النهار خرجوا من ديارهم يأخذون من الدنيا بقدر المتزود في
سفره ، إن كانوا في شغلها كانوا مع الشرع دائرين ، ولما أحل الله ملازمين ،
وعن الحرام بل كل الشبهات متباعدين ، يخافون من أن يلوثوا صفحة بيضوها
في ليلهم بالطاعات، فيخافون من نظرة أو طرفة، ويخافون من كلمة أو خطرة ،
فإذا وقع منهم شيء من ذلك أسرعوا قائلين: رب قد أذنبت فاغفر لي. فإذا دعا
داعي الجهاد بالسيف والقتال فهم في الجهاد وحلقاته ، خرجوا مسرعين يريدون
ملاقة رب أنسوا به الليل كله، وحرصوا على العمل في مرضاته وشرعه النهار كله.
الأخ القارىء الكريم حول هذه المعاني وغيرها وتفصيلها ، وبيانها بأسماء

رجالها، وتوضيح أصنافها وأعمالها وغيرها وغيرها، تعال معي نسير في دروب كتاب
طيب وسفر جليل، صنفه الأخ الداعية الكريم الدكتور سيد حسين عفاني ،
جزاه الله خير الجزاء . تعال معي نتعرف على رجال وأعمال لعننا أن ننال بذلك
للصالحين من العابدين محبة ، وللصالحات من الأعمال شوقا والتماسا للاقتداء
والاستمرار ، ولعلنا أن نفوز بوعد كريم من رسول رب العالمين ، الذي بلغنا
فقال : « المرء مع من أحب » فإن صدقنا في محبتهم ، لا نحرم يوم القيامة وفي
الآخرة من رفقتهم .

والله سبحانه أدعو لأخي الكريم أن يوفقه في القول والعمل ، وأن يسدد
خطاه ، وأن يجزيه خير الجزاء، وأن يوفق قارئه، ويثيب ناشره والداعية به وإليه،
والله من وراء القصد .

وكتبه الفقير الضعيف لله الغني القوي

محمد صفوت نور الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا
وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد
أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله .

﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾^(١)

﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها
زوجها ، وبث منها رجالا كثيرا ونساء ، واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام
إن الله كان عليكم رقيبا ﴾^(٢) .

﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا . يصلح لكم أعمالكم
ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما ﴾^(٣) ^(٤)

أما بعد :-

في زمن اقتصرت الأرض فيه ، وأظلمت السماء ، وظهر الفساد في البر
والبحر من ظلم الفجرة ، وذهبت البركات ، وقلت الخيرات ، وهزلت
الوحوش ، وتكدرت الحياة من فسق الظلمة ، وبكى ضوء النهار وظلمة الليل
من الأعمال الخبيثة والأفعال القظيعة ، وشكا الكرام الكاتبون والمعقبات إلى ربهم
من كثرة الفواحش ، وغلبة المنكرات والقبايح ، وهذا والله منذر بسيل عذاب
قد انعقد غمامه ومؤذن بليل بلاء قد أدلهم ظلامه^(٥) .

(١) آل عمران الآية رقم ١٠٢ .

(٢) النساء الآية رقم (١) .

(٣) الأحزاب الآيتان رقم ٧٠ ، ٧١ .

(٤) خطبة الحاجة وهى التى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبدأ بها خطبة وقد جمع طرق
أحاديثها محدث ديار الشام الشيخ الألبانى فى رسالة قصيرة .

(٥) الفوائد لابن قيم الجوزية .

يا لهفتا على زمان يلمس فيه الصالحون فلا يوجد منهم أحد إلا كالسنبلة إثر الحاصد^(١)

قال رسول الله ﷺ : « إنما الناس كإبل مائة ، لا تكاد تجد فيها راحلة »^(٢) .

زماننا لاح للعاقل تغيره ولاح لليبب تبدله ، يبس ضرعه بعد الغزارة ، وذبل فرعه بعد النضارة ، ونحل عوده بعد الرطوبة ، ويشع مذاقه بعد العذوبة^(٣) .

ولما عز الناصح ، وأصبح الناس شوكا لا ثمر فيه ، وختل الديار - أو كادت - من العلماء ولا يكون العيش إلا معهم .. تشبهنا بالغرباء - ولسنا منهم - وسمعنا كلام الملك العلام - وكلام الملوك ملوك الكلام

﴿ فلولا كان من القرون من قبلكم أولو بقية ينهون عن الفساد في الأرض إلا قليلا ممن أنجينا منهم ، واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه وكانوا مجرمين ﴾^(٤) .
ولاح لنا الزاد .

نوراني الخبير ، من درب هوينبوع الشعاع ، هو المنهل العذب الروى الذى لا تكدره الدلاء .. منهل السلف - ويا بُعد ما بيننا وبينهم

وأصبح أهل زماننا وقد حججوا عن معرفة مقادير السلف وعمق علومهم وقلة تكلفهم وكمال بصائرهم . وآتى لهم معرفة الرعيل الأول وقد كانت همهم مشمرة إلى المطالب العالية فى كل شىء ، فالتأخرون فى شأن ، والقوم فى شأن

(١) من كلام أبى حازم الأعرج .

(٢) أخرجه البخارى ومسلم والترمذى وابن ماجه وأحمد فى مسنده . انظر صحيح الجامع الصغير رقم ٢٣٢٨ ج ٢ ص ٢٨١ للشيخ الألبانى طبع المكتب الإسلامى .

(٣) «روضة العقلاء ونزعة الفضلاء» .

(٤) هود الآية رقم ١١٦ .

آخر ، وقد جعل الله لكل شيء قدرا^(١)

أني لنا بلحاق قوم لسان حالهم يقول :-

تركنا البحار الزاخرات وراءنا فمن أين يدرى الناس أين توجهنا ؟
وحسبنا أن نكون على جادتهم ، وإن أبطأ بنا السير فإن أمير القوم يرعى
القافلة .

وتطفلا منا على مائدة كرمهم سلكننا طريق السلف في عباراتهم ونسجنا على
منوالهم لعل أن أنظم في سلوكهم ، وأدخل في عدادهم ، وأحشر في زميرتهم ،
مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن
أولئك رفيقا .

وبالسلفية إعجابنا إذا قلّ بالسلف المعجب
أكثرنا في نقل تراجمهم كما سيتضح لك في جمعنا هذا وذكر كلامهم لماذا ؟
لأن رجال السلف كانوا سادة الدنيا وملوك الآخرة ..
ملكوا الدنيا بصدقهم وإخلاصهم وعلو همتهم وعبادتهم

شعلة الماء التي من زمزم قيصر يعنو لها كالخدم
هي تسمو للثريا بالثرى وتعنى القطرة منها أبحرا^(٢)

كانوا جبالا في العلم والعمل لسان حالهم لمن بعدهم يقول :
كنا جبالا في الجبال وربما سرنا على موج البحار بجارا
هم الرجال ولا رجال غيرهم طابت بهم الدنيا
حدث عن القوم فالألفاظ ساجدة
خلف المحارِب والأوزان تبتهلُ

(١) شرح الطحاوية .

(٢) ديوان « الأسرار والرموز » للشاعر محمد إقبال ص ٨ .

لسان حالهم يصوت بنا :

أنت تدري أيها الخيران عتسا

كيف فوق الشمس أزمانا حللنا^(١)

لقد بذلوا المجهود من أنفسهم وحفظوا دين الله ، حملوه ملء الحنايا .. فلم
نقدره حق قدره لسان حالهم يقول :

غزلت لهم غزلا دقيقا فلم أجد

لغزلي نساجا فكسرت مغزلي

وضعنا منذ أن بعدنا عنهم

وكنا عظاما ، فصرنا عظاما وكنا نقوتُ فها نحن قوتُ

والشرف كل الشرف السير في ركايبهم .. اقصد البحر وخلّ القنوات

أيها الساعى لكحل المقل غافلا عما به من كحل^(٢)

إليهم فقد صوّت حاديبهم بنا ... « منازل من تهوى رويدك فانزل » لم البعد عن

طريقهم وقد عرفت ما في البعد

صرت يا إكسير تريا سافلا يا وليد النور صرت الباطلا^(٣)

نعم كانوا زينة الدنيا وبهجتها

أزاهيرهم مؤمنات التعبير وأطيّارهم قانتات الزجل

وأناهم من ضفاف المتاب تحذرن بالندم المشتعل^(٤)

واشوقاه إليهم :

(١) الرقائق لمحمد أحمد الراشد ص ١٣٩ طبع مؤسسة الرسالة .

(٢ ، ٣) ديوان « الأسرار والرموز » .

(٤) ديوان « قاب قوسين » للشاعر محمود حسن إسماعيل .

محت بعدكم تلك العيون دموعها فهل من عيون بعدها نستعيرها
رحلنا وفي سر الفؤاد ضمائر إذا هبّ نجدى الصبا يستيرها
أنتسى رياض الغور بعد فراقها وقد أخذ الميثاق منك غدیرها
أعد ذكرهم فهو الشفاء وربما شفى النفس أمر ثم عاد يضيرها
سقى الله أياما مضت ولياليا تَضَوّع رِيّاها وفاح عيرها
أما كلامهم :

كلام السلف قليل كثير البركة وكلام غيرهم كثير قليل البركة
قليل منك يكفيني ولكن قليلك لا يقال له قليل
إن للكلمات التي تنفرج عنها شفاهم مذاقا فريدا سلاسة وألقا وإشراقا وتجربة
مفعمة

إن كانوا في صمتهم أبين ممن نطقوا فكيف بنطقهم !!
قطرات ندى وعبير لا يفنيه مدى
كلمات تهب النبع لصادٍ وردا
ورحاب حملتها الكلمات الحسنى .. يجناح من نور أسنى تصل الخلد .. تضيء
الروح .. تمد يدا
يصدق فيها قول الشاعر :

أتاك حديث لا يمل سماعه شهى إلينا نثره ونظامه
إذا ذكرته النفس زال عناؤها وزال عن القلب المعنى ظلامه
وقولهم يهتف بنا « نحن أولى بالرقائق من غيرنا هذى بضاعتنا ردت إلينا » :
فاسمع هُديتُ علومنا عز سالكها
على البيان ولا يغررك ذو لسن
قصد إلى الحق لا تحق شواهدا

قامت حقائقها بالأصل والفتن

قال يحيى بن معاذ « أحسن شيء : كلام رقيق ، يستخرج من بحر عميق على لسان رجل رقيق »^(١)

وستعلم كم من الرفق كانت تحمله قلوب سلفنا فخلدت كلماتهم معلنة عماها من الإتصال بسند الحق .

ولن نخلد الكلمة على الأجيال إلا إن اتصلت بالحق والخير وكان لها من قوانين الله في خلقه سند ، ومن إلهامه لعباده مدد^(٢) سيأهم في كلامهم ... مثلما هي في وجوههم ولذا جمعت من مواعظ السلف الذين تبتلوا لله ما هو « محرك للقلوب إلى أجل مطلوب ، وحاد للنفوس إلى مجاورة الملك القدوس ، وحقيق على فوائده أن يعرض عليها بالتواجد وتثني عليها الخناصر وهو ممتع لقاريه ، مشوق للنظر فيه »^(٣) ولأن من بركة الكلام عزوه إلى قائله .. فقد نسبناه قدر الطاقة إلى مصدره وصاحبه من رجال سلفنا ولقد أضفت إلى كلمات سلفنا كلمات لفقيه الإسلام الشيخ سيد قطب تقبله الله عنده في عداد الشهداء فإنه كما وصفه الأستاذ الندوي - (من فتوح الإسلام الجديدة)^(٤) وأضيف إليها من كلام القشيري صاحب الرسالة القشيرية^(٥) ما هو موافق للكتاب والسنة فإن الحكمة ضالة المؤمن أتى وجدها التقطها .. وكما يقول ابن القيم رحمه الله « البصير الصادق يضرب عن كل غنيمة يسهم ويعاشر كل طائفة على أحسن ما معها »^(٦)

(١) تاريخ بغداد ٢٠٩/١٤ .

(٢) الشوارد لعبد الوهاب عزام ص ٣٤٠ .

(٣) من كلام ابن القيم في مقدمة « حادي الأرواح » .

(٤) مذكرات سائح في العالم العربي ص ٩٠ .

(٥) عبد الكريم القشيري : علم من أعلام التصوف ، أشعري العقيدة وله « الرسالة القشيرية » وهي من

كتب التصوف الشهيرة واحتوت على كثير من الفث وقلّ جيد الكلام فيها .

(٦) مدارج السالكين ٣٩/٢ ، ٣٧٠ .

وأكثر من ذكر الشعر - والحمد لله أن لنا سلف في ذلك - ليرسخ المعنى
ويطول تأمله وتذكره ورب شعر يرتاع منه الكلام ..

طائر أنت على دوحتنا شيدوه واللحن من نغمتنا
إن تكن ذا نغمة لا تُفرد بسوى بستاننا لا تُفرد^(١)

ولقد اقتصر على الصحيح والحسن من الأحاديث التي صححها السابقون
من الحفاظ أو رجال الحديث في عصرنا كالشيخ الألباني حفظه الله وأكثر في
نقل تخرجه بارك الله فيه وأفسح الله في عمره .
فيا أيها الناظر في جمعي هذا لك غنمه وعلى غرمه ، لك صفوه وعلى
كدره .

اللهم اجعله خالصا لوجهك الكريم فما كان لك يا مولاي سيبقى وما كان
لغيرك يضمحل ويفنى

لا كان من لسواك منه قلبه
ولك اللسان مع الوداد الكاذب

وأختم مقدمتي بقول ابن الجوزي رحمه الله « إلهي لا تعذب لسانا يخبر
عنك ، ولا عينا تنظر إلى علوم تدل عليك ، ولا قدما تمشي في خدمتك ، ولا
يداً تكتب حديث رسولك ﷺ ، فبعزتك لا تدخلني النار فقد علم أهلها أني
كنت أذب عن دينك . اللهم بلغني آمالي من العلم والعمل وأطل عمري لأبلغ
« ما أحب من ذلك » .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

الفقير إلى رحمة ربه

أبو التراب : السيد بن حسين بن عبد الله العفاني

بنى عفان - بنى سويف - مصر

(١) الأسرار والرموز .

.....

10/1/2020

لماذا

قيام الليل؟

C

لقد جمعت كتابي هذا للسائرين على الدرب وحملة النور من شباب هذه الأمة واستخرت الله العظيم وجمعت ما جمعت في قيام الليل وأحوال القانتين في ليلهم من تهجد وبكاء ومناجاة وتلاوة واستغفار لعدة معان هي روح الحركة الإسلامية فيها قوامها .

(١) كونه صلاة .. والصلاة خير موضوع

وقد قال الرسول ﷺ :

« الصلاة خير موضوع لمن استطاع أن يستكثر فليستكثر »^(١) « لأن بها تبدو قوة الإيمان في شهود ملازمة خدمة الأركان ، ومن كان أقواهم إيمانا كان أكثرهم وأطولهم صلاة وقنوتا وإيقانا كما قال المناوي رحمه الله »^(٢)
« وأى دعوة تريد أن تستقيم إلى الله فعليها أن تدلف من باب الاستقامة وبابها المحراب »^(٣)

« وسجود المحراب واستغفار الأسحار ودموع المناجاة : سيماء يحتكرها المؤمنون .. ولئن توهم الدينوي جناته في الدينار ، والنساء والقصر المنيف فإن : جنة المؤمن في محرابه »^(٤)

وقيام الليل صلاة فيها كل مافي الصلاة من معان ترتفع بالإنسان بعيداً عن

(١) حسن : رواه الطبراني في الأوسط عن أبي هريرة كما أشار إلى ذلك السيوطي والألباني . وقال المناوي : « ظاهر كلام المؤلف ، يعني السيوطي ، أنه لم يره مخرجا لأعلى من الطبراني ولا أحق بالعزو إليه وليس كذلك فقد رواه أحمد وابن حبان والحاكم في صحيحه عن أبي ذر ، وأشار السيوطي إلى ضعفه وقال الهيثمي فيه عبد المنعم بن بشير ، وحسن الحديث الشيخ الألباني في صحيح الجامع رقم ٣٧٦٤ .

(٢) أنظر فيض القدير للمناوي ج ٤ ص ٢٤٧ طبع المكتبة التجارية الكبرى :

(٣) الرقائق لمحمد أحمد الراشد ص ١٥ .

(٤) الرقائق ص ٢٧ .

هجير الحياة ولذا كان رسولنا ﷺ يقول : « يا بلال أقم الصلاة ، أرحنا بها » (١)

يقول الشيخ سيد قطب رحمه الله :

« حين يطول الأمد ، ويشق الجهد قد يضعف الصبر - الصبر على الطاعات ، والصبر على بقاء النصر ، والصبر على بعد الشقة ، والصبر على انتفاش الباطل ، والصبر على قلة الناصر ، الصبر على طول الطريق الشائك ، والصبر على التواء النفوس ، وضلال القلوب ، وثقله العناد ، ومضاضة الإعراض - أو ينفذ إذا لم يكن هناك زاد ومدد - ومن ثم يقرن الصلاة إلى الصبر فهي المعين الذي لا ينضب ، والزاد الذي لا ينفذ

المعين الذي يحدد الطاقة ، والزاد الذي يزود القلب ، فيمتد جبل الصبر ولا ينقطع ، ثم يضيف إلى الصبر الرضى والبشاشة والطمأنينة والثقة واليقين .

إنه لا بد للإنسان الفاني الضعيف المحدود أن يتصل بالله حين يتجاوز الجهد قواه المحدودة ، حينما تواجهه قوى الشر الظاهرة والباطنة ، حينما يثقل عليه جهد الإستقامة على الطريق بين دفع الشهوات وإغراء المطامع ، وحينما تثقل عليه مجاهده الطغيان وهي عنيفة ، حينما يطول به الطريق ، وتبعد به الشقة في عمره المحدود ، ثم ينظر فإذا هو لم يبلغ شيئا ، وقد أوشك المغيب ، ولم ينل شيئا وشمس العمر تميل للغروب ، حينما يجد الشر نافشا والخير ضاويا ولا شعاع في الأفق ولا معلم في الطريق هنا تبدو قيمة الصلاة .

إنها الصلة المباشرة بين الإنسان الفاني ومولاه الباقي .

إنها الموعد المختار للالتقاء بالنبع الذي لا يفيض .

إنها مفتاح الكثر الذي يغني ويقني ويفيض .

(١) صحيح : رواه أحمد في مسنده وأبو داود عن رجل من خزاعة وصححه الألباني انظر صحيح

الجامع رقم ٧٧٦٩ ومشكاة المصابيح حديث رقم ١٢٥٣ .

إنها الانطلاقة من حدود الواقع الأرضي الصغير إلى مجال الواقع الكوني
الكبير

إنها الروح والندى والظلال في الهجرة
إنها اللمسة الحانية للقلب المتعب المكدود .
إنها زاد الطريق ومدد الروح وجلاء القلب .

إن الله سبحانه حينما انتدب محمدا ﷺ للدور الكبير الشاق الثقيل قال له
﴿ يا أيها المزمل قم الليل إلا قليلا نصفه أو انقص منه قليلا . أوزد عليه ورتل
القرآن ترتيلا . إنا سنلقي عليك قولا ثقيلا ﴾^(١) فكان الإعداد للقول الثقيل
والتكليف الشاق والدور العظيم هو قيام الليل وترتيل القرآن ، إنها العبادة التي
تفتح القلب ، وتوثق الصلة ، وتيسر الأمر ، وتشرق بالنور ، وتفيض بالغناء
والسلوى والراحة والإطمئنان .

ومن ثمَّ يوجه الله المؤمنين هنا وهم على أبواب المشقات العظام إلى الصبر
والصلاة»^(٢) أهـ

قال تعالى ﴿ واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين ﴾^(٣)
وقال تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة ، إن الله مع
الصابرين ﴾^(٤) .

(٢) مدرسة الليل مدرسة الإخلاص

ويأتيك صوت قتادة « كان يُقال ما سهر الليل منافق»^(٥) وهل تجد الصبر

(١) المزمل .

(٢) «الظلال» للشيخ سيد قطب

(٣) سورة البقرة آية رقم ٤٥ .

(٤) سورة البقرة آية رقم ١٥٣ .

(٥) حلية الأولياء ج ٢ ص ٣٣٨ .

والصلاة وعلو الهمة وعمل السر إلا في قيام الليل ربى الله الرعيل الأول من الصحابة عليها في بدء الدعوة اثنا عشر شهرا كاملا على عبادة عنوانها الإخلاص وقوامها الصبر ، حين يترك الإنسان المتهدد دفء الفراش ويصف قدميه في محرابه بين يدي مولاه ، ولو استطاع أن يُخفى عمله هذا عن الحفظة لأخفاه ، لسان حاله يناجي مولاه .

ومعقود اللسان من الدعاة يصبح بالنية ناثرا من فيه جواهر البلاغة الآسرة للناس ، كما ينص على ذلك طب عبد القادر الجيلاني في قوله : « كن صحيحا في السر : تكن فصيحاً في العلانية » وأما المخلط في نيته فيخلط عليه في أموره وسيرته كان ذلك في التاريخ على أهل التخليط حتماً مقضيا وهو المعنى الذي كشفه التابعي الجليل مطرف بن عبد الله بن الشخير في قوله : « صلاح العمل بصلاح القلب ، وصلاح القلب بصلاح النية ، ومن صفا : صُفَى له . ومن خلط : خُلِّط عليه »

و « إن الخطأ الأكبر أن تنظم الحياة من حولك وتترك الفوضى في قلبك » كما يقول مصطفى صادق الرافعي ^(١) .

إن تعلم « الإخلاص » ، وفضح الأمل الكاذب الدنيوى أحلى أعطيات مدرسة الليل كما يقول وليد - الأعظمي - وذلك ما توجب تربيتنا تركيزه وتعميقه في النفوس .

سيبدو لكم في مضمرة القلب والحشا سريرة حب يوم تبدو السرائر . ولا تنتصر الدعوة إلا حين لا يكون في عقود الدعاة معها ومع ربها للشيطان نصيب .. لسان حالها يقول « لأعقدن عقدا لا يكون للشيطان فيه نصيب فرب عمل صغير تعظمه النية ، ورب عمل كبير تصغره النية » .

قال ، ~~يا~~ ما قال :

(١) الرقائق ص ٤٤ ، ٤٥ - وحى القلم ٤٤/٢ .

ياليل قيامك مدرسة فيها القرآن يدرسي
 معنى الإخلاص فألزمه نهجا بالجنة يجلسي
 ويُبصرني كيف الدنيا بالأمل الكاذب تغمسي
 مثل الحرباء تلونها بالإثم تحاول تطمسي
 فأباعدتها وأعاندها وأراقبها تهجسي
 فأشد القلب بخالقه والذكر الدائم يخرسي^(١)

عنوان القيام ترك الأمانى ... وعلو الهمة

وكيف يكون في القيام وترك دفء الفراش تواني أو أمانى قال يحيى بن معاذ
 « لا يزال العبد مقرونا بالتواني . مادام مقبلا على وعد الأمانى .
 وما اختار أحد الأمانى تقوده إلا كان أثقل ما يكون خطوا ، ووجد ثم
 السراب الخادع ، وعدم الماء وقت العطش ، وأما المضىء النفس ، ومن لا
 أمنية له من الدعاة ، فإنك تجده سباقا إلى الخير إلى كل خير أبدا ، وتجده على
 ري دوما ، فإنه إن كان ذا قوة: استسقى لنفسه أو استسقى لغيره ، فيجيبه الله بهطل
 من السماء ، وإن كان مستضعفا : وجد وريثا لموسى عليه السلام . يسقى له
 ويزاحم الرعاع »^(٢) .

وفي قيام الليل علو الهمة وكم فيها من صلاح للدعوة وحياة الأمم والدعاة .

استمع إلى صوت الجيلاني يهدر

« سيروا مع الهمم العالية »^(٣) ولازال هذا الطريق هو الطريق المعبد الوحيد
 في خارطتنا . أما الجبن والانزواء والتأوه فصحارى مهلكة »^(٤) .

(١) الرقائق ص ٣٣ - ٣٤ - أغاني المعركة (٣٨) .

(٢) الرقائق ص ٤٥ - ٤٦ .

(٣) الفتح الرباني للجيلاني ص ٢٩٨ .

(٤) الرقائق ص ١٤٠ .

أفتكون يا أخى من أصحاب الأمانى المتأوهين « تكون عالماً بها ولا تنهض
همتك إليها ، فلا تزال فى حضيض طبعك محبوساً ، وقلبك عن كمالك الذى
خلقت له مصدوداً منكوساً ، قد أسمت نفسك مع الأنعام ، راعياً مع الحمل ،
واستطبت لقيات الراحة والبطالة ، واستلنت فراش العجز والنكسل ، لا كمن
رفع له علم فشمريه إليه . وبورك له فى تفرده فى طريق طلبه فلزمه واستقام عليه ،
قد أبت غلبات شوقه إلا الهجرة إلى الله ورسوله . ومقتت نفسه الرفقاء إلا ابن
سبيل يرافقه فى سيره » (١)

إن حياة النفس فى السموات ونجاتها فى العلو ، بل نجات الأمت
هم الأحرار تحيى الرما نفضة الأبرار تحي الأمت
هنتك احفظها بقيام الليل ، فإن الهمة مقدمة الأشياء فمن صلحت له همته
وصدق فيها ، صلح له ما وراء ذلك من الأعمال ويمثل لها ابن القيم بمثل لطيف
فيقول :

« مثل القلب مثل الطائر ، كلما علا : بعد عن الآفات : وكلما نزل :
احتوشته الآفات » (٢)

فكما أن الاستعلاء بالهمة يبق القلب نظيفاً بريئاً من المعنى الخسيس مشغولاً
بالعظام : فإنه يبق القلب من الآفات والأمراض وسهام الشيطان كما تبق نهضة
الجناحين الطائر سهام الصيد ومهمة المربي المسلم : أن يعلم الناشئ هذه النهضة
العالية فى مبادئ محاولاته .

ونهضة الجناحين هى بدورها كناية عن النفس التى احتوت تصميماً على حمل
أثقال الدعوة إلى الله . فإن الجديد فى سلك الدعوة إن فهم الدعوة فى الأول

(١) مفتاح دار السعادة لابن القيم ج ١ ص ٤٦ .

(٢) الجواب الكافي ص ٧٠ .

مجرد تزكية نفس ، وصحبة أخيار ، وبث أشواق فإنه يحجم عن إنكار المنكر على المظالم ، ويرجع عن الزحف وقائمة أعذاره تحت أحد إبطيه ، أولها : إنه لم ينذر بمثل هذا من قبل ، ولا يحتوى هذا الشرط عقده .

ولذلك حرص رجال التربية على أن تكون « أول خطوة للسالك خطوة هول »^(١) وسلفهم في هذا رسولهم ﷺ وأصحابه فقد قاموا الليل في بدء الدعوة اثنا عشر شهرا كاملا حتى انتفخت أسواقهم وأوداجهم .. صدقوا الله فصدقهم .

إن انتصار الدعوة لا يمكن في كثرة الرق المنشور ، بل برجعة نصوح إلى العرف الأول ، ومتى ما صفت القلوب بتوبة ، ووعت هذا الكلام أذن واعية ، كانت تحلة الورطة الحاضرة التي سببتها الغفلة المتواصلة ذلك شرط لا بد منه .
وكان النصر حجب عنا لأننا نادينا من وراء الحجرات ، وجهرنا رافعين أصواتنا نوجب على الله لنا هذا النصر بإدلال ، نبيعه ونرى لنا حقا عاجلا في الثمن من دون أن نقدم بين يدي بيعنا همسا في الأسحار ولا الدمع المردار وإنما النصر هبة محضة ، يقتر الله بها عين من يشاء من رجال مدرسة الليل في الحياة الدنيا ، ولا يلت الآخريين المحصرين من ثمنهم في الآخرة شيئا ، ويوقع أجرهم عليهم .

إن دعوة الإسلام اليوم لا تعلى حتى يدكى دعائها شعلهم بليل ، ولا تشرق أنوارها فتبدد ظلمات جاهلية القرن العشرين ما لم تلهج - بالذکر - .

قال الشيخ حسن البنا رحمه الله :

« دقائق الليل غالية ، فلا ترخصوها بالغفلة »

أفيعينا أن نعيد السمات الأول ، أم غرنا اجتهاد في التساهل والتسيب والكسل جديد .

(١) الرقائق ص ٤٦ ، ٤٧ .

إن القول لدى الله لا يبدل . ولكننا أرخصنا الدقائق الغالية بالغفلة فنقل
المغرم . ولم يجعل الله لنا من أمرنا يسرا» (١)

(٤) قيام الليل باب التزكية الأعظم

قال تعالى ﴿قد أفلح من زكاهها﴾ (٢)

لقد أقسم الله بأحد عشر قسما متتاليا ما وردت في القرآن إلا في غير هذا
المكان أن الفلاح في تزكية النفوس .

هذه هي « التزكية النبوية التي نطق بها الرسول ﷺ و « الربانية » التي
طولب بها العلماء .. ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم
تدرسون» (٣)

إن من يتخرج في مدرسة الليل يؤثر في الأجيال التي بعده إلى ما شاء الله ،
والمختلف عنها يابس ، قاس تقسو قلوب الناظرين إليه ، والدليل عند بشر بن
الحارث الخافي منذ القديم ، شاهده ، وأرشدك إليه فقال :

« بحسبك أن قوما موتى تحيا القلوب بذكرهم ، وأن قوما أحياء تقسو
القلوب برؤيتهم» (٤) بل تموت القلوب برؤيتهم فلم كان ذلك إن لم يكن ليل
الأولين يقظة وليل غيرهم نوما ، ونهار الأولين جدا ونهار الآخرين شهوة»
يقول الشيخ أبو الحسن الندوى :

« إن تزكية النفوس والدعوة إلى الإحسان وفقه الباطن شعبة من أهم شعب
النبوة» (٥)

(١) الرقائق ص ٣٢ ، ٣٣ .

(٢) الشمس آية رقم ٩ .

(٣) «ربانية لا رهبانية» للشيخ أبي الحسن الندوى ص ١٥ طبع مؤسسة الرسالة .

(٤) الرقائق ص ٣٤ .

(٥) «ربانية لا رهبانية» ص ١٤ .

ويذهب رحمه الله إلى « أن إحياء الإخلاص والأخلاق وتجديدهما أكبر واجبات ومهات هذا العصر وفريضة الداعي »^(١)

ويقول رحمه الله « إذا تأملنا القرآن وجدناه يتوّه بشعبة من شعب الدين ، ومهمة من مهات النبوة يعبر عنها بلفظ « التزكية » ويذكرها كركن من الأركان الأربعة التي بعث الرسول الأعظم ﷺ لتحقيقها وتكملها ﴿ هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين ﴾ وهي تزكية النفوس وتحليتها بالفضائل وتحليتها من الرذائل .

ولا بد أن نملأ هذا الفراغ الواقع في حياتنا ومجتمعنا ونسد هذا المكان الذي كان يشغله الدعاة إلى الله والربانية والمشتغلون بتربية النفوس وتركيبتها .

أَقْلُوا عَلَيْهِم لَا أَبَا لِأَبِيكُمْ

من اللوم أو سدُّوا المكان الذي سدُّوا^(٢)

ثم يتكلم الشيخ الندوي عن دور الربانيين في إخضاع التتار الفاتحين لدين أمة مفتوحة فيقول رحمه الله :

« لما فتح التتار العالم الإسلامي في القرن السابع الهجري ، وانحنوه جراحا وقتلا ، ولم يتركوا فيه إلا روحا ضعيفة ونفسا خافتا ، وفلَّ سيف الجهاد والمقاومة فأصبح لا يؤثر ولا يعمل ، وأغمده المسلمون بأسا وقنوطا ، وآمن الناس بأن التتار لا يمكن إخضاعهم وأن العالم الإسلامي قد كتب عليه أن يعيش تحت حكم هؤلاء الهمج ، وأن الإسلام لا مستقبل له ، قام هؤلاء الدعاة المخلصون الذين لا يزال تاريخ الدعوة والإصلاح - على إحصائه واستقصائه - مجهل أسماء

(١) « ربانية لا رهبانية » ص ٤٠ .

(٢) ربانية لا رهبانية ص ١٥ .

كثير منهم ، يتسربون في هؤلاء الغلاظ الشداد ، يفتحون قلوبهم للإسلام ، حتى تفتحت له وأحبته ، وصاروا يدخلون في دين الله أفواجا .

وهكذا أخضعوا للإسلام من أخضع العالم الإسلامي بالأمس من شرقه إلى غربه ، وأدخلوا أمة قهرت الأمم كلها في عصرها في دين لا يحميه سيف . ولا يدافع عنه جيش وقد كانوا ثلاث ديانات - هي أعظم ديانات العالم - تتنافس في اكتساب هذه القوة القاهرة للعالم : « البوذية » و « المسيحية » و « الإسلام » ، وكانت البوذية أقرب إلى فطرتها وبيئتها ، وكانت النصرانية أرفع مكانة وأقرب زلنى في مجالس سلاطينها ، ولكن الإسلام - بفضل دعائه المخلصين - انتصر على منافسته - البوذية والنصرانية - وأسلم التتار أمة وجنسا ، وكونوا دولا إسلامية كان لكثير منها مآثر إسلامية يتجمل بها تاريخ الإسلام ، وكان انتصار الإسلام على الديانتين المنافستين حادثة غريبة لا تعلق إلا بمشيئة الله تعالى وتأنيده ، وتفوق دعاة الإسلام في الإخلاص والروحانية على دعاة البوذية والنصرانية .

يقول أرنلد

« لقد كان منافسة هذه الديانات العظمى في إخضاع القوة القاهرة لعقيدتها صراعا عجيبا ينظر إليه التاريخ ، وينظر إليه العالم بدهشة واستغراب ، كل يحاول أن يخضع هؤلاء الوحوش القساة الذين داسوا هذه الديانات وحطموها .

لم يكن أحد يتوقع أن الإسلام سيتتصر في هذه المعركة ويهزم البوذية والنصرانية ويستأثر بالتتار ، فقد كانت عاصفة هجومهم وغارتهم أشد على المسلمين منها على غيرهم ، وكانت خسارتهم في ذلك أعظم من خسارة أية أمة ودولة وديانة . وقتل التتار علماء المسلمين وفقهائهم وأسروهم واستعبدوهم ، وقد كان ملوك التتار وأمرؤهم يعطفون على كل ديانة سوى الإسلام .

ولكن رغم هذه المصاعب دان المغول والأمم الوحشية التي جاءت بعدهم

بديانة أمة داستها بأقدامها واعتنقت الإسلام»

ولاشك أن الفضل في ذلك - كما صرح به «أرنلد» وغيره من المؤرخين الإسلاميين يرجع إلى هؤلاء الدعاة المختصين وربانيتهم ، وحرصهم على إرشاد هؤلاء الظالمين الذين سفكوا دماء المسلمين .

وقد نقل «أرنلد» قصة طريفة تدل على أسلوب دعوتهم ، ورقة موعظتهم وتجردهم من الأنانية والكبرياء ، وكم لها من أمثال فانت التاريخ ، وأفلتت من أعين المراقبين وأقلام المسجلين .

أسلم سلطان (كاشغر) الذي كان يسمى «تغلق تيمور خان (١٣٤٧ م - ١٣٦٣ م) على يد الشيخ «جمال الدين» الذي جاء من بخارى ، وكان من خبره ، أنه كان مع رفقة له في رحلته ، فمروا بأرض السلطان التي كان قد حماها للصيد وهم لا يشعرون وأمر بهم الملك ، فأوثقوا ، وعرضوا عليه ، وقال - وقد استشاط غضبا : كيف دخلتم في حماي من غير إذن ؟

قال الشيخ : نحن غرباء ، ولم نشعر بأننا نمشي على أرض ممنوعة . ولما علم الملك أنهم إيرانيون ، قال في احتقار وسخرية : حتى الكلب أفضل من الإيرانيين .

قال الشيخ : صدق الملك ، لولا أن الله أكرمنا بالدين الحق لكنا أذل من الكلاب . وتحير الملك ومضى للصيد ، وبقيت الكلمة تشغل فكره ، وأمر بعرضهم عليه بعد الصيد ، ولما رجع خلا بالشيخ وقال : فسره لي ما قلت ، وأخبرني ما تعني بالدين الحق ؟

وفسر الشيخ الإسلام في حماسة وقوة تفسيراً رق له قلب السلطان ، وصور الكفر تصويراً بشعاً هائلاً فزع منه السلطان وأيقن أنه على ضلال وخطر . ولكن السلطان رأى أنه لو أعلن الإسلام لما استطاع أن يدخل قومه في

الإسلام ورجا الشيخ أن ينتظر حتى إذا سمع أنه ولي الملك ، وجلس على أريكة الحكم ، زاره ، وكانت المملكة « الجفتائية » قد توزعت في إمارات متعددة ، واستطاع « تغلق تيمور » أن يجمعها ، ويكوّن منها مملكة صغيرة ، ورجع الشيخ « جمال الدين » إلى بلاده ، ومرض مرضا شديدا . ولما حضرته الوفاة ، دعا ولده « رشيد الدين » وقال له : إن « تغلق تيمور » سيكون في يوم من الأيام ملكا عظيما ، فإذا سمعت بذلك تروزه ، وتقرئه مني السلام ، وتذكره بما وعدني به « من اعتناق الإسلام » وكان كذلك ، فقد بويغ « تغلق تيمور » بالملك ، وجلس مكان أبيه ، ودخل الشيخ « رشيد الدين » في المعسكر لينفذ وصية أبيه ، ولكنه لم يخلص إلى الملك ، فاحتال ، وبدأ يوما يؤذن بصوت عال عند خيمة السلطان في الصباح الباكر ، فطار نوم السلطان وغضب وطلب الشيخ « رشيد الدين » وحضر الشيخ ، وبلغ السلطان تحية والده ، وكان السلطان على ذكر منه ، فنطق بالشهادتين وأسلم ثم نشر الإسلام في رعيته ، وأصبح الإسلام ديانة الأقطار التي كانت تحت سيطرة أولاد جغتاي بن جنكيز خان (١) .

(٥) الجهاد يُسقى بدمع التهجّد :

إن الذنب لا يُسقى إلا بدمع ، والشجاعة تسقى بدموع الليل ، وما عرف الإسلام رجاله إلا كذلك ، ولم يقل ابن القيم باطلا في وصفه لهم بأنهم :

في الليل رهبان وعند جهادهم
لعدوهم من أشجع الشجعان

أخى : ما بغير البذل ينطق قاموسنا .. ولأجله كتبت وجمعت جمعي وهذه كتاب الحق قد دنت أو أوشكت أن تدنو فأين زادك من قيام الليل .

يقول الشيخ الندوي :

(١) « ربانية لارهبانية ، من ص ٣١ - ٣٥ - كتاب الدعوة إلى الإسلام لأرنولد ص ٢٥٦

« مما يجدر بالذكر ويسترعى الإنتباه أن تلك القوة المعنوية والروحية ، والشخصية القوة الفذة ، والإخلاص والريانية والحنان والعاطفة والإقدام والشهامة التي نحتاج إليها للتضحية والفداء وبذل المهج والأرواح ، والجهاد والكفاح ، والتجديد والإصلاح ، والفتح والتسخير ، لا تنشأ ولا تظهر في أكثر الأحيان إلا بعد صفاء الروح وتهذيب النفس والرياضة والعبادة .

ولذلك نرى أن أكثر من قاموا بدور التجديد والجهاد في تاريخ الإسلام كانوا يتمتعون بمكانة روحية سامية »

ثم يقول رحمه الله :

« والحقيقة أن هذه المجاهدات والرياضات وتركية النفس والصلة بالله تنشئ في الإنسان حالة عجيبة من الشوق والوجد والحب والحنان تغلغل في أحشائه ، وتستقر في أعماقه حتى تراه ، ينشد بلسان حاله ويقول « إني لأملك شيئاً أفديك به إلا هذه الحياة التي أعرتني إياها فهي منك ولك ، ومن فيضك وفضلك ، فنهاية المطاف في هذه الرحلة الروحية والسلوك الطويل هي حب الشهادة والغاية الأخيرة من هذه المجاهدة والرياضة هي الجهاد .

إن اليقين والحب هما جناحان لصقر الجهاد والإجتهد يخلق بهما في السماء . وذلك هو السرفى ما نرى من وجود شخصية فذة قوية على رأس كل حركة للجهاد والكفاح ، نفخت في المجاهدين روح الحماسة واليقين ، وحملت هذه الشرارة إلى صدور المؤمنين الآخرين حتى شقت عليهم حياة الهدوء والنعم والترف وأصبحوا لا يطبقونها^(١) »

أولئك آباءى فجننى بمثلهم إذا جمعتنا يا جرير المجمع

(١) رباتية لا رهبانية ص ١١٣ وما بعدها .

سُرِّحَ طرفك في القرون : -

مضوا يحفرون بدمع القيام وبذل الدماء طريق الأياب

● في عبّاد بن بشر وقيامه الليل وجهاده واستشهاده

● في سالم مولى أبي حذيفة

● في صلة بن أشيم وتهجده وحبّه للغزو

● في عمرو بن عتبة وفي عتبة الغلام

● في هارون الرشيد وغزوه عاما وحجه عاما

● في ابن المبارك

● في ابن تيمية وجهاده للتتار

● في قاهر الصليبيين نور الدين محمود زنكي

● في بطل حطين صلاح الدين الأيوبي

● في «محمد الفاتح» وفتحته للقسطنطينية

● في عبد القادر الجزائري والشيخ حسن البنا

ليست دعوتنا لقيام الليل دعوة سلبية ، وإنما هي دعوة تدندن حول البذل

وعودة مجد الإسلام تنادى

هل من صلاح يعيد السيف في يدنا أو تبتروها فقد شلت أيادينا

وسطورى هذه التي سأكتبها غيرها من نسيم السحر ، وأريحها من أنفاس

المتهجدين الركع السجود

قوم كرام السجايا أينما جلسوا

يبقى المكان على آثارهم عطرا

يصدق فيهم قول الشاعر :

مقامات أعلام ترى الشهب دونها

بنوها بياقوت المواهب والدر

تضيء الدياجي من بهاء جبالها
بها يهتدى من للعلا نحوها يسر
فسبحان من أيقظ المتجددين والناس نيام ، وجعل خلواتهم معه أنسهم
وميدانهم ، والمناجاة روائحهم وريحانهم ، وذكره نزهتهم وبستانهم ، وتلاوة
القرآن نعيمهم وعنوانهم وشوقهم دوما لقناديل علقت بالعرش في دارهم
وأوطانهم .

● فهيا يا أخى : أغلق باب الراحة ، وافتح باب الجهد
اغلق باب النوم وافتح باب السهر

وخلّ الهوينا للضعيف ولا تكن نؤوما فان الخزم ليس بناثم

● لا تكن من قوم قال فيهم أحد الصالحين :

« إنكم تلبسون ثياب الفراغ والراحة قبل أن تعملوا »

● هيا يا أخى إلى نداء ثابت البناني رحمه الله :

« كابدت الصلاة عشرين سنة واستمتعت بها عشرين سنة »

● هيا إلى صحبة الساهرين مع النجوم ، الآنفين من الوجود

● هيا يا أخى إلى الآخرة ودع الدنيا وليكن نشيدك قول شميظ بن عجلان رحمه

الله يسرى في حياتك مسرى الدم في العروق خلال هجير زماننا

« صبراً على لأوائها والموعد الله »

وفي ذلك فليتنافس المتنافسون

قال الله تعالى : ﴿ فاستبقوا الخيرات ﴾^(١)
وقال تعالى : ﴿ وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات
والأرض أعدت للمتقين ﴾^(٢)

وقال تعالى : ﴿ واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلا ﴾^(٣)
وقال تعالى : ﴿ والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ، وإن الله لمع
الحسنين ﴾^(٤)

وقال رسول الله ﷺ : « نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة
والفراغ »^(٥)

وقال رسول الله ﷺ : « بادروا بالأعمال الصالحة ، فستكون فتن كقطع
الليل المظلم ، يصبح الرجل مؤمنا ويمسي كافرا ويمسي مؤمنا ويصبح كافرا ،
يبيع دينه بعرض من الدنيا »^(٦)

وقال رسول الله ﷺ : « المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن
الضعيف ، وفي كل خير ، احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز ، وإن
أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كذا كان كذا وكذا ولكن قل : قدر الله
وما شاء فعل فإن لو تفتح عمل الشيطان »^(٧)

● وفي الحديث القدسي « يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم
إياها »

(١) سورة البقرة من الآية ١٤٨ .

(٢) آل عمران آية رقم ١٢٣ .

(٣) الزمل آية رقم (٨) .

(٤) الآية رقم ٦٩ من سورة العنكبوت .

(٥) رواه البخاري عن ابن عباس .

(٦) رواه مسلم عن أبي هريرة .

(٧) رواه مسلم عن أبي هريرة .

لله در القائل :

إن لم تكن للحق أنت فن يكون
والناس في محراب لذات الدنيا عاكفون

● قال العلامة ابن رجب الحنبلي في كتابه « لطائف المعارف » :

« لما سمع القوم قول الله عز وجل ﴿ فاستبقوا الخيرات ﴾ وقوله ﴿ وسابقوا ﴾ إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض ﴾ فهموا أن المراد من ذلك أن يجتهد كل واحد منهم أن يكون هو السابق لغيره إلى هذه الكرامة ، والمسارع إلى بلوغ هذه الدرجة العالية ، فكان أحدهم إذا رأى من يعمل عملاً يعجز عنه خشي أن يكون صاحب ذلك العمل هو السابق له فيحزن لفوات سبقه ، فكان تنافسهم في درجات الآخرة واستباقهم إليها ، ثم جاء من بعدهم قوم فعكسوا الأمر فصار تنافسهم في الدنيا الدنيئة وحظوظها القانية »

● قال الحسن : « إذا رأيت الرجل ينافسك في الدنيا فنافسه في الآخرة »

وقال رحمه الله « من نافسك في دينك فنافسه ، ومن نافسك في دنياك

فألقها في نحره »

● وقال وهيب بن الورد : « إن استطعت ألا يسبقك إلى الله أحد فافعل . »

● وقال بعض السلف : « لو أن رجلاً سمع برجل أطوع لله منه ، فانصدع

قلبه فمات لم يكن ذلك بعجب . »

● وقال أحدهم : « لو أن رجلاً سمع برجل أطوع منه لله كان ينبغي أن يحزنه

ذلك . »

● وقال رجل لمالك بن دينار : « رأيت فيما يرى النائم منادياً ينادى : الرحيل

الرحيل ، فما رأيت أحداً يرتحل إلا محمد بن واسع فصاح مالك وغشى عليه ...

﴿ والسابقون السابقون أولئك المقربون ﴾ .

قيل لبعض المجتهدين في الطاعات : لم تُعَذِّبْ هذا الجسد؟
قال : كرامته أريد

وإذا كانت النفوس كبارا تعبت في مرادها الأجسامُ
صاحب المهمة العلية ، والنفس الشريفة التوّاقة لا يرضى بالأشياء الدنيئة
الفانية ، وإنما همته المسابقة إلى الدرجات الباقية .

قال عمر بن عبد العزيز : « إن لي نفساً توّاقة ، ما نالت شيئا إلا تاقت إلى
ما هو أفضل منه ، وإنما لما نالت هذه المترلة - يعنى الخلافة - وليس في الدنيا
مترلة أعلى منها ، تاقت إلى ما هو أعلى منها - يعنى الآخرة -
على قدر أهل العزائم تأتى العزائم

وجاءت مولاة لعمر بن عبد العزيز فقصت أنها رأت في المنام كأن الصراط
قد نصب على جهنم وهي تفر على أهلها ، وذكرت أنها رأت رجلا مروا على
الصراط فأخذتهم النار ، قالت : ورأيتك يا أمير المؤمنين وقد جرى بك فوقع
مغشيا عليه ، وبقي زمانا يضطرب وهي تصيح في أذنه : رأيتك والله قد
نجوت » (١)

أخى : « لما علم الصالحون قصر العمر ، وحثم حادى « وسارعوا » طروا
مراحل الليل مع النهار انتهابا للأوقات . اصغ سمعك لنداء ربك ﴿ ففروا إلى
الله ﴾ وبادر طي صحيفتك ، واحسر عن رأسك قناع الغافلين ، وانتبه من رقدة
الموتى ، وشمر للسباق غدا ، فإن الدنيا ميدان المتسابقين . واعلم أننا خلقنا لنحيا
مع الخالق ، ونافس في الفردوس فإن الرحمن جل جلاله قد غرس غراسه
بيده .

يا إخوتاه : سيروا إلى ربكم سيرا جميلا .

(١) لطائف المعارف لابن رجب الحنبلى ص ٢٦٠ ، ٢٦١ طبع دار الفتح .

أيا صاح هذا الركب قد سار مسرعا
ونحن قعود ماالذي أنت صانع
أترضى بأن تسبق اختلف بعدهم
صريع الأمانى والغرام ينازع
على نفسه فليبك من كان باكيا
أيذهب وقت وهو باللهو ضائع
• كن بقلبك بل بكلك مع القوم الذين قال عنهم شيخنا ابن القيم « حادى
الأرواح إلى بلاد الأفراح » :

« رفع لهم علم الجنة فشمروا إليه ، ووضع لهم صراطها المستقيم فاستقاموا
عليه ، ورأوا من أعظم الغبن بيع .مالا عين رأت ، ولا أذن سمعت ولا خطر على
قلب بشر في أبد لا يزول ولا ينفد ، بصباية عيش إنما هو كأصغاث أحلام ، أو
كطيف زار فى المنام ، مشوب بالنغص ، ممزوج بالغصص ، إن أضحك قليلا
أبكى كثيرا ، وإن سر يوماً أحزن شهورا ، آلامه تزيد على لذاته ، وأحزانه
أضعاف أضعاف مسراته أوله مخاوف ، وآخره متالف .

فيا عجبا من سفيه فى صورة حلیم ، ومعتوه فى مسلاخ عاقل ، أثر الحظ
الفانى الخسيس على الحظ الباقي النفيس . وباع جنة عرضها الأرض
والسموات ، بسجن ضيق بين أرياب العاهات والبلبات .

• ومساكن طيبة فى جنات عدن تجرى من تحتها الأنهار ، بأعطان ضيقة
آخرها الخراب والبوار .

• وأبكارا عزبا أترابا كأنهن الياقوت والمرجان ، بقدرات دنسات سيئات
الأخلاق مسافحات أو متخذات أخدان . وهورا مقصورات فى الخيام نجيبات
مسيبات بين الأنام . وأنهارا من خمر لذة للشاربين ، بشراب نجس مذهب
للعقل ، مفسد للدنيا والدين .

ولذة النظر إلى وجه العزيز الرحيم ، بالتمتع برؤية الوجه القبيح الدميم .

وسماع الخطاب من الرحمن ، بسماع المعازف والغناء والألحان .
والجلوس على منابر اللؤلؤ والياقوت والزبرجد في يوم المزيد ، بالجلوس في
الطرقات مع كل شيطان مريد .

فلو توهم المتخلف عن هذه الرفقة ما أعد الله لهم من الإنعام وادّخر لهم من
الفضل والإكرام ، وما أخفى لهم من قرّة أعين لم يقع على مثلها بصر ، ولا سمعته
أذن ولا خطر على قلب بشر ، لعلم أي بضاعة أضع ، وأنه لا خير له في حياته
وهو معدود من سقط المتاع .

فيا عجباً لها كيف نام طالبها ، وكيف لم يسمح بمهرها خاطبها ، وكيف طاب
العيش في هذه الدار بعد سماع أخبارها ، وكيف قر للمشتاق القرار دون معانقة
أبكارها ، وكيف قرّت دونها أعين المشتاقين ، وكيف صبرت عنها أنفوس
الموقنين ، وكيف صدفت عنها قلوب أكثر العالمين ، وبأي شيء تعرّضت عنها
نفوس المعرضين»^(١) .

لقد حرّك الداعي إلى الله وإلى دار السلام النفوس الأبيّة ، والهمم العالية ،
وأسمع منادى الإيمان من كانت له أذن واعية ، وأسمع الله من كان حياً فهزّه
السباع إلى منازل الأبرار ، وحدا به في طريق سيره فما حطّت به رحاله إلا بدار
القرار .

فحيلاً إن كنت ذا همّة فقد
حدى بك حادى الشوق فاطو المراحلا
وقبل لمنادى حيم ورضاهم
إذا مادعا لبيك ألفا كواملا
ولا تنظر الأطلال من دونهم فإن
نظرت إلى الأطلال عدن حوائلا

(١) حادى الأرواح إلى بلاد الأفراح ابن قيم الجوزية ص ٦ - ٧ .

فلا تنتظر بالسير رفقة قاعد
 ودعه فإن الشوق يكفيك حاملا
 وخذ منهم زادا إليهم وسر على
 طريق الهدى والحب تصبح واصلا
 وأحى بذكراهم سراك إذا دنت
 ركابك ، فالذكرى تعيدك عاملا
 وإما تخافن الكلال فقل لها
 أمامك ورد الوصل فابغ المناهلا
 وخذ قبسا من نورهم ثم سر به
 فنورهم يهديك ، ليس المشاعلا^(١)

﴿ وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ﴾

هو مطلب يستحق المنافسة ، وهو أفق يستحق السباق وهو غاية تستحق الغلاب .

والذين يتنافسون على شيء من أشياء الأرض مهاكبر وجل وارفع وعظم ،
 إنما يتنافسون في حقير قليل فإن قريب . والدنيا لا تزن عند الله جناح بعوضة .
 ولكن الآخرة ثقيلة في ميزانه ، فهي إذن حقيقة تستحق المنافسة فيها
 والمسابقة^(٢)

• واعلم رحمك الله أن « قيمة كل امرئ ما يطلب »^(٣) .

فهناك همة تدور حول الأنتان والحش : ذكر الله حسب صاحبها وموته ،
 وذكر الناس فأكهنه وقوته ، ينادى إلى الله عز وجل والدار الآخرة من مكان

(١) زاد المعاد لابن قيم الجوزية

(٢) « في ظلال القرآن » للشيخ سيد قطب ج ٦ ص ٣٨٦٠ طبع دار الشروق .

(٣) « مدارج السالكين » لابن قيم الجوزية

قريب فلا يجيب النداء ، الدنيا تصمّه عما سوى الباطل وتعميه (١)

فاستأنس بغيته ما أمكنك ، فإنه لا يوحشك إلا حضوره عندك ، فإذا ابتليت به فأعطه ظاهرك ، وتَرَحَّل عنه بقلبك ، وفارقه بسرك ، ولا تشغل نفسك إلا بما هو أولى بك .

واعلم أن الحسرة كل الحسرة الاشتغال بمن لا يجر عليك الاشتغال به إلا فوت نصيبك وحظك من الله عز وجل ، وانقطاعك عنه ، وضياح وقتك عليك ، وضعف عزيمتك وتفرق همك . وإياك وقاطع الطريق ولو كان من كان ، فانج بقلبك ، وضمن بيومك وليلتك ، لا تغرب عليك الشمس قبل وصول المترلة فتؤخذ» (٢) ولا تدرك أحبابا أتى لك بلحاقهم .

●● وهمة أخرى : ارتبطت بمن فوق العرش جل وعلا إرادة وطلباً وشوقاً ومحبة وإخبارات وإجابة ، لا مستراح لها إلا تحت شجرة طوبى ، ولا قرار لها إلا في يوم المزيد ، كلما طال عليها الطريق تلمحت المقصد ، وكلما أمرت الحياة حلى تذكرت ﴿ هذا يومكم الذى كنتم توعدون ﴾ (٣)

أخي : قَدْ هَيَّاوَكْ لِأَمْرِ لَوْ فَطَنْتَ لَهُ

فَارْبَاباً بِنَفْسِكَ أَنْ تَرَعَى مَعَ الْهَمَلِ

● صَوَّبَ إِلَى الرَّحِيلِ ﴿ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴾ تَلَمَّحَ الْقَوْمُ الْوُجُودَ ، فَفَهَّمُوا الْمَقْصُودَ ، فَاجْمَعُوا الرَّحِيلَ قَبْلَ الرَّحِيلِ وَشَمَّرُوا لِلسَّيْرِ فِي سِوَاءِ السَّبِيلِ (٤) .

(١) «إغاثة اللفهان ، لابن قيم الجوزية

طبع السلفية

(٢) الزايل الصب لابن قيم الجوزية

(٣) القوائد لابن قيم الجوزية

(٤) القوائد

• إذا طلع نجم الهمة في ظلام ليل البطالة وردفه قمر العزيمة أشرقت الأرض بنور ربها (١).

• من أراد من العمّال أن يعرف قدره عند السلطان فليُنظر ماذا يوليه من العمل وبأى شغل يشغله .

• دع الدنيا فإنها جيفة والأسد لا تقع على الجيف ، هي لا تساوى نقل أقدامك إليها فكيف تعدو خلفها (٢) .

فدعها رسوما دارسات فما بها
مقيل فجاوزها فليست منازل
رسوما عفت ينتابها الخلق كما بها
قتيل وكم فيها لذا الخلق قاتلا
وخذ يمينة منها على المنهج الذي
عليه سرى وفد الأحبة أهلا
وقل ساعدى يانفس بالصبر ساعة
فعند اللقاء ذا الكد يصبح زائلا
فما هي إلا ساعة ثم تنقضي
ويصبح ذا الأحزان فرحان جاذلا
لا تضع عصا السير عن عاتقك حتى تبدو لك أعلام دارك وخيامها وواصل
السير ليل نهار فعند الصباح يحمد القوم السرى .

• كيف لا يتسارع في يومه وغده ، سير من قطع به أمسه مرحلة نحو غايته ،
ومن أيقن أنه يتبع رسولا من أولى العزم صلوات الله عليه فكيف لا يستمد منه عزمه (٣)

(١) الفوائد

(٢) الفوائد

(٣) الرقائق ص ٤١

● النية الصالحة والهمة العلية نفس تضيء وهمّة تتوقد .

وبعدُ يا داعية الإسلام :

إن من جدّ وجد ، وليس من سهر كمن رقد
هذا ديب الليلي يُسارق نفسك ساعاتها ، وإن سلع المعالي غاليات الثمن ،
وإنما ثمنها اتباع مدارس السلف ، فانظر لنفسك واغتم وقتك « فإن الثواء قليل
والرحيل قريب والطريق مخوف ، والاغترار غالب ، والخطر عظيم ، والناقد
بصير »^(١) .

أخى : ائت الديار البكر ، وارقد كل يوم منزل فضل لم يعرف لأحد في
عصرك ، وائت في التنافس بجديد كأنك طلّعة جيش حتى يصدق فيك قول
القاتل :

عجبا بأنك سالم من وحشة
في غاية مازلت فيها مفردا
لو قال لك البطّالون من الكسالى « لو تفرغت لنا » فاقرع أسماعهم بصوت
عمر بن عبد العزيز .

وأين الفراغ؟ ذهب الفراغ ، فلا فراغ إلاّ عند الله لا مستراح للعباد إلا
تحت شجرة طوى .

كن ممن قال فيهم البنا رحمه الله :

« قد سهرت عيونهم والناس نيام ، وشغلت نفوسهم والخلّيون هجع »^(٢)

من هشيم فيك أذكّ اللهب

(١) الرقائق ص ١٣٧ .

(٢) إلى أي شيء ندعو الناس للشيخ حسن البنا المجموعة ٢٩١ .

من تراب فيك أطلع شهبا
من لهب القب علم الكامل
مقصد الإسلام ترك الآفل
صد إبراهيم عما يافل
فحوته كالجان الشعل^(١)

● قيل لبعض العباد ارقق بنفسك . قال : الرقق أطلب أو : من الرقق أتيت^(٢) .

● لما عرف الصالحون قدر الحياة أمانوا فيها الهوى فعاشوا ، انتهبوا بأكف الجد ، ما قد نثرته أيدي البطالين ، ثم تخابوا القيامة ، فاحتقروا الأعمال فانت قلبهم بالخافة ، فاشتاق إليهم الجوامد ، فالجذع يحن إلى الرسول ﷺ و « إن الجنة لثشاق إلى ثلاثة : علي وعمار وسلمان »^(٣) أنفوا من مزاحمة الخلق في أسواق الهوى ، وقوى شوقهم فلم يهتموا حصر الديار . مخرجوا إلى فضاء العز في صحراء التقوى ، وضربوا مخيم الجد في ساحة المجد .

ليكن نشيدك : لا لا يا قيود الأرض

أقع بروضة على مزبلة والملك يدعوني إلى فردوسه الأعلى
أرضى بخرابات البلى عن الفردوس الأعلى بالها صفقة غبن .
أقع بنحائس الحشائش والرياض معشبة بين يدي

● لا يحصل خطير إلا بخطر ، فالدر في عقر اليم .
● من لم تبك الدنيا عليه ، لم تضحك الآخرة إليه

(١) الأسرار والرموز .

(٢) اللطف في الوعظ لابن الجوزي ص ١٥ .

(٣) حديث حسن : رواه الترمذي والحاكم في المستدرک عن أنس وقد حسنه الترمذي والألباني في صحيح الجامع رقم ١٥٩٤ ولكنه قال في المشكاة حديث رقم ٦٢٢٥ . وإسناده ضعيف وإن حسنه الترمذي فإن فيه الحسن البصري وقد عنعنه وفيه أبو رييمة الأبيادي .

لو قُرب الدر على جلابه . ما لجج الغائص في طلابه
ولو أقام لزما أصدافه لم تكن التيجان في حسابه
مالؤلؤ البحر ولا مرجانه إلا وراء الهول من عيابه
من يعشق العليا يلق عندها مالمقى المحب من أحبابه^(١)

• وقت العارف جدّ كله لعلمه بشرف الزمان ، لا وجه للراحة ، لمّا عاينت
أبصار البصائر يوسف العواقب ، قطعت أبدي الهوى بسكين الشوق ، فإذا حان
حين الحين فرح سائر الليل بقطع المنزل ، وصاحت ألسنة الجد بالعاذلين « فذلكنّ
الذي لمتني فيه »

• قلوب أبت أن تعرف الصبر عنه « ما بأحشائهم عشقت فأسلو أثمان المعالي
غالية فكيف يستامها مفلس ؟ »

• وكيف يُنال المجد والجسم وادع
وكيف يحاز الحمد والوفر وافر

• كلما تعاطمت المهمم ، تصاغرت الجثث
ولست ترى الأجسام وهي ضئيلة
نواحل إلا والنفوس كبار^(٢)
لسان حاله : إذا اشتغل اللاهون عنك بشغلهم
جعلت اشتغالي فيك يامنهي شغلي

لسان حاله يقول :

قلبه تحت سماء لا يقدر هو فوق الزهر ما إن يستقر
طائر ينقر نجم الحبك طائرا فيما وراء الفلك^(٣)

(١) « اللطف في الوعظ ، لابن الجوزي ص ٥١١ .

(٢) اللطف في الوعظ ص ٦٦ ، ٦٧ .

(٣) الأسرار والرموز .

« الكيس يقطع من المسافة بصحة العزيمة وعلو الهمة وتجريد القصد وصحة النية مع العمل القليل أضعاف أضعاف ما يقطعه الفارع من ذلك ، مع التعب الكثير والسفر الشاق ، فإن العزيمة والمحبة تذهب المشقة وتطيب السير ، والتقدم والسبق إلى الله إنما هو بالهمم وصدق الرغبة والعزيمة فيتقدم صاحب الهمة مع سكونه صاحب العمل الكثير بمراحل »^(١)

مَنْ لِي بِمِثْلِ سِيرِكَ الْمَدْلُلِ تَمْشِي رَوِيدًا وَتَجِي فِي الْأَوَّلِ
أَخِي : استجلب نور القلب بدوام الجهد إنه استعلاء ثمنه التعب ، ليكن شعارك الصبر وراحتك التعب .

● إن الداعية المسلم لا يملك نفسه حتى يسوغ له أن يمنح نفسه أجازة ، وإنما هو « وقف لله تعالى »

● اعلم يا أخى « أن الراحة للرجال غفلة » كما يقول الفاروق رضى الله عنه وأتعب الناس من جلّت مطالبه .

● قال شعبة : « لا تقعدوا فراغا فإن الموت يطلبكم »

● سأل سائل ابن الجوزى « أيجوز أن أفسح لنفسي في مباح الملامى ؟ فقال له : « عند نفسك من الغفلة ما يكفيها »

● يقول ابن القيم « لا بد من سنة الغفلة ورقاد الغفلة ولكن كن خفيف النوم »

وانتبه من رقدة الغفلة فإلعمر قليل
واطرح سوف وحتى فيها داء دخيل

فاخلع الراحة يا أخى وليكن شعارك قول معلم الخير أحمد بن حنبل لابته :
« يا بنى لقد أعطيتُ المجهود من نفسى »

(١) الفوائد ص ١٤٠ .

رحمك الله يا ابن حنبل نفس كهوها التسعب
إستمع إليه حين يسئل : متى يجد العبد طعم الراحة فيقول « عند أول قدم
تضعها في الجنة » .

• الطالب الصادق كلما ناله هم أو حزن جعله في أفراح الآخرة و « من لمع
فجر الأجر هان عليه ظلام التكليف » كما يقول ابن الجوزي ولعمرك الله ما هو
بظلام ولكنها لغة اضطر إليها ليعقل مراده الراقدون^(١)

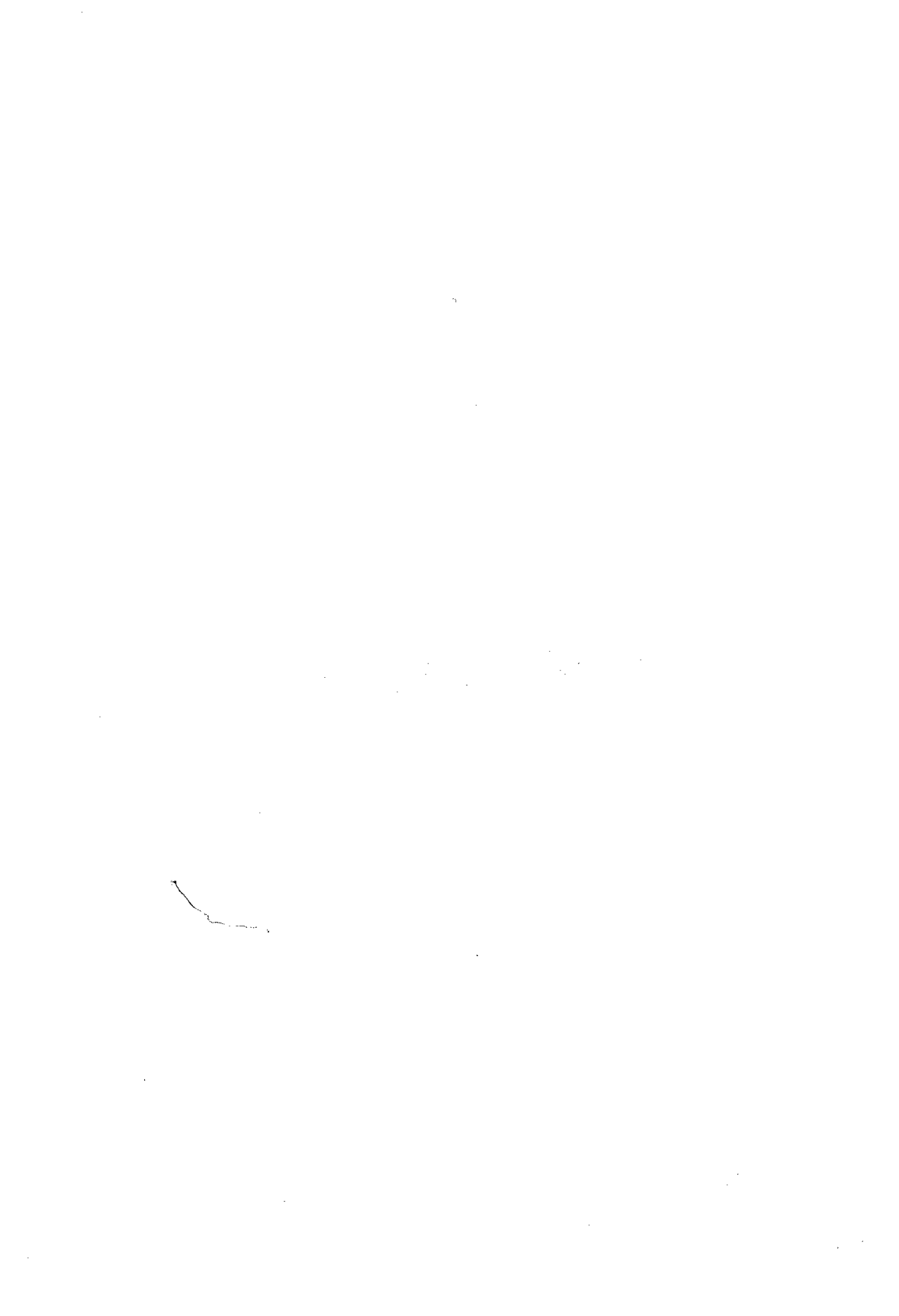
ما في الديار أخو وجد يريحك إن
بشثته بعض شأن الحب فاغترب
واسر في ظلمات الليل مهتديا
بنفحة الطيب لا بالعود والخطب
وخذ لنفسك نورا تستضيء به
يوم اقتسام الورى الأنوار بالرؤب
أنهى :

متى اشتد عطشك إلى ما تهوى من الدنيا ، فابسط أنامل الرجاء إلى من
عنده الرى الكامل ،
وقل : قد عيل صبر الطبع في سنّيه العجاف ، فعجّل لى العام الذى فيه
أغاث وأعصر .

طوبى لمن أظما نفسه ليوم الرى الكامل
طوبى لمن جوع نفسه ليوم الشبع الأكبر
طوبى لمن ترك شهوات حياة عاجلة
إلى نعيم حياة آجلة وموعد غيب لم يره .

(١) الرقائق ص ٤٩ - ٦٢ .

الترغيب في قيام الليل من القرآن الكريم



الترغيب في قيام الليل في القرآن الكريم

وأقوال السادة أئمة التفسير في شرح الآيات المرغبة فيه

الآية الأولى :

قال تعالى : ﴿ تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ومما
رزقناهم ينفقون . فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا
يعملون ﴾^(١)

قال ابن جرير الطبري رحمه الله في بيان معنى الآيتين :

[تتجافى جنوب هؤلاء الذين يؤمنون بآيات الله الذين وصفت صفتهم
وترفع عن مضاجعهم التي يضطجعون لمنامهم ولا ينامون ﴿ يدعون ربهم خوفاً
وطمعاً ﴾ في عفوه عنهم وتفضله عليهم برحمته ومغفرته ﴿ ومما رزقناهم
ينفقون ﴾ في سبيل الله ويؤدون من حقوق الله التي أوجبها عليهم فيه .
و ﴿ تتجافى ﴾ : تتفاعل ، من الجفاء ، والجفاء هو التبو كما قال في الرجز :

وَصَّاحِبِي ذَاتُ هِبَابٍ دَمَشَقُ
وَابْنُ مَلَاطٍ مَتَجَافٍ أَرْفَقُ^(٢)

يعنى أن كرمها سجية عن ابن ملاط

وإنما وصفهم الله تعالى ذكره بتجافى جنوبهم عن المضاجع لتركهم
الاضطجاع للنوم شغلا بالصلاة .

(١) السجدة الآيتان رقم ١٦ ، ١٧ .

(٢) البيت للزفان ، ابنا ملاطى البعير : هما العضدان وقيل كتفاه . (الشيخ محمود شاكر)

قال أبو عبيدة في « مجاز القرآن » : أى ترتفع عنها وتنحى لأنه يصلون بالليل (١) (٢) .

قال القرطبي رحمه الله :

[« المضاجع جمع مضجع وهى مواضع النوم ، ويحتمل عن وقت الاضطجاع ولكنه مجاز والحقيقة أولى .

قال الزجاج والرّمانيّ : التجافى : التنحى إلى جهة فوق ، وكذلك هو فى الصّحاح عن الخطيئة فى سبّ ونحوه والجنوب جمع جنب] (٣)

« واختلف أهل التأويل فى الصلاة التى وصفهم الله جل ثناؤه أن جنوبهم تتجافى لها عن المضطجع .

فقال أنس وقتادة وعكرمة وأبو حازم ومحمد بن المنكدر : هى الصلاة بين المغرب والعشاء » (٤) .

• قال القرطبي : « جاءت آثار حسان فى فضل الصلاة بين المغرب والعشاء وقيام الليل .

• وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال : « صلاة الأوابين الخلوة التى بين المغرب والعشاء حتى تتوب الناس إلى الصلاة » وإن من الدعاء المستجاب الذى لا يرد الدعاء بين المغرب والعشاء » (٥) أهـ

• وقال عطاء وأبو سلمة والحسن : عنى بها صلاة العتمة .

• وقال آخرون : لانتظار العتمة

(١) (الورقة ١٩٥ - ب) .

(٢) تفسير الطبرى ج ٢١ ص ٩٩ - ١٠٧ .

(٣) تفسير القرطبي ص ٥١٨١ - ٥١٨٢ كتاب الشعب .

(٤) إرشاد العقل السليم المسمى « تفسير أبى السعود » ج ٤ ص ١٩٨ - ١٩٩ .

(٥) القرطبي ص ٥١٨٣ - ٥١٨٤ .

عن أنس بن مالك عن هذه الآية ﴿ تتجافى جنوبهم عن المضاجع ﴾ نزلت في انتظار الصلاة التي تدعى العتمة ، (١) .

• وقال آخرون : عُني بها قيام الليل قاله الجمهور (٢) . من المفسرين وعليه أكثر الناس وهو الذي فيه المدح

وهو قول مجاهد والأوزاعي ومالك بن أنس والحسن بن أبي الحسن وأبي العالية ويدل عليه قوله تعالى ﴿ فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قورة أعين ﴾ لأنهم جوزوا على ما أخفوا بما خفي

• فعن الحسن في هذه الآية ﴿ تتجافى ... ﴾ قال : قيام الليل .

• وقال ابن زيد : هؤلاء المتجددون لصلاة الليل .

وقال مجاهد : قوم يصلون بالليل أورد ذلك الطبري (٣)

• وقال آخرون : إنما هذه صفة قوم لا تخلوا ألسنتهم عن ذكر الله إما في

صلاة وإما في غير صلاة قاله ابن عباس والضحاك (٤) .

• وقال آخرون : تجافى الجنب هو أن يصلي الرجل العشاء والصبح في جماعة

وهم الضحاك وأبو الدرداء وعبادة (٥) .

• قال الإمام القرطبي عن القول الأخير :

« وهذا قول حسن وهو يجمع الأقوال بالمعنى وذلك أن منتظر العشاء إلى أن

يصل إليها في صلاة وذكر لله عز وجل كما قال النبي ﷺ ، وكان رسول الله ﷺ

(١) رواه الترمذي ج ٤ ص ١٦١ وقال حديث حسن صحيح لا نعرفه إلا من هذا الوجه وقال الحافظ ابن كثير في تفسيره « سنده جيد ، انظر الصحيح المسند من أسباب التزول للوادعي ص ١١٩ .

(٢) تفسير القرطبي ص ١٨٢ .

(٣) انظر الطبري ج ٢١ ص ٩٩ - ١٠٧ ، القرطبي ص ١٨٢ .

(٤) ، (٥) القرطبي ص ١٨٢ ، ١٨٣ .

يؤخر صلاة العشاء الآخرة إلى نحو ثلث الليل ، قال ابن عطية : وكانت الجاهلية ينامون من أول الغروب ومن أى وقت شاء الإنسان فجاء انتظار وقت شاقا غربيا ، ومصلى الصبح جماعة لاسيما في أول الوقت كما كان عليه السلام يصلها ، والعادة أن من حافظ على هذه الصلاة في أول الوقت يقوم سحرا يتوضأ ويصلى ويذكر الله عز وجل إلى أن يطلع الفجر فقد حصل التجاني أول الليل وآخره ، أه (١) .

قال الإمام الطبري جامعا بين الأقوال ومرغبا في قيام الليل :

« والصواب من ذلك أن يقال :

إن الله وصف هؤلاء القوم بأن جنوبهم تنبو عن مضاجعهم شغلا منهم بدعاء ربهم وعبادته خوفا وطمعا وذلك بنبو جنوبهم عن المضاجع ليلا ، لأن المعروف من وصف الواصف رجلا بأن جنبه عن مضجعه ، إنما هو وصف منه له بأنه جفا عن النوم في وقت منام الناس المعروف ، وذلك الليل دون النهار ، وكذلك تصف العرب للرجل إذا وصفته بذلك يدل على ذلك قول عبد الله بن رواحة الأنصاري في صفة نبي الله ﷺ :

يبيتُ يجافي جنبه عن فراشه

إذا استثقلت بالمشركين المضاجع

فإذا كان ذلك كذلك ، وكان الله تعالى ذكره لم يخصص في وصفه هؤلاء القوم بالذى وصفهم به ، من جفاء جنوبهم عن مضاجعهم من أحوال الليل وأوقاته حالا ووقتا دون وقت ، كان واجبا أن يكون ذلك على كل آناء الليل وأوقاته ، وإذا كان كذلك كان من صلى ما بين المغرب والعشاء أو انتظر العشاء الآخرة أو قام الليل أو بعض أو ذكر الله في ساعات الليل ، أو صلى العتمة ممن دخل في ظاهر قوله ﴿ تتجاني جنوبهم عن المضاجع ﴾ لأن جنبه قد جفا عن مضجعه في

(١) القرطبي ص ٥١٨٣ .

الحال التي قام فيها للصلاة قائماً صلى أو ذكر الله أو قاعدا بعد أن لا يكون مضطجعا وهو على القيام أو القعود قادر.

غير أن الأمر وإن كان كذلك فإن توجيه الكلام إلى أنه معنى به قيام الليل أعجب إلى لأن ذلك أظهر معانيه ، والأغلب على ظاهر الكلام .

﴿ خوفاً وطمعا ﴾

قال قتادة : خوفاً من عذاب الله وطمعاً في رحمة الله ومما رزقناهم ينفقون في طاعة الله وفي سبيله .

● عن أبي هريرة رضي الله عنه - وهو يقصص في قصصه - وهو يذكر رسول الله ﷺ - إن أحاً لكم لا يقول الرّفث يعني بذلك عبد الله بن رواحة :
وفينا رسول الله يتلو كتابه

إذا انشق معروف من الفجر ساطع
أرانا الهدى بعد العمى فقلوبنا
به موقنات أن ما قال واقع
يبيت يحافى جنبه عن فراشه
إذا استنقلت بالمشركين المضاجع^(١)

لطيفة للقشيري : في قوله ﴿ تتجافى جنوبهم ... ﴾

قال رحمه الله : « في الظاهر : عن الفراش قياماً بحق العبادة والجهد والتهجد

وفي الباطن : تباعد قلوبهم عن مضاجعات الأحوال ورؤية قدر النفس وتوهم المقام ، فإن ذلك يجملته حجاب عن الحقيقة وهو للعبد سم قاتل ، فلا

(١) رواه البخارى في كتاب التهجد ، باب فضل من تمار من الليل فضل

يساكنون أعمالهم ولا يلاحظون أحوالهم ، ويفارقون مآلهم ، وهجرون في الله معارفهم .

والليل زمان الأحباب ، قال تعالى ﴿ لتسكنوا فيه ﴾ يعني عن كل شغل وحديث سوى حديث محبوبكم ... والنهار زمان أهل الدنيا قال تعالى ﴿ وجعلنا النهار معاشا ﴾ أولئك قال لهم ﴿ فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض ﴾ ، إذا ناجيتمونا في ركعتين في الجمعة فعودوا إلى متجركم واشتغلوا بحرفتكم وأما الأحباب فالليل لهم ، إن كانوا في أنس القرية فليلهم أقصر من لحظة كما قالوا

ليلة كاد يلتقي طرفاها قصرا وهي ليلة الميعاد ﴿ ويدعون ربهم خوفا وطمعا ﴾ خوفاً من العذاب وطمعا في الثواب ، خوفاً من الحجاب عن الله في الآخرة وطمعا في النظر إلى وجهه الكريم ، خوفاً من المكر وطمعا في عفو الله .

﴿ وما رزقناهم يفتقون ﴾ قال القشيري : فالعبد إنما يتجر في البضاعة التي يودعها لديه سيده ^(١) .

قوله تعالى : ﴿ فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون ﴾

• قال الطبري : رحمه الله :

« فلا تعلم نفس ذى نفس ^(٢) ما أخفى الله لهؤلاء الذين وصف جل ثناؤه صفتهم في هاتين الآيتين ، مما تقر به أعينهم في جنانه يوم القيامة ثوابا لهم على

(١) لطائف الإشارات لعبد الكريم القشيري ج ٥ ص ١٤٢ - ١٤٣ . طبع دار الكاتب العربي .

(٢) قال القاسمي في محاسن التأويل ج ٧ ص ١٣٢ : ﴿ فلا تعلم نفس ﴾ أي كل نفس من النفوس

لا ملك مقرب ولا نبي مرسل فضلا عن عداهم فإن الفكرة في سياق النفي تم ، والفاء سببية .

أعمالهم التي كانوا في الدنيا يعملون»
• قال القرطبي :

« وفي معنى هذه الآية قال النبي ﷺ : « قال الله عز وجل : أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر» ثم قرأ هذه الآية ﴿ تتجافى جنوبهم ... ﴾ إلى قوله ﴿ جزاء بما كانوا يعملون ﴾ (١)

قال ابن عباس : الأمر في هذا أجل وأعظم من أن يعرف تفسيره .
قال القرطبي : « قلت : وهذه الكرامة إنما هي لأعلى أهل الجنة منزلا كما جاء مبينا في صحيح مسلم عن المغيرة بن شعبه رفعه إلى رسول الله ﷺ
قال « سأل موسى عليه السلام ربه فقال يارب : ما أدنى أهل الجنة منزلة ؟
قال هو رجل يجمىء بعد ما يدخل أهل الجنة الجنة فيقال له : ادخل الجنة ،
فيقول أى رب كيف وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم ؟ فيقال له :
أترضى أن يكون لك مثل مُلْكِ مَلِكٍ من ملوك الدنيا فيقول رضيت رب ،
فيقول : لك ومثله ومثله ومثله ، فقال في الخامسة : رضيت رب فيقول :
لك وعشرة أمثاله ولك ما اشتئت نفسك ولذت عينك فيقول : رضيت رب

قال : رب فأعلاهم منزلة ؟ قال : أولئك الذين أردت غرس كرامتهم
بيدي ، وختمت عليها فلم تر عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على قلب بشر» (٢) -
قال - ومصدقه من كتاب الله قوله تعالى ﴿ فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة
أعين جزاء بما كانوا يعملون ﴾ وقال رسول الله ﷺ : « يقول الله تبارك
وتعالى : أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على

(١) القرطبي ص ٥١٨٦ - ٥١٨٧ مخرج في الصحيحين من حديث سهل بن سعد الساعدي .

(٢) رواه الإمام مسلم والترمذي وأحمد في مسنده عن المغيرة بن شعبه .

قلب بشر ذُخْرًا بَلَّةً^(١) ما أطلعكم عليه - ثم قرا - ﴿ فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين ﴾

وقال ابن سيرين : المراد به النظر إلى الله تعالى .
وقال الحسن : أخفى القوم أعمالا فأخفى الله تعالى لهم مالا عين رأت ولا أذن

سمعت

قال محمد بن كعب القرظي : أخفوا لله عملا وأخفى لهم ثوابا فلو كانوا قدموا عليه قد قرت تلك الأعين .

قال الإمام ابن قيم الجوزية رحمه الله :

[تأمل كيف قَابَلَ ما أخفوه من قيام الليل بالجزاء الذي أخفاه لهم مما لا تعلمه نفس ، وكيف قابل قلقهم وخوفهم واضطرابهم على مضاجعهم ، حين يقوموا إلى صلاة الليل بِقُرَّةِ الأعين في الجنة]^(٢)

لطيفة للقشيري :

قال القشيري في قوله تعالى ﴿ فلا تعلم نفس ... ﴾

« إنما تفر عينك برؤية من تحبه ، أو ما تحبه ، فطالب قلبك وراع حالك ، فيحصل اليوم سرورك وكذلك غدا ، وعلى ذلك تحشر ، فمن كان بحالة لقي الله بها

السباق السباق قولاً وفعلاً

حذروا النفس حسرة المسبوق

(١) بَلَّةٌ من أسماء الأفعال وهي مبنية على الفتح مثل كيف ، ومعناها « دح عنكم ما أعلمكم عليه فالذي لم يطلعكم عليه أعظم وكأنه أضرب عنه استقلالاً به في جنب ما لم يطلع عليه شرح النوري .

(٢) حادى الأرواح إلى بلاد الأفراح لابن القيم ص ٢٧٨ مطبعة المدني .

ثم قال رحمه الله في قوله تعالى ﴿أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون﴾ : أفمن كان في حال الوصال يجر أذباله كمن هو في مذلة الفراق يقاس وباله

أفمن كان في رَوْح القربة ونسيم الزلفة كمن هو في هول العقوبة يعانى مشقة الكلفة .

أفمن هو في رَوْح إقبالنا عليه كمن هو في محنة إعراضنا عنه ؟

أفمن بقي معنا كمن بقي عتًا ؟

أفمن هو في نهار العرفان وضياء الإحسان كمن هو في ليالى الكفران ووحشة العصيان

أفمن أيدَّ بنور البرهان وطلعت عليه شمس العرفان كمن ربط بالخذلان ووسم بالحرمان .. لا يستويان ولا يلتقيان .. هذا في أعلى الفضائل . وهذا في سوء الرذائل «^(٢) أهـ .

قال الشيخ سيد قطب في الظلال :

في قوله تعالى : ﴿تتجافى جنوبهم عن المضاجع ...﴾

مشهدهم المصور لهيئتهم الجسدية ومشاعرهم القلبية في لحظة واحدة في التعبير العجيب الذى يكاد يحسم حركة الأجسام والقلوب ، إنهم يقومون لصلاة الليل .. صلاة العشاء الآخرة - الوتر ويتجدون بالصلاة ، ودعاء الله ، ولكن التعبير القرآنى يعبر عن هذا القيام بطريقة أخرى ﴿تتجافى جنوبهم عن المضاجع﴾ فيرسم صورة المضاجع في الليل تدعو الجنوب إلى الرقاد والراحة والتذاذ المنام ولكن هذه الجنوب لا تستجيب ، وإن كانت تبذل جهدا في مقاومة دعوة المضاجع المشتهة ، لأن لها شغلا عن المضاجع اللينة ، والرقاد اللذيذ ، شغلا بربها ، شغلا بالوقوف في حضرته ، وبالتوجه إليه في خشية ، وفي

(١) لطائف الإشارات ص ١٤٤ ، ١٧١ .

طمع ، ينازعها الخوف والرجاء .. الخوف من عذاب الله والرجاء في رحمته ، الخوف من غضبه والطمع في رضاه ، والخوف من معصيته والطمع في توفيقه .
 والتعبير بصور هذه المشاعر المرتجفة في الضمير بلمسة واحدة حتى لكأنها مجسمة ملموسة ﴿ يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ﴾ وهم إلى جانب هذه الحساسية المرهفة والصلاة الخاشعة والدعاء الحار يؤدون واجبهم للجماعة المسلمة طاعة لله وزكاة .. ﴿ وما رزقناهم يفتقون ﴾

هذه الصورة المشرقة الوضيئة الشفيفة تراقبها صورة للجزاء الرفيع الخاص الفريد ... الجزاء الذي تتجلى فيه ظلال الرعاية الخاصة ، والإعزاز الذاتي والإكرام الإلهي والحفاوة الربانية بهذه النفوس ، أهد^(١) .

ثم قال رحمه الله تحت قوله ﴿ فلا تعلم نفس ما أخفى من قرة أعين ... ﴾ :
 تعبير عجيب يشي بحفاوة الله سبحانه بالقوم ، وتولييه بذاته العلية إعداد المذخور الذي لا يطلع عليه أحد سواه ، والذي يظل عنده خاصة مستورا حتى يكشف لأصحابه عنه يوم لقائه عند لقاءه ، وإنما لصورة وضيئة لهذا اللقاء الحبيب الكريم في حضرة الله .

يا الله .. كم ذا يفيض الله على عباده من كرمه ، وكم ذا يغمرهم سبحانه بفضله .

وَمَنْ هُمْ - كائنا ما كان عملهم وعبادتهم وطاعتهم وتطلعهم حتى يتولى الله جل جلاله إعداد ما يدخره لهم من جزاء في عناية ورعاية وود واحتفال لولا أنه فضل الله الكريم المتأن^(٢)

(١) في ظلال القرآن ص ١٠٦ ، ١٠٧ .

(٢) الظلال ص ١٠٧ .

الآية الثانية

قال تعالى :

﴿ كانوا قليلا من الليل ما يهجعون . وبالأسحار هم يستغفرون ﴾^(١) .
• قال الحافظ ابن حجر : « قال الخليل : هجع يهجع هجوعا وهو النوم بالليل دون النهار »^(٢) .

• وقال القرطبي : « الهجوع : النوم ليلا ، والتهجاع : النوم الخفيفة قال أبو قيس بن الأسلت :

قد حصت البيضة رأسي فما أطم نوما غير تهجاع
وقال عمرو بن معدى كرب يشوق إلى أخته وكان أسرها الصمة أبو دريد
بن الصمة :

أمن ربحانة الداعي السميع

يؤرتني وأصحاني هجوع

قال الجوهري : هجع يهجع هجوعا ، وهبغ يهبغ هبوعا بالعين المعجمة إذا نام .

• واختلّف في « ما »

• فقيل « ما » صلة زائدة قاله إبراهيم النخعي^(٣)

والتقدير : كانوا قليلا من الليل يهجعون ، أى ينامون قليلا من الليل ويصلون أكثره .

• وقيل « ما » للنفى وهو نفي النوم عنهم البتة

(١) الذاريات الآيات ١٧ ، ١٨ .

(٢) فتح الباري - كتاب التهجد باب الدعاء والصلاة من آخر الليل ج ٣ ص ٣٦ .

(٣) القرطبي ص ٦٢٠٥ - ٦٢٠٦ .

« ولا مساغ لجعل ما نافية لما أن ما النافية لا يعمل ما بعدها فيما قبلها تقول زيدياً لم أضرب ولا تقول زيدياً ما ضرت (١) .

• قال الأحنف بن قيس : « كانوا لا ينامون إلا قليلاً - لست من أهل هذه الآية »

وقال أيضاً رحمه الله « عرضت عملي على أعمال أهل الجنة فإذا قوم قد باينونا بونا بعيدا لا نبلغ أعمالهم ﴿ كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون ﴾ (٢) .

• روى محمد بن نصر المروزي رحمه الله عن أنس أن قوله تعالى ﴿ كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون ﴾ نزلت فيمن كان يصلي بين المغرب والعشاء (٣) وقال : ممن كان يصلي ما بين المغرب والعشاء من الصحابة : ابن مسعود وابن عمرو وسلمان الفارسي وابن عمر وأنس في ناس من الأنصار» أهـ .

• وروى ابن جرير عن أنس القول السابق .
• وعن مطرف : قلّ ليلة أتت عليهم ، إلا صلوا فيها من أولها أو من وسطها .

• وعن الحسن قال : لا ينامون من الليل إلا أقله كابدوا قيام الليل .
• وعن الضحاك : أن الوقف على قوله تعالى ﴿ كانوا قليلاً ﴾ أي أن المحسنين كانوا قليلاً ، ثم ابتدء فقيل ﴿ من الليل ما يهجعون ﴾ و« ما » نافية أي لا يهجعون .

• قال ابن كثير رحمه الله : هذا القول فيه تعسف .
• قال ابن جرير رحمه الله : « وأولى الأقوال بالصحة في تأويل ﴿ كانوا قليلاً ... ﴾ قول من قال كانوا قليلاً من الليل هجوعهم ، لأن الله وصفهم بذلك مدحاً لهم وأثنى عليهم به ، فوصفهم بكثرة العمل وسهر الليل ومكابدته

(١) انظر الكشاف وتفسير أبي السعود ج ٥ ص ١٠١ .

(٢) القرطبي ص ٦٢٠٨ .

(٣) سنده صحيح قال ذلك العراقي أنظر عون المعبود ٢٠٤/٤ طبع السلفية بالمدينة المنورة .

فيا يقربهم منه ، ويرضيه عنهم أولى وأشبه ممّن وصفهم من قلة العمل وكثرة النوم مع أن الذى ذكرنا هو أغلب المعانى على ظاهر الترتيل »

والقول الذى رجحه الطبرى هو قول الحسن والأحنف وإبراهيم النخعى .

• « قال ابن التين : وعلى هذا تكون « ما » زائدة أو مصدرية وهو أبين الأقوال وأقعدا بكلام أهل اللغة »^(١)

• قال أبو السعود رحمه الله : ﴿ كانوا قليلا من الليل ما يهجعون ﴾

« وفيه مبالغات مع تقليل نومهم واستراحتهم ، ذكر القليل من الليل الذى هو وقت الراحة ، والهجوم الذى هو الفرار من النوم »^(٢) .

• قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : قال رجل من بنى تميم لأبي : يا أبا أسامة صفة لأجدها فينا ، ذكر الله قوما فقال ﴿ كانوا قليلا من الليل ما يهجعون ﴾ ونحن والله قليلا من الليل ما نقوم .

فقال له أبى : طوبى لمن رقد إذا نعس واتقى الله إذا استيقظ

وكيف تنام العين وهى قريرة

ولم تدر فى أىّ المجالس تنزل؟

قوله تعالى : ﴿ وبالأسحار هم يستغفرون ﴾ .

قال ابن زيد : السحر هو السدس الأخير من الليل .

وذكر بعض أهل العلم أن الساعة التى تفتح فيها أبواب الجنة : السحر .

لطيفة :

قال القاسمى : « قال الرمخشى فى « أساس البلاغة » إنما سمي « السحر »

(١) فتح البارى كتاب التهجد ج ٣ ص ٣٦ .

(٢) أبو السعود ج ٥ ص ١٠١ .

استعارة لأنه وقت إقبال الليل وإقبال النهار ، فهو متنفس الصبح « (١) أهـ .

• قال بعض أهل العلم : إن يعقوب أخر الاستغفار لبيته إلى وقت السحر .

• قال أبو السعود : في قوله تعالى ﴿ وبالأسحار هم يستغفرون ﴾ :

« أى هم مع قلة هجوعهم وكثرة تهجدهم يداومون على الاستغفار في

الأسحار كأنهم أسلفوا ليلهم باقتراف الجرائم .

وفي بناء الفعل على الضمير إشعار بأنهم الأحقاء بأن يوصفوا بالاستغفار

كأنهم المختصون به لاستدامتهم له وإطناهم فيه « (٢) .

• قال القشيري : « يتزلون أنفسهم في الأسحار منزلة العاصين فيستغفرون

استصغاراً لقدرهم واستحقاقاً لفعالهم « (٣) .

لطيفة :

قال القاسمي رحمه الله : « في هذه الجملة الكريمة مبالغات في وصف هؤلاء

بقلة النوم وترك الإستراحة ، ولذلك ذكر القليل من الليل الذي هو وقت النوم ،

والهجوم الذي هو الخفيف من النوم .

وزيادة « ما » لا تدل على القلة .

وبالجملة ففي الآية استحباب قيام الليل ودم نومه كله .

قال الرازي : في الآية إشارة إلى أنهم كانوا يتهدون ويجهدون ثم يريدون

أن يكون عملهم أكثر من ذلك وأخلص منه فيستغفرون من التقصير ، وهذا

سيرة الكرم : يأتي بأبلغ وجوه الكرم ويستقله ويعتذر من التقصير ، واللثم يأتي

بالقليل ويستكثره ويمنّ به .

• وفيه وجه آخر ألطف منه : وهو أنه تعالى لما بين أنهم يهجمون قليلا ،

(١) محاسن التأويل للقاسمي ص ٥٥٢٨ .

(٢) تفسير أبي السعود ج ٥ ص ١٠١ .

(٣) لطائف الإشارات ج ٦ ص ٣١ .

والهجوم مقتضى الطبع ، قال ﴿ يستغفرون ﴾ أى من ذلك القدر من النوم القليل .

• وفيه لطيفة أخرى نبينا في جواب سؤال :

وهو أنه تعالى مدحهم بقلة الهجوم ، ولم يمدحهم بكثرة السهر ، وما قال : كانوا قليلا من الليل ما يسهرون فما الحكمة فيه ؟ مع أن السهر هو الكلفة والاجتهاد ، لا الهجوم ؟ نقول : إشارة إلى أن نومهم عبادة ، حيث مدحهم الله تعالى بكونهم هاجعين قليلا ، وذلك الهجوم أورثهم الاشتغال بعبادة أخرى ، وهو الإستغفار في وجوه الأسحار ومنعهم من الإعجاب بأنفسهم والاستكبار . ثم قال القاسمي أيضاً رحمه الله :

« والاستغفار يَحْتَمِلُ طلب المغفرة بالذكر بقولهم : ربنا اغفر لنا ، وطلب المغفرة بالفعل أى بالأسحار يأتون بفعل آخر طلبا للغفران وهو الصلاة والأول أظهر والثاني عند المفسرين أشهر »

« ويؤيد الثاني : الإشارة إلى الزكاة في الآية بعدها ، والزكاة قرينة الصلاة في كثير من الآيات .

وسر التعبير عن الصلاة بالاستغفار الإشارة إلى أنه ركنها المهم في التهجذ بل وفي غيره ، فيكون من إطلاق الجزء على الكل .

وقد ذكر في أذكار الصلاة الاستغفار في مواضع منها كالركوع والسجود وكان ﷺ يطيل الركوع والسجود في التهجذ لذلك « (١) أهـ .

ملحوظة : ستكلم عن المقصود بالاستغفار بالأسحار فيما بعد .

• قال الشيخ سيد قطب في ظلال هاتين الآيتين : ﴿ كانوا قليلا من .. ﴾ « على هذه الضفة يرتسم مشهد لفريق مستيقن لا يجرح ، تقى لا يتبجح ،

(١) محاسن التأويل ص ٥٥٢٧ .

مستيقظ يعبد ويستغفر ، ولا يقضى العمر في غمرة وذهول ، هذا الفريق فريق
المتقين الأيقاظ .. الشديدي الحساسية برقابة الله لهم .. ورقابتهم لأنفسهم .
يصور إحسانهم صورة خاشعة رفاقة حساسة ﴿ كانوا قليلا من الليل
ما يهجعون ﴾ فهم الأيقاظ في جنح الليل والناس نيام .. المتوجهون إلى ربهم
بالاستغفار والاسترحام ، لا يطعمون الكرى إلا قليلا ، ولا يهجعون في ليهم إلا
يسيرا ، يأنسون بربهم في جوف الليل فتجافي جنوبهم عن المضاجع ، ويخف بهم
التطلع فلا يثقلهم المنام ، فهي حال يتطلع إليها رجال من التابعين ذوى المكانة
في الإيمان واليقين ، ويجدون أنفسهم دونها .. اختص بها ناس ممن اختارهم
الله ، ووقفهم إلى القيام بحقها ، وكتيبهم بها عنده من المحسنين ، (١) اهـ .

(١) الظلال ص ١١ ، ١٣ .

الآية الثالثة

قال تعالى :

﴿ وَالَّذِينَ يَبْتِغُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴾ (١)

• قال القرطبي رحمه الله :

« قال الزجاج : بات الرجل بيت إذا أدركه الليل ، نام أو لم ينام .

قال زهير :

فبتنا قياما عند رأس جوادنا

يزاولنا عن نفسه ونزاوله

ونسب إلى ابن عباس : « من صلى ركعتين أو أكثر بعد صلاة العشاء فقد بات لله ساجدا وقائماً » .

وقال الكلبي : من أقام ركعتين بعد المغرب وأربعاً بعد العشاء فقد بات ساجدا وقائماً .

وأنشدوا في صفة الأولياء :

امنع جفونك أن تذوق مناما

واذر الدموع على الحدود سجاما

واعلم بأنك ميت ومحاسب

يامن على سخط الجليل أقاما

لله قوم أخلصوا في حبه

فرضى بهم واختصهم خداما

قوم إذا جنّ الظلام عليهم

(١) الفرقان الآية ٦٤ .

باتوا هنالك سجدا وقياماً
خمس البطون من التعفف ضمرا
لا يعرفون سوى الحلال طعاما
ثم أضاف القرطبي في قوله تعالى ﴿والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب
جهنم إن عذابها كان غراما﴾ قال «أى هم مع طاعتهم مشفقون وجلون من
عذاب الله» .

قال ابن عباس : يقولون ذلك في سجودهم وقيامهم (١) .
قال الزمخشري في «الكشاف» :

[«البيتوتة» خلاف الظلول ، وهو أن يدركك الليل نمت أو لم تنم .
وقالوا : من قرأ شيئا في صلاته وإن قلّ فقد بات ساجدا وقائما
• وقيل هما الركعتان بعد المغرب والركعتان بعد العشاء

والظاهر أنه وصف لهم بإحياء الليل أو أكثره يقال فلان يظل صائما وبييت
قائما ، وصفهم بإحياء الليل ساجدين وقائمين ثم عقبه بذكر دعوتهم هذه إيذانا
بأنهم مع اجتهادهم خائفون مبتلون إلى الله في صرف العذاب عنهم كقوله تعالى
﴿والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة...﴾ [الآية] (٢) أهـ .
• قال أبو السعود رحمه الله :

﴿والذين يبيتون لربهم سجدا وقياماً﴾ تقديم السجود على القيام لرعاية
الفواصل (٣) .

• لطيفة للقمي :

قال رحمه الله :

(١) القرطبي ج ٧ ص ٤٧٨٧ - ٤٧٨٨ .
(٢) الكشاف للزمخشري ج ٣ ص ٩٩ .
(٣) إرشاد العقل السليم ج ٤ ص ٩٨ .

« يبيتون لربهم ساجدين ، ويصبحون واجدين ، فوجد صباحهم ثمرات وجود أرواحهم ، وأحسن الأشياء ظاهر بالسجود مُحَسَّن ، وباطن بالوجود مزين ، ويقال متصفين بالسجود قياما بأداب الوجود .

﴿ والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ﴾ : يجتهدون غاية الاجتهاد ويستفرغون نهاية الوسع ، وعند السؤال ينزلون منزلة العصاة ، ويقفون موقف أهل الاعتذار ، ويخاطبون بلسان التنصل :

ومارمت الدخول عليه حتى

حللت محلة العبد الذليل

سجدوا بظواهرهم في المحراب ، وفي سرائرهم على تراب الخضوع وبساط الخشوع ابتغت الذبول وحكم الخمود» (١) أهـ .

• قال القاسمي رحمه الله :

﴿ والذين يبيتون لربهم ﴾ إشارة إلى الإخلاص في أدائها وابتغاء وجهه الكريم لما أن ذلك هو الذي يستتبع أثرها من العمل الصالح وفعل الخير وحفظ حدود الله» (٢) .

• قال الشيخ سيد قطب رحمه الله :

« يبرز الله عز وجل عباده ، عباد الرحمن بصفاتهم المميزة ومقوماتهم الخاصة ، وكأنهم خلاصة البشرية في نهاية المعركة الطويلة بين الهدى والضلال ، بين البشرية الجاحدة المشاقة ، والرسل الذين يحملون الهدى لهذه البشرية ، وكأنما هم الثمرة الجنية لذلك الجهاد الشاق الطويل والغزاء المريح لحملة الهدى فيما لا قوه من جحود وصلادة وإعراض .

﴿ والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما ﴾ :

(١) لطائف الإشارات ج ٤ ص ٣٢١ .

(٢) محاسن التأويل للقاسمي ج ١٢ ص ٤٥٨٩ طبع عيسى الحلبي .

والتعبير يبرز من الصلاة السجود والقيام لتصوير حركة عباد الرحمن في جنح الليل والناس نيام ... فهؤلاء قوم يبيتون لرهبهم سجدا وقياما ، يتوجهون لرهبهم وحده ، ويقومون له وحده ، ويسجدون له وحده .

هؤلاء قوم مشغولون عن النوم المريح اللذيذ بما هو أروح منه وأمتع ، مشغولون بالتوجه إلى رهبهم ، وتعليق أرواحهم وجوارحهم به ، ينام الناس وهم قائمون ساجدون ويخلد الناس إلى الأرض وهم يتطلعون إلى عرش الرحمن ذى الجلال والإكرام ، وهم في قيامهم وسجودهم وتطلعهم وتعلقهم تمتلئ قلوبهم بالتقوى والخوف من عذاب جهنم يقولون ﴿ ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراما إنها ساءت مستقرا ومقاما ﴾ وما رأوا جهنم ولكنهم آمنوا بوجودها ، وتمثلوا صورتها مما جاءهم في القرآن الكريم وعلى لسان رسول الله الكريم ، فهذا الخوف النبيل ، إنما هو ثمرة الإيمان العميق وثمره التصديق ، وهم يتوجهون إلى رهبهم في ضراعة وخشوع ليصرف عنهم عذاب جهنم لا يطمئنتهم أنهم يبيتون لرهبهم سجدا وقياما ، فهم لِمَا يخالج قلوبهم من التقوى يستقلون عملهم وعبادتهم ولا يرون فيها ضمانا ولا أمانا من النار إن لم يتداركهم فضل الله وسماحته وعفوه ورحمته فيصرف عنهم عذاب جهنم ^(١) .

الآية الرابعة

قال تعالى :

﴿ يا أيها المزمل . قم الليل إلا قليلا . نصفه أو انقص منه قليلا . أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا . إنا سنلقي عليك قولا ثقيلا . إن ناشئة الليل هي أشد وطئا وأقوم قيلا . إن لك في النهار سبعا طويلا . واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلا ﴾ ^(٢) .

(١) الظلال ج ٣ ص ٥٥ .

(٢) سورة الزمل الآيات من ١ - ٨ .

• قال ابن جرير الطبري رحمه الله :

يعنى بقوله ﴿ يا أيها المزمل ﴾ هو الملتف بشيابه وإنما عنى به نبى الله ﷺ ،
واختلف أهل التأويل فى المعنى الذى وصف الله به نبيه فى هذه الآية من التزمل :
• فقال بعضهم : وصفه بأنه متزمل فى ثيابه .. متأهب للصلاة . عن
قتادة : ﴿ يا أيها المزمل ﴾ أى المتزمل فى ثيابه .

• وقال آخرون : وصفه بأنه متزمل النبوة والرسالة . عن عكرمة قال :
زُمَّتَ هذا الأمر فقم به .

• قال أبو جعفر : والذى هو أولى القولين بتأويل ذلك ، ما قاله قتادة لأنه
قد عقبه بقوله ﴿ قم الليل ﴾ فكان ذلك بيانا عن أن وصفه بالتزمل بالثياب
للصلاة وأن ذلك أظهر معنييه (١) .
• قال القرطبي رحمه الله :

« قوله تعالى : ﴿ يا أيها المزمل ﴾ قال الأخفش وسعيد : « المزمل » أصله
المتزمل فأدغمت التاء فى الزاى ، وكذلك « المدثر » وقرأ أبى بن كعب على
الأصل « المتزمل » و « المدثر » وسعيد « المزمل »
وفى أصل « المزمل » قولان :

أحدهما : أنه المتحمل ، يقال : زَمَلُ الشىء إذا حمله ، ومنه الزاملة لأنها
تحمل القمّاش (٢)

الثانى : أن المزمل : هو المتلطف : يقال تزمل وتدثر بثوبه إذا تغطى ، وزمّل
غيره إذا غطّاه ، وكل شىء لُفّف فقد زُمّل ودُثّر ، قال امرؤ القيس :

كأن أبانا فى أفانين ودقه
كبير أناس فى بجاءٍ مُزْمَلٍ

(١) الطبري ج ٢٩ ص ١٢٤ .

(٢) قماش البيت : متاعه .

ثم أضاف القرطبي :

قوله تعالى : ﴿ يا أيها المزمل ﴾ هذا خطاب للنبي ﷺ وفيه ثلاثة أقوال :
الأول : قول عكرمة ﴿ يا أيها المزمل ﴾ بالنبوة والمترم بالرسالة ، وعنه أيضا
يا أيها الذي زُمِّلَ هذا الأمر أى حُمَّلَه ثم فتر وكان يقرأ ﴿ يا أيها المَزْمَل ﴾
بتخفيف الزاى وفتح الميم وتشديدها على حذف المفعول ، وكذلك « المَدَثْر »
والمعنى المَزْمَل نفسه والمدَثْر نفسه ، أو الذى زَمَلَه غيره .

والثانى : ﴿ يا أيها المزمل ﴾ بالقرآن قاله ابن عباس (١)

الثالث : المزمل بشيابه قاله قتادة وغيره .

قال النخعي : كان مترملا بقطيفة

وقال الضحاك : ترمل بشيابه لمنامه

وقالت الحكماء : إنما خاطبه بالمزمل والمدثر فى أول الأمر لأنه لم يكن بعد

ادثر شيئا من تبليغ الرسالة .

قال ابن العري : « واختلف فى تأويل يا أيها المزمل » فمنهم من حمّله على
حقيقته فقبيل له « يا من تلفق فى ثيابه أو فى قطيفته قم ، قاله إبراهيم وقاتدة .
ومنهم من حمّله على المجاز كأنه قبيل له : يا من ترمل بالنبوة ، قاله عكرمة وإنما
يسوغ هذا التفسير لو كانت الميم مفتوحة مشددة بصيغة المفعول الذى لم يسم
فاعله ، وأما وهو بلفظ الفاعل فهو باطل »

قلت - القرطبي - وقد بينا أنها على حذف المفعول ، وقد قرىء بها فهى
صحيحة المعنى . قال : وأما من قال إنه زمّل القرآن فهو صحيح فى المجاز لكنه
قد قدسنا أنه لا يحتاج إليه .

(١) قال ابن حجر العسقلاني فى فتح الباري : عن ابن عباس قال ﴿ يا أيها المزمل ﴾ أى يا محمد قد
زملت القرآن فكان الأصل يا أيها المَزْمَل .

وأضاف القرطبي :

قال السهيلي : ليس المزمّل باسم من أسماء النبي ﷺ ولم يعرف به كما ذهب إليه بعض الناس وعدّوه في أسمائه ، وإنما المزمّل اسم مشتق من حالته التي كان عليها حين الخطاب ، وكذلك المدثر ، وفي خطابه بهذا الإسم فائدتان :

إحدهما : الملاطفة فإن العرب إذا قصدت ملاطفة المخاطب وترك المعاتبه سموه باسم مشتق من حالته التي هو عليها كقول النبي ﷺ لعلّي حين غاضب فاطمة رضی الله عنها فأثاه وهو نائم وقد لصق بجنبه التراب وقال له : « قم يا أبا التراب إشعاراً له أنه غير عاتب عليه وملاطفة له ، وكذلك قول النبي عليه السلام لحذيفة « قم يا نومان » وكان نائماً ملاطفة له وإشعاراً الترك بالعتب والتأنيب فقول الله تعالى لمحمد ﷺ ﴿ يَا أَيُّهَا الْمَزْمَلُ قُمْ ﴾ فيه تأنيس وملاطفة ليستشعر أنه غير عاتب عليه .

والفائدة الثانية : التنبيه لكل مترمل راقد ليله ليتنبه إلى قيام الليل وذكر الله تعالى فيه ، لأن الاسم المشتق من الفعل يشترك فيه مع المخاطب كل من عمل ذلك العمل واتصف بتلك الصفة » (١) أهـ .

● قال أبو السعود :

فالتعرض للوصف حينئذ للإشعار بعليته للقيام أو للأمر به فإن تحميلة عليه الصلاة والسلام لأعباء النبوة مما يوجب الإجهاد في العبادة » (٢) .

● قال القاسمي رحمه الله في تفسيره : « حوطف عليه الصلاة والسلام بحكاية

(١) القرطبي جـ ١٠٠ ص ٦٨٢٣ - ٦٨٢٥ . (٢) إرشاد العقل السليم ج ٥ ص ٢٠٤ .

(٣) محاسن التأويل ١٦/٥٩٥٨ .

حاله وقت نزول الوحي ، ملاطفة وتأنيسا وتنشيطا للتشمير لقيام الليل ، وقيل معناه المتحمل أعباء النبوة ، من تزلزل الزمّل إذا تحمل الحمل فيه استعارة شبه إجراء التبليغ بتحمل الحمل الثقيل بجامع المشقة .

قال الشهاب : وأورد عليه أنه مع صحة المعنى الحقيقي واعتضاده بالأحاديث الصحيحة لا وجه لادعاء التجوز فيه ، وقد يجاب بأن الأحاديث رويت في نزول سورة « المدثر » لافي هذه السورة ، إلا أن يقال : هما بمعنى واحد» (٣) .

قوله تعالى ﴿ قم الليل إلا قليلا ﴾ إلى قوله ﴿ ورتل القرآن ترتيلا ﴾ .
• قال ابن جرير الطبري في تفسيره :

[« وقوله » ﴿ قم الليل إلا قليلا ﴾ يقول تعالى لنبية ﷺ قم الليل يا محمد كله إلا قليلا منه

(نصفه) يقول : قم نصف الليل

(أو انقص منه قليلا أوزد عليه) يقول : أوزد عليه ، خيرّه الله تعالى ذكره حين فرض عليه قيام الليل بين هذه المنازل أي ذلك شاء فعل ، فكان رسول الله ﷺ وأصحابه فيما ذكر يقومون الليل نحو قيامهم في شهر رمضان ، فيما ذكر حتى خفف ذلك عنهم .

قال المروزي : قال ابن عباس : لما نزلت أول المزمّل ، كانوا يقومون نحوا

من قيامهم في شهر رمضان حتى نزل آخرها ، وكان بين أولها وآخرها سنة»^(٢١)

● وعن الحسن : « إن الله لما أنزل هذه السورة وكان بين أولها وآخرها سنة ﴿ يا أيها المزمل ﴾ حتى بلغ ﴿ فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا ﴾ ، ثم أنزل الله بعد سنة ﴿ إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك ﴾ قال : لا والله ما كل القوم قام بها قال ﴿ والله يقدر الليل والنهار علم أن لن تحصوه فتاب عليكم ﴾ فبكى الحسن عند ذلك وقال : الحمد لله الذي جعل قيام الليل تطوعا بعد فريضة ، ﴿ علم أن سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله ﴾ حتى بلغ ﴿ فافقرءوا ما تيسر منه ﴾ قال : ولا بد من قيام الليل . قال ﴿ وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ﴾ قال : فريضتان لا صلاح للأعمال إلا بهما .

● وعن أبي عبد الرحمن السلمى : لما نزلت ﴿ يا أيها المزمل قم الليل إلا قليلا ﴾ قام رسول الله ﷺ وأصحابه حولا حتى انتفخت أقدامهم وسوقهم حتى نزلت ﴿ إن هذه تذكرة فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا ﴾ حتى بلغ ﴿ فافقرءوا ما تيسر من القرآن ﴾^(٣) .

● وعن قتادة : « افترض الله قيام الليل في أول هذه السورة فقام رسول الله

(١) تفسير الطبرى .

(٢) قال مقبل بن هادى الوادعى في أسباب النزول ص ١٦٦ « الحديث رجاله رجال الصحيح إلا أحمد بن محمد المروزى أبو الحسن بن شيرة وهو ثقات وأخرجه ابن جرير ورجاله رجال الصحيح وأخرجه ابن أبى حاتم ، كما في تفسير ابن كثير ٤/٤٣٦ ورجاله رجال الصحيح ، أ هـ .

(٣) مختصر قيام الليل للمقريزى وأصل قيام الليل لمحمد بن نصر المروزى قال ابن حجر في الفتح « وكذا أخرج المروزى عن أبي عبد الرحمن السلمى والحسن وعكرمة وقتادة بأسانيد صحيحة عنهم ، فتح البارى ج ٣ التهجذ ص ٢٨ ، طبعة السلفية .

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه حولا ، فأمسك الله خاتمها في السماء اثني عشر شهرا ثم أنزل التخفيف في آخرها فصار قيام الليل تطوعا من بعد فريضة قال ﴿ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ ﴾ . الآية فنسخت هذه الآية ما كان قبلها .

● وعن عكرمة قال : « لبثوا بذلك سنة فشق عليهم وتورمت أقدامهم ثم نسختها آخر السورة قوله ﴿ فاقفروا ما تيسر منه ﴾ . اهـ .
● قال القرطبي رحمه الله :

قوله تعالى : ﴿ قم الليل ﴾ قراءة العامة بكسر الميم لالتقاء الساكنين وقرأ أبو السَّمَّال بضم الميم إتباعا لضمة القاف ، وحكى الفتح لحنه .

قال عثمان بن جنى : الغرض بهذه الحركة التبليغ بها هربا من التقاء الساكنين فبأى حركة تحركت فقد وقع الغرض . وهو من الأفعال القاصرة غير المتعدية إلى المفعول ، فأما ظرف الزمان والمكان فسائغ فيه إلا أن ظرف المكان لا يتعدى إليه إلا بواسطة ، لا تقول قمت الدار حتى تقول قمت وسط الدار وخارج الدار . وقد قيل أن « قم » هنا معناه صلِّ ، عبر به عنه واستعير له حتى صار عرفا بكثرة الاستعمال .

قال القرطبي : « الليل » حد الليل من غروب الشمس إلى طلوع الفجر .
● واختلف هل كان قيامه فرضا وحتمًا ، أو كان ندبا وحضًا ، والدلائل تقوى أن قيامه كان حتمًا وفرضًا ، وذلك أن الندب والحض لا يقع على بعض الليل دون بعض ، لأن قيامه ليس مخصوصا به وقتا دون وقت ، وأيضا فقد جاء التوقيت بذلك عن عائشة وغيرها .

● واختلف أيضا : هل كان فرضا على النبي ﷺ وحده ، أو عليه وعلى من كان قبله من الأنبياء ، أو عليه وعلى أمته ، ثلاثة أقوال :

الأول : قول سعيد بن جبير ، لتوجه الخطاب إليه خاصة .
 الثاني : قول ابن عباس كان قيام الليل فريضة على النبي ﷺ الأنبياء قبله .
 الثالث : قول عائشة وابن عباس وهو الصحيح ، كما في صحيح مسلم عن
 زرارة بن أوفى أن سعد بن هشام بن عامر أراد أن يغزو في سبيل الله ...
 الحديث ، وفيه فقلت لعائشة : أنبئني عن قيام رسول الله ﷺ ؟ فقالت :
 أَلست تقرأ ﴿ يا أيها المزمل ﴾ قلت : بلى ؛ قالت فإن الله عز وجل افترض قيام
 الليل في أول هذه السورة فقام ﷺ وأصحابه حولا ، وأمسك الله خاتمها اثني
 عشر شهرا في السماء حتى أنزل الله عز وجل في آخر هذه السورة التخفيف فصار
 قيام الليل تطوعا بعد فريضة ، وذكر الحديث .

ثم أضاف رحمه الله :

قوله تعالى ﴿ إلا قليلا ﴾ استثناء من الليل ، أي صلّ الليل كله إلا يسيرا منه
 لأن قيام جميعه على الدوام غير ممكن ، فاستثنى منه القليل لراحة الجسد .
 والقليل من الشيء ما دون النصف ثم قال تعالى : ﴿ نصفه أو انقص منه
 قليلا ﴾ فكان ذلك تخفيفا . إذ لم يكن زمان القيام محدودا ، فقام الناس حتى
 وزمت أقدامهم ، ثم نسخ ذلك بقوله تعالى : ﴿ علم أن لن نخصوه ﴾ . وقال
 الأخفش : « نصفه » أي أو نصفه ؛ يقال : أعطه درهما درهين ثلاثة يريد أو
 درهين أو ثلاثة .

وقال الزجاج : « نصفه » بدل من الليل ، و « إلا قليلا » استثناء من

النصف . والضمير في « منه » و « عليه » للنصف ، والمعنى : « قم نصف الليل أو انقص من النصف قليلا إلى الثلث ، أو زد عليه قليلا إلى الثلثين ؛ فكأنه قال : قم ثلثي الليل أو نصفه أو ثلثه . وقيل : إن « نصفه » بذل من قوله « قليلا »^(١) وكان محمّرا بين ثلاث : بين قيام النصف بتمامه ، وبين الناقص منه ، وبين قيام الزائد عليه كأن تقدير الكلام : قم الليل إلا نصفه ، أو أقل من نصفه أو أكثر من نصفه .

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال : « يتزل الله عز وجل إلى سماء الدنيا كل ليلة حين يمضي ثلث الليل الأول فيقول : أنا الملك أنا الملك ، من ذا الذي يدعوني فاستجيب له ، من ذا الذي يسألني فأعطيه ، من ذا الذي يستغفرنى فأغفر له ، فلا يزال كذلك حتى يضيء الفجر » ونحوه عن أبي هريرة وأبي سعيد جميعا وهو يدل على ترغيب قيام ثلثي الليل .

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ : « إذا مضى شطر الليل - أو ثلثاه - يتزل الله » الحديث رواه من طريقين عن أبي هريرة هكذا على الشك .

قال علماؤنا : « وبهذا الترتيب انتظم الحديث والقرآن فإنها يبصران من مشكاة واحدة »^(٢) أ هـ .

(١) بهذا القول جزم المطبوع كما قال ابن حجر في الفتح ١٩/٣ .

(٢) القرطبي ج ١٠ ص ٦٨٢٣ - ٦٨٢٥ .

● قال أبو السعود رحمه الله :

« التعبير عن النصف المخرج بالقليل لإظهار كمال الاعتداد بشأن الجزء المقارن للقيام ، والإيذان بفضله ، وكون القيام فيه ممتزلة القيام في أكثره في كثرة الثواب واعتبار قتلته بالنسبة إلى الكل مع عرائه عن الفائدة خلاف الظاهر» (١) .

● قال القاسمي رحمه الله :

« قم الليل : أي فيه للصلاة ودع التزمل للهجوع ﴿إلا قليلا﴾ بحكم الضرورة للإستراحة ومصالح البدن ومهامته التي لا يمكن بقاؤه بدونها ، ثم قال : ولا يقال : كيف يكون النصف قليلا وهو مساوٍ للنصف الآخر؟ لأن القلة بالنسبة إلى الكل ، لا إلى عديله» (٢) .

● جاء في «تمة أضواء البيان» :

« هذه الآية الكريمة وما بعدها بيان لمجمل قوله تعالى ﴿ومن الليل فتهجد به نافلة لك﴾ الآية ، وفيها بيان لكيفية القيام وهو بترتيل القرآن» (٣)

﴿ورتل القرآن ترتيلا﴾ :

● قال محمد بن نصر المروزي :

(١) إرشاد العقل السليم لأبي مسعود ج ٥ ص ٢٠٤ .

(٢) محاسن التأويل للقاسمي ج ١٦ ص ٥٩٥٨ .

(٣) أضواء البيان للشنيطي - تمة أضواء البيان للشيخ عطية محمد سالم تلميذ الشنيطي ج ٨ ص ٩ .

« عن ابن عباس قال بينه تبينا .
وقرأ علقمة على عبد الله وكان حسن الصوت فقال : رتل فذاك أبي وأمي
فإنه زين القرآن .

وعن مجاهد : « ورتل القرآن ترتيلا : ترسل فيه ترسيلا » (١)
• قال القرطبي رحمه الله : قوله تعالى ﴿ ورتل القرآن ترتيلا ﴾ أى لا تعجل
بقراءة القرآن بل اقرأه فى مهل وبيان مع تدبر المعانى .
وقال الضحاك : اقرأه حرفا حرفا . وقال مجاهد : أحب الناس فى القراءة
إلى الله أعقلهم عنه .

والترتيل : التنضيد والتنسيق وحسن النظام ، ومنه ثغر رتل ورتل بكسر العين
وفتحها إذا كان حسن التنضيد وقال أبو بكر بن طاهر : تدبر فى لطائف خطابه ،
وطالب نفسك بالقيام بأحكامه ، وقلبك بفهم معانيه ، وسرك بالإقبال
عليه » (٢)

• قال الحافظ ابن حجر فى الفتح : ﴿ ورتل القرآن ترتيلا ﴾ أى اقرأه مترسلا
بتبيين الحروف وإشباع الحركات ، وروى مسلم من حديث حفصة « أن النبى
ﷺ كان يرتل السورة حتى تكون أطول من أطول منها » (٣)
• قال القاسمى رحمه الله : ﴿ ورتل القرآن ترتيلا ﴾ أى بينه تبينا وترسل فيه
ترسلا

قال الزمخشري : تبين القرآن قراءته على ترسل وتودة بتبيين الحروف وإشباع
الحركات حتى يجيء التلو منه شبيها بالثغر المرتل ، وهو المفلج المشبه بنور

(١) مختصر قيام الليل للمقرئى . ص ١٠ .

(٢) القرطبي ص ٦٨٢٩ .

(٣) فتح البارى - كتاب التهجد ج ٣ ص ٢٨ .

الأقحوان ، وأن لا يهذه هذا ، ولا يسرده سردا .

تنبيه :

قال السيوطي : في الآية استحباب ترتيل القراءة وأنه أفضل من الهدّبه وهو واضح .

وقد ثبت في السنة أنه ﷺ كان يقطع قراءته حرفا حرفا ، وأنها كانت مفسرة حرفا حرفا وأنه كان يقف على رؤوس الآي .

واستدل بالآية على أن الترتيل والتدبر ، مع قلة القراءة أفضل من سرعة القراءة مع كثرتها ، لأن المقصود من القرآن فهمه وتدبره والفقّه فيه والعمل به .

قال ابن مسعود : « لا تهذّوا القرآن هذّ الشعر ، ولا تنثروه نثر الدقل ، قفوا عند عجائبه ، وحركوا به القلوب ، ولا يكن همّ أحدكم آخر السورة » (١)

• قال الشيخ عطية سالم في «تتمة أضواء البيان» :

المسألة الثانية : « ما يذكره الفقهاء في كيفية قيام الليل عامة هل الأفضل كثرة الركعات لكثرة السجود ، وحيث أن أقرب ما يكون العبد إلى الله وهو ساجد ، أم طول القيام للقراءة ، حيث أن للقارئ بكل حرف عشر حسنات ، فهنا قوله تعالى : ﴿ ورتل القرآن ترتيلا ﴾ نص على أن العبرة بترتيل القرآن ترتيلا ، وأكد بالمصدر تأكيد الإرادة هذا المعنى .

وفي الصحيح عن أنس : سئل عن قراءة رسول الله ﷺ قال : كانت مدّا ثم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم ، بمد بسم الله ومد الرحمن ، ومد الرحيم . ثم قال رحمه الله « إن للمد حدودا معلومة في التجويد حسب تلقى القراء رحمهم الله فما زاد عنها فهو تلاعب ، وما قلّ عنها فهو تقصير في حق التلاوة .

وهذا الوصف هو الذي يتأتى منه الغرض من التلاوة وهو التدبر والتأمل ، كما

(١) محاسن التأويل ج ١٦ ص ٥٩٥ .

في قوله تعالى ﴿ أفلا يتدبرون القرآن ﴾ ، كما أنه هو الوصف الذي يتأق معه الغرض من تخشع القلب كما في قوله تعالى : ﴿ الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ﴾

ولا تتأثر به القلوب والجلود إلا إذا كان مرتلا ، فإذا كان هذا كالشعر أو الكلام العادى لما فهم ، وإذا كان مطربا كالأغاني لما أثر ، فوجب الترتيل كما بين صلى الله عليه وسلم (١) .

قوله تعالى ﴿ إنا سنلقى عليك قولاً ثقيلاً ﴾

● قال محمد بن نصر المروزي رحمه الله :

« قال الحسن : العمل به ، وفي رواية قال : ثقيلاً في الميزان يوم القيامة . وقال قتادة : تثقل والله فرائضه وحدوده

وفي رواية : ليس يعنى قراءته ولكن فرائضه ، وسنته .

وقد تأول بعضهم أنه أراد ثقل الوحي على النبي صلى الله عليه وسلم حين كان ينزل

عليه » (٢)

● وقال القرطبي : قوله تعالى ﴿ إنا سنلقى عليك قولاً ثقيلاً ﴾ هو متصل بما

فرض من قيام الليل أى سنلقى عليك بافتراض صلاة الليل قولاً ثقيلاً « يثقل حملة لأن الليل للبنام ، فن أمر بقيام أكثره لم يتبأ له ذلك إلا بحمل شديد على

النفس ومجاهدة للشيطان ، فهو أمر يثقل على العبد ، وقيل : إنا سنوحى إليك

القرآن وهو قول ثقیل يثقل العمل بشرائعه .

وقال مجاهد : حلاله وحرامه :

(١) تمة أضواء البيان ج ٨ ص ٦١٠ ، ٦١١ .

(٢) مختصر قيام الليل ص ١٠ .

أبو العالية : ثقيلًا بالوعد والوعيد والحلال والحرام ، محمد بن كعب : ثقيلًا على المنافقين ، وقيل على الكفار لما فيه من الاحتجاج عليهم والبيان لصلاتهم وسب آهتهم والكشف عما حرفة أهل الكتاب .

السدى : ثقيل بمعنى كريم ، مأخوذ من قولهم : فلان ثقيل على أى يكرم على

القرءاء : « ثقيلًا » رزينا ليس بالخفيف السفساف لأنه كلام ربنا ، وقال الحسين بن الفضيل : ثقيلًا لا يحمله إلا قلب مؤيد بالتوفيق ، ونفس مزينة بالتوحيد .

وقال ابن زيد : هو والله ثقيل مبارك كما ثقل في الدنيا يثقل في الميزان يوم القيامة .

وقيل ثقيلًا : أى ثابتا كثبوت الثقل في محله ، ويكون معناه أنه ثابت الإعجاز لا يزول إعجازه أبدا . وقيل هو القرآن نفسه

قالت عائشة رضی الله عنها : ولقد رأيتہ ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقا

قال ابن العربي : « وهذا أولى ، لأنه الحقيقة ، وقد جاء ﴿ وما جعل عليكم في الدين من حرج ﴾ وقال عليه الصلاة والسلام « بُعثت بالحنيفية السمحة »^(١)

● قال القشيري رحمه الله : « ثقيلًا سماعه على من جهده ، ويقال « ثقيلًا بعثه إلا على من أيد بقوة سماوية ورؤي في حجر التقريب »^(٢)

● قال القاسمي رحمه الله : ﴿ إنا سنلقك عليك قولًا ثقيلًا ﴾ أى رصينا ،

(١) القرطبي ص ٦٨٣٠ - ٦٨٣١ .

(٢) لطائف الإشارات ج ٦ ص ٢٠٢ .

(٣) محاسن التأويل ص ٥٩ .

لرزانة لفظه ، ومتانة معناه ، ورجحانه فيها على ما عداه ، ولما كان الراجح من شأنه ذلك ، تجوز بالثقل عنه أو ثقيلًا على المتأمل فيه ، لافتقاره إلى مزيد تصفية للسر وتجريد للنظر أو ثقيلًا تلقيه . وعلى كل فالجملة معلة للأمر بالترتيل وإن ثقله مما يسدعيه .

• جاء في «تتمة أضواء البيان» :

[قد بين الله تعالى أن هذا الثقل قد يخففه الله على المؤمنين في الصلاة في قوله ﴿ وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين ﴾ وكذلك القرآن ثقيل على الكفار خفيف على المؤمنين محبب إليهم . وقد جاء في الآثار أن بعض السلف كان يقوم الليل كله بسورة من سور القرآن تلذذا وارتياحا كما قال تعالى ﴿ ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر ﴾ فهو ثقيل في وزنه ، ثقيل في تكاليفه ، ولكن يخففه الله ويسره لمن هداه ووفقه إليه]

قوله تعالى : ﴿ إن ناشئة الليل هي أشد وطئا وأقوم قبلا ﴾

• قال ابن جرير : « يعنى جل وعز بقوله إن ناشئة الليل : إن ساعات الليل ، وكل ساعة من ساعات الليل ناشئة من الليل . وقد اختلف أهل التأويل في ذلك :

• قال ابن عباس : إن الليل كله ناشئة ، وقال مثله ابن الزبير عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال : ﴿ إن ناشئة الليل ﴾ قال بلسان الحبشة إذا قام الرجل من الليل قالوا نشأ .

• عن أبي ميسرة : « نشأ » : قام ، وعن ابن أبي نجيح قال : إذا قام الرجل من الليل فهو ناشئة الليل .

• عن عكرمة في قوله ﴿ إن ناشئة الليل ﴾ قال هو الليل كله .

● عن مجاهد قال : إذا قمت الليل فهو ناشئة .
● قال ابن زيد : « إن ناشئة الليل » قال قيام الليل ، قال : وأى ساعة من الليل قام فقد نشأ .

● عن مجاهد قال : أى الليل قمت فهو ناشئة
● قال الضحاك : « إن ناشئة الليل » يعنى الليل كله ، وقال ابن عباس :
الليل كله .

وقال آخرون : بل ذلك ما كان بعد العشاء ، فأما ما كان قبل العشاء فليس
بناشئة .

● عن أبي مجلز فى قوله : « إن ناشئة الليل » قال : ما بعد العشاء ناشئة .
● قال أبو رجاء : ما بعد العشاء الآخرة .
● عن قتادة : ما كان بعد العشاء فهو ناشئة
● قال محمد بن نصر المروزي :

● [عن معاوية بن قرة : إن ناشئة الليل : قيام الليل .
● وعن ثابت كان أنس يصلى ما بين المغرب والعشاء فقبل له ما هذه الصلاة
قال : أما سمعت قول الله : إن ناشئة الليل هذه ناشئة الليل .
● وعن على بن الحسين : ناشئة الليل ما بين المغرب والعشاء .
● وعن ابن المنكدر وأبى حازم : ناشئة الليل ما بين صلاة المغرب وصلاة
العشاء]^(١)

● قال محمد بن نصر : « وقد أنكر بعض أهل العلم بالعربية أن تكون الناشئة
بلسان الحبشة لقول الله ﴿ إنا جعلناه قرآنا عربيا ﴾ وقال هى بلسان العرب ،
وهى مأخوذة من قوله ﴿ أومن ينشأ فى الحلية ﴾ ومن قوله ﴿ إنا أنشأناهم

(١) مختصر قيام الليل ص ١٤ ، ١٥ .

إنشاء ﴿ أى ابتدأناهن . ويقال : نشأت تنشأ نشأ أى ابتدأت وأقبلت شيئا بعد شيء ، وأنشأها الله فنشأت وانشأت فكأنه قال إن ساعات الليل الناشئة ، ومنه قوله ﴿ ولقد علمتم النشأة الأولى ﴾ يريد ابتداء خلقهم »

• قال القرطبي : [« قال العلماء : ناشئة الليل أى أوقاته وساعاته لأن أوقاته تنشأ أولا فأولا ، يقال : نشأ الشيء ينشأ إذا ابتدأ وأقبل شيئا بعد شيء فهو ناشيء وأنشأه الله فنشأ ، والمراد إن ساعات الليل الناشئة فاكتفى بالوصف عن الإسم فالتأنيث للفظ ساعة ، لأن كل ساعة تحدث »

• وحول القول بأن نشأ بالحبشة ولسانها قام قال القرطبي :

« لعله أراد أن الكلمة عربية ولكنها شائعة في كلام الحبشة غالبية عليهم ، وإلا فليس في القرآن ما ليس في لغة العرب » .

قال القرطبي : -

« المسألة الثانية : بين تعالى في هذه الآية فضل صلاة الليل على صلاة النهار ، وأن الاستكثار من صلاة الليل بالقراءة فيها ما أمكن أعظم للأجر وأجلب للثواب . واختلف العلماء في المراد بناشئة الليل .

• فقال ابن عمر وأنس بن مالك : هو ما بين المغرب والعشاء تمسكا بأن لفظ نشأ يعطى الإبتداء فكان بالأولية أحق ومنه قول الشاعر :

ولولا أن يُقالَ صَبَا نُصِيبُ

لَقَلْتُ بِنَفْسِي النَّشَأَ الصُّعَّارُ

وكان على بن الحسين يصلى بين المغرب والعشاء ويقول : هذه ناشئة الليل . وقال عطاء وعكرمة : إنه بدء الليل .

وقال ابن عباس ومجاهد وغيرهما : هى الليل كله ، لأنه ينشأ بعد النهار ، وهو الذى اختاره مالك بن أنس .

قال ابن العربي : وهو الذى يعطيه اللفظ وتقتضيه اللغة .
 وقالت عائشة وابن عباس ومجاهد : إنما الناشئة القيام بالليل بعد النوم ،
 ومن قام أول الليل قبل النوم فما قام ناشئة .
 قال يمان وابن كيسان : هو القيام من آخر الليل .
 وقال ابن عباس : كانت صلاتهم أول الليل ، وذلك أن الإنسان إذا نام
 لا يدرى متى يستيقظ .

وفى الصباح : ناشئة الليل أول ساعاته .

- وعن الحسن ومجاهد : هي ما بعد العشاء الآخرة إلى الصبح .
- وعن الحسن أيضاً : ما كان بعد العشاء فهو ناشئة .
- ويقال : ما ينشأ في الليل من الطاعات حكاه الجوهري [(١)] أهـ .
- قال الزمخشري في « الكشاف »

« النفس الناشئة بالليل التي تنشأ من مضجعها إلى العبادة أى تنهض وترتفع
 من نشأت السحابة إذا ارتفعت ، ونشأ من مكانه إذا نهض قال :

نشأنا إلى خوض يرى فيها السرى
 وألصق منها مشرفات القماصر» (٢)

- قال البخارى رحمه الله فى صحيحه :

« قال أبو عبد الله قال ابن عباس رضى الله عنهما : نشأ قام بالحبشية » (٣)

قال الحافظ فى الفتح :-

[قال ابن عباس نشأ قام بالحبشية ، فىكون معنى قوله تعالى ﴿ ناشئة

(١) القرطبي ص ٦٨٣١ - ٦٨٣٢ .

(٢) الكشاف للزمخشري ج ٥ ص ١٧٦ .

(٣) البخارى - كتاب التهجد باب قيام النبي ﷺ من نومه وما نسخ من قيام الليل ٢٧/٣ .

الليل ﴿ أي قيام الليل ، وهذا التعليق وصله عبد بن حميد بإسناد صحيح عن سعيد بن جبير عنه أنه قال : إن ناشئة الليل هو كلام الحبشة نشأ قام . وذهب الجمهور إلى أنه ليس في القرآن شيء بغير العربية ، وقالوا : ما ورد من ذلك فهو من توافق اللغتين ، وعلى هذا فناشئة الليل مصدر بوزن فاعلة من نشأ إذا قام ، أو اسم فاعل أي النفس الناشئة بالليل أي التي تنشأ من مضجعتها إلى العبادة أي تنهض .

وحكى أبو عبيد في « الغريبين » أن كل ما حدث بالليل وبدا فهو ناشيء وقد نشأ .

وفي « المجاز » لأبي عبيدة : ناشئة الليل آناء الليل ناشئة بعد ناشئة . قال ابن التين : والمعنى أن الساعات الناشئة من الليل - أي المقبلة بعضها في أثر بعض - هي أشد ^(١)

قال القاسمي : « إن ناشئة الليل » أي نشأته وطبيعة خلقه ومظهره »

قوله تعالى : ﴿ هي أشد وطئاً وأقوم قبلاً ﴾ .

قال ابن جرير :

« هي أشد وطئاً : ناشئة الليل أشد ثباتاً من النهار ، وأثبت في القلب ، وذلك أن العمل بالليل أثبت منه بالنهار وحكى عن العرب وَطِئْنَا اللَّيْلَ وَطِئْنَا : إذا ساروا فيه وبنحو الذي قلنا في ذلك قال من قال من أهل التأويل : -

- عن قتادة ﴿ هي أشد وطئاً ﴾ : أي أثبت في الخير ، وأبلغ في الحفظ .
- عن ابن عباس : « ناشئة الليل » كانت صلاتهم أول الليل ، هي أشد وطئاً : يقول هو أجدد أن تُحصوا ما فرض الله عليكم من القيام ، وذلك أن الإنسان إذا نام لم يدر متى يستيقظ .

(١) فتح الباري ص ٢٩ ج ٣ .

• قال ابن زيد في قوله « هي أشد وطئا » :

[إن مصلى الليل القائم بالليل هي أشد وطئا : طمانينة وأفرغ له قلبا ، وذلك أنه لا يعرض له حوائج ولا شيء .

وقالوا مواطأة للقول وفراغا للقلب .

وأقوم قبلا : وأصوب قراءة .

وقال ابن عباس : أدنى من أن تفقهوا القرآن .

قال ابن زياد : أقوم قراءة لفراغه من الدنيا .

قال ابن جرير : إن قراءة الأكثر وَطئا بفتح الواو وسكون الطاء .

• قال محمد بن نصر المروزي :

عن الحسن قال : أثبت في القراءة وأقوى على القراءة .

وعن مجاهد قال : مواطأة للقول وأفرغ للقلب .

• وعن الضحاك : قراءة القرآن بالليل أثبت منه بالنهار وأشد مواطأة بالليل

منه بالنهار .

قال محمد بن نصر : -

« وأما قوله هي أشد وطئا فإن القراء اختلفوا في قراءة هذا الحرف فقرأ أبو

جعفر وشيبة ونافع وابن كثير وعاصم والأعمش وحمزة والكسائي وطئا بفتح الواو

مقصورة ، وكان ابن عامر وابن محيصن وأبو عمرو يقرؤها وطاء مكسورة الواو

ممدودة .

قال أبو عبيد : وهذه أحب إلي لأن التفسير يُصدّقها ، وإنما هي مواطأة

السمع والبصر إياه إذا قام يصلى في ظلمة الليل .

• وقال غير أبي عبيد من قرأها وطئا « أراد شدة الوطء أى أن الصلاة في

ساعات الليل أشد وأثقل على المصلى من الصلاة في ساعات النهار وهو من

قولهم « اشتدت على القوم وطأة سلطانهم » إذا نقل عليهم ما يلزمهم به
ويأخذهم به فأعلم الله نبيه ﷺ أن الثواب في قيام الليل على قدر شدة الوطأة
وثقلها ، ومن قرأ وطأ فهو مصدر لوطأت فلان على كذا وكذا مواطأة ووطأ .
وأقوم قيلا : أى أخلص للقول لأن الليل تهدأ عنه الأصوات وتنقطع فيه
الحركات فيخلص القول ولا يكون دون تسمُّعه وتفهمه حائل» [(١)]
• قال القرطبي :

[وطأة بكسر الواو وفتح الطاء والمد ، واختاره أبو عبيد ووطئا : بفتح الواو
وسكون الطاء مقصورة ، واختاره أبو حاتم .

والمعنى أنها أثقل على المصلى من ساعات النهار وذلك أن الليل وقت منام
وتودُّع وإجمام ، فمن شغله بالعبادة فقد تحمل المشقة العظيمة .
ومن مدَّ فهو مصدر : وأطأت وطاء ومواطأة أى وافقته .

• قال ابن زيد : وأطأته الأمر مواطأة إذا وافقته من الوفاق ، وفلان يواطىء
إسمه على إسمى ، وتواطؤوا عليه أى توافقوا فالمعنى أشد موافقة بين القلب والبصر
والسمع واللسان لانقطاع الأصوات والحركات قاله مجاهد وابن أبي مكيكة
وغيرهما .

وقال ابن عباس بمعناه : أى يواطىء السمع القلب ، قال الله تعالى :
﴿ ليواطئوا عدة ما حرم الله ﴾ أى ليوافقوا .

وقيل : المعنى أشد مهادا للتصرف في التفكير والتدبر والوطء خلاف الغطاء .
وقيل : « أشد وطاءً » بسكون الطاء وفتح الواو : أى أشد حباتا من النهار فإن
الليل يخلو فيه الإنسان بما يعمله فيكون ذلك أثبت للعمل وألقى لما يلهى ويشغل

(١) محمد بن نصر المروزي - مختصر قيام الليل للمقرئ ص ١٤ - ١٥ .

القلب . والوطء الثبات تقول وطئت الأرض بقدمي .

وقال الأخفش : أشد قياما

وقال الفراء : أثبت قراءة وقياما ، وعنه : أثبت للعمل وأدوم لمن أراد الاستكثار من العبادة ، والليل وقت فراغ عن اشتغال المعاش فعبادته تدوم ولا تنقطع .

وقال الكلبي : أشد نشاطا للمصلي لأنه في زمان راحته .

ثم أضاف القرطبي :

قوله تعالى ﴿ وَأَقُومَ قِيْلًا ﴾ : أى القراءة بالليل أقوم منها بالنهار ، أى أشد استقامة واستمرارا على الصواب ، لأن الأصوات هادئة والدنيا ساكنة ، فلا يضطرب على المصلي ما يقرؤه .

قال قتادة ومجاهد : أصوب للقراءة وأثبت للقول ، لأنه زمان التفهم .

وقال أبو علي : « أقوم قِيْلًا » أى أشد إستقامة لفراغ البال بالليل . وقيل :

أعجل إجابة للدعاة حكاه ابن شجرة .

وقال عكرمة : عبادة الليل أشد نشاطا ، وأتم إخلاصا ، وأكثر بركة .

وعن زيد بن أسلم : أجدر أن يتفقه في القرآن [(١) أهـ .

● قال البخارى : (وطاء قال : موأطأة للقرآن أشد موافقة كسمعه وبصره

وقلبه ليواطئوا : ليوافقوا .

قال الحافظ في الفتح : قوله وطاء قال موأطأة للقرآن ... وقلبه وهذا وصله

عبد بن حميد من طريق مجاهد . ﴿ وَأَقُومَ قِيْلًا ﴾ : أبلغ في الحفظ (٢) .

● قال القاسمي رحمه الله :

(١) القرطبي ص ٦٨٣٢ - ٦٨٣٣ .

(٢) فتح البارى ٣ ، ٢٩٢٢٧ .

[«أشد وطئا» أى موافقة لما يراد منها من جمع الهم وهدوء البال . و «أقوم قبيلا» أى أشد مقالا وأصوبه .

قال ابن قتيبة : لأن الليل تهدأ فيه الأصوات وتنقطع فيه الحركات ويخلص القول ولا يكون دون سماعه وتفهمه حائل .

- ونقل السيوطى عن الجاحظ قال : ناشئة الليل هى المعانى المستنبطة من القرآن بالليل .

أشد وطئا : أبين أثرا . وأقوم قبيلا : أصح مما تخرجه الأفكار بالنهار ، لخلو السمع والبصر عن الاشتغال [(١)] .

• قال الشيخ عطية محمد سالم فى «تمة أضواء البيان للشنقيطى» :

[إن ما تنشأه من قيام الليل أشد مواظاة للقلب ، وأقوم قبيلا فى التلاوة والتدبر والتأمل وبالتالي والتأثر ، ففيه إرشاد إلى ما يقابل هذا الثقل فيما سيلقى عليه من القول ، فهو بمثابة التوجيه إلى ما يتزود به لتحمل ثقل أعباء الدعوة والرسالة .

وقد سمعت من الشيخ رحمه الله تعالى علينا وعليه - يعنى الشيخ الشنقيطى رحمه الله - قوله : لا يثبت القرآن فى الصدر ، ولا يسهل حفظه ، ويسرفهمه إلا القيام به من جوف الليل ، وقد كان رحمه الله تعالى لا يترك ورده من الليل صيفا أو شتاء ، وقد أفاد هذا المعنى قوله تعالى : ﴿ واستمعينوا بالصبر والصلاة ﴾ فكان ﷺ إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة وهكذا هنا فإن ناشئة الليل كانت عوناً له ﷺ على ما سيلقى عليه من ثقل القول [(٢)] أهـ .

(١) محاسن التأويل ص ٥٩٦٠ .

(٢) تمة أضواء البيان ص ٦١٣ ، ٦١٤ .

قوله تعالى : ﴿إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْعًا طَوِيلًا﴾

• قال محمد بن نصر المروزي :

[قوله تعالى : ﴿إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْعًا طَوِيلًا﴾ قال ابن عباس : النوم والفراغ .

وقال الضحاک ومجاهد والربيع بن أنس وقتادة : فراغا طويلا^(١)

• قال الطبري رحمه الله :

[قوله تعالى ﴿إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْعًا طَوِيلًا﴾ قال ابن زيد : لحوائجك فاجعل لدينك الليل]

• قال القرطبي : [سبعا : قراءة العامة بالحاء غير معجمة أى تصرفا في حوائجك وإقبالا وإدبارا وذهابا ومجيئا .

والسبح : الجرى والدوران ، ومنه : السابح في الماء ، لتقلبه بيديه ورجليه ، وفرس سابح شديد الجرى قال امرؤ القيس :

مِسْحٌ إِذَا مَا السَّابِحَاتُ عَلَى الْوَتَى

أَثْرُنَ الْقُبَارِ بِالْكَدِيدِ الْمُرْكَلِ^(٢)

- وقيل : السبح الفراغ ، أى إن لك فراغا للحاجات بالنهار .

- وذكر الخليل ﴿إِنَّ لَكَ ... سَبْعًا﴾ نوما والتسبح : التمدد وقرأ يحيى بن يعمر وأبو وائل «سَبْحًا» بالحاء المعجمة .

قال المهدوى : ومعناه النوم روى ذلك عن القارئین بهذه القراءة ، وقيل

معناه : الخفة والسعة والاستراحة . قال الشاعر :

(١) مختصر قيام الليل ص ١٥ .

(٢) مسح : معناه نصب الجرى نصبا ، الوتى : الفتور ، الكديد : الموضع الغليظ ، المركل : الذى يركل بالأرجل ، والمعنى أن الخيل المسرعة إذا فترت فأنارت القبار بأرجلها جرى هذا الفرس جريا سهلا كما يسبح السحاب المطر .

فَسَبِّحْ عَلَيكَ اللَّهُمَّ واعلم بأنه
إذا قدر الرحمن شيئا فكائنُ

الأصمعي : يقال سَبَّحَ اللهُ عنك الحمى أى خففها
وسبح الحر : فتر وخفّ ، والتسبيح : النوم الشديد .

• وأيضاً : التسبيح : توسيع القطن والكتان والصوف أو تنفيشها .
وقال ثعلب : السبَّح بالحاء التردد والاضطراب ، والسبَّح أيضاً السكون .
وقال أبو عمرو : السبَّح النوم والفراغ .
قلت : فعلى هذا يكون من الأضداد وتكون بمعنى السبَّح بالحاء غير
المعجمة [(١)]

• قال أبو السعود : [إن لك في النهار : سبحا طويلا : أى تقلبا وتصرفا في
مهاتك واشتغالا بشواغلك فلا تستطيع أن تتفرغ للعبادة فعليك بها في الليل ...
وهذا بيان للداعى الخارجى إلى قيام الليل .

وقرىء سبحا : أى تفرق قلب بالشواغل مستعار من سبَّح الصوف وهو نقشه
ونشر أجزائه [(٢)]

• قال الحافظ في الفتح : [قوله ﴿ سبحا طويلا ﴾ أى فراغا : وصله ابن
أبى حاتم عن ابن عباس وأبى العالية ومجاهد وغيرهم .
وعن السدى : سبحا طويلا أى تطوعا كثيرا كأنه جعله من السبحة وهى
الناقلة [(٣)]

(١) القرطبي ص ٦٨٣٤ .

(٢) أبو السعود ج ٥ ص ٢٠٥ .

(٣) فتح البارى ج ٣ ص ٢٩ . يقال للمرأة : سبَّحى قطنك ، والسبَّح من القطن ما يسبَّح بعد
الثدب أى يُلف لتنزله المرأة والقطعة منه سبيخة وكذلك من الصوف والوبر ، ويقال القطع
القطن . سبَّح . قال الأخطل يصف القناص والكلاب :
فأرسلوهن يذربن التراب كما يذرى سبَّح قطن نذف أوتار

• قال القاسمي : ﴿ إن لك في النهار سبحا طويلاً ﴾ أى تقلبا في مهاتك واشتغالا بها فلماذا أمرت بقيام الليل . ﴿ واذكر اسم ربك ﴾ أى دُم على ذكره ليلا ونهارا .

قال الزمخشري : وذكر الله يتناول كل ما كان من ذكر طيب : تسييح وتهليل وتكبير وتمجيد وتوحيد وصلاة وتلاوة قرآن ودراسة علم مما كان رسول الله ﷺ يستغرق به ساعات ليله ونهاره [(١)] .

لطيفة للقشيري : في قوله تعالى ﴿ يا أيها الزمّل قم الليل إلا قليلا ﴾ [يا أيها المترمل بأعباء النبوة قم الليل ، يا أيها الذى يُخفى ما خصصناه به قم فأنذر فإننا نصرناك .

ويقال : قم بنا .. يا من جعلنا الليل ليسكن فيه كل الناس .. قم أنت فليسكن الكل ولتقم أنت .
ويُقال لما فرض عليه القيام أخبر عن نفسه لأجل أمته وإكراماً لشأنه وقدره .

ورتل القرآن ترتيلا : ارتع بسرّك في فهمه وتأن بلسانك في قراءتك .
« إن ناشئة الليل .. هى أشد مواطاة للقلب وأقوم قيلا لأنها أبعد من الرياء ويكون فيها حضور القلب أتم وسكون السر أبلغ [(٢)] .

كلمات للحياة : -

قال الشيخ سيد قطب حول آيات القيام في سورة الزمّل : كلمات أريحتها
أطيب من شذى الورد :
قال رحمه الله :

(١) محاسن التأويل ص ٥٩٦ .

(٢) لطائف الإشارات ج ٦ ص ٢٠٩ ، ٢١١ .

[« قيل لرسول الله ﷺ « قم » فقام .. وظل قائماً بعدها أكثر من عشرين عاماً لم يسترح .. ولم يسكن ولم يعيش لنفسه ولا لأهله ... قام وظل قائماً على دعوة الله .

﴿ يا أيها المزمل : قم ﴾ ...

إنها دعوة السماء .. وصوت الكبير المتعال . قم للأمر العظيم الذى ينتظرك والعبء الثقيل المهياً لك .. قم للجهد والتعب والكد والتعب . قم فقد مضى عهد النوم والراحة .. قم فتباً للأمر واستعد ..

وإنها لكلمة عظيمة رهيبة تنتزعه ﷺ من دفء الفراش فى البيت الهادىء والحضن الدافىء .. لتدفع به فى الخضم .. بين الزعازع والأنواء .. وبين الشد والجذب فى ضمائر الناس وفى واقع الحياة سواء .

إن الذى يعيش لنفسه قد يعيش مستريحاً ولكنه يعيش صغيراً ويموت صغيراً فأما الكبير الذى يحمل هذا العبء الكبير فإله النوم؟ وماله والراحة؟ وماله والفراش الدافىء؟ والعيش الهادىء؟ والمتاع المريح؟ ولقد عرف رسول الله ﷺ حقيقة الأمر وقدره فقال لخديجة رضى الله عنها وهى تدعوه أن يطمئن وينام « مضى عهد النوم يا خديجة »

﴿ يا أيها المزمل قم الليل ﴾

إنه الإعداد للمهمة الكبرى بوسائل الإعداد الإلهية المضمونة .. قيام الليل .. أكثر ... أكثر من نصف الليل ودون ثلثيه .. وأقله ثلث الليل وكان هذا الإعداد للقول الثقيل الذى سيتزله الله عليه ...

﴿ إنا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً ﴾

هو هذا القرآن وما وراءه من التكاليف ... والقرآن فى مبناه ليس ثقيلاً فهو ميسر للذكر ولكنه ثقيل فى ميزان الحق ، ثقيل فى أثره فى القلب ﴿ لو أنزلنا هذا

القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله ﴿ فأنزله الله على قلب أثبت من الجبل بثلثاه .

وإن تلقى هذا الفيض من النور والمعرفة واستيعابه لثقل يحتاج إلى استعداد طويل ..

وإن التعامل مع الحقائق الكونية الكبرى المجردة لثقل يحتاج إلى استعداد طويل ، وإن الإتصال بالملأ الأعلى وبروح الوجود وأرواح الخلائق الحية والجمادة على النحو الذى تهبأ لرسول الله ﷺ لثقل يحتاج إلى استعداد طويل . وإن الإستقامة على هذا الأمر بلا تردد ولا إرتياب ولا تلفت هنا أو هناك وراء الهواتف والجواذب والمعوقات لثقل يحتاج إلى استعداد طويل . وإن قيام الليل والناس نيام ، والانقطاع عن غبش الحياة اليومية ... والاتصال بالله وتلقى فيضه ونوره .. والأنس بالوحدة معه .. والخلوة إليه .. وترتيل القرآن والكون ساكن ، وكأنما هو يتزل من الملأ الأعلى وتتجاوب به أرجاء الوجود فى لحظة الترتيل بلا لفظ بشرى ولا عبارة ، واستقبال اشعاعاته وإيحاءاته ، وإيقاعاته فى الليل الساجى .

إن هذا كله هو الزاد لاحتمال القول الثقيل والعبء الباهظ والجهد المرير الذى ينتظر الرسول ﷺ ، وينتظر من يدعو بهذه الدعوة فى كل جيل ، وينير القلب فى الطريق الشاق الطويل ويعصمه من وسوسة الشيطان ، ومن التيه فى الظلمات الحافة بهذا الطريق المنير .

إن ناشئة الليل هى أشد وطناً وأقوم قبلاً :

إن مغالبة هواتف النوم ، وجاذبية الفراش بعد كد النهار ، أشد وطناً وأجهد للبدن ولكنه إعلان لسيطرة الروح ، واستجابة لدعوة الله ، وإيثارا للأنس به ، ومن ثم فإنها أقوم قبلاً ، لأن للذكر فيها حلاوته ، وللصلاة فيها خشوعها ، وللمناجاة فيها شفافتها ، وإنها لتسكب فى القلب أنسا وراحة وشفافية ونورا ،

قد لا يجدها في صلاة النهار وذكره ، والله الذى خلق القلب يعلم مداخلة وأوتاره ، ويعلم ما يتسرب إليه ، وما يوقع عليه ، وأى الأوقات فيها أكثر تفتحا واستعدادا وتهبؤا ، وأى الأسباب أعلق به وأشد تأثيرا فيه . والله سبحانه وتعالى وهو يعد عبده ورسوله محمدا ﷺ ليتلقى القول الثقيل وينهض بالعبء الجسيم اختار له قيام الليل .

﴿ إن لك في النهار سبعا طويلا ﴾ :-

فلينقض النهار في هذا السبح والنشاط ، وليخلص لربه في الليل .. يقوم له بالصلاة والذكر والتبتل والانقطاع الكلى عما عدا الله ، والاتجاه الكلى إليه والحضور معه بكامل الحسّ والمشاعر فليس هناك إلا الله يتجه إليه من يريد الإتيان .

إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل ... :

﴿ علم أن لن تحصوه فتاب عليكم فاقرءوا ما تيسر من القرآن ﴾ :

إنها لمسة التخفيف الندية تسمح على التعب والنصب والمشقة ، ودعوة التيسير الإلهي على النبي ﷺ والمؤمنين ، وقد علم الله منه ومنهم خلوصهم إليه ، وقد انتفخت أقدامهم من القيام الطويل للصلاة بقدر من القرآن كبير ، وما كان الله يريد لنبية ﷺ أن يشقى بهذا القرآن والقيام ... إنما كان يريد أن يعده للأمر العظيم الذى سيواجهه طوال ما بقى له في الحياة .

وفي الحديث مودة وتطمين « إن ربك يعلم ... وطائفة من الذين معك ... » : إنه رآك .. قيامك وصلاتك ، أنت وطائفة من الذين معك قبلت في ميزان الله .. إن ربك يعلم أنك وهم تجافت جنوبكم عن المضاجع وتركت دفء الفراش في الليلة القارسة ولم تسمع نداء المضاجع المغرى وسمعت نداء الله « أهـ (١) .

(١) في ظلال القرآن ص ١٦٨ - ١٧٧ .

الآية الخامسة

قوله تعالى : ﴿ ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا ﴾^(١)

• قال الطبري رحمه الله :

[يقول تعالى ذكره لنبى محمد ﷺ : ومن الليل فاسهر به بعد نومة يا محمد بالقرآن نافلة لك خالصة دون أمتك »

والتهجد : التيقظ والسهر بعد نومة الليل .

أما المهجود نفسه فالنوم كما قال الشاعر

ألا طرقتنا والرفاق هجود

فباتت بعلات السنوال تجود

وقال الخطيئة :

ألا طرقت هند الهنود وصحبتى

بحوران حوران الجنود هجود

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل :

ثم ذكر رحمه الله من قال ذلك من السلف وهم :

علقمة والأسود وعبد الرحمن بن الأسود والحجاج بن عمرو^(٢)

روعن الحسن : التهجد ما كان بعد العشاء الآخرة »^(٣)

• قال القرطبي رحمه الله :

[« ومن الليل » من للتبويض ، فتهجد أى قم فتهجد به : أى بالقرآن

(١) الإبراء آية ٧٩ .

(٢) تفسير الطبري ج ١٥ ص ١٤١ - ١٤٤ مصطفى الحلبي - الطبعة الثانية .

(٣) حديث الحجاج بن عمرو فى سننه ابن لهيعة وفيه مقال [انظر حاشية ابن عابدين ص ٤٦٠] .

والتَهَجُّدُ من المَجُودِ وهو من الأَضْدَادِ يقال هَجَدَ نَهْمًا ، وهَجَدَ سَهْرًا على الضد .
قال الشاعر :

ألا زارت وأهل منى هَجُودِ
وليت خيالها بمنى يعود

وهَجَدَ وشَهَّدَ بمعنى ، وهَجَدْتَهُ أى أَمَتَهُ ، وهَجَدْتَهُ أى أَيْقَظْتَهُ .
والتَهَجُّدُ : التَّيَقُّظُ بعد رَقْدَةِ فِصَارِ اسْمَا لِلصَّلَاةِ لِأَنَّهُ يَتَّبِعُهَا . قال الحِجَّاجُ
ابن عَمْرٍو صَاحِبُ النَّبِيِّ ﷺ : « أَيْحَسِبُ أَحَدُكُمْ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ كُلَّهُ أَنَّهُ قَدْ
تَهَجَّدَ ، إِنَّمَا التَّهَجُّدُ الصَّلَاةُ بَعْدَ رَقْدَةٍ ثُمَّ الصَّلَاةُ بَعْدَ رَقْدَةٍ ثُمَّ الصَّلَاةُ بَعْدَ
رَقْدَةٍ ، كَذَلِكَ كَانَتْ صَلَاةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ » (١)

● وقيل المَجُودُ : النَوْمُ .

يقال تَهَجَّدَ الرَّجُلُ إِذَا سَهَرَ وَأَلْقَى المَجُودَ وهو النَوْمُ
وهذا الفِعْلُ جَارٍ مَجْرَى تَحَوَّبَ وَتَأَثَّمُ وَتَحَنَّتْ وَتَقَدَّرَ وَتَنَجَّسَ إِذَا أَلْقَى ذَلِكَ عَنِ
نَفْسِهِ .

ومثله قوله تعالى ﴿ فَظَلَمْتُمْ تَفَكُّهُونَ ﴾ معناه تَنْدَمُونَ أى تَطْرَحُونَ الفِكَاهَةَ عَنِ
أَنْفُسِكُمْ وهى انبساط النفس وسرورها ،
والمعنى فى الآية : ووقتا من الليل اسهر به فى صلاة وقراءة .

● قال العلامة أبو السعود محمد بن محمد العمادى :

« تَهَجَّدَ بِهِ » الضمير المجرور للقرآن من حيث هو لا بقيد إضافته إلى الفجر أو

(١) إسناده حسن : حسنه ابن حجر فى تلخيص الجبير ج ٢ رقم ٢٤ ، ولفظه فى تلخيص الجبير :
« يجب أحدكم إذا قام من الليل يصل حتى يصبح أنه قد تهجد ، إنما التهجد أن يصل الصلاة
بعد رقدة ، ثم الصلاة بعد رقدة ، وتلك كانت صلاة رسول الله ﷺ . رواه ابن أبي خيثمة من
طريق الأعرج عن كثير بن العباس عن الحجاج بن عمرو وفيه أبو صالح كاتب الليث وفيه لين ،
ورواه الطبراني وفى إسناده ابن لهيعة وقد اعتضدت روايته بالثبوت . وقال الهيثمى فى الزوائد :
رواه فى الكبير بإسناد صحيح ورجالها رجال الصحيح ، أهـ .

للبعض المفهوم من قوله تعالى ﴿ ومن الليل ﴾ أى فتشهد فى ذلك البعض على أن الباء بمعنى فى »

ونحى رحمه الله منحى القرطبي فى أن تشهد جاءت على صيغة التفعّل التى تحيى للإزالة كالترحج والتأثم .

• قال الحافظ ابن حجر العسقلانى فى الفتح :-

[« قوله عز وجل ﴿ ومن الليل فتشهد به ﴾ زاد أبو ذر فى روايته « اسهر به » وفى المجاز لأبى عبيدة « قوله » فتشهد به : أى اسهر بصلاة .

وتفسير التهجّد بالسهر معروف فى اللغة وهو من الأضداد حكاه الجوهري وغيره ، ومنهم من فرق بينها فقال : هجّدت : نمت ، وتهجّدت : سهرت حكاه أبو عبيدة وصاحب العين .

وقال ابن فارس : المتهجّد المصلّى ليلاً

وقال كراع : التهجّد صلاة الليل خاصة » [(١) أهـ .

• قوله ﴿ نافلة لك ﴾

قال ابن جرير الطبرى :

[وأما قوله نافلة لك : فإنه يقول : نفلاً لك ، عن فرائضك التى فرضتها عليك .

واختلف فى المعنى الذى من أجله خص بذلك رسول الله ﷺ مع كون صلاة كل مصل بعد هجوده ، إذا كان قبل هجوده قد أدى فرائضه نافلة نفلاً ، إذ كانت غير واجبة عليه .

فقال بعضهم : معنى خصوصيته بذلك : هو أنها كانت فريضة عليه وهى لغيره تطوع .

(١) فتح البارى - كتاب التهجّد - ج ٣ ص ٥ ، ٦ طبعة السلفية - الطبعة الثانية .

وقيل : أفناها نافلة لك أى فضلا لك ، من الفرائض التى فرضتها عليك
عمّا فرضته على غيرك .

ثم روى رحمه الله عن ابن عباس « أن النافلة للنبي ﷺ خاصة أمر بقيام
الليل وكتب عليه (١) .

ثم قال رحمه الله [بل قيل ذلك له عليه الصلاة والسلام لأنه لم يكن فعله
ذلك يكفر عنه شيئا من الذنوب لأن الله تعالى كان قد غفر له ما تقدم من ذنبه
وما تأخر فكان له نافلة فضل فأما غيره فهو له كفارة وليس هو له نافلة .
ثم روى عن مجاهد قوله :

« النافلة » للنبي ﷺ خاصة من أجل أنه قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما
تأخر ، فما عمل من عمل سوى المكتوبة فهو نافلة من أجل أنه لا يعمل ذلك فى
كفارة الذنوب ، فهو نوافل وزيادة والناس يعملون ما سوى المكتوبة لذنوبهم فى
كفارتها فليست للناس نوافل ثم رجح ابن جرير القول الأول فقال :

« وأولى القولين بالصواب فى ذلك القول الذى ذكرنا عن ابن عباس وذلك
أن رسول الله ﷺ كان الله تعالى قد خصه بما فرض عليه من قيام الليل دون
سائر أمته ، فأما ما ذكر عن مجاهد فى ذلك فقول لا معنى له ، لأن رسول الله
ﷺ فيما ذكر عنه ، أكثر ما كان استغفاراً لذنوبه بعد نزول قول الله عز وجل
﴿ ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ﴾ وذلك أن هذه السورة أنزلت
عليه بعد منصرفه من الحديبية وأنزل عليه ﴿ إذا جاء نصر الله والفتح ... ﴾
فكان يعدّ له ﷺ فى المجلس الواحد استغفار مائة مرة ، ومعلوم أن الله لم يأمره
أن يستغفر إلا لما يغفر له باستغفاره ذلك فبين إذن وجه فساد ما قاله
مجاهد » [أه ، اسند ابن جرير إلى قتادة ، نافلة لك : تطوعا وفضيلة لك .

(١) ضعف ابن حجر هذا الإسناد كما سيأتى :

قال الإمام القرطبي في تفسيره عن قوله تعالى ﴿ نافلة لك ﴾ : -

[أى كرامة لك : قاله مقاتل

واختلف العلماء في تخصيص النبي ﷺ بالذكر دون أمته فقيل كانت صلاة الليل فريضة عليه لقوله ﴿ نافلة لك ﴾ أى فريضة زائدة على الفريضة الموظفة على الأمة .

قلت - أى القرطبي - وفي هذا التأويل بعد لوجهين : -

• أحدهما : تسمية الفرض بالنفل وذلك مجاز لا حقيقة .

• الثانى : قوله ﷺ « خمس صلوات فرضهن الله على العبد » وقوله تعالى

﴿ هن خمس وهن خمسون لا يبدل القول لدى ﴾ وهذا نص فكيف يقال افترض عليه صلاة زائدة على الخمس هذا لا يصح .

ثم قال رحمه الله : -

« وقيل كانت صلاة الليل تطوعا منه ، وكانت في الابتداء واجبة على الكل ثم نسخ الوجوب فصار قيام الليل تطوعا بعد فريضة ، كما قالت عائشة رضى الله عنها ، وعلى هذا يكون الأمر بالتنفل من جهة الندب ويكون الخطاب للنبي ﷺ لأنه مغفور له ، فهو إذا تطوع بما ليس بواجب عليه كان ذلك زيادة في الدرجات ، وغيره من الأمة تطوعهم كفارات وتدارك للخلل يقع في الفرض ، وقيل عطية لأن العبد لا ينال من السعادة عطاء أفضل من التوفيق في العبادة [(١)] .

• قال العلامة أبو السعود :

[« نافلة لك » فريضة زائدة على الصلوات الخمس المفروضة خاصة بك دون الأمة ولعله هو الوجه في تأخير ذكرها عن صلاة الفجر مع تقدم وقتها على

(١) القرطبي ص ٣٩٢٤ - ٣٩٢٥ .

وقتها ، أو تطوعا لكن لا لكونها زيادة على الفرائض بل لكونها زيادة له ﷺ في الدرجات كما قال مجاهد والسدى » .

قال الحافظ ابن حجر في الفتح :

[والنافلة في اللغة : الزيادة .

- ثم ساق قول الطبرى عن ابن عباس ومجاهد وقال :

إن رواية الطبرى عن ابن عباس إسنادها ضعيف »

- ثم تكلم عن رواية مجاهد التى ساقها الطبرى وابن أبى حاتم فقال الحافظ -

إن اسنادها حسن » وعن قتادة كذلك .

ثم قال الحافظ ابن حجر « ورجح الطبرى الأول^(١) وليس الثانى^(٢) ببعد

من الصواب » [٣] .

قوله تعالى : ﴿ عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا ﴾

• قال ابن جرير : [« عسى من الله واجبة ثم قال : -

قال أكثر أهل العلم ذلك هو المقام الذى يقومه ﷺ يوم القيامة للشفاعة

للناس ليريحهم ربهم من عظيم ما هم فيه من شدة ذلك اليوم] أهـ

وعزاه رحمه الله إلى ابن عباس وحذيفة والحسن ومجاهد وسلمان وقاتدة .

• قال القرطبي رحمه الله [اختلف العلماء فى كون القيام بالليل سببا للمقام

المحمود على قولين : -

أحدهما : أن البارئ تعالى يجعل من شاء من فعله سببا لفضله من غير معرفة

بوجه الحكمة فيه أو بمعرفة وجه الحكمة .

(١) رواية ابن عباس .

(٢) رواية مجاهد وقاتدة .

(٣) فتح البارى ج ٣ ص ٦ .

(٤) تفسير القرطبي ٣٩٢٨ كتاب الشعب .

الثانى : أن قيام الليل فيه الخلوة مع البارئ والمناجاة دون الناس فأعطى الخلوة به ومناجاته في قيامه ، ويتفاضل فيه الخلق بحسب درجاتهم ، فأجلهم فيه درجة محمد ﷺ فإنه يعطى مالا يعطى أحد .

● قال أبو السعود رحمه الله :

[﴿ عسى أن يعثك ربك مقاما محمودا ﴾ الذى يبلغك إلى كمالك اللاتق بك من بعد الموت الأكبر كما انبعثت من النوم الذى هو الموت الأصغر بالصلاة والعبادة و « محمودا » عندك وعند جميع الناس وفيه تهوين لمشقة قيام الليل »]

● لطيفة للقشيري :

قال القشيري رحمه الله : -

« الليل لأحد أقوام : لطالبي النجاة وهم العاصون ، من جنح منهم إلى التوبة ، أو لأصحاب الدرجات وهم الذين يجدون في الطاعات ويسارعون في الخيرات ، أو لأصحاب المناجاة مع المحبوب عندما يكون الناس فيما هم فيه من الغفلة »^(١)

« فأهل المعرفة لم يطلبوا مؤنسا سواه وما طلبوا شيئا غيره كما قيل : -

أنتم سرورى وأنتم مشتكى حزنى
وأنتم في سواد الليل سمارى
فإن تكلمت لم ألفظ بغيركم
وإن سكت فأنتم عقد إضمارى^(٢)

« ويقال الليل لأحد رجلين للمطيع والعاصي : هذا في احتيال أعماله وهذا في اعتذاره عن قبيح أفعاله »^(٣)

(١) لطائف الإشارات .

(٢) التحبير في التذكير ص ٦٨ دار الكاتب العربي .

(٣) لطائف الإشارات ٣٦/٤ .

• قال الشيخ سيد قطب : ﴿ عسى أن يعثك ربك مقاما محمودا ﴾ بهذه الصلاة وبهذا القرآن والتهد به وبهذه الصلة الدائمة بالله فهذا هو الطريق المؤدى إلى المقام المحمود . وإذا كان الرسول ﷺ يؤمر بالصلاة والتهد والقرآن ليعثه ربه المقام المحمود المأذون له به وهو المصطفى المختار فما أحوج الآخرين إلى هذه الوسائل لينالوا المقام المأذون لهم به في درجاتهم فهذا هو الطريق وهذا هو زاد الطريق « (١) » .

الآية السادسة

قال تعالى :

﴿ ليسوا سواء . من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون ﴾ (٢)

سبب النزول :

• « عن ابن مسعود قال : أخر رسول الله ﷺ صلاة العشاء ثم خرج إلى المسجد فإذا الناس ينتظرون الصلاة . قال : « أما إنه ليس من أهل هذه الأديان أحد يذكر الله هذه الساعة غيركم قال : وأنزل الله هذه الآيات « ليسوا سواء من أهل الكتاب ... حتى بلغ وما يفعلوا من خير فلن يكفروه والله عليم بالمتقين » (٣) »

• هذا وقد ورد للآية سبب آخر :

(١) في ظلال القرآن ج ١٥ ص ٦٢ .

(٢) سورة آل عمران آية رقم ١١٣ .

(٣) حديث حسن : قال مقبل بن هادي الوادعي في الصحيح المسند من أسباب النزول ص ٢٧ .

٢٨ . أخرجه الإمام أحمد [ج ٢ ص ٣٩٦ في مسنده] وهو حسن كما قال الشوكاني ج ١

ص ٣٧٥ نقلا عن السيوطي لأن عاصما في حفظه شيء . وقال الميثمي في مجمع الزوائد ج ١

ص ٣١٢ رجال أحمد ثقات ليس فيهم غير عاصم بن أبي النجود وهو مختلف في الاحتجاج به :

وأخرجه ابن حبان في صحيحه كما في موارد الظمان ص ٩١ وابن جرير ج ٤ ص ٥٥ .

فعن ابن عباس رضى الله عنها قال « لَمَّا أسلم عبد الله بن سلام ، وثعلبة ابن سَعِيَّة وأسيد بن سعية وأسد بن عبيد ومن أسلم من يهود معهم فآمنوا وصدقوا ورغبوا في الإسلام قالت أجبارة يهود وأهل الكفر منهم : ما آمن بمحمد ولا تبعه إلا أشرارنا ، ولو كانوا خيارنا ما تركوا دين آبائهم وذهبوا إلى غيره ، فأنزل الله في ذلك من قوله « ليسوا سواء » إلى قوله « من الصالحين » (١) .

● [قال الحافظ ابن كثير في تفسيره

« واختار الإمام أبو جعفر ابن جرير الأول حيث قال بعد ذكره جملة من الأفعال :

غير أن الأولى بتأويل الآية قول من قال عنى بذلك تلاوة القرآن في صلاة العشاء لأنها صلاة لا يصلحها أحد من أهل الكتاب فوصف الله أمة محمد ﷺ بأنهم يصلونها دون أهل الكتاب الذين كفروا بالله ورسوله» (٢)

« وأقول لا مانع من نزول الآية في الجميع أو أنه تعدد نزولها والله أعلم » (٣)

وقال بمثل قول ابن عباس قتادة فقد قال : ليس كل القوم هلك لقد كان لله فيهم بقية .

● وقال ابن جزيغ : « أمة قائمة » : عبد الله بن سلام ، وثعلبة بن سلام أخوه ، وسعية بن مبشر وأسيد وأسد ابنا كعب .

● قال ابن جرير الطبرى :

[« سواء » في هذا الموضع بمعنى التام والاكفاء ، وقد بينا أن أولى القولين بالصواب في ذلك قول من قال : قد تمت القصة عند قوله « ليسوا سواء » عن

(١) في مجمع الزوائد ٧٣٢/٦ رواه الطبراني ورجاله ثقات .

(٢) نقلا عن أسباب النزول لمقبل ابن هادى الوادعى وعزاه إلى ابن كثير في تفسيره ج ١ ص ٣٩٧ .

وانظر أيضاً تفسير الطبرى ج ٧ ص ١٢٩ طبعة دار المعارف .

(٣) أسباب النزول ص ٢٨ لمقبل بن هادى الوادعى .

إخبار الله بأمر مؤمنى أهل الكتاب وأهل الكفر منهم ، وأن قوله « من أهل الكتاب أمة قائمة » خبر مبتدأ عن مدح مؤمنهم ووصفهم بصفتهم على ما قاله ابن عباس وقتادة وابن جريج ^(١) .

قوله تعالى ﴿ أمة قائمة ﴾

عن ابن عباس : « أمة مهتدية قائمة على أمر الله لم تنزع عنه وتتركه كما تركه الآخرون وضيعوه »

عن قتادة : « أمة قائمة على كتاب الله وفرائضه وحدوده »

وعن . يع : « قائمة على كتاب الله وحدوده وفرائضه »

وهذه أولى الأقول عند ابن جرير .

وتأويل الكلام : من أهل الكتاب جماعة معتصمة بكتاب الله متمسكة به ، ثابتة على العمل بما فيه وما سنّ لهم رسوله ﷺ .

قوله تعالى ﴿ يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون ﴾ .

قال ابن جرير الطبري : [يعنى بقوله « يتلون آيات الله » يقرأون كتاب الله آناء الليل ويعنى بقوله « آيات الله » ما أنزل في كتابه من العبر والمواعظ . يتلون ذلك آناء الليل : في ساعات الليل فيتدبرونه ويتفكرون فيه . أما آناء الليل : فساعات الليل وواحدها « إنى » كما قال الشاعر :

حلو ومر كعطف القيدح مِرَّتُهُ

في كل إنى حذاه الليل ينتعل ^(٢)

وقد قيل إن واحد الآناء « إنى » مقصور كما واحد الأمعاء « معى » فقال

قتادة والربيع وعبد الله بن كثير : آناء الليل : ساعات الليل .

(١) تفسير الطبري ١٢٠/٧ ، ١٢٢ .

(٢) الشاعر هو المنخل الهذلي وقال ابن فارس : إنى وإنيان ٢٠٣١/١ والجمع آناء .

وقال السدي : جوف الليل .

وقال ابن مسعود : صلاة العتمة^(١)

وقال منصور : فيما بين المغرب والعشاء .

قال ابن جرير : وهذه الأقوال التي ذكرتها على اختلافها متقاربة المعاني ، وذلك أن الله تعالى ذكره وصف هؤلاء القوم بأنهم يتلون آيات الله في ساعات الليل وهي آناؤه ، وقد يكون ثاليها في صلاة العشاء تاليها آناؤه الليل ، وكذلك من تلاها فيما بين المغرب والعشاء ، ومن تلاها جوف الليل فكلُّ تالٍ له ساعات الليل .

أما قوله تعالى ﴿ وهم يسجدون ﴾ : فإن بعض أهل العربية زعم أن معنى السجود في هذه الموضع اسم للصلاة لا للسجود ، لان التلاوة لا تكون في السجود ولا في الركوع فكان معنى الكلام عنده : يتلون آيات الله آناؤه الليل وهم يصلون^(٢) .

وليس المعنى على ما ذهب إليه ، وإنما معنى الكلام : من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناؤه الليل في صلاتهم وهم في ذلك يسجدون فيها فالسجود هو السجود المعروف في الصلاة^(٣) أهـ .

قال القرطبي :

[من أهل الكتاب أمة قائمة

قال الأخفش : التقدير من أهل الكتاب ذو أمة أي ذو طريقة حسنة وأنشد « وهل يأتمن ذو أمة وهو طائع

و « يسجدون » يصلون عند الفراء والزجاج لأن التلاوة لا تكون في الركوع

(١) وهو أيضا قول مجاهد ورد في زاد المسير .

(٢) هذه مقالة الفراء في معاني القرآن ٢٣١/١ .

(٣) القرطبي ١٤١٨ ، ١٤١٩ .

والسجود نظير قوله « وله يسجدون » أى يصلون ، وفي الفرقان ﴿ وَإِذْ قَبِلْ لَهُمْ
اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ ﴾ وفي النجم ﴿ فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا ﴾

وقيل يراد به السجود المعروف خاصة ، وسبب النزول يرده ، وأن المراد
صلاة العتمة كما ذكرنا عن ابن مسعود ، فعبدة الأوثان ناموا حيث جن عليهم
الليل ، والموحدون قيام بين يدي الله تعالى في صلاة العشاء يتلون آيات الله ألا
ترى لَمَّا ذَكَرَ قِيَامَهُمْ قَالَ « وَهُمْ يَسْجُدُونَ » أى مع القيام أيضاً] .

قال الزمخشري في الكشاف :

[أمة قائمة : مستقيمة عادلة من قوله : أقت العود فقام بمعنى استقام .
وعبر عن تهجدهم بتلاوة القرآن في ساعات الليل مع السجود لأنه أبين لما يفعلون
وأدل على حسن صورة أمرهم . وقيل عنى صلاة العشاء لأن أهل الكتاب
لا يصلونها .

وقوله « يتلون » و « يؤمنون » صفتان لأمة : أى أمة قائمة تالون مؤمنون
وصفهم بخصائص ما كانت في اليهود من تلاوة آيات الله بالليل ساجدين ، ومن
الإيمان بالله » [(١) أهـ .

الآية السابعة

قال تعالى :

﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانَتْ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ،
قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ (٢)

• « أمَّنْ » قرأها الحسن وأبو عمرو وعاصم والكسائي بالتشديد ، وقرأ نافع
وابن كثير ويحيى بن وثاب والأعمش وحمزة « أَمَّنْ هُوَ » بالتخفيف على معنى
النداء كأنه قال : يا من هو قانت .

(١) الكشاف ٤٥٦/١ طبع مصطفى الحلبي .

(٢) سورة الزمر الآية ٩ .

قال الفراء : الألف بمنزلة « يا » تقول يا زيد أقبل ، وأزيد أقبل .
وحكى ذلك سيويه وجميع النحويين كما قال أوس بن جحر :
أَبْنَى لِبَيْتِي لَسْتُمْ بِبَيْدٍ إِلَّا يَدًا لَيْسَتْ لَهَا عَضُدٌ
وقال الآخر وهو ذو الرمة :

أَدَارًا بُحِزَّوِي هَجَّتِ لِلْعَيْنِ عَبْرَةً
فَاءَ الْهَوَى يَنْفَضُّ أَوْ يَتَرَقَّرُ

فالتقدير على هذا « قل تمتع بكفرك قليلا إنك من أصحاب النار » يا من هو
قانت ، إنك من أصحاب الجنة . كما يقال في الكلام : فلان لا يصل ولا يصوم
فيا من يصل ويصوم أبشر فحذف للدلالة الكلام عليه .

وقيل إن الألف في « آمن » ألف استفهام أي « آمنٌ هو قانت آباء الليل
أفضل آمن جعل لله أندادا ، والتقدير الذي هو قانت خير .

ومن شدد « آمنٌ » فالمعنى : العاصون المتقدم ذكرهم أخير آمنٌ هو قانت
فالجملة التي عادت أم محذوفة .

وقال النحاس : و « أم » بمعنى « بل » و « من » بمعنى « الذي » والتقدير بل
الذي هو قانت أفضل ممن ذكر .

● وفي قانت عدة أوجه

١ - أحدها أنه المطيع : قاله ابن مسعود وابن عباس والسدي والنحاس
ونافع وقتادة .

٢ - والثاني : أنه الخاشع في صلاته قاله ابن شهاب .

والثالث : القائم في صلاته : قاله يحيى بن سلام

والرابع : أنه الداعي لربه .

والخامس : طول القيام قال ابن عمر كان إذا سئل عن القنوت قال

« لا أعلم القنوت إلا قراءة القرآن وطول القيام »^(١) وقرأ « أَمَّنْ هُوَ قَائِمٌ
ساجداً وقائماً : قال الحسين يريح رأسه بقدميه وقدميه برأسه »^(٢) واختلف في
تعيين القائت ها هنا

فقال ابن عمر : هو عثمان رضى الله عنه . وقال مقاتل : إنه عمار بن ياسر
وقال يحيى بن سلام : إنه رسول الله ﷺ .
وقال ابن عباس في رواية الضحاك عنه : هو أبو بكر وعمر رضى الله عنهما .
وقال الكلبي : صهيب وأبو ذر وابن مسعود ، وقيل أبو حذيفة بن المغيرة
المخزومي .

● قال ابن عباس : من أحب أن يهون الله عليه طول الوقوف يوم القيامة
فليره الله في ظلمة الليل ساجداً وقائماً يخدر الآخرة .

● قوله « يخدر الآخرة » قال ابن عباس : يخدر عقاب الآخرة . قال سعيد
ابن جبير : أى عذاب الآخرة .

« ويرجو رحمة ربه » عن ابن عباس : « يرجو أن يرحمه الله فيدخله
الجنة »^(٣)

● قوله تعالى ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

قال الزجاج : أى كما لا يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ، كذلك
لا يستوى المطيع والعاصي .

وقال غيره : الذين يعلمون هم الذين يتفنون بعلمهم ويعملون به فأما من
لم يتفنع بعلمه ويعمل به فهو بمنزلة من لا يعلم .

● قال الزمخشري :

(١) ابن جرير ج ٢٣ ص ٥٥

(٢) مختصر قيام الليل ص ١٥

(٣) ابن جرير ج ٢٣ ص ٢٠٠

« وأراد بالذين يعلمون العاملين من علماء الديانة كأنه جعل من لا يعمل غير عالم ، وفيه ازدراء عظيم للذين يقتنون العلوم ويفتنون بالدنيا فهم عند الله جهلة حيث جعل القانتين هم العلماء ، ويجوز أن يرد على سبيل التشبيه »^(١)

• قال العلامة أبو السعود :

« ساجدا وقائما » تقديم السجود على القيام لكونه أدخل في معنى العبادة^(٢)

• قال القاسمي في « محاسن التأويل »

[« وفي الآية اشعار بأن الذين يعلمون هم العاملون بعلمهم إذ عبر عنهم أولا بالقانت ثم نفى المساواة بينه وبين غيره ليكون تأكيدا له وتصريحا بأن غير العامل كأنه ليس بعالم .

قال القاشاني : « وإنما كان المطيع هو العالم لأن العلم هو الذي رسخ في القلب وتأصل بعروقه في النفس بحيث لا يمكن صاحبه من مخالفته ، بل سيطر باللحم والدم فظهر أثره على الأعضاء لا ينفك شيء منها عن مقتضاه ، وأما المرتمس في حيز التخيل بحيث يمكن ذهول النفس عنه وعن مقتضاه فليس بعلم ، إنما هو أمر تصوري وتخيل عارض لا يلبث أن يزول سريعا لا يغذو القلب ولا يسمن ولا يغني من جوع »^(٣)

• قال الشيخ سيد قطب في « الظلال » « أمن هو قانت ...

[هي صورة مشرقة مرهفة ... فالقنوت والطاعة والتوجه وهو ساجد وقائم ، وهذه الحساسية المرهفة وهو يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه ، وهذا الصفاء وهذه الشفافية التي تفتح البصيرة ، وتمنح القلب نعمة الرؤية والالتقاط والتلقى ، هذه كلها ترسم صورة مشرقة وضيئة من البشر .

(١) الكشاف ج ٣ ص ٣٩٠ .

(٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ٣٠٣/٤ .

(٣) محاسن التأويل ص ٥١٣١ .

﴿ قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ... ﴾

قال رحمه الله « العلم الحق هو المعرفة .. هو إدراك الحق ، هو تفتح البصيرة .. هو الاتصال بالحقائق الثابتة في هذا الوجود وليس العلم هو المعلومات المفردة المنقطعة التي تزحم الذهن ولا تؤدي إلى حقائق الكون الكبرى ولا تمتد وراء الظاهر المحسوس .

وهذا هو الطريق إلى العلم الحقيقي والمعرفة المستنيرة .. هذا هو القنوت لله .. وحساسية القلب .. واستشعار الخذر من الآخرة والتطلع إلى رحمة الله وفضله .. ومراقبة الله هذه المراقبة الواجفة الخاشعة هذا هو الطريق .

ومن ثم يدرك اللب ويعرف ، ويتفجع بما يرى وبما يسمع وبما يجرب ، وينتهي إلى الحقائق الكبرى الثابتة من وراء المشاهدات ، والتجارب الصغيرة .. فأما الذين يقفون عند حدود التجارب المفردة والمشاهدات الظاهرة .. فهم جامعو معلومات وليسوا بعلماء .. وإنما يعرف أصحاب القلوب الواعية المتفتحة المدركة لما وراء الظواهر من حقائق .. المتفعة بما ترى وتعلم .. التي تذكرك الله في كل شيء تراه وتلمسه ولا تنساه ولا تنسى يوم لقاءه »^(١)

الآية الثامنة

قوله تعالى :

﴿ سيأهم في وجوههم من أثر السجود ... ﴾^(٢)

قال القرطبي رحمه الله :

[« السيام » : العلامة أى لاحت علامات التهجد بالليل وأمارات السهر .

قال شِمْر بن عطية : هو صفرة الوجه من قيام الليل .

(١) الظلال .

(٢) سورة الفتح الآية الأخيرة .

وقال الحسن : إذا رأيتهم حسبتهم مرضى وما هم بمرضى .
وقال سفيان الثوري : يصلون بالليل فإذا أصبحوا رؤى ذلك في وجوههم .
وقال الضحاك : أما إنه ليس بالثَّذِب في وجوههم ولكنه الصفرة .
وقال الضحاك : هو السهوم^(١) إذا سهر الرجل من الليل أصبح
مصفرا^(٢) .

وقال عكرمة : هو السهر يرى في وجوههم^(٣) .

الآية التاسعة

قال تعالى :

﴿ ومن الليل فسبحه وأدبار السجود ﴾^(٤) .

• قال ابن العربي رحمه الله :

« الصلاة تسمى تسبيحا لما فيها من تسبيح ، ومنه سبحة الضحى »

• قال ابن جرير : [« هي الصلاة بالليل من أى وقت صلى .

وقال مجاهد « ومن الليل » من الليل كله .

- ثم ذكر أقوالا أخرى وقال بعدها :-

[« والقول الذى قاله مجاهد فى ذلك أقرب إلى الصواب وذلك أن الله جل

ثناؤه قال ﴿ ومن الليل فسبحه ﴾ فلم يحدد وقتا من الليل دون وقت ، وإذا كان

ذلك كذلك كان على جميع ساعات الليل »]^(٥)

(١) هو تغير الوجه .

(٢) القرطبي ص ٦١١٣ ، ٦١١٤ .

(٣) مختصر قيام الليل ص ٢٠

(٤) سورة ق الآية ٤٠ .

(٥) تفسير الطبرى ج ٢٦ ص ١٨٠ .

● قال سيد قطب : « اصبر وسبِّح واسجد وأنت في حالة انتظار وتوقع للأمر الهائل الجلل المتوقع في كل لحظة من لحظات الليل والنهار لا يفغل عنه إلا الغافلون وهو الأمر الذي تدور عليه السورة كلها وهو موضوعها الأصيل » (١)

الآية العاشرة

قال تعالى :

﴿ ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا ﴾ (٢)

● قال الطبري رحمه الله :

[« وسبِّحه ليلا طويلا » يعني الصلاة والتسبيح] (٣)

● قال القرطبي رحمه الله :

[« وسبحه ليلا طويلا » : يعني التطوع في الليل قاله ابن حبيب وقال ابن عباس وسفيان : كل تسبيح في القرآن فهو صلاة .

وقيل : هو الذكر المطلق سواء في الصلاة أو في غيرها .

وقال ابن زيد : إن قوله « وسبحه ليلا طويلا » منسوخ بالصلوات

الخمسة ، وقيل هو نذب .

وقيل هو مخصوص بالصلوات الخمسة .

وقول ابن حبيب حسن] (٤)

● قال القاسمي رحمه الله :

(١) الظلال ص ١٦٩ .

(٢) الإنسان الآية ٢٦ .

(٣) الطبري ج ٢٩ ص ٢٢٥ .

(٤) القرطبي ص ٦٩٤١ .

[« ومن الليل فاسجد له » بالتهجد فيه ، « وسبحه ليلا طويلا » أى مقدارا طويلا نصفه أو زيادة عليه .

وفي هذه الأوامر ، مع الأمر فى أول « المزمّل » وأمثالها ما يدل على العناية بقيام الليل والحرص عليه . والقصد حثه ﷺ على أن يستعين فى دعوة قومه والصدع بما أمر به ، بالصبر على أذاهم والصلاة والتسبيح كقوله ﴿ واستمعينا بالصبر والصلاة ﴾ وقوله ﴿ فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب . ومن الليل فسبحه وأدبار السجود ﴾ وأمثالها [(١)]

• قال الشيخ سيد قطب فى « الظلال » ﴿ فاسجد له وسبحه ليلا طويلا ﴾

هذا هو الزاد حيث يلتقى العبد بربه فى خلوة ، وفى نجاء وفى تطلع وفى أنس تفيض منه الراحة على التعب والضعف ، وتفيض منه القوة على الضعف والقلّة ، وحيث تنفض الروح عنها صفائر المشاعر والشواغل ، وترى عظمة التكليف وضخامة الأمانة فتستصغر ما لاقت وما تلاقى من أشواك الطريق هو الزاد الحقيقى الصالح لهذه الرحلة المضيئة فى ذلك الطريق الشائك .. هو زاد أصحاب الدعوة إلى الله فى كل أرض وفى كل جيل ، إنها حقيقة كبرى لا بد أن يدركها ويعيش فيها رواد هذا الطريق ثم يقول رحمه الله عن قوله تعالى ﴿ إن هؤلاء يحبون العاجلة ويذرّون وراءهم يوما ثقيلا ﴾

[إن هؤلاء القريبى المطامح والاهتمامات ، الصغار المطالب والتصورات ، هؤلاء الصغار الزهيدى الذين يستفرقون فى العاجلة ويذرّون وراءهم يوما ثقيلا ... ثقيلا بتبعاته ... ثقيلا بنتائج ... ثقيلا بوزنه فى ميزان الحقيقة] (٢) .

(١) محاسن التأويل ص ٦٠١٦ .

(٢) الظلال ج ٦ ص ٢٣٠ .

الآية الحادية عشر

قال تعالى :

﴿ وسبح بحمد ربك حين تقوم . ومن الليل فسبحه وإدبار النجوم ﴾ (١)

• قال القرطبي : « قال أبو الجوزاء وحسان بن عطية : المعنى حين تقوم من منامك .. قال حسّان : ليكون مفتتحاً لعمله بذكر الله »

وقال الكلبي : واذكر الله باللسان حين تقوم من فراشك إلى أن تدخل الصلاة وهي صلاة الفجر . وذكره أيضاً القاسمي .

﴿ ومن الليل فسبحه ﴾

قال القاسمي : [أى اذكره واعبده بالتلاوة والصلاة بالليل] (٢)

قال أبو السعود : [أفراد لبعض الليل بالتسبيح لما أن العبادة فيه أشق على النفس وأبعد من الرياء كما يلوح به تقديمه على الفعل] (٣)

قال سيد قطب : [يلقي ظلاً فريداً .. أرق وأشرف من كل ظل .. ولا يملك التعبير البشرى أن يترجم هذا التعبير الخاص ... فحسبنا أن نشير إلى ظلاله وأن نعيش في هذه الظلال .

ومع هذا الإيناس هداية إلى طريق الصلوة الدائمة به « وسبح ... » فعلى مدار اليوم .. عند اليقظة من النوم ... وفي ثنايا الليل .. وعند إدبار النجوم في الفجر ... هنالك مجال الاستمتاع بهذا الإيناس الحبيب ... والتسبيح زاد وأنس ومناجاة للقلوب فكيف بقلب المحب الحبيب القريب] (٤)

(١) الطور .

(٢) محاسن التأويل ص ٥٥٥١ .

(٣) تفسير أبي السعود ج ٥ ص ١٠٩ .

(٤) في ظلال القرآن .

الآية الثانية عشر

قال تعالى :

﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَب . وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَب ﴾^(١)

قال محمد بن نصر رحمه الله : [قال عبد الله : إذا فرغت من المكتوبة فانصب في قيام الليل وقيل فراغك بالليل]^(٢)

وقال القرطبي : [قال ابن مسعود : إذا فرغت من الفرائض فانصب في قيام الليل]^(٣) .

الآية الثالثة عشر

قال تعالى :

﴿ الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالأسحار ﴾^(٤)

• قال شيخ المفسرين الإمام أبو جعفر بن جرير الطبري رحمه الله :

القانتين : المطيعين له - ثم نسب القول إلى قتادة -

- أما قوله « والمستغفرين بالأسحار » فقال أبو جعفر :

« اختلف أهل التأويل في القوم الذين هذه الصفة صفتهم :

• فقال بعضهم : هم المصلون بالأسحار - وساقه بإسناده إلى قتادة .

• وقال آخرون : هم المستغفرون وذلك قول ابن مسعود وأسنده رحمه الله إلى

نافع أن ابن عمر كان يحكي الليل صلاة ثم يقول :

يا نافع هل أسحرنا؟ فيقول لا ، فيعاود الصلاة ، فإذا قلت نعم ، فقد

يستغفر ويدعو حتى يصبح .

(١) سورة ألم نشرح الآيات ٧ ، ٨ .

(٢) مختصر قيام الليل ص ٢٠ .

(٣) القرطبي ص ٧١٩٨ - ٧١٩٩ .

(٤) آل عمران الآية ١٧ .

وأُسند إلى جعفر بن محمد رحمه الله « من صلى بالليل ثم استغفر في آخر الليل سبعين مرة كُتِبَ من المستغفرين بالأسحار »

● وقال آخرون : هم الذين يشهدون الصبح في جماعة وهو قول زيد بن أسلم .

قال ابن جرير : [وأولى هذه الأقوال :

قول من قال : هم السائلون ربهم أن يستر عليهم فضيحتهم بها وأظهر معاني ذلك أن تكون مسألتهم إياه بالدعاء ، وقد يحتمل معناه تعرضهم لمغفرته بالعمل والصلاة غير أن أظهر معانيه ما ذكرنا من الدعاء]^(١)

● قال الإمام القرطبي : [يقال سَحَرَ وَسَحَّرَ بفتح الحاء وسكونها .

وقال الزجاج : من حين يدبر الليل إلى أن يطلع الفجر الثاني .

وقال ابن زيد : السحر هو سدس الليل الأخير .

ثم قال رحمه الله :

« واختلف في معنى قوله ﴿ والمستغفرين بالأسحار ﴾

فقال أنس بن مالك : هم السائلون المغفرة . وقال قتادة : المصلون .

ثم قال رحمه الله :

« الاستغفار مندوب إليه وقد أثنى الله على المستغفرين في هذه الآية وغيرها

فقال ﴿ وبالأسحار هم يستغفرون ﴾

وقال رحمه الله « فهذا كله يدل عن أنه استغفار باللسان مع حضور القلب

لا ما قال ابن زيد أن المراد بالمستغفرين الذين يصلون الصبح في جماعة والله أعلم .

وقال لقمان لابنه : يا بني لا يكون الديك أكيس منك ينادى بالأسحار

(١) تفسير الطبري ٦/٢٦٤ - ٢٦٧ طبعة دار المعارف .

وأنت نائم .. والمختار من لفظ الاستغفار ما رواه البخارى عن شداد بن أوس وليس له فى الجامع غيره عن النبي ﷺ قال : « سيد الاستغفار أن تقول :

اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت ، خلقتنى وأنا عبدك ، وأنا على عهدك
ووعدهك ما استطعت ، أعوذ بك من شر ما صنعت ، أبوء لك بنعمتك علىّ ،
وأبوء لك بذنبي فاغفر لى فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت - قال - ومن قالها من
النهار موقنا بها ثمان من يومه قبل أن يمىس فهو من أهل الجنة ومن قالها من الليل
وهو موقن بها ثمان من ليله قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة » (١) [(٢)

• قال العلامة أبو السعود محمد بن محمد العمادى فى تفسيره :

[قال مجاهد وقتادة والكلبي : أى المصلين بالأسحار
وقال الحسن رحمه الله : مدوا الصلاة إلى السحر ثم استغفروا .
وقال أيضا « كانوا يصلون فى أول الليل حتى إذا كان السحر أخذوا فى
الدعاء والاستغفار »

وتخصيص الأسحار بالاستغفار لأن الدعاء فيها أقرب إلى الإجابة ، إذ
العبادة حينئذ أشق ، والنفس أصنى ، والروح أجمع لاسميا للمتجهدين .

وتوسط الواو بين الصفات المعدودة للدلالة على استقلال كل منها وكما لهم
فيها أو لتغاير الموصوفين بها] (٣)

• قال الألوسى رحمه الله فى تفسيره :

(١) أخرجه البخارى والنسائى وأحمد فى مسنده والحاكم فى المستدرک انظر صحيح الجامع ج ٣
ص ٢١٩ حديث رقم ٣٥٦٨ طبع المكتب الإسلامى .

(٢) تفسير القرطبي ١٢٨٠/٢ - ١٢٨٢ .

(٣) ارشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ج ١ ص ٢٢١ مطبعة محمد على صبيح .

[وقول أبي حيان : لا نعلم أن العطف في الصفة بالواو يدل على الكمال ردّه
الخلبي بأن علماء البيان علموه وهم هم]^(١)

• قال ابن الجوزي في تفسيره « زاد المسير »

[قال إبراهيم بن السري : السحر : الوقت الذي قبل طلوع الفجر ، وهو
أول إدبار الليل إلى طلوع الفجر .
ثم قال رحمه الله :

وصفهم الله بهذه الصفات « الطاعات » ثم وصفهم بأنهم لشدة خوفهم
يستغفرون]^(٢)

رحمة الله على من كانت هذه صفاتهم أخذوا في الاستغفار كأنهم أسلفوا في
ليلهم الجرائم .

• قال الحافظ ابن حجر العسقلاني :

[إن آخر الليل أفضل للدعاء والاستغفار ويشهد له قوله تعالى
﴿ والمستغفرين بالأسحار ﴾ ، وإن الدعاء في ذلك الوقت مجاب ، ولا يعترض
على ذلك بتخلفه عن بعض الداعين لأن سبب التخلف وقوع الخلل في شرط من
شروط الدعاء كالاحتراز في المطعم والمشرب والملبس أو الاستعجال أو بأن يكون
الدعاء بإثم أو قطيعة رحم ، أو تحصل الإجابة ويتأخر وجود المطلوب لمصلحة
العبد أو لأمر يريد الله]^(٣)

فائدة لغوية :

قال أبو محمد عبد الحق بن عطية الغرناطي في تفسيره :

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للألوسي ج ١ ص ١٠٣ طبعة دار الفكر .

(٢) زاد المسير لابن الجوزي ١/٣٦١ طبع المكتب الإسلامي .

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري كتاب التهجيد ج ٣ ص ٣٨ ، ٣٩ طبع السلفية - الطبعة
الثانية .

[السَّحَرُ والسَّحْرُ بفتح الحاء وسكونها آخر الليل .
وقال الزجاج وغيره : وهو قبل طلوع الفجر . وهذا صحيح لأن ما بعد
الفجر هو من اليوم لا من الليلة .
وقال بعض اللغويين : السحر من ثلث الليل الآخر إلى الفجر والحديث في
التنزل وهذه الآية في الاستغفار يؤيدان هذا . وقد يجيء في أشعار العرب
ما يقتضى أن حكم السحر يستمر فيما بعد الفجر نحو قول امرئ القيس :
يُعلُّ بها بردُ أنيابها إذا طَرَبَ الطائر المستحر^(١)
ويقال أسحروا سحر إذا دخل في السحر ، وكذلك قولهم : نسيم السحريقع
لما بعد الفجر وكذلك قول الشاعر :

تجد النساء حواسرا يندبهنه
قد قن قبل تبلج الأسحار^(٢)
فقد قضى أن السحر يتبلج بطلوع الفجر .

ولكن حقيقة السحر في هذه الأحكام الشرعية من الاستغفار المحمود ومن
سحور الصيام ، ومن يمين لو وقعت ، إنما هي من ثلث الليل الباقي إلى
الفجر^(٣) .

قال القشيري في « لطائف الإشارات » ١ / ٢٢٤ - ٢٢٥ .

[القانتين : بنفوسهم بالاستقامة في محبة الله ..
والمستغفرين : عن جميع ما فعلوه لرؤية تقصيرهم في الله . ويقال :

(٢) استحر الطائر : غرد بسحر ، يُعل به : أى يسقى به ، إذا طَرَبَ : إذا صَوَّت الديك . أى هى
طية ربح القم في الوقت الذى تتغير فيه الأفواه ، وإنما تتغير الأفواه بعد النوم ، ويروى « إذا
صَوَّت » انظر الديوان ١٥٨ ، واللسان ١٤/٦ والبحر ٣٩٨/٢ .

(٢) البيت للربيع بن زياد في مالك بن زهير العيسى أنظر ديوان الحامسة ٢٦/٣ .

(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية ٢٦٢/٢ - ٢٦٣ تحقيق أحمد صادق الملاح طبع
الجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

« الصابرين » بقلوبهم ، و « الصادقين » بأرواحهم ، و « القانتين »
بنفوسهم ، و « المستغفرين » بالسنتهم .
ويقال :

« الصابرين » على صدق القصود ، و « الصادقين » فى العهود ، و
« القانتين » بحفظ الحدود ، و « المستغفرين » عن أعمالهم وأحوالهم .
ويقال :

« الصابرين » الذين صبروا على الطلب ، ولم يتعللوا بالهرب ، ولم يحتشموا
من التعب ، وهجروا كل راحة وطلب ، صبروا على البلوى ، ورفضوا الشكوى
حتى وصلوا إلى المولى ، ولم يقطعهم شىء من الدنيا .

و « الصادقين » الذين صدقوا فى الطلب فقصدوا ، ثم صدقوا حتى وردوا .
و « القانتين » الذين جادوا بنفوسهم من حيث الأعمال ، الذين لازموا
الباب ، وداموا على تجمع الاكتئاب ، وتركوا المحاب .

و « المنفقين » الذين جادوا بنفوسهم من حيث الأعمال ، ثم جادوا
بميسورهم من الأموال ، ثم جادوا بقلوبهم بصدق الأحوال ، ثم جادوا بترك كل
حظ لهم فى العاجل » [

• قال الشيخ سيد قطب :

[والاستغفار بالأسحار بعد هذا كله يلقي ظلالا رفاقة ندية عميقة ، ولفظة
الأسحار فى ذاتها ترسم ظلال هذه الفترة من الليل قبيل الفجر ، الفترة التى يصفو
فيها الجو ويرق ويسكن ، وتترقق فيها خواطر النفس واخلجاتها الدفينة ، فإذا
انضمت إليها صورة الاستغفار ألقت تلك الظلال المناسبة فى عالم النفس وفى
ضمير الوجود سواء .

هؤلاء الصابرون الصادقون القانتون المنفقون المستغفرون بالأسحار لهم

رضوان من الله وهم أهل لهذا الرضوان ... ظلّه ومعناه» (١) :

الآية الرابعة عشر

قال تعالى :

﴿وجوه يومئذ مسفرة . ضاحكة مستبشرة﴾ (٢)

هذى وجوه المؤمنين من أهل الجنة في الدنيا والآخرة .. وجوه ناضرة .

• قال القرطبي رحمه الله :

« وجوه يومئذ مسفرة » أى مشرقة مضيئة قد علمت مالها من الفوز والنعيم ،

وهي وجوه المؤمنين

« ضاحكة مستبشرة » أى مسرورة فرحة .

« مستبشرة » أى بما آتاها الله من الكرامة .

وقال عطاء الخراساني : « مسفرة » من طول ما اغيّرت في سبيل الله جل

ثناؤه ذكره أبو نعيم ، والضحاك : من آثار الوضوء .

ابن عباس : من قيام الليل ، لما روى في الحديث « من كثرت صلواته بالليل

حسن وجهه بالنهار » يقال أسفر الصبح إذا أضاء [٣] .

الآية الخامسة عشر

قوله تعالى :

﴿وهو الذى جعل الليل والنهار خلفه لمن أراد أن يذكر أو أراد

شكورا﴾ (٤)

(١) ظلال القرآن ٥٩/٣ عيسى الحلبي الطبعة الأولى .

(٢) القرطبي ٧٠١٦/١ ، ٧٠١٧ .

(٣) قال العقيلي : حديث باطل وقال العراقي لا أصل له .

(٤) الفرقان آية رقم ٦٢ .

قال القرطبي رحمه الله :

قوله تعالى : ﴿ خَلْفَةً ﴾

قال أبو عبيدة : الخِلفَة كل شيء بعد شيء ، وكل واحد من الليل والنهار يخلف صاحبه .

ومن هذا المعنى قول زهير بن أبي سلمى :

بها العَيْنُ والآرَامُ يَمْشِينَ خَلْفَةً
وأَطْلَاؤُهَا يَنْهَضْنَ مِنْ كُلِّ مَجْتَمٍ (١)

الرَّمْ وَلد الظبي وجمعه آرام ، يقول : إذا ذهب فوج جاء فوج .

قال مجاهد « خِلفَة » من الخِلاف ، هذا أبيض وهذا أسود ، والأول أقوى وقيل : يتعاقبان في الضياء والظلام والزيادة والنقصان . وقيل : هو من باب حذف المضاف ، أى جعل الليل والنهار ذوى خلفه أى اختلاف .

﴿ لمن أراد أن يذكَّر ﴾ أى يتذكر ، فيعلم أن الله لم يجعله كذلك عبثاً ، فيعتبر في مصنوعات الله ، ويشكر الله تعالى على نعمه عليه في العقل والفكر والفهم . وقال عمر بن الخطاب وابن عباس والحسن : معناه من فاته شيء من الخير بالليل أدركه بالنهار ، ومن فاته بالنهار أدركه بالليل .

● قال ابن العربي : سمعت ذا الشهيد الأكبر يقول : إن الله تعالى خلق العبد حياً عالماً ، وبذلك كماله ، وسلط عليه آفة النوم وضرورة الحدث ونقصان الخلق ، إذ الكمال للأول الخالق ، فما أمكن الرجل من دفع النوم بقلة الأكل والسهر في طاعة الله فليفعل ، ومن الغبن العظيم أن يعيش الرجل ستين سنة ينام ليلاً فيذهب النصف من عمره لغواً ، وينام سدس النهار راحة فيذهب ثلثاه

(١) العين بكسر العين جمع أعين وعيناء وهي بقر الوحش سميت بذلك لسعة أعينها . والاطلاء جمع طلا وهو ولد البقرة وولد الظبية الصغير . المجتم : الموضع الذى يقام فيه .

ربيعي له من العمر عشرون سنة . ومن الجهالة والسفاهة أن يتلف الرجل ثلثي عمره في لذة فانية ، ولا يتلف عمره بسهر في لذة باقية عند الغنى الوفى الذى ليس بعديم ولا ظلوم .

المسألة الثالثة : الأشياء لا تتفاضل بأنفسها ، فإن الجواهر والأعراض من حيث الوجود متماثلة ، وإنما يقع التفاضل بالصفات . وقد اختلف أىّ الوقتين أفضل ، الليل أو النهار وفى الصوم غنية فى الدلالة ، والله أعلم ، قاله ابن العربى .

قلت : والليل عظيم قدره ، أمر الله نبيه عليه الصلاة والسلام بقيامه . فقال : « ومن الليل فتهجد به نافلة لك » وقال « قم الليل » ومدح المؤمنين على قيامه فقال « تتجافى جنوبهم عن المضاجع » وقال عليه الصلاة والسلام « والصدقة تطفىء الخطيئة كما يطفىء الماء النار » ، « وصلاة الرجل فى جوف الليل » وفيه ساعة يستجاب فيها الدعاء ، وفيه ينزل الرب تبارك وتعالى] .

الرابعة : قرأ حمزة وحده « يَذْكُرُ » بسكون الذال وضم الكاف ، وهى قراءة وثاب وطلحة والنخعي . وفى مصحف أبى « يتذكر » بزيادة تاء . وقرأ الباقون « يَذْكُرُ » بتشديد الكاف . ويَذْكُرُ ويَذْكُرُ بمعنى واحد ، وقيل : معنى « يَذْكُرُ » بالتخفيف أى يذكر ما نسيه فى أحد الوقتين فى الوقت الثانى ، أو ليعتبر تنزيه الله وتسبيحه فيها »

« شكورا ، هذا الشكور على أنه جعلهما قواما لمعاشهم . وكأنهم لما قالوا « وما الرحمن » قالوا : هو الذى يقدر على هذه الأشياء » [(١) أه كلام القرطبي .

وقال الإمام ابن رجب الحنبلى :

(١) القرطبي ج ٧ ص ٤٧٨١ - ٤٧٨٣ .

[« روى ابن أبي الدنيا بإسناده عن مالك بن دينار قال : كان عيسى عليه السلام يقول : إن هذا الليل والنهار خزانتان فانظروا ما تضعون فيها وكان يقول : اعملوا الليل لما خلق له ، واعملاوا النهار لما خلق له .
وعن الحسن أنه كان يقول يا ابن آدم اليوم ضيفك ، والضيف مرتحل يحمذك أو يدمك وكذلك ليلتك .

وإسناده عن بكر المزني أنه قال : « ما من يوم أخرج به الله إلى أهل الدنيا إلا ينادى : ابن آدم اغتمني لعله لا يوم لك بعدى ، ولا ليلة إلا تنادى ابن آدم اغتمني لعله لا ليلة لك بعدى .

وعن داود الطائي أنه قال : إنما الليل والنهار مراحل يترها الناس مرحلة مرحلة حتى ينتهى بهم ذلك إلى آخر سفرهم ، فإن استطعت أن تقدم في كل مرحلة زادا لما بين يديها فافعل ، فإن انقطع السفر عن قريب ماهو ، والأمر أعجل من ذلك ، فتزود لسفرك ، واقض ما أنت قاض من أمرك فكأنك بالأمر قد بقتك .

وفي تفسير عبد بن حميد وغيره من التفاسير المسندة عن الحسن في قول الله عز وجل ﴿ وهو الذي جعل الليل والنهار خلفه .. ﴾ الآية قال :
من عجز بالليل كان له من النهار مستعجب ، ومن عجز بالنهار كان له من الليل مستعجب .

وعن قتادة : قال : إن المؤمن قد ينسى بالليل ويذكر بالنهار ، وينسى بالنهار ويذكر بالليل .

قال قتادة : فادوا إلى الله من أعمالكم خيرا في هذا الليل والنهار فإنهما مطيتان تقحمان الناس إلى آجالهم ، يقربان كل بعيد ، ويبليان كل جديد ، ويجيئان بكل موعود إلى يوم القيامة « أهـ ^(١)

(١) لطائف المعارف لابن رجب الحنبلي ص ٧ ، ٨ .

الترغيب في القيام
من السنة المطهرة

« التَّوْبَةُ فِي أَنْ يَنَامَ الْإِنْسَانُ طَاهِرًا نَوَافِلَ الْقِيَامِ »

• عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ :
« من بات طاهرا بات في شعاره ملكٌ فلا يستيقظُ إلا قال الملكُ : اللهم اغفرْ لعبدك فلانٍ ، فإنه بات طاهراً »^(١)
الشعار : ما يلبس البدن من ثوب وغيره .

• وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال :
« ما من مسلم يبيت على ذكر طاهراً فَيَتَعَارَّ مِنَ اللَّيْلِ ، فَيَسْأَلُ اللَّهَ خَيْراً مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ »^(٢)

• وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال :
« طهروا هذه الأجساد ، طهركم الله ، فإنه ليس من عبد يبيت طاهراً إلا بات معه في شعاره ملك ، لا يتقلب ساعة من الليل إلا قال : اللهم اغفر لعبدك ، فإنه بات طاهراً »^(٣)

قال المناوي « قال الطيبي عبر بقوله يتعارَّ دون يهب أو يستيقظ ونحوهما لزيادة معنى ، أراد أن يخبر من هبَّ من نومه ذاكر الله مع المبوب فيسأل الله خيراً أنه

(١) صحيح : رواه ابن حبان في صحيحه ، وصححه ، وقال الألباني : حديث صحيح انظر

صحيح الترميز والترهيب للمنذرى والألباني طبع المكتب الإسلامي ج ١ ص ٢٤٥ .

(٢) صحيح : رواه أبو داود من رواية عاصم بن بهدلة عن شهر عن أبي ظبية عن معاذ ورواه ابن

ماجة في الدعاء عن معاذ وأحمد في مسنده والنسائي في اليوم والليلة والطيالسي . قال الحافظ ابن

حجر « وأبو ظبية شامي ثقة قال المناوي في « فيض القدير شرح الجامع الصغير » ورمز السيوطي

لحسنه وقال الألباني حديث صحيح انظر صحيح الترميز والترهيب ج ١ ص ٢٤٥ ، صحيح

الجامع رقم (٥٦٣٠) وفيض القدير ج ٥ ص ٤٩٧ .

(٣) حسن : رواه الطبراني في الأوسط . وقال المناوي في فيض القدير « وأبو الشيخ والدبلي من

ابن عمر ، وقال الميثمي أرجو أنه حسن الإسناد ، وقال المنذرى : إسناده جيد ، وقال الألباني

حديث حسن انظر صحيح الترميز ٢٤٥/١ وصحيح الجامع رقم ٣٨٣١ وفيض القدير

. ٢٧١/٤

يعطيه فأوجز فقال يتعار ليجمع بين المعنيين ، وإنما يوجد ذلك عند من تعود
الذكر فاستأنس به وغلب عليه حتى صار الذكر حديث نفسه في نومه ويقظته ،
وصرح عليه الصلاة والسلام باللفظ وعرض بالمعنى وذلك من جوامع الكلم التي
أوتياها .

وظاهر قوله « بيت » أى أن ذا خاض بنوم الليل واشترط في ذلك المبيت
على طهر « أهـ »^(١)

وقال أيضا رحمه الله

« والطهارة عند النوم قسمان :

طهارة الظاهر وهي معروفة ، وطهارة الباطن وهي بالتوبة وهي آكد من
الظاهرة فرمما مات في نومه وهو متلوث بأوساخ الذنوب فيتعين عليه التوبة وأن
يزيل من قلبه كل غش وحقد ومكروه لكل مسلم »^(٢)

• وعن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ قال :

« مامن امرئ تكون له صلاة ليل ، فيغلبه عليها نوم إلا كتب الله له أجر
صلاته ، وكان نومه عليه صدقة »^(٣)

وعن أبي الدرداء رضى الله عنه يبلغ به النبي ﷺ قال :

« من أتى فراشه ، وهو ينوى أن يقوم يصلى من الليل ، فغلبته عينه حتى

(١) فيض القدير للمناوى ج ٥ ص ٤٩٧ .

(٢) فيض القدير ج ٤ ص ٢٧١ .

(٣) صحيح : رواه مالك وأبو داود والنسائي وابن نصر عن عائشة . وقال العراقي [فيه رجل لم يسم
وسماه النسائي في روايته الأسود بن يزيد لكن في طريقه أبو جعفر الرازي قال النسائي ليس
بالقوى] وقال المنذرى في الترغيب « الأسود بن يزيد ثقة ثبت وبقية إسناده ثقات ، ورواه ابن
أبي الدنيا في كتاب التهجد بإسناد جيد ورواه محتج بهم في الصحيح ، أهـ وحسنه الألباني في
صحيح الترغيب ٢٤٦/١ وصححه في الجامع ٥٥٦٧ .

أصبح ، كُتِبَ له ما نوى ، وكان نومه صدقةً عليه من ربه » (١)

• وعن أبي ذر أو أبي الدرداء - شك شعبة - قال قال رسول الله ﷺ :

« مامن عبد يُحدِّثُ نفسه بقيام ساعةٍ من الليل فينامُ عنها ، إلا كان نومه صدقةً تصدَّق اللهُ بها عليه ، وكتبَ له أجرَ ما نوى » (٢)

قال الإمام أبو الوليد الباجي رحمه الله :

[قوله إلا كتب له أجر صلاته : يريد الصلاة التي اعتادها ويحتمل ذلك

عندي وجوها :

أحدها : أن يكون له أجرها غير مضاعف ولو عملها لكان أجرها مضاعفا لأنه لا خلاف أن الذي يصلحها أكمل حالا ولذلك قال ﷺ لعلی وفاطمة ألا

(١) حديث صحيح : رواه النسائي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه والحاكم في المستدرک وابن خزيمة في صحيحه وابن نصر والبخاري .

قال المنذرى في الترغيب [« رواه النسائي وابن ماجه بإسناد جيد ، وابن خزيمة في صحيحه . ورواه النسائي أيضا وابن خزيمة عن أبي الدرداء وأبي ذر موقفا . قال الدارقطني : وهو المحفوظ . وقال ابن خزيمة « هذا خبر لا أعلم أسنده غير حسين بن علي عن زائدة وقد اختلف الرواة في إسناد هذا الخبر]

قال المناوي في فيض القدير [قال الحاكم على شرطها وعلمه أن معاوية بن عمرو رواه عن زائدة فوقفه ، وحسين الجعفي أحفظ كذا في المستدرک وأقره الذهبي ، وقال العراقي سنده الصحيح « فيض القدير ج ٦ حديث رقم ٨٢٨٦ ص ٢٣ . وصححه إسناده المناوي ج ٥ ص ٤٧٢ فيض القدير وحسنه الألباني في صحيح الجامع رقم ٥٨١٧ . وقال الألباني في صحيح الترغيب : حديث صحيح انظر صحيح الترغيب ج ١ ص ٢٤٦ وصححه عبد القادر الأرناؤوط في تحقيق جامع الأصول ج ٢ .

(٢) صحيح : قال المنذرى : رواه ابن حبان مرفوعا وابن خزيمة موقفا ولم يرفعه وقال الألباني حديث صحيح .

تخريج الحديث رقم « ٥ ، ٦ »

قال الألباني في قول الدارقطني « وهو المحفوظ » وقول المنذرى وابن خزيمة في صحيحه موقفا

ولم يرفعه :

[قلت : ولكنه لا يقال بالرأى فهو في حكم المرفوع وقد صححه الحاكم على شرط الشيخين

ووافقه الذهبي وهو كما قاله . انظر صحيح الترغيب ج ١ ص ٢٤٦ .

تصليان فلما قال له على رضى الله عنه : إنما أنفسنا بيد الله فإذا شاء أن يبعثها بعثها .

خرج رسول الله ﷺ يضرب فخذة ويقول : وكان الإنسان أكثر شياً جدلاً .

- ويحتمل أن يريد أن له أجر من تمنى أن يصلى مثل تلك الصلاة .
- ولعله أراد أجر تأسفه مع ما فاته منها»^(١)
- وقال العلامة أبو الطيب أبادى :

[«إلا كتب له أجر صلاته» يفيد أنه يكتب له الأجر وإن لم يقض ، فما جاء من القضاء فللمحافظة على العادة ولمضاعفة الأجر والله أعلم]^(٢)

- قوله « وكان نومه صدقة عليه »

قال الباجي : «يعنى أنه لا يحتسب عليه به ، ويكتب له أجر المصلين» .

فصل : الترغيب في كلمات يقوهن إذا استيقظ من الليل

- عن عبادة بن الصامت عن النبي ﷺ قال :

[« من تعارَّ من الليل فقال « لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير ، الحمد لله ، وسبحان الله ولا إله إلا الله ، والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله ، ثم قال « اللهم اغفر لي » ، أودعا

(١) المتقى للإمام أبى الوليد سليمان الباجى على موطأ الإمام مالك باب ما جاء فى صلاة الليل ج ١ ص ٢١١ الطبعة الأولى - مطبعة السعادة .

(٢) عون المعبود شرح سنن أبى داود للعلامة أبى الطيب محمد شمس الحق عبد العظيم أبادى ج ٤ ص ١٩٩ طبعة السلفية بالمدينة المنورة .

ملحوظة : سند ذكر أذكار النوم فى هدى رسول الله ﷺ فى القيام .

استجيب له ، فإن تَوْضُأً ثم صلى قبلت صلاته » [(١)]

قال الحافظ في الفتح :

[قال في المحكم : تعار الظلم معرفة : صاح ، والتعار أيضا : السهر والتمطى والتقلب على الفراش ليلا مع كلام .

وقال الأكثر : التعار اليقظة مع صوت .

وقال ابن التين : « إن معنى تعار استيقظ لأنه قال « من تعار فقال فعطف

القول على التعار » أهـ .

ويحتمل أن تكون الفاء تفسيرية لما صوت به المستيقظ لأنه قد يصوت بغير ذكر ، فخص الفضل المذكور بمن صوّت بما ذكر من ذكر الله تعالى ، وهذا هو السر في اختيار لفظ تعار دون استيقظ أو انتبه وإنما يتفق ذلك لمن تعود الذكر واستأنس به وغلب عليه حتى صار حديث نفسه في يقظته ونومه ، فأكرم من اتصف بذلك بإجابة دعوته وقبول صلاته » ثم قال الحافظ : « قال ابن بطال : وعد الله على لسان نبيه أن من استيقظ من نومه لهجا بتوحيد ربه والإذعان له بالملك ، والاعتراف بنعمه بحمده عليها ويتزهد عما لا يليق به بتسبيحه والخضوع له بالتكبير والتسليم له بالعجز عن القدرة إلا بعونه ، أنه إذا دعاه أجابه ، وإذا صلى قبلت صلاته ، فينبغي لمن بلغه هذا الحديث أن يغتنم العمل به ويخلص نيته لربه سبحانه وتعالى .

قال ابن المنير في الحاشية في قوله « قبلت صلاته » : وجه ترجمة البخاري

(١) رواه البخاري وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه . وعند البخاري : أودعا استجيب . فإن تَوْضُأً قبلت صلاته .

قال الحافظ في الفتح جـ ٣ : رجال الإسناد كلهم شاميون ، وجميع روايات البخاري اتفقت على تقديم الحمد على التسييح لكن عند الإسماعيلي بالعكس ، والظاهر أنه من تصرف الرواة لأن الواو لا تستلزم الترتيب .

بفضل الصلاة ، وليس في الحديث إلا القبول ، وهو من لوازم الصحة سواء كانت فاضلة أم مفضولة لأن القبول في هذا الموطن أرجى منه في غيره ، ولولا ذلك لمن يكن في الكلام فائدة ، فلأجل قرب الرجاء فيه من اليقين تميز على غيره وثبت له الفضل « أه

والذي يظهر أن المراد بالقبول هنا قدر زائد على الصحة ، ومن ثم قال الداودي ما محصله : من قبل الله له حسنة لم يعذبه . ولهذا قال الحسن : وددت أني أعلم أن الله قبل لي سجدة واحدة .

(فائدة) : قال أبو عبد الله الفريرى الراوى عن البخارى :

أجريت هذا الذكر على لساني عند انتباهي ثم نمت فأتاني آت فقراً « وهدوا إلى الطيب من القول » [١]

• عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ :

« إذا استيقظ أحدكم فليقل : الحمد لله الذى ردّ على روحى ، وعافانى فى جسدى ، وأذن لى بذكره » (٢)

• عن ابن مسعود قال : من قال فى قيام الليل : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله كان له مثل أجر أو قال من الأجر كألف ألف حسنة (٣)

(١) فتح البارى ج ٣ ص .

(٢) حسن : رواه الترمذى والنسائى وابن السنى فى اليوم واليلة . قال المناوى فى فيض القدير ج ١ ص ٢٨٠ حديث رقم ٤٣٧ « وقال النووى سنده صحيح ، وقال ابن حجر حسن فقط لتفرد محمد بن عجلان به وهو سىء الحفظ وتبعه السيوطى فرمز لحسنه ، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع رقم ٣٢٦ .

(٣) مختصر قيام الليل ص ٤٧ .

الحث على قيام الليل والترغيب فيه

• عن ابن عمر قال : « كان الرجلُ في حياة رسول الله ﷺ إذا رأى رؤيا قصّها على رسول الله ﷺ فتمنّيتُ أن أرى رؤيا أقصّها على النبي ﷺ قال : وكنت غلاما شابا عزّبا وكنتُ أنا في المسجد على عهد رسول الله ﷺ فرأيتُ في النوم كأن ملكين أخذاني فذهبا بي إلى النار^(٢) فإذا هي مطوية^(٣) كطَيّ البئر ، وإذا لها قرنان كقرني البئر^(٤) ، وإذا فيها ناسٌ قد عرفتهم فجعلت أقول أعوذ بالله من النار ، أعوذ بالله من النار ، أعوذ بالله من النار قال : فلقبها ملكٌ فقال لي : كم تُرّع^(٥) ، فقصصتها على حفصة فقصتها حفصة على رسول الله ﷺ فقال النبي ﷺ :

« نِعَمَ الرجل عبدُ الله لو كان يصلي من الليل »^(٦)

قال سالم : فكان عبد الله بعد ذلك لا ينام من الليل إلا قليلا .
(فائدة) : قال القرطبي : « إنما فسّر الشارع من رؤيا عبد الله ما هو ممدوح لأنه عرض على النار ثم عوفى منها ، وقيل له لا روع عليك وذلك لصلاحه ، غير أنه لم يكن يقوم من الليل فحصل لعبد الله من ذلك تنبيه على أن قيام الليل

(١) كان الرجل : إنما ذكر للغالب [ابن حجر العسقلاني] .

(٢) التقدير : أن يذهب بي إلى النار فيدخلاني فيها فلا نظرتها فإذا هي مطوية .

(٣) فإذا هي مطوية : أي مبنية ، والبئر قبل أن تُبنى تسمى قليبا .

(٤) قرني البئر : قال النووي : « هما الخشبان اللتان عليها الخلطاف ، وهي الحديدية التي في جانب البكرة ، قاله ابن دريد . وقال الخليل : هما ما يبني حول البئر ويوضع عليه الخشبة التي يدور عليها المحور وهي الحديدية التي تدور عليها البكرة » .

قال العسقلاني : « إن كان من بناء فيها القرنان ، وإن كان من خشب فيها الزنوقان - بزاي منقوطة قبل المهملة ثم نون ثم قاف - وقد يطلق على الخشبة أيضا القرنان .

(٥) لم تُرّع : أي لم تخف ، والمعنى لا خوف عليك بعد هذا . ورواية الجمهور بإثبات الألف « تُرّع » . قال ابن التين : وهي لغة قليلة - أي الجزم بلن - حتى قال القزاز لا أعلم له شاهدا وتعقب بقول الشاعر « ولن يحل للعنين بعدك منظر » .

(٦) رواه البخاري ومسلم واللفظ له وأحمد في مسنده .

مما يتقى به النار والدنو منها فلذلك لم يترك قيام الليل بعد ذلك .
قال الحافظ ابن حجر في الفتح :

« شاهد الترجمة قوله « نعم الرجل عبد الله لو كان يصلى من الليل » فقتضاه
أن مَنْ كان يصلى من الليل يوصف بكونه نعم الرجل »^(١)
« وفي هذا الحديث أن قيام الليل يدفع العذاب » [^(٢)] أهـ
• قال رسول الله ﷺ :

« إن عبد الله رجل صالح لو كان يكثر الصلاة من الليل »^(٣) .

• عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال :

« يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عُقَدٍ ، يَضْرِبُ على
كل عُقْدَةٍ : عليك ليلٌ طويلٌ فارقد ، فإن استيقظ فذكر الله تعالى انحلت
عُقْدَةٌ ، فإن تَوَضَّأَ انحلت عُقْدَةٌ ، فإن صلى انحلت عُقْدُهُ كلها ، فأصبح نشيطا
طيب النفس ، وإلا أصبح خبيث النفس كسلان »^(٤)

شرح الحديث :

(الشيطان) قال ابن حجر في الفتح « كأن المراد به الجنس ، وفاعل ذلك
هو القرين أو غيره ، ويحتمل أن يراد به رأس الشياطين وهو إبليس ، وتجاوز نسبة
ذلك إليه لكونه الأمر به الداعي إليه ، ولذا أورده المصنف في « باب صفة
إبليس » من بدء الخلق »^(٥) .

- (١) فتح البارى ج ٣ كتاب التهجيد باب فضل قيام الليل ص ٩-١٠ .
- (٢) زاد المسلم فيما اتفق عليه البخارى ومسلم لأبى الجكنى اليوسنى الشنقى ج ٣ ص ٤٤٠ دار
إحياء التراث .
- (٣) رواه البخارى ومسلم وابن ماجه من رواية حفصة . انظر صحيح الجامع حديث ٢١٠١ .
- (٤) رواه البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى ومالك وأحمد وابن ماجه وقال « فيصبح نشيطا طيب
النفس قد أصاب خيرا ، وإن لم يفعل أصبح كسيلا خبيث النفس لم يصب خيرا » .
- (٥) فتح البارى ٣/٣٠-٣٤ .

(قافية رأس أحدكم) : قال أبو زرعة الحافظ في « طرح الثريب » :
« ذكر صاحب الصحاح والمحكم والمشارق والنهاية أن القافية القفا ، ثم قال
في النهاية : وقيل قافية الرأس مؤخره ، وقيل وسطه ، وقال النووى في شرح
مسلم : القافية آخر الرأس ، وقافية كل شىء آخره ومنه قافية الشعر ، وقال ابن
بطلال : القافية مؤخر الرأس وفيه العقل والفهم »^(١) .

قال الحافظ ابن حجر : « ظاهر قوله (أحدكم) التعميم في المخاطبين ، ومن
في معناهم ، ويمكن أن يخص منه من تقدم ذكره ، ومن ورد في حقه أنه يحفظ
من الشيطان كالأنبياء ، ومن تناوله قوله (إن عبادى ليس لك عليهم سلطان) ،
وكن قرأ آية الكرسي عند نومه فقد ثبت أنه يحفظ من الشيطان حتى يصبح » .
(يضرب على مكان كل عقدة) :

قال الحافظ [« يضرب » أى بيده على العقدة تأكيدا وإحكاما لها قائلا
ذلك وقيل معنى يضرب : يحجب الحسّ عن النائم حتى لا يستيقظ ، ومنه قوله
تعالى ﴿ فضرنا على آذانهم ﴾ أى حجبت الحسّ أن يلج في آذانهم فينتبهوا ،
وعند سعيد بن منصور بسند جيد عن ابن عمر « ما أصبح رجل على غير وتر إلا
أصبح على رأسه جرير قدر سبعين ذراعا » .

(عليك ليل طويل) : قال الحافظ في الفتح :

[« كذا في جميع الطرق عند البخارى بالرفع ، ووقع في رواية أبى مصعب
في الموطأ عن مالك « عليك ليل طويلا » وهى رواية ابن عيينة عن أبى الزناد
عند مسلم .

قال عياض : رواية الأكثر عند مسلم بالنصب على الإغراء ، ومن رفع فعلى
الابتداء ، أى باق عليك ، أو بإضمار فعل أى بقى .

(١) طرح الثريب في شرح التقريب ٨٣/٣٠ طبعة دار الفكر العربى .

وقال القرطبي : الرفع أولى من جهة المعنى لأنه الأمكن في الغرور من حيث أنه يخبره عن طول الليل ثم يأمره بالرقاد بقوله « فارقد » وإذا نصب على الإغراء لم يكن فيه إلا الأمر بملازمة طول الرقاد ، وحينئذ يكون قوله « فارقد » ضائعا ، ومقصود الشيطان بذلك تسويفه بالقيام والإلباس عليه .

الاختلاف في هذه العُقْد : قال الحافظ في الفتح : [وقد اختلف في هذه

العقد

● فقيل هو على الحقيقة : وأنه كما يعقد الساحر من يسحره ، وأكثر من يفعله النساء ، تأخذ إحداهن الخيط فتعقد منه عقدة وتتكلم عليه بالسحر فيتأثر المسحور عن ذلك ، ومنه قوله تعالى ﴿ ومن شر النفاثات في العقد ﴾ وعلى هذا فالمعقود شيء عند قافية الرأس لا قافية الرأس نفسها ، وهل العقد في شعر الرأس أو غيره ؟ الأقرب الثاني إذ ليس لكل أحد شعر ، ويؤيده ما ورد في بعض طرقه أن على رأس كل آدمي جبلا ، ففي رواية ابن ماجة ومحمد بن نصر من طريق أبي صالح عن أبي هريرة مرفوعا « على قافية رأس أحدكم جبل فيه ثلاث عقد » ولأحمد عن أبي هريرة بلفظ « إذا نام أحدكم عقد على رأسه جرير » وهو الخبل .

وفهم بعضهم من هذا أن العقد لازمة ، ويرده التصريح بأنها تنحل بالصلاة فيلزم إعادة عقدها فأبهم فاعله في حديث جابر وفسر في حديث غيره^(١)

● وقيل هو على المجاز^(٢) كأنه شبه فعل الشيطان بالنائم بفعل الساحر بالمسحور

(١) قال الشيخ الألباني حفظه الله « في تفسير العقد أقوال والأقرب أنه على حقيقته ، بمعنى السحر للإنسان ، منعه من القيام ، كما يعقد الساحر من سحره » واستشهد الشيخ ناصر مؤيدا لكلامه بحديث أبي هريرة يرفعه الذي رواه ابن ماجة وحديث جابر لابن خزيمة انظر صحيح الترغيب والترهيب ج ١ ص ٢٥٢ .

(٢) رجحه ابن عبد البر ، وظنه المقصود كما في طرح الترتيب ج ٣ ص ٨٢ .

فلما كان الساحر يمنع بعقده ذلك تصرف من يحاول عقده ، كان هذا مثله من الشيطان للنائم .

● وقيل المراد به عقد القلب وتصميمه على الشيء كأنه يوسوس له بأنه بقي من الليلة قطعة طويلة فيتأخر عن القيام ، وانحلال العقد كناية عن علمه بكذبه فيما وسوس به .

● وقيل العقد كناية عن تثبيط الشيطان للنائم بالقول المذكور ، ومنه عقدت فلانا عن امرأته أى منعت عنها ، أو عن تثقله عليه النوم كأنه قد شد عليه شدادا .

● وقال بعضهم : المراد بالعقد الثلاث الأكل والشرب والنوم ، لأن من أكثر الأكل والشرب كثر نومه [كما قال الأثرى]

واستيعده المحب الطبرى لأن الحديث يقتضى أن العقد تقع عند النوم فهى غيره [أهد كلام الحافظ ابن حجر .

● قال ابن بطال « قال المهلب : قد فسر النبي ﷺ معنى العقد وهو قوله عليك ليل طويل فارقد فكأنه يقولها إذا أراد التائم الاستيقاظ إلى حزبه فيعتقد في نفسه أنه قد بقيت من الليلة بقية طويلة حتى إبروم بذلك إتلافات ساعات ليله وتقويت حزبه فإذا ذكر الله انحلت عقده أى علم أنه قد مر من الليل طويل . والقافية فيها العقل وعقده فيه اثباته في فهمه أنه بقي عليه ليل طويل » (١) .

قال الحافظ في الفتح : « قال القرطبي : الحكمة في الاختصار على الثلاث أن أغلب ما يكون انتباه الإنسان في السحر فإن اتفق له أن يرجع إلى النوم ثلاث مرات لم تنتقض النومة الثالثة إلا وقد ذهب الليل وقال البيضاوى : التقييد بالثلاث إما للتأكيد ، أو لأنه يريد أن يقطعه عن ثلاثة أشياء : الذكر والوضوء والصلاة ، فكأنه منع من كل واحدة منها بعقدة عقدها على رأسه . وكان

(١) طرح التثريب ج ٣ ص ٨١ .

تخصيص القفا بذلك لكونه محل الوهم ومجال تصرفه وهو أطوع القوى للشيطان وأسرعها إجابة لدعوته . وفي كلام الشيخ الملوى أن العقد يقع على خزانة الإلهيات من الحافظة وهي الكتر المحصل من القوى ، ومنها يتناول القلب ما يريد التذكر به .

(انحلت عقدهُ)

● قال الحافظ « بلفظ الجميع بغير اختلاف في البخارى ، ووقع لبعض رواة الموطأ بالإفراد ، ويؤيده رواية أحمد المشار إليها قبل فإن فيها « فإن ذكر الله انحلت عقدة واحدة ، وإن قام فتوضأ اطلقت الثانية ، فإن صلى أطلقت الثالثة ، وكأنه محمول على الغالب وهو من ينام مضطجعا فيحتاج إلى الوضوء إذا اتبه فيكون لكل فعل عقدة يحلها ، ويؤيد الأول ما سياتى في « بدء الخلق » من وجه آخر بلفظ عقده كلها^(١) - ولسلم « انحلت العقد » وظاهره أن العقد تنحل كلها بالصلاة خاصة وهو كذلك في حق من لم يحتاج إلى الطهارة كمن نام متمكنا مثلا^(٢) ثم اتبه فصلى من قبل أن يذكر أو يتطهر ، فإن الصلاة تجزئه في حل العقد كلها لأنها تستلزم الطهارة وتتضمن الذكر ، وعلى هذا فيكون معنى قوله « فإذا صلى انحلت عقده كلها » إن كان المراد به من لا يحتاج إلى الوضوء فظاهر على ما قررناه ، وإن كان من يحتاج إليه فالمعنى انحلت كل عقدة أو انحلت عقده كلها بانحلال الأخيرة التي بها يتم انحلال العقد .

وفي رواية أحمد المذكورة قبل وهي محمولة على الغالب وهو من ينام مضطجعا فيحتاج إلى تجديد الطهارة عند استيقاظه فيكون لكل فعل عقدة يحلها « أهـ

(١) وهي التي ذكرناها .

(٢) جاء في فتح الباري طبعة السلفية الثانية من تعليق الشيخ ابن حجر على قول الحافظ ابن حجر « هذا فيه نظر والصواب أن النوم ينقض الوضوء وإن كان النائم مضطجعا أحدث صفوان ولكن من غائط ويول ونوم » فتنبه والله أعلم . ج ٣ ص ٢٦ .

• قال النووي في شرح مسلم : « وقوله ﷺ : وإذا توضع عقدتان معناهما تمام عقدتين أى انحلت عقدة ثانية ، وتم بها عقدتان ومثله في صحيح مسلم « من صلى العشاء في جماعة فكأنما قام نصف الليل ، ومن صلى الصبح في جماعة فكأنما صلى الليل كله » (١) »

• قال الحافظ أبو زرعة في « طرح التثريب »

« قوله « فإن صلى انحلت عقدة » روى بفتح القاف على الجَمْع ، وبإسكانها على الإفراد كاللتين قبلهما والأول هو المشهور وهو الذى ضبطناه عن شيخنا والذى رحمه الله ، ويدل له قوله في رواية مسلم « العقد » وقوله في رواية النسائي « العقد كلها » ، ونقل ابن عبد البر عن رواية يحيى بن يحيى الثانى وعلى الأول فالمراد أنه انحلت بالصلاة تمام عقده » (٢)

• قوله : (طيب النفس)

قال النووي : « معناه لسروره بما وفقه الله الكريم له من الطاعة ، ووعده به من ثوابه مع ما يبارك له في نفسه ، وتصرفه في كل أموره مع ما زال عنه من عقد الشيطان وتبيطه »

قال الحافظ في الفتح « والذى يظهر لى أن في صلاة الليل سرا في طيب النفس وإن لم يستحضر المصلى شيئا مما ذكر ، وكذا عكسه ، وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى ﴿ إن ناشئة الليل هي أشد وطئا وأقوم قبلا ﴾ وقد استنبط بعضهم من أن من فعل ذلك مرة ثم عاد إلى النوم لا يعود إليه الشيطان بالعقد المذكور ثانيا ، واستثنى بعضهم - ممن يقوم ويذكر ويتوضأ ويصلى - من لم ينه ذلك عن الفحشاء ، بل يفعل ذلك من غير أن يقلع ، والذى يظهر فيه التفضيل بين من يفعل ذلك مع الندم والتوبة والعزم على الإقلاع وبين المصرّ » (٣) . أهـ .

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ج ٢ ص ٤٣٥ .

(٢) طرح التثريب ج ٣ ص ٨٥ .

(٣) انظر فتح البارى في شرح هذا الحديث ج ٣ ص ٣٠ - ٣٤ .

قوله (وإلا أصبح خبيث النفس ..)

• قال النووي : « معناه لما عليه من عقد الشيطان وآثار تثبيطه ، واستيلائته مع أنه لم يزل ذلك عنه » .

• وقال الحافظ [« خبيث النفس » أى بتركه ما كان اعتاده أو أرادته من فعل الخير كذا قيل « كسلان » غير مصروف للوصف ولزيادة الألف والنون »]

• قال الحافظ أبو زرعة فى « طرح التثريب » [قال أبو العباس القرطبي : نشيطا لما يرد عليه من العبادات لكونه ألقها ، طيب النفس لرجاء ثواب ما فعل . وقوله « خبيث النفس » : أى بشؤم تفريطه وتعام خديعة الشيطان له ، كسلان أى متناقل عن الخيرات ، وربما يحمله ذلك على تضييع الواجبات ، انتهى وهو قريب من المعنى الذى ذكره النووى لكنه أحسن منه بيانا وإيضاحا]

فائدة : قال النووى : « ظاهر الحديث أن من لم يجمع بين الأمور الثلاثة وهى الذكر والوضوء والصلاة فهو داخل فيمن يصبح خبيث النفس كسلان » . قال الحافظ - وقد ذكر كلام النووى السابق : [وإن أتى ببعضها - وهو كذلك لكن يختلف ذلك بالقوة والخفة ، فمن ذكر الله مثلا كان فى ذلك أخف ممن لم يذكر أصلا » ووافقه أبو زرعة .

• ثم ذكر الحافظ ابن حجر [« وروينا فى حديث أبى سعيد » فإن قام فصلى انحلت العقد كلهن وإن استيقظ ولم يتوضأ ولم يصل أصبحت العقد كلها كهيئتها » وقال ابن عبد البر : هذا الذم يخفى بمن لم يقم إلى صلاته وضيعها ؛ أما من كانت عادته القيام إلى الصلاة المكتوبة أو إلى النافلة بالليل فغلبته عينه فنام فقد ثبت أن الله يكتب له أجر صلاته ونومه عليه صدقة .

وقال أيضاً : زعم قوم أن هذا الحديث يعارض قوله صلى الله عليه وسلم « لا يقولن أحدكم خبيث نفسى » وليس كذلك لأن النهى إنما ورد عن إضافة المرء ذلك

إلى نفسه كراهة لتلك الكلمة ، وهذا الحديث وقع ذما لفعله ، ولكل من الحديثين وجه .

وقال الباجي : « ليس بين الحديثين اختلاف ، لأنه نهى عن إضافة ذلك إلى النفس - لكون الحبث بمعنى فساد الدين - ووصف بعض الأفعال بذلك تحذيرا منها وتنفيرا .

قلت (١) - تقرير الإشكال أنه صلى الله عليه وسلم نهى عن إضافة ذلك إلى النفس فكل ما نهى المؤمن أن يضيفه إلى نفسه نهى أن يضيفه إلى أخيه المؤمن ، وقد وصف النبي صلى الله عليه وسلم هذا المرء بهذه الصفة فيلزم جواز وصفنا له بذلك لمحل التأسي ، ويحدث الإنفصال فيما يظهر بأن النهى محمول على ما إذا لم يكن هناك حامل على الوصف بذلك كالتنفير والتحذير [أه كلام الحافظ في الفتح .

تنبيهات وفوائد : -

الأول : الاختلاف في الصلاة المرادة في هذا الحديث هل هي صلاة العشاء أو الصبح أو تهجد الليل :

[قال الحافظ في الفتح :

يحتمل أن تكون الصلاة صلاة العشاء ، فكأنه يرى أن الشيطان إنما يفعل ذلك بمن نام قبل صلاة العشاء ، فكأنه يرى أن الشيطان إنما يفعل ذلك بمن نام قبل صلاة العشاء ، بخلاف مَنْ صلاها ولا سيما في الجماعة . وكأن هذا هو السر في إيراد حديث سمرة عقب هذا الحديث لأنه قال فيه « وينام عن الصلاة المكتوبة » ولا يعكر على هذا كونه أورد هذه الترجمة في تضعيف صلاة الليل لأنه يمكن أن يجاب عنه بأنه أراد دفع توهم من يحمل الحديثين على صلاة الليل ، لأنه ورد في بعض طرق الحديث « حديث سمرة » مطلقا غير مقيد بالمكتوبة ،

(١) الحافظ ابن حجر .

والوعيد علامة الوجوب ، وكأنه أشار إلى خطأ من احتج به على وجوب صلاة الليل حملاً للمطلق على القيد .

ثم قال الحافظ : ثم وجدت معنى هذا الاحتمال للشيخ ولى الدين الملوى وقواه بما ذكرته من حديث سمرة ، فحمدت الله على التوفيق لذلك ، ويقويه ما ثبت عنه صلى الله عليه وسلم « أن من صلى العشاء في جماعة كان كمن قام نصف ليلة » لأن مسمى قيام الليل يحصل للمؤمن بقيام بعضه ، فحينئذ يصدق على من صلى العشاء في جماعة أنه قام الليل . والعقد المذكورة تنحل بقيام الليل فصار من صلى العشاء في جماعة كمن قام الليل في حل عقد الشيطان » [

● قال الحافظ أبو زرعة « طرح التثريب » : [ويوافق ذلك أن الطحاوى حمل قوله عليه الصلاة والسلام فيمن نام ليله كله حتى أصبح « ذاك رجل بال الشيطان في أذنه » على أنه نام عن صلاة العشاء حتى انقضى الليل كله . قال ابن عبد البر : ويدل على ذلك أن من السلف قوما كانوا ينامون قبل العشاء ، ويصلونها في وقتها ثم حكى عن الحكم قال : كانوا ينامون قبل صلاة العشاء ، وعن ابن عمر أنه كان يرقد قبل صلاة العشاء ويوكل من يوقظه ، وعن سرية لعلى رضى الله عنه أنه ربما أغفى قبل العشاء ، وذكر إباحة النوم قبل العشاء عن الأسود بن يزيد وعروة بن الزبير وعلى الأزدي وسعيد بن جبير وابن سيرين ذكره ابن أبي شيبة عنهم وهذا كله عنهم على أنهم كانوا يصلون العشاء في وقتها أو مع الجماعة » انتهى كلام ابن عبد البر [أهـ .

● قال أبو زرعة : [ويخالف هذا الذى ذكرته أن البخارى أورد هذا الحديث في صلاة الليل وذلك مناف لحمله على صلاة العشاء والله أعلم] .

● قال أبو زرعة [قال ابن العربى « وهذه العقدة تنحل بصلاته الصبح ويكون في ذمة الله كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم] .

ما ذكره ابن العربى من حمل الصلاة التي تنحل بها عقدة الشيطان على

صلاة الصبح لا بأس به ، ويؤيده أن في رواية الإمام أحمد في مسنده « فإن أصبح ولم يصل الصبح أصبح خبيث النفس » الحديث . ويوافق ذلك كلام ابن عبد البر فإنه قال : فيه الإخبار عن حال من لم يقم إلى صلاته وضيعها حتى خرج وقتها ثم قال : أما من كانت عادته القيام إلى صلاته المكتوبة أو نافلته من الليل فغلبته عينه فقد جاء عنه عليه الصلاة والسلام أنه يكتب له أجر صلاته ونومه صدقه عليه . وقال الله عز وجل ﴿ الله يتوفى الأنفس حين موتها ﴾ الآية وفي هذا كله العذر المبين ، والمخرج الواسع لمن غلبه نومه على صلاته .

ثم قال الحافظ أبو زرعة : إن الحديث ندب إلى قيام الليل والاستغفار بالأسحار وأقل أحواله أن يكون ندبا إلى أن لا يطلع الفجر على المؤمن إلا وقد ذكر الصلاة وتأهب بالوضوء للصلاة .

وقد ظهر بذلك أنه قد حصل التردد في الصلاة المرادة في هذا الحديث والله أعلم [(١) أه كلام أبي زرعة .

الثاني : قال الحافظ في الفتح « ذكر الليل في قوله « عليك ليل » ظاهرة إختصاص ذلك بنوم الليل ، وهو كذلك ، لكن لا يبعد أن يجيء مثله في نوم النهار كالنوم حالة الإبراد ولا سيما على تفسير البخارى أن المراد بالحديث الصلاة المقروضة » أه .

الثالث : « قال الحافظ في الفتح » قد يظن أن بين هذا الحديث وحديث أبي هريرة الذي فيه « إن قارىء آية الكرسي عند نومه لا يقربه الشيطان » معارضة ، وليس كذلك ، لأن العقد إن حمل على الأمر المعنوي ، والقرب على الأمر الحسى وكذا العكس فلا إشكال ، إذ لا يلزم من سحره إياه أن يماسه ، كما لا يلزم من ممانسته أن يقربه بسرقة أو أذى في جسده ونحو ذلك . وإن حملا على المعنويين أو العكس فيجانب بإدعاء المخصوص في عموم أحدهما . والأقرب أن المخصوص حديث الباب كما تقدم تخصيصه عن ابن عبد البر بمن لم ينو القيام ،

(١) طرح الترتيب ج ٣

فكذا يمكن أن يقال يختص بمن لم يقرأ آية الكرسي لطرد الشيطان والله أعلم «
الرابع : قال الحافظ أبو زرعة « في الحديث فضيلة الصلاة بالليل ، وإن
قلت لكن هل يحصل انحلال عقدة الشيطان الأخيرة بمجرد الشروع في الصلاة أو
بتمامها ؟ الظاهر الثاني ، فإنه لو أفسدها قبل تمامها لم يحصل بذلك غرض .
ورأيت والدى رحمه الله لما سئل عن الحكمة في افتتاح الليل بركعتين خفيفتين .
أجاب عن ذلك بأن الحكمة فيه استعجال حل عقد الشيطان وهو معنى حسن
بديع ومقتضاه ما رجحته من أنه لا يحصل ذلك إلا بتام الصلاة » .

قال الحافظ في الفتح « ذكر شيخنا الحافظ أبو الفضل بن الحسين في « شرح
الترمذي » أن السر في افتتاح صلاة الليل بركعتين خفيفتين المبادرة إلى حل عقد
الشيطان ، وبناء على أن الحل لا يتم إلا بتام الصلاة ، وهو واضح ، لأنه لو
شرع في صلاة ثم أفسدها لم يساو من أتمها ، وكذا الوضوء ، وكأن الشروع في
حل العقد يحصل بالشروع في العبادة وينتهي بانتهائها » .

وفي الرد على من يقول ويورد أن الركعتين الخفيفتين إنما وردتا من فعله صلى الله عليه وسلم
وهو منزّه عن عقد الشيطان قال الحافظ « ورد الأمر بصلاة الركعتين الخفيفتين
عند مسلم من حديث أبي هريرة ، حتى ولو لم يرد الأمر بذلك لأمكن أن يقال :
يحمل فعله ذلك على تعليم أمته وإرشادهم إلى ما يحفظهم من الشيطان . وقد وقع
عند ابن خزيمة من وجه آخر عند أبي هريرة في آخر الحديث « فحلوا عقد
الشيطان ولو بركعتين » .

الخامس : قال الحافظ في الفتح : « لا يتعين الذكر شيء مخصوص
لا يجزئ غيره ، بل كل ما صدق عليه ذكر الله أجزاء ، ويدخل فيه تلاوة
القرآن ، وقراءة الحديث النبوي ، والاشتغال بالعلم الشرعي ، وأولى ما يذكر به
« فضل من تعار من الليل » وإلى قول الحافظ ذهب أبو زرعة وفضل الأذكار
المأثورة حتى وإن حصل الذكر بغيرها .

• عن جابر رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ :

« مامن ذكر ولا أنثى إلا على رأسه جرير معقود حين يرقد ، فإن استيقظ فذكر الله انحلت عقدة ، فإن قام فتوضأ وصلى انحلت العقد ، وأصبح خفيفاً طيب النفس قد أصاب خيراً »^(١)
قال ابن خزيمة : الجرير : الحبل .

• عن جابر رضى الله عنه أن النبي ﷺ قال :

« مامن مسلم ، ذكر ولا أنثى ، ينام إلا وعليه جرير معقود ، فإن هو توضأ وقام إلى الصلاة أصبح نشيطاً قد أصاب خيراً ، وقد انحلت عقده كلها ، وإن استيقظ ولم يذكر الله أصبح وعقده عليه ، وأصبح ثقيلاً كسلان ، ولم يُصب خيراً »^(٢)

• عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ :

« أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم ، وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل »^(٣)

(١) حديث صحيح : رواه ابن خزيمة في صحيحه ج ٢ ص ١٧٥ ، ١٧٦ وقال الألباني حديث صحيح ، وقال الذكور محمد مصطفي الأعظمي إسناده صحيح ، انظر أيضاً صحيح الترغيب ج ١ حديث رقم ٦١٠ .

(٢) حديث صحيح : رواه ابن حبان في صحيحه وقال الألباني : حديث صحيح . انظر صحيح الترغيب والترهيب ج ١ / ٢٦٦ حديث رقم ٦٤٤ .

(٣) رواه مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن خزيمة في صحيحه قال ابن حجر في الفتح ج ٣ ص ٩ : [وقد أخرج فيه مسلم حديث أبي هريرة « أفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل » وكان البخاري توقف فيه للاختلاف في وصله وإرساله وفي رفعه ووقفه] .

وقال أبو عيسى الترمذي : حديث أبي هريرة حسن انظر تحفة الأحوذى ج ٢ ص ٥١٧ وجاء في تحفة الأشراف للزمي : قول الترمذي عن هذا الحديث « حسن صحيح » انظر تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف للزمي ج ٩ ص ٣٣٦ ، ٤١٦ ، وصححه الألباني انظر صحيح الترغيب والترهيب ج ١ حديث رقم ٦١١ .

لطيفة في الإسناد : قال النووي : اعلم أن أبا هريرة يروى عنه اثنان كل واحد منهما حميد بن عبد الله أحدهما هذا الحميري ، والثاني حميد بن عبد الرحمن بن عوف الزهري ، قال الحميدي =

• قال النووي رحمه الله : [قوله ﷺ « وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل ، فيه دليل لما اتفق العلماء عليه أن تطوع الليل أفضل من تطوع النهار .

وفيه حجة لأبي إسحاق المروزي من أصحابنا ومن وافقه أن صلاة الليل أفضل من السنن الراتية ، وقال أكثر أصحابنا : الرواتب أفضل لأنها تشبه الفرائض ، والأول أقوى وأوفق للحديث والله أعلم »] .

• قال المباركفوري في تحفة الأحوذى « قال الطيبي : « ولعمري إن صلاة التهجد لو لم يكن فيها فضل سوى قوله تعالى ﴿ ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا ﴾ وقوله تعالى ﴿ تتجافى جنوبهم عن المضاجع ﴾ إلى قوله ﴿ فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين ﴾ وغيرها من الآيات لكفاه مزية » أهـ .

• قال رسول الله ﷺ :

« أفضل الصلاة بعد الصلاة المكتوبة الصلاة في جوف الليل ، وأفضل الصيام بعد شهر رمضان صيام شهر الله المحرم » ^(١)

• عن أم سلمة رضی الله عنها « أن النبي ﷺ استيقظ ليلة فقال :

= في « الجمع بين الصحيحين » : « كل ما في البخارى ومسلم حميد بن عبد الرحمن عن أبي هريرة فهو الزمهرى إلا هذا الحديث خاصة ، « أفضل الصلاة ... » فإن رواه حميد بن عبد الرحمن الحميرى عن أبي هريرة ، وهذا الحديث لم يذكره البخارى ، ولا ذكر للحميرى في البخارى أصلا ولا في مسلم إلا هذا الحديث « أهـ .

(١) رواه مسلم والترمذى وأبو داود والنسائى وابن ماجه عن أبي هريرة ، والأرويانى « محمد بن هارون الحافظ » في « مستده » ، والطبرانى في الكبير « عن جندب » انظر صحيح الجامع .

« سبحان الله ، ماذا أنزل الليلة من الفتنة ، ماذا أنزل من الخزائن ، من يوقظ صواحب الحجرات ، يارب كاسية في الدنيا عارية في الآخرة (١) ، (٢) »

• ذكر البخارى هذا الحديث فى باب « تحريض النبى ﷺ على قيام الليل من غير إيجاب » قال الحافظ فى الفتح (٣) « قال ابن رشيد : كأن البخارى فهم أن المراد بالايقظ الايقاظ للصلاة لا لمجرد الإخبار بما أنزل ، لأنه لو كان لمجرد الإخبار لكان يمكن تأخيره إلى النهار لأنه لا يفوت » ثم ذكر آراءً أخرى ورجح هذا الرأى وقال « وما نسبه إلى فهم البخارى أو لا فهو المعتمد ، فإنه وقع فى رواية شعيب عن الزهري عند المصنف فى الأدب وغيره فى هذا الحديث « من يوقظ صواحب الحجر يريد أزواجه حتى يصلين »

وفى الحديث إيقاظ الرجل أهله بالليل للعبادة ، لاسيما عند نزول آية (٤) .

• عن على بن أبى طالب « أن رسول الله ﷺ طرّقه وفاطمة بنت النبى عليه السلام ليلة فقال : ألا تُصَلِّيان ؟

فقلت : يا رسول الله أنفسنا بيد الله ، فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا . فانصرف حين قلت ذلك ولم يرجع إلى شيئا ، ثم سمعته وهو مؤلٌ يضرب فخذه وهو يقول : « وكان الإنسان أكثر شئاً جدلاً » (٥)

(طرّقه وفاطمة) فى رواية مسلم لم يذكر « ليلة »

قال النووى والعسقلانى : الطروق الإتيان بالليل .

(١) أخرجه البخارى والترمذى وأحمد فى مسنده عن أم سلمة انظر صحيح الجامع رقم ٣٥٩٣ .

(٢) جاء فى تحقيق شرح السنة : عارية : بتخفيف الياء ، وهى مجرورة فى أكثر الروايات على التعنت ، وقال السهلبى إنه الأحسن عند سيويه لأن « رب » عنده حرف جر يلزم صدر الكلام ، ويجوز الرفع على اضمار مبتدأ والجملة فى موضع التعت أى هى عارية .

(٣) فتح البارى ج ٣ ص ١٤ .

(٤) تحقيق شرح السنة لشعيب الأرنؤوط زهير الشاويش ج ٤ ص ٣٤ .

(٥) رواه البخارى ومسلم والنسائى .

قال العسقلاني « وعلى هذا فقوله « ليلة » للتأكيد . وحكى ابن فارس أن معنى « طرق » أتى ، فعلى هذا يكون في قوله « ليلة » بيان وقت الحجى ، ويحتمل أن يكون المراد بقوله ليلة : أى مرة واحدة .

قوله « ألا تصليان » وعند مسلم « طرقة وفاطمة فقال ألا تصلون » قال النووى : هكذا هو فى الأصول « تصلون » وجمع الإثنين صحيح لكن هل هو حقيقة أو مجاز ؟ فيه الخلاف المشهور والأكثر على أنه مجاز والآخرون قالوا أنه حقيقة .

قوله « بعثنا » أى أيقظنا ، (ولم يرجع) أى لم يجنبى .
قوله « يضرب فخذة » قال النووى « المختار فى معناه أنه تعجب من سرعة جوابه ، وعدم موافقته له على الاعتذار بهذا ، ولهذا ضرب فخذة ، وقيل : قاله تسلياً لعذرهما وأنه لا عتب عليهما »^(١)

● قال العسقلاني فى الفتح [« قال ابن بطال : فيه فضيلة صلاة الليل وإيقاظ النائمى من الأهل والقراة لذلك » ، قال الطبرى : لولا ما علم النبى ﷺ من عظم فضل الصلاة فى الليل ما كان يزعج ابنته وابن عمه فى وقت جعله الله لخلقهم سكناً لكنه اختار لها أحرار تلك الفضيلة على الدعة والسكون امتثالاً لقوله تعالى ﴿ وأمر أهلك بالصلاة ﴾^(٢) .

● عن عبد الله بن سلام رضى الله عنه قال :
أول ما قدم رسول الله ﷺ المدينة ، انجفل الناس إليه فكنتُ فيمن جاءه ، فلما تأملتُ وجهه ، عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب ، قال : فكان أول ما سمعت من كلامه أن قال :

« أيها الناس ! أفشوا السلام ، وأطعموا الطعام ، وصلوا الأرحام ، وصلوا

(١) صحيح مسلم بشرح النووى ج ٢ ص ٤٣٣ .

(٢) فتح البارى ج ٣ ص ١٥ .

بالليل والناس نيام^(١) ، تدخلوا الجنة بسلام^(٢) .

انجفل الناس : أى أسرعوا ومضوا كلهم .

استبنته : أى تحققت وتبينته .

• عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

« أَطِيبِ الْكَلَامَ ، وَأَفْشِ السَّلَامَ ، وَصِلِ الْأَرْحَامَ ، وَصَلِّ بِاللَّيْلِ وَالنَّاسَ

نِيَامًا ، ثُمَّ ادْخُلِ الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ »^(٣) .

• عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما عن النبي ﷺ قال :

« فِي الْجَنَّةِ غُرْفَةٌ يُرَى ظَاهِرُهَا مِنْ بَاطِنِهَا ، وَبَاطِنُهَا مِنْ ظَاهِرِهَا » فقال أبو

مالك الأشعري : لمن هى يا رسول الله ؟ قال : « لِمَنْ أَطَابَ الْكَلَامَ ، وَأَطْعَمَ

الطَّعَامَ ، وَبَاتَ قَائِمًا وَالنَّاسَ نِيَامًا »^(٤)

• وعن أبي مالك الأشعري رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال :

« إِنَّ فِي الْجَنَّةِ غُرْفًا يُرَى ظَاهِرُهَا مِنْ بَاطِنِهَا ، وَبَاطِنُهَا مِنْ ظَاهِرِهَا ، أَعَدَّهَا

(١) قال الألبانى حفظه الله « هذا وكل ما يشبهه مما سبق أو يأتي من الكلام الملقى المسجع قل أو أكثر ، يقف القارئ على كل فصل منه ، ولا يعرب آخره مراعاة للسجع والوزن ونظيره « الله أكبر ، خربت خبيره ، وما فى معناه . كما فى العجالة (٧٩ - ٨٠) . وقد أطال القول فيه ، انظر صحيح الترغيب ج ١ ص ٢٥٣ بالهامش .

(٢) صحيح : رواه أحمد فى مسنده والترمذى وابن ماجه والحاكم : قال الترمذى « حديث حسن صحيح » ، وقال الحاكم : صحيح على شرط الشيخين وقال الألبانى حديث صحيح . انظر صحيح الجامع - رقم ٧٧٤٢ ، الصحيحة رقم ٥٦٩ وصحيح الترغيب ج ١ ص ٢٥٣ .

(٣) حديث صحيح : أخرجه ابن حبان فى صحيحه وأبو نعيم فى الحلية ، وضعفه السيوطى وقال المناوى فى فيض القدير ج ١ ص ٥٣٦ : وفيه أبى نعيم عبد الله بن صالح بن عبد الجبار قال فى اللسان عن العقيل : شيخ مجهول وصححه الألبانى فى صحيح الجامع رقم (١٠٣٠) والأحاديث الصحيحة رقم ٥٦٩ .

(٤) حديث صحيح : رواه الطبرانى فى « الكبير » بإسناد حسن ، والحاكم وقال « صحيح على شرطها » وواقفه الذهبى ، وحسنه الهيثمى وصححه الألبانى انظر صحيح الترغيب رقم ٦١٣ .

الله لمن أطعم الطعام ، وأفشى السلام ، وصلّى بالليل والناس نيام»^(١) فسبحان من جعل الغرف جزاء التهجد ثناء على صلاة الليل .

• قال رسول الله ﷺ :

« إن في الجنة غرفا يرى ظاهرها من باطنها ، وباطنها من ظاهرها أعدّها الله تعالى لمن أطعم الطعام ، وألان الكلام ، وتابع الصيام ، وصلّى بالليل والناس نيام»^(٢)

• قال رسول الله ﷺ :

« أتاني الليلة ربي تبارك وتعالى في أحسن صورة ، فقال يا محمد : هل تدري فيم يختصم الملائ الأعلی ؟ قلت : لا ، فوضع يده بين كفي ، حتى وجدت بردها بين ثديي فعلمت فيم يختصم الملائ الأعلی ؟ قلت : نعم ، في الكفارات والدرجات والكفارات المكث في المساجد بعد الصلوات ، والمشى على الأقدام إلى الجماعات ، وإسباغ الوضوء في المكاره ، قال : صدقت يا محمد ومن فعل ذلك عاش بخير ، ومات بخير ، وكان من خطيبته كيوم ولدته أمه ، وقال : يا محمد : إذا صليت فقل : اللهم إني أسألك فعل الخيرات ، وترك المنكرات ، وحب المساكين ، وأن تغفر لي وترحمني ، وتتوب علي ، وإذا أردت بعبادك فتنة فاقبضني إليك غير مفتون »

(١) حديث صحيح : رواه ابن حبان في « صحيحه » وقال الألباني حديث صحيح انظر صحيح الترغيب والترهيب ج ١ ص ٢٥٤ حديث رقم ٦١٤ .

(٢) حديث حسن : رواه أحمد في « مسنده » وابن حبان في « صحيحه » والبيهقي « في شعب الإيمان » عن أبي مالك الأشعري . والترمذي عن علي قال الترمذي غريب لا نعرفه إلا من حديث عبد الرحمن بن إسحاق وقد تكلم فيه من قبل حفظه . وضعف إسناده العراقي . قال الهيثمي : رجال أحمد رجال الصحيح غير عبد الله بن معاذ ووقفه ابن حبان .

قال المناوي : هو وإن ضعفه ابن عدي لكن أقام له شواهد يعتضد بها وقال الألباني « حديث حسن » انظر صحيح الجامع حديث ٢١١٩ ، وتخريج الترغيب ٤٦/٢ ، وتخريج المشكاة ١٢٣٥ .

والدرجات: إفشاء السلام ، وإطعام الطعام والصلاة بالليل والناس نيام»^(١) .

● وقال رسول الله ﷺ :

« ثلاث مهلكات وثلاث منجيات وثلاث كفارات وثلاث درجات ، فأما المهلكات : فشح مطاع ، وهوى متبع ، وإعجاب المرء بنفسه .
وأما المنجيات : فالعدل في الغضب والرضا ، والقصد في الفقر والغنى ،
وخشية الله تعالى في السر والعلانية .

وأما الكفارات : فانتظار الصلاة بعد الصلاة ، وإسباغ الوضوء في السبرات ، ونقل الأقدام إلى الجماعات .

وأما الدرجات : فإطعام الطعام وإفشاء السلام ، والصلاة بالليل والناس نيام»^(٢) .

(١) حديث صحيح : رواه الترمذى وأحمد في « مسنده » وعبد الرزاق في « الجامع » وعبد حميد عن ابن عباس . وقال الترمذى : حديث حسن غريب ورواه معاذ بن جبل : قال الترمذى : سألت محمد بن إسماعيل البخارى عن هذا فقال : هذا حديث حسن صحيح وقد صححه الإمام أحمد والإمام ابن رجب وجمع طرقه الإمام ابن رجب انظر « اختيار الأولى » وصححه الألبانى حديث رقم ٥٩ ج ١ ص ٧٢ ، ٧٣ . وانظر تخريج الترغيب والترهيب ج ٩ ص ١٦٤ - ١٦٥ . حديث ١٦٤ قال الألبانى : [وسنده صحيح ، وقد تكلمت عليه في أول « الجنائز » من « ارواء الغليل » وقد كنت ذهبت في بعض التعليقات إلى تضعيف الحديث فقد رجعت عنه . وقال الشيخ الناجى : ان الحافظ أبا أحمد العسال قد ساق في كتاب « المعرفة » الحديث من عدة طرق وألفاظ ، ومن رواية جماعة من الصحابة وأكثرها مصرح بأن ذلك كان في المنام ، صحيح الترغيب ج ١ ص ١٦٥ ، ورد في بعض الروايات « واسباغ الوضوء في السبرات وهى شدة البرد .

(٢) حسن رواه الطبرانى في « الأوسط » وأبو نعيم عن ابن عمر : قال العلاء : سنده ضعيف وعده في الميزان من الناكير ، وقال الهيثمى في « المجمع » (١٩١/١ - ١٩٣) فيه ابن لهيعة ومن لا يعرف : وقال المنذرى في « الترغيب والترهيب » « وأسانيده وإن كان لا يسلم شيء منها من مقال فهو بمجموعها حسن إن شاء الله تعالى . وقال الألبانى في السلسلة الصحيحة (١٨٠٢) : والحديث مجموع هذه الطرق حسن على أقل الدرجات إن شاء الله تعالى وبه جزم المنذرى في الترغيب .

قال المناوي : « أى التهجد في جوف الليل حال غفلة الناس واستغراقهم في لذة النوم وذلك هو وقت الصفاء وتنزلات غيث الرحمة وإسراف الأنوار .
 • وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ قال :

« أحب الصلاة إلى الله صلاةُ داود ، وأحبُّ الصيام إلى الله صيام داود ، كان ينام نصف الليل ، ويقوم ثلثه ، وينام سُدُسَه ، ويصوم يوماً ويفطر يوماً » (١)

قال الحافظ في الفتح : [« قال المهلب : كان داود عليه السلام يحم نفسه بنوم أول الليل ثم يقوم في الوقت الذي ينادى الله فيه : هل من سائل فأعطيه سؤله ، ثم يستدرك بالنوم ما يستريح به من نصب القيام في بقية الليل ، وهذا هو النوم عند السحر . وإنما صارت هذه الطريقة أحب من أجل الأخذ بالرفق للنفس التي يخشى منها السامة ، وقد قال ﷺ :

« إن الله لا يعمل حتى تملوا » والله يجب أن يديم فضله وإحسانه [أهـ .

• عن ابن جريج أخبرني عمرو بن دينار أن عمرو بن أوس أخبره عن عبد الله ابن عمرو رضى الله عنهما أن النبي ﷺ قال :

« أحب الصيام إلى الله صيام داود كان يصوم نصف الدهر ، وأحب الصلاة إلى الله عز وجل صلاة داود عليه السلام » كان يرقد شطر الليل ثم يقوم ثم يرقد آخره ثم يقوم ثلث الليل بعد شطره » (٢)
 قال : قُلْتُ لعمرو بن دينار أعمرو بن أوس كان يقول : يقوم ثلث الليل بعد شطره ؟ قال نعم .

(١) رواه البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى وابن ماجه وأحمد فى مسنده .

(٢) زواه مسلم .

فائدة هامة : « قال ابن حجر في الفتح : « وفي رواية ابن جريج من الفائدة ترتيب ذلك بثم ففيه رد على من أجاز في حديث الباب أن تحصل السنة بنوم السدس الأول مثلا ، وقيام الثلث ، ونوم النصف الأخير ، والسبب في ذلك أن الواو لا ترتب » [(١)]

• عن جابر رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :
 « إن في الليل لساعة لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله خيرا من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه ، وذلك في كل ليلة » (٢)

قال المناوي في فيض القدير : [نكرها حثا على طلبها بإحياء الليالي . وذلك المذكور يحصل كل ليلة فلا يختص ببعض الليالي بل كائن في جميعها ، قيل تلك الساعة في الثلث الأخير الذي يقول الله من يدعوني فاستجب له ، وقيل وقت السحر ، وقيل مطلقة ، وجزم الغزالي بأنها مهمة في جميع الليالي كليلة القدر في رمضان ، وحكمة إبهامها توفر الدواعي على مراقبتها ، والاجتهاد في الدعاء في جميع ساعات الليل كما قالوه في إبهام ليلة القدر] (٣)

• قال رسول الله ﷺ : « إذا مضى شطر الليل أو ثلثاه ينزل الله إلى السماء الدنيا فيقول : هل من سائل فيعطى ؟ هل من داع فيستجاب له هل من مستغفر فيغفر له ؟ حتى يتفجر الصبح » (٤)

• قال رسول الله ﷺ : « ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا

(١) فتح الباري ج ٣ ص ٢٢ .

(٢) أخرجه مسلم وأحمد في مسنده .

(٣) فيض القدير للمناوي ج ٢ ص ٤٧١ ، ٤٧٢ .

(٤) رواه مسلم عن أبي هريرة .

حين يبق ثلث الليل الآخر فيقول من يدعوني فاستجيب له ؟ من يسألني فأعطيه ؟
من يستغفري فأغفر له ؟» (١)

• قال رسول الله ﷺ : « ينزل الله تعالى إلى السماء الدنيا كل ليلة حين يمضي ثلث الليل الأول فيقول : أنا الملك ، أنا الملك ، من ذا الذي يدعوني فاستجيب له ؟ ومن ذا الذي يسألني فأعطيه ؟ ومن ذا الذي يستغفري فأغفر له ؟ فلا يزال كذلك حتى يضيء الفجر » (٢)

• قال رسول الله ﷺ : « ينزل الله تعالى إلى السماء الدنيا لثلث الليل الآخر فيقول : من يدعوني فاستجيب له ؟ أو يسألني فأعطيه ثم يبسط يديه فيقول ، من يقرض غير عدوم ولا ظلوم » (٣)

• قال رسول الله ﷺ : « ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حتى يبقى ثلث الليل الآخر فيقول : من يدعوني فأستجيب له ؟ من يسألني فأعطيه ؟ من يستغفري فأغفر له » (٤)

• قال رسول الله ﷺ : « إن الله تعالى يمهل حتى إذا كان ثلث الليل الآخر نزل إلى السماء الدنيا فنأدى : هل من مستغفر ؟ هل من تائب ؟ هل من سائل ؟ هل من داع ؟ حتى ينفجر الفجر » (٥)

• قال رسول الله ﷺ : « إن الله يمهل حتى إذا ذهب من الليل نصفه أو ثلثاه قال : لا يسألن عبادي غيري من يسألني استجب له ، من يسألني أعطه ، من يستغفري أغفر له حتى يطلع الفجر » (٦)

(١) أخرجه البخارى ومسلم عن أبى هريرة .

(٢) أخرجه مسلم والترمذى عن أبى هريرة .

(٣) رواه مسلم عن أبى هريرة .

(٤) رواه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى وابن ماجه وأحمد فى مسنده .

(٥) رواه أحمد فى مسنده ومسلم عن أبى سعيد وأبى هريرة معا .

(٦) رواه ابن ماجه عن رفاعة الجهنى وصححه الألبانى انظر صحيح الجامع رقم ١٩١٣ والإرواء

• قال النووى فى شرح مسلم « فيه إثبات ساعة الإجابة فى كل ليلة ، ويتضمن الحث على الدعاء فى جميع ساعات الليل رجاء مصادفتها » (١) أه

قال الحافظ « لم تختلف الروايات عن الزهري فى تعيين الوقت ، واختلفت الروايات عن أبى هريرة وغيره ، قال الترمذى : رواية أبى هريرة أصح الروايات ، ويقوى ذلك أن الروايات المخالفة اختلف فيها على رواتها » أه .

• وقال النووى فى شرح مسلم « قال القاضى عياض : الصحيح رواية حين يبقى ثلث الليل الآخر كذا قاله شيوخ الحديث ، وهو الذى تظاهرت عليه الأخبار بلفظه ومعناه ، قال : ويحتمل أن يكون التزول بالمعنى المراد بعد الثلث الأول ، وقوله : من يدعونى بعد الثلث الأخير ، هذا كلام القاضى .

قلت - أى النووى - : ويحتمل أن يكون النبى ﷺ علم بأحد الأمرين فى وقت فأخبر به ، ثم أعلم بالآخر فى وقت آخر فأخبر به ، وسمع أبو هريرة الخبرين فنقلها جميعا ، وسمع أبو سعيد الخدرى خبر الثلث الأول فقط فأخبر به مع أبى هريرة ، كما ذكره مسلم وهذا ظاهر . وفيه رد لما أشار إليه القاضى من تضعيف رواية الثلث الأول ، وكيف يضعفها وقد رواها مسلم فى صحيحه بإسناد لا مطعن فيه عن الصحابين أبى سعيد وأبى هريرة والله أعلم .

• قال الحافظ ابن حجر : « سلك بعضهم طريق الجمع وذلك أن الروايات انحصرت فى ستة أشياء : -

حين يبقى ثلث الليل الآخر ، ثانيا : إذا مضى الثلث الأول . ثالثا : الثلث الأول أو النصف ، رابعا : النصف ، خامسا : النصف أو الثلث الأخير ، سادسا : الإطلاق .

فأما الروايات المطلقة فمحمولة على المقيدة .

(١) شرح مسلم ج ٢ ص ٤٠٦ .

وأما التي بأو فإن كانت أو للشك فالجزوم به مقدم على المشكوك فيه وإن كانت للتردد بين حالين فيجمع بذلك بين الروايات بأن ذلك يقع بحسب اختلاف الأحوال لكون أوقات الليل تختلف في الزمان وفي الآفاق باختلاف تقدم دخول الليل عند قوم وتأخره عند قوم ، وقال بعضهم يحتمل أن يكون التزول يقع في الثلث الأول والقول يقع في النصف وفي الثلث الثاني .
وقيل يحمل على أن ذلك يقع في جميع الأوقات التي وردت بها الأخبار » ثم قال :

« وفي حديث الباب من الفوائد تفضيل صلاة آخر الليل على أوله ، وتفضيل تأخر الوتر ، وأن آخر الليل أفضل للدعاء والاستغفار ، وأن الدعاء في ذلك الوقت مجاب » (١) .

• قال الحافظ في الفتح « لم تختلف الروايات على الزهري في الاقتصار على الثلاثة المذكورة وهي الدعاء والسؤال والاستغفار ، والفرق بين الثلاثة أن المطلوب إما لدفع المضار أو جلب المسار وذلك إما ديني وإما دنيوي ، ففي الاستغفار إشارة إلى الأول ، وفي السؤال إشارة إلى الثاني ، وفي الدعاء إشارة إلى الثالث .

قال الكرماني : يحتمل أن يقال الدعاء مالا طلب فيه نحو يا الله ، والسؤال الطلب ، وأن يقال المقصود واحد ، وإن اختلف اللفظ » (٢) .
قوله « فاستجيب » قال الحافظ : ليست السين للطلب بل استجيب بمعنى أجيب .

• قال رسول الله ﷺ : « تفتح أبواب السماء نصف الليل فينادى مناد : هل من داع فيستجاب له ؟ هل من سائل فيعطى ؟ هل من مكروب فيفرج »

(١) فتح الباري لابن حجر ج ٣ ص ٣٨ .

(٢) فتح الباري لابن حجر ج ٣ ص ٣٨ .

عنه ؟ فلا يبقى مسلم يدعو بدعوة إلا استجاب الله تعالى له إلا زانية تسعى بفرجها أو عشارا»^(١) : تسعى بفرجها أى تكتسب به ، والعشار هو المكاس .

● وقال رسول الله ﷺ : « أقرب ما يكون الرب من العبد في جوف الليل الآخر فإن استطعت أن تكون ممن يذكر الله في تلك الساعة فكن »^(٢) .

قال المناوى : [قال الطيبي : يحتمل أن يكون قوله في جوف الليل حالا من الرب أى قائلا في جوف الليل من يدعوني فأستجب له سدت مسد الخبير ، أو من العبد ، أى قائما في جوف الليل داعيا مستغفرا ، ويحتمل أن يكون خبراً لأقرب .

وقوله (الآخر) : صفة الجوف على أن ينصف الليل ويجعل لكل نصف جوف والقرب يحصل في جوف النصف الثاني فابتداءه يكون من الثلث الأخير أ هـ .

(فإن استطعت أن تكون ممن يذكر الله) ينخرط في زمرة الذاكرين لله ويكون له مساهمة معهم .

(في تلك الساعة فكن) وهذا أبلغ مما لو قيل إن استطعت أن تكون ذاكرا فكن إذ الأولى فيها صيغة عموم شاملة للأنبياء والأولياء فيكون داخلا فيهم »^(٣) .

(١) صحيح : رواه الطبراني في الأوسط عن عثمان بن أبي العاص ، كما قال الألباني وليس في الكبير كما قال السيوطي . قال الهيثمي : رجاله رجال الصحيح إلا أن فيه على بن زيد وفيه كلام وحسنه السيوطي وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم ٢٩٦٨ .

(٢) صحيح : رواه الترمذي واللفظ له والنسائي والحاكم في المستدرک وابن خزيمة وزاد « إن » عن عمرو بن عبسة . قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح وقال الحاكم على شرط مسلم وأقره الذهبي وصححه البغوي والألباني في صحيح الجامع رقم (١١٨٤) وصحيح الترغيب (٦٢٤) وتخريج المشكاة .

(٣) فيض القدير للمناوى ج ٢ ص ٦٩ .

عمدة الطريق الملازمة والمخالفة ، فالملازمة لذكر الله والمخالفة لما يشغل عنه وهذا هو السفر إلى الله .

- وقال رسول الله ﷺ : « أفضل الساعات جوف الليل الأخير » (١) .
- وقال رسول الله ﷺ : « أفضل الساعات جوف الليل الآخر » (٢) .
- وقال رسول الله ﷺ : « عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم ، وهو قربة إلى ربكم ، ومكفرة للسيئات ومنهاة عن الإثم » (٣) .
- وقال رسول الله ﷺ « عليكم بقيام الليل ، فإنه دأب الصالحين قبلكم ، وقربة إلى الله تعالى ومنهاة عن الإثم ، وتكفير للسيئات ، ومطرقة للداء عن الجسد » (٤)

(١) صحيح : رواة الطبراني في الكبير عن عمرو بن عبّسة وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم ١١١٧ .

(٢) الحديث رقم « ٣٠ » صحيح : رواه أحمد وغيره وصححه الألباني في الضحيح رقم (٥٥١) ج ٢ ص ٨٣ .

(٣) حسن : قال الألباني « رواه الترمذى في الدعوات معلقا ، وقد وصله الحاكم وصححه على شرط البخارى ووافقه الذهبي » وفيه معاوية بن صالح لم يخرج له البخارى « و فيه عبد الله بن صالح كاتب الليث وهو وإن أخرج له البخارى فإن فيه ضعف ، ومن طريقة رواه « ابن عدى » في « الكامل » ، والبيهقي في « سننه » وقال العراقى في تحريج الأحياء بعد ما عزاه إليه وإلى الطبراني في الكبير : سنده حسن « أهـ مشكاة المصابيح ١٢٢٧ ، الإرواء رقم ٤٥٢ .

والحديث أيضا رواه ابن خزيمة في صحيحه وفيه « وهو قربة لكم إلى ربكم » وقال الألباني : حديث حسن بشواهد . وقال مصطفي الأعظمي : رواه الطبراني في الكبير والأوسط كما في مجمع الزوائد ٢ : ٢٥١ .

(٤) حديث صحيح : رواه الترمذى والبيهقي والحاكم في المستدرک عن بلال ، والترمذى والحاكم في

« المستدرک » والبيهقي في « السنن » عن أبي أمامة ، وابن عساکر في « التاريخ » عن ابى الدرداء . والطبراني في « الكبير » عن سلمان . وابن السني عن جابر . قال الحاكم على شرط البخارى وأقره الذهبي . وقال الميثمي : في سند الطبراني عبد الرحمن بن سليمان بن أبي الجون ضعفه أبو داود ووثقه ابن حبان ، وقال الألباني حديث صحيح أنظر صحيح الجامع رقم ٣٩٥٨ ج ٤ ص ٥٠ . قال الألباني : في لإرواء حديث رقم ٤٥٢ : عزاه السيوطى لأحمد والحاكم وابن السني وأبى نعم عزوه لأحمد خطأ وللحاكم محتمل ، وحديث سلمان عزاه لابن السني وأبى نعم أيضاً .

قوله « قبلكم » قال المناوي [« أى هى عادة قديمة واضب عليها الكمل السابقون ، واجتهدوا فى إجراس فضلها .

وقربة إلى الله تعالى : نكرّ القربة إيدانا بأن لها شأننا ، وأنى بالجملة ولم يعطف قربة على دأب الصالحين لتدل باستقلالها على مزيد تقريب .

قال ابن الحاج : وفى القيام من الفوائد أنه يحط الذنوب كما يحط الريح العاصف الورق الجاف من الشجرة ، وينور القبر ويحسن الوجه ويذهب الكسل وينشط البدن ، وترى الملائكة موضعه من السماء كما يترأى الكوكب الدرى لنا من السماء]^(١) أ. هـ. قول المناوي وابن الحاج .

فائدة طبية هامة :

صدق الهادى البشير الذى لا ينطق عن الهوى صلوات الله وسلامه عليه إذ يقول عن قيام الليل « مطردة للداء عن الجسد » فلقد ترجم وأثبت ذلك أطباء المسلمين وفى « مؤتمر الإعجاز الطبى فى القرآن الكريم » الذى عقد بالقاهرة وشاركت فيه رابطة العالم الإسلامى ، ومنظمة العلوم الطبية الإسلامية بأمريكا ، والمنظمة الإسلامية الطبية بالكويت ، والمنظمة العالمية للمساجد والأزهر قُدم بحث عن صلاة التراويح وأثرها على مرونة العمود الفقرى . وصلاة التراويح هى قيام ليل رمضان فما يجرى عليها يجرى على قيام الليل والتهجد بصفة عامة . قدمت الدكتورة « سلوى محمد رشدى » جامعة حلوان كلية التربية الرياضية بحثا كان موضوعه « صلاة التراويح وأثرها على مرونة العمود الفقرى والكفاءة الوظيفية للقلب بعد سن السنين »

تقول الدكتورة : سلوى : إن هذه الدراسة تهدف إلى التعرف على أهمية صلاة التراويح للمسلم ، وأثر ذلك على الكفاءة الوظيفية للقلب ، ودرجة المرونة فى العمود الفقرى .. وقد أجريت هذه الدراسة على عينة مكونة من ستين رجلا وامرأة مقسمين إلى ثلاثين ممن قاموا بتأدية صلاة التراويح فى شهر رمضان عام

(١) فيض القدير للمناوى ٢٥١/٤ .

١٤٠٥ هـ ، وثلاثين من المصلين الذين لم يقوموا بتأديتها ، وقد طبقت عليهم اختبارات لمعرفة درجة مرونة العمود الفقري من الأوضاع المختلفة ، وكذلك اختبار الكفاءة الوظيفية باستخدام العملية الأرجومترية .. وقد أظهرت هذه الدراسة أن هناك فروقا كبيرة بين المصلين لصلاة التراويح وغير المصلين ، في درجة مرونة العمود الفقري ، وكذلك في الكفاءة الوظيفية للقلب . وقالت الدكتورة سلوى رشدي : لقد أوصيت في هذه الدراسة بتشجيع المسلم على تأدية الصلاة عموما ، وعلى صلاة التراويح على وجه الخصوص لما لها من فائدة على الجهاد الدوري ، والتنفسى ، ومرونة مفاصل الجسم وخاصة العمود الفقري ، حيث أن كبار السن في حاجة إلى القيام بتأدية التمرينات التي تحافظ على اللياقة البدنية ، واللياقة الوظيفية للقلب .

(انظر مجلة الاعتصام العددان الرابع والخامس محرم وصفر سنة ١٤٠٦ هـ نوفمبر وديسمبر سنة ١٩٨٥ م ص ٢٠ ، ٢١)

وبحث آخر في السهر وفائدته في علاج الأمراض :

وقد قدم في نفس المؤتمر بحث حول «السهر والحمى» وعلاقتها بمادة الأندروفين لتسكين الألم ، والشفاء المبكر كما جاء في حديث المصطفى ﷺ قوله « مثل المؤمن في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » متفق عليه .

انطلاقا من هذا الحديث جرى البحث والتقصي حول أهمية السهر والحمى وعلاقتها بمادة الأندروفين التي يفرزها بعض أجزاء المخ ، وأن إفراز هذه المادة يكون في اليقظة أعلى بكثير منه في حالة النوم .

فالسهر والحمى نتيجة لحدوث الألم عبارة عن تفاعلات دفاعية طبيعية لتحيد من وطأة الألم ، إلا أن الأطباء للأسف يحدوا من هذه الظاهرة الطبيعية بإعطاء المريض المسكنات للألم وبها يستطيع أن ينام (يزول السهر) ، والمخفضات

لدرجة الحرارة (تزول الحمى) وذلك خوفا من استنفاد الطاقة الدفاعية ووقوع المريض تحت الألم الشديد الذي من المحتمل أن يؤدي إلى حدوث إغماء تصحبه وفاة .

قدم هذا البحث الدكتور يحيى خوجي قسم التشريح كلية الطب - جامعة الملك فيصل بالدمام .

والدكتور عبد الوهاب نورولي قسم الكيمياء المرضية - كلية الطب - جامعة الملك عبد العزيز بجدة والشيخ عبد المجيد الزنداني .

انظر هدية منبر الإسلام صفر ١٤٠٦ هـ أكتوبر سنة ١٩٨٥ م يصدرها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

وقل لي بربك هل قيام الليل إلا سهر وسهر في الطاعة فانظر أثره في تسكين الأمراض وتخفيفها ومن ذاق عرف .

● عن معاذ بن جبل رضى الله عنه : قلت يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني عن النار فقال ﷺ :

« لقد سألتني عن عظيم ، وإنه ليسير على من يسره الله عليه ، تعبد الله لا تشرك به شيئا ، وتقيم الصلاة المكتوبة ، وتؤتي الزكاة المفروضة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت .

ألا أدلك على أبواب الخير؟ الصوم جنة ، والصدقة تطفىء الخطيئة كما يطفىء الماء النار ، وصلاة الرجل في جوف الليل ثم قرأ ﴿ تتجافى جنوبهم عن المضاجع ﴾ الآية .

ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه؟ رأس الأمر الإسلام ، من أسلم سلم ، وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد .

ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟ كُفَّ عليك هذا ، وأشار إلى لسانه .

قال : يا نبي الله ! وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به ؟

قال : ثكلتك أمك يا معاذ ! وهل يكبُ الناسَ في النارِ على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم »

• وقال رسول الله ﷺ :

« شرف المؤمن صلاته بالليل ، وعزه استغناؤه عما في أيدي الناس » (٢)

قال المناوي : [الشرف لغة : العلو ، وشرف كل شيء أعلاه ، لما وقف في ليله وقت صفاء ذكره متذللاً متخشعاً بين يدي مولاه لانذا بعز جنابه وحماه شرفه بخدمته ورفع قدره عند ملائكته وخواص عبادته بعز طاعته على من سواه » (٣)

• وقال رسول الله ﷺ : « أتاني جبريل ، فقال : يا محمد عش ما شئت

(١) صحيح : رواه الترمذى وابن ماجه ، وأحمد في مسنده ، والحاكم في المستدرک والطبرانی في الكبير والبيهقي في شعب الإيمان وقال الترمذى : حديث حسن صحيح ، وقال الحاكم : صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي . وأعله الحافظ ابن رجب في شرح « الأربعين النووية » ولم يصحح الألبانى منه سوى « وذروة سنامه الجهاد » لمجيئها من طريقين متصلين بقوى أحدهما الآخر . وقال عن إسناد الترمذى : إسناده حسن .

ولكن عاد الألبانى فصحح الحديث في صحيح الجامع رقم (٥٠١٢) وصححه في الإيمان لابن أبي شيبة ص ٢ بطريق ميمون ابن أبي شبيب عن معاذ . انظر أيضا الإرواء (٤١٢) وصحح الحديث أيضا شعيب الأرنؤوط في تحقيق « شرح السنة » للبقوى ج ١ ص ٢٥ وقال : حديث صحيح بطرقه .

(٢) حسن : أخرجه العقيلي في « الضعفاء » والخطيب في « التاريخ » عن أبي هريرة وفيه داود بن عثمان الثغري قال المناوي في فيض القدير « قال محرجه العقيلي داود حدث عن الأوزاعي وغيره بالبواطيل منها هذا الحديث وليس له أصل أه ، ومن ثم قال ابن الجوزي موضوع والمتهم به داود . قال في اللسان عن العقيلي : داود يحدث بالبواطيل ثم أورد له هذا الخبر ، وقال يروى عن الحسن وغيره من قوهم ، وليس له أصل مسند » أه قال الألبانى : أخرجه تمام في الفوائد « ق ١/١٧٢ - ٢ » وابن عساكر في « تاريخ دمشق » ١/٩٩/٤١ و ١/٣٧/٨ وكذا أبو بكر الشافعي في « الغيلانيات » كما في « اللاليء المصنوعة » (٢٩/٢) وللحديث شواهد مرفوعة يرتقى الحديث بها إلى درجة الحسن إن شاء الله تعالى « أه انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة حديث رقم ١٩٠٣ ، وانظر أيضا صحيح الجامع مع حديث رقم ٣٦٠٤ ، فيض القدير ج ٤ ص ١٦٠ حديث رقم ٤٨٨٣ .

(٣) فيض القدير للمناوي ج ٤ ص ١٦٠ .

فإنك ميت ، وأحبب من شئت فإنك مفارقه ، واعمل ما شئت فإنك مجزي به ، واعلم أن شرف المؤمن قيامه بالليل : وعزه استغناؤه عن الناس» (١) .
قال المناوي : [قال الزمخشري : من انجاز لفلان شرف وهو علو المنزلة . قيامه بالليل : أى علاه ورفعته إحياء الليل بدوام التهجذ فيه ، والذكر والتلاوة وهذا بيان لشيء من العمل المشار إليه بقوله اعلم ما شئت .

والقيام : انتصاب القامة ، ولما كانت هيئة الانتصاب أكمل هيئات من له القامة وأحسنها استعير ذلك للمحافظة على استعمال الإنسان نفسه في الصلاة ليلا فمعنى قيام الليل المحافظة على الصلاة فيه وعدم تعطيله باستغراقه بالنوم أو اللهو . قال الزمخشري قام على الأمر : دام وثبت قال الغزالي : جمعت هذه الكلمات حكيم الأولين والآخرين ، وهى كافية للمتأمل فيها طول العمر إذ لو وقف على معانيها وغلبت على قلبه غلبة يقين استغرقت وحالت بينه وبين النظر إلى الدنيا بالكلية والتلذذ بشهواتها وقد أوتى المصطفى ﷺ جوامع الكلم ، وكل كلمة من كلماته بحر من بحور علوم الحكمة» (٢)

(١) حسن : عزاه السيوطى فى الجامع إلى الشيرازى فى «الألقاب» و الحاكم فى «المستدرک» فى الرقائق والبيهقى فى «شعب الإيمان» عن «سهل بن سعد» . والبيهقى فى «شعب الإيمان» عن «جابر» . وأبو نعيم فى «الحلية» عن «على» .

قال الألبانى حفظه الله فى السلسلة الصحيحة رقم (٨٣١) ج ٢ ص ٥٠٥-٥٠٧ «حديث سهل أخرجه الطبرانى فى «الأوسط» ، والسهمى فى «تاريخ جرجان» وأبو نعيم فى «الحلية» و الحاكم : وقال صحيح الإسناد وواقفه الذهبى وهو من تساهلها وخاصة الذهبى ، فإنه أورد زافرا فى الضعفاء ، وقال الحافظ : «صديق كثير الأوهام والراوى عنه فيه مقال لكن توبع وحديث جابر أخرجه الطيالسى فى «مسنده» وعنه البيهقى فى «شعب الإيمان» . والحديث أورده المنذرى فى «الترغيب» من حديث سهل وقال رواه الطبرانى فى «الأوسط» بإسناد حسن . قال المناوى عن الحافظ ابن حجر : وقد اختلف فيه نظر حافظين ، فسلكا طريقين متناقضين ، فصححه الحاكم ، وواه ابن الجوزى والصواب أنه لا يحكم عليه بصحة ولا وضع ولو توبع زافرا لكان حسنا ، لكن جزم العراقى فى «الرد على الصاغانى» والمنذرى فى ترغيبه بحسنه ، قال الألبانى : وهو الصواب الذى يدل عليه مجموع هذه الطرق والله أعلم» أهـ .

(٢) فيض القدير ١/١٠٢ .

● وقال رسول الله ﷺ : « لا حسد إلا في اثنتين : رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار ، ورجل آتاه الله مالا فهو يتفقه آناء الليل وآناء النهار » (١) .

● وقال رسول الله ﷺ : « لا حسد إلا في اثنتين : رجل علمه الله القرآن ، فهو يتلوه آناء الليل وآناء النهار ، فسمعه جار له : فقال : ليتني أوتيت مثل ما أوتي فلان ، فعملت مثل ما يعمل ، ورجل آتاه الله مالا ، فهو يهلكه في الحق ، فقال رجل : ليتني أوتيت مثل ما أوتي فلان ، فعملت مثل ما يعمل » (٢) .

● قال المنذرى في « الترغيب » : [والمراد بالحسد هنا : الغبطة ، وهو تمنى مثل ما للمُعْطَب ، وهذا لا بأس به ، وله نيته ، فإن تمنى زوالها عنه فذلك حرام ، وهو الحسد المذموم] .

● وقال رسول الله ﷺ : « لا تنافس [بينكم] (٣) إلا في اثنتين : رجل أعطاه الله قرآنا فهو يقوم به آناء الليل والنهار ، [ويتبع ما فيه] فيقول رجل : لو أن الله أعطاني ما أعطى فلانا فأقوم به كما يقوم ، ورجل أعطاه الله مالا فهو يُتَفَق منه ويتصدق ، فيقول رجلٌ مثل ذلك » (٤) .

وعن سَمْرَةَ بن جندب رضى الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ يقول لنا « ليس في الدنيا حسد إلا في اثنتين : الرجل يُعْطَى الرجل أن يُعْطِيَهُ اللهُ المَال

(١) رواه البخارى ومسلم والترمذى وابن ماجه وأحمد عن ابن عمر .

(٢) رواه البخارى وأحمد عن أبى هريرة .

(٣) الزيادة التى بين القوسين من « جمع الزوائد كما قال الألبانى وباقى الحديث كما ورد فى الترغيب .

(٤) صحيح : عن يزيد بن الأحنس - وكانت له صحبة - وقال المنذرى والمهيمى فى « المجمع » رواه

الطبرانى فى « الكبير » ورواه ثقات مشهورون . قال الألبانى : وصنيعها يشعر أن الحديث لم يروه

أحمد فى « مسنده » وإلا لعزاه إليه ، وهو ذهول ، فقد أخرجه فيه (١٠٤/٤) بسند جيد ورواه

أبو يعلى من حديث أبى سعيد بإسناد جيد كما قال المنذرى انظر صحيح الترغيب حديث رقم

٦٣٣ ، ٦٣٢ ج ١ ص ٢٦١ .

الكثير فينفق منه فيكثر النفقة . يقول الآخر : لو كان لي مالٌ لأنفقتُ مثل ما ينفق هذا وأحسن . فهو يحسده ، ورجل يقرأ القرآن فيقوم الليل . وعنده رجل إلى جنبه لا يعلم القرآن فهو يحسده على قيامه . أو على ما علمه الله عز وجل القرآن . فيقول : لو علمني الله مثل هذا لقتت مثل ما يقوم» (١) .

● وقال رسول الله ﷺ : « إن لله أهليين من الناس : أهل القرآن هم أهل الله وخاصته » (٢) .

قال المناوي : « أي الذين يختصون بخدمته قال العسكري : هذا على الحجاز والتوسع فإنه لما قرَّبهم واختصهم كانوا كأهله » .

● وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : إرجاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : إن فلانا يُصلي بالليل ، فإذا أصبح سرق . فقال : إنه سينهاه ما تقول» (٣) .

● وقال رسول الله ﷺ : « الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة . يقول الصيام : أي ربّ إني منَّعتهُ الطعام والشهوات بالنهار فشفعني فيه ، يقول القرآن : رب منَّعتهُ النوم بالليل فشفعني فيه فيُشفعان » (٤) .

(١) حديث حسن : رواه الطبراني في « الكبير » قال المنذرى في « الترغيب » في سنده لين . وحسنه الألباني . انظر « صحيح الترغيب والترهيب » حديث رقم ٦٣٠ ج ١ .

(٢) حديث صحيح : عزاه السيوطي في الجامع : لأحمد في مسنده والنسائي وابن ماجه والحاكم في المستدرک عن أنس ، وزاد الألباني والطيالسي وأبو عبيد وابن نصر وابن عساكر ورمز السيوطي لصحته وصححه الألباني أنظر صحيح الجامع رقم (٢١٦١) .

(٣) إسناده صحيح : رواه أحمد في « المسند » والبيهقي في « شعب الإيمان » وقال الألباني إسناده صحيح انظر المشكاة حديث رقم ١٢٣٧ .

(٤) حديث صحيح : عزاه السيوطي في الجامع لأحمد في مسنده ، والطبراني في الكبير ، والبيهقي في « شعب الإيمان » عن ابن عمرو قال المناوي في فيض القدير ج ٤ ص ٢٥٢ : « قال الهيثمي : إسناده حسن ، وقال غيره فيه ابن لهيعة » وأشار السيوطي لصحته ، وصححه الألباني أنظر صحيح الجامع حديث رقم ١٧٧٦ ، تحريج المشكاة رقم ١٩٦٣ .

● وقال رسول الله ﷺ : « عجب ربنا من رجلين : رجل ثار عن وِطائه وحافه ، من بين أهله وحبه إلى صلاته ، فيقول الله جل وعلا : [أيا ملائكتي] ^(١) انظروا إلى عبدى ثار ^(٢) عن فراشه ووطائه من بين حبه وأهله إلى صلاته ، رغبة فيما عندى ، وشفقة مما عندى .

ورجل غزا في سبيل الله ، وانهمز أصحابه ، وعلم ما عليه في الإنهزام ، وماله في الرجوع ، فرجع حتى يهريق دمه ، فيقول الله [ملائكته] ^(٣) : انظروا إلى عبدى رجعا فيما عندى ، وشفقة مما عندى ، حتى يهريق دمه » ^(٤) .

● وعن أبي الدرداء رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال :

« ثلاثة يحبهم الله ، ويضحك إليهم ، ويستبشر بهم : الذى إذا انكشفت فئته قاتل وراءها بنفسه لله عز وجل ، فإما أن يُقتل وإما أن ينصره الله ويكفيه ، فيقول : انظروا إلى عبدى هذا كيف صبر لى بنفسه ؟

والذى له امرأة حسنة وفراشٌ لينٌ حسنٌ ، فيقوم من الليل ، فيقول : يدُرُّ شهوته ويذكرنى ، ولو شاء رقد ، والذى إذا كان فى سفر ، وكان معه ركب ، فسهروا ، ثم هَجَعُوا ، فقام من السحر فى ضراء وسراء » ^(٥)

(١) زيادة من المسند .

(٢) أى نهض ووثب . وانظر رحمك الله إلى ما فيها من العزيمة وعلو الهمة والوظء خلاف الغطاء ، و « حبه » أى حبيبه ، ووقع فى « المسند » حبه .

(٣) زيادة من « المسند » وابن حبان .

(٤) حسن : قال المنذرى فى « الترغيب والترهيب » : رواه أحمد وأبو يعلى والطبرانى وابن حبان فى صحيحه من رواية ابن مسعود ، وحسنه الألبانى . وقال الشيخ شاكراً فى تحقيق المسند : إسناده صحيح . وقال الأرنؤوط والشاويش فى تحقيق شرح السنة : ج ٤ حديث ٩٣٠ : « أخرجه أحمد ورجاله ثقات ، إلا أن عطاء بن السائب قد اختلط وحجاد بن سلمة ممن روى عنه قبل الاختلاط وبعده ، ومع ذلك فقد صححه ابن حبان وحسن إسناده الهيثمى » انظر صحيح الترغيب ولغترهيب حديث رقم ٦٢٦ ج ١ ص ٢٥٨ .

(٥) حسن : رواه الطبرانى فى « الكبير » وقال : إسناده حسن ، وقال الهيثمى فى المجمع « رجاله ثقات » وحسنه الألبانى انظر صحيح الترغيب حديث رقم ٦٢٥ .

بأبي وأمي من يضحك الله إليهم : ثلاثة من الأبرار اثنان منها قاموا الليل أحدهم قامه وسط أهله وترك زوجته الحسناء وفراشه الوثير والآخر قامه في سفر بعد أن كابد السفر وهوله . من ضحك الله إليه لا يدع من الإنعام والإكراه شيئا إلا فعله في حقه .

وقال رسول الله ﷺ : « ثلاثة يحبهم الله وثلاثة يشنؤهم الله الرجل يلقى العدو في فئة فينصب لهم نحره حتى يقتل أو يفتح لأصحابه ، والقوم يسافرون فيطول سراهم حتى يجبوا أن يمسوا الأرض فينزلون ، فيتنحى أحدهم فيصلي حتى يوظفهم لرحيلهم ، والرجل يكون له الجار يؤذيه جاره ، فيصبر على أذاه حتى يفرق بينها موت أو ظعن ، والذين يشنؤهم : التاجر الحلاف ، والفقير المختال ، والبخيل المتأن » (١) يشنؤهم أي يبغضهم .

● عن عقبة بن عامر رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « الرجل من أمتي يقوم من الليل يعالج نفسه إلى الطهور ، وعليه عقد ، فإذا وضأ يديه انحلت عقدة ، وإذا وضأ وجهه انحلت عقدة ، وإذا مسح رأسه انحلت عقدة ، وإذا وضأ رجله انحلت عقدة ، فيقول الله عز وجل للذين وراء الحجاب : انظروا إلى عبدى هذا يعالج نفسه ، ويسألنى ، ما سألتى عبدى هذا فهو له » (٢)

● وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « رَحِمَ اللهُ رجلا قام من الليل فصلى ، وأيقظ امرأته [فصلت] ، فإن أبت نضح في

(١) صحيح : عزاه السيوطى في « الجامع » لأحمد فى مسنده عن أبى ذر قال الحافظ العراقى « فىه ابن الأحمس ولا يعرف حاله قال ورواه أيضا أحمد والنسائى بلفظ آخر بإسناد جيد » وقال الألبانى : رواه الترمذى وابن حبان والحاكم وابن المبارك وابن نصر وابن أبى شيبه والطحاوى وصححه الألبانى انظر صحيح الجامع ٣٠٦٩ والمشكاة (١٩٢٢) .

(٢) حسن : قال المنذرى : رواه أحمد وابن حبان فى « صحيحه » واللفظ له ، وحسنه الألبانى . انظر صحيح الترغيب حديث رقم ٦٢٧ ج ١ ص ٢٥٩ .

وجهها الماء ، [و] رحم الله امرأة قامت من الليل فصلت ، وأيقظت زوجها [فصلى] فإن أتى نضحت في وجهه الماء « (١) .

• وقال رسول الله ﷺ : « من استيقظ من الليل وأيقظ امرأته فصليا ركعتين جميعا كتبا ليلتذ من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات » (٢) .
نضح : قال ابن الأثير رش .

« في وجهها الماء » قال المناوي : « نُبِّه به على ما في معناه من نحو ماء ورد أو زهر ، وخصَّ الوجه بالنضح لشرفه ولأنه محل الحواس التي بها يحصل الإدراك . قال المناوي : (أفاد كما قال الطيبي : أن من أصاب خيرا ينبغي أن يجب لغيره ما يجب لنفسه فيأخذ بالأقرب فالأقرب . فقوله « رحم الله رجلا » تنبيه للأمة بمتزلة رش الماء على الوجه لاستيقاظ النائم وذلك أن المصطفى ﷺ لما نال ما نال بالتهجد من الكرامة أراد أن يحصل لأُمَّته حظ من ذلك ، فحشم عليه عادلا عن صبغة الأمر للتلطف) (٣)

• وقال رسول الله ﷺ : « إذا استيقظ الرجل من الليل ، وأيقظ أهله وصليا ركعتين كتبا من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات » (٤)

(١) صحيح : رواه ابو داود والنسائي وابن ماجه واحمد وابن خزيمة وابن حبان في « صحيحه » والحاكم . وقال الحاكم : صحيح على شرط مسلم . وقال المناوي في فيض القدير حديث رقم ٤٤٣١ : قال النووي : إسناده صحيح ، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم ٣٤٨٨ وحسنه في صحيح الترغيب حديث رقم ٦٢١ وقال مصطفي الأعظمي : إسناده صحيح . وحسن إسناده عبد القادر الأرنؤوط في تحف العقول مع الأصول . وقال في عون المعبود « وفي إسناده محمد ابن عجلان وقد وثقه الإمام أحمد ويحيى بن معين وأبو حاتم الرازي واستشهد به البخاري وأخرج له مسلم في المتابعة وتكلم فيه بعضهم .

(٢) حديث رقم (٢) صحيح : أخرجه أبو داود والحاكم في المستدرک عن أبي سعيد وأبي هريرة معا ، وابن حبان في صحيحه وصححه الألباني انظر صحيح الجامع رقم (٥٩٠٦) ص ٢٤٣ ، وصحح إسناده عبد القادر الأرنؤوط .

(٣) فيض القدير ٤/٢٥/٢٦ .

(٤) صحيح : عزاه السيوطي في الجامع لأبي داود والنسائي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه والحاكم في « المستدرک » عن أبي هريرة وأبي سعيد معا وصححه السيوطي والألباني انظر صحيح الجامع حديث (٣٣٠) ج ١ ص ١٥١ .

● وعن ابن عباس رضى الله عنها قال : ذكرتُ القيام فقال بعضهم إن رسول الله ﷺ قال : « نصفه ، ربعه ، فُواقَ حلب ناقة » (١)

[« نصفه ، ثلثه ، ربعه ، فُواقَ حلب ناقةً ، فُواقَ حلب شاة »] (٢)

فُواق الناقة هنا : هو قدر ما بين رفع يديك عن الضرع وقت الحلب وضمها .

● عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنها قال : قال رسول الله ﷺ : « من قام بعشر آيات لم يكتب من الغافلين ، ومن قام بمائة آية كتب من القانتين ، ومن قام بألف آية كتب من المقنطرين » (٣)

قوله « من المقنطرين » أى ممن كتب له قنطار من الأجر .

وقال الحافظ ابن حجر « من سورة ﴿ تبارك الذى بيده الملك ﴾ » إلى آخر القرآن ألف آية والله أعلم .

● وقال رسول الله ﷺ : « من قرأ بمائة آية فى ليلة كُتِبَ له قنوت ليلة » (٤)

أى عبادتها كما قال المناوى .

(٢) رواية « مجمع الزوائد » (١ ، ٢) صحيح : قال المنذرى : رواه أبو يعلى ورجاله محتج بهم فى الصحيح . وقال الهيثمى رجاله رجال الصحيح ووافقه البوصيرى وصححه الألبانى فى صحيح الترغيب حديث ٦٢٣ وأشار إلى صحته جيب الرحمن الأعظمى فى تحقيق « المطالب العالمة » حديث رقم ٥٢٢ .

(٣) صحيح : قال المنذرى : رواه أبو داود وابن خزيمة فى صحيحه كلاهما من رواية أبى سوية : عن أبى جحيرة عن عبد الله بن عمرو . وقال ابن خزيمة « إن صح الخبر فإنى لا أعرف أبى سوية بعدالة ولا جرح » . قال الألبانى عن أبى سوية : « قد روى عنه جماعة من الثقات ولذلك قال الحافظ فيه : « صدوق » ورواه أيضا ابن حبان فى صحيحه وقال الألبانى فى التعليق على صحيح ابن خزيمة : إسناده جيد ، وحسنه فى صحيح الترغيب رقم ٦٣٥ ، وصححه فى صحيح الجامع رقم ٦٣١٥ أنظر الصحيحة رقم ٦٤٢ .

(٤) صحيح : رواه أحمد فى مسنده والنسائى عن نعيم . قال الهيثمى : فيه سليمان بن موسى الشامى وثقه ابن معين وأبو حاتم . وقال البخارى عنده مناكير ، قال الحافظ العراقى : إسناده صحيح وصححه الألبانى فى صحيح الجامع رقم ٦٣٤٤ والصحيحة ٦٤٤ .

• وعن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال : « من حافظ على هؤلاء الصلوات المكتوبات لم يكن من الغافلين ، ومن قرأ في ليلة مائة آية لم يكتب من الغافلين ، أو كتب من القانتين » (١)

« من قرأ عشر آيات في ليلة لم يكتب من الغافلين » (٢)

• وعن فضالة بن عبيد وتميم الدارى رضى الله عنهما عن النبي ﷺ قال : « من قرأ عشر آيات في ليلة كتب له قنطار (من الأجر) والقنطار خير من الدنيا وما فيها ، فإذا كان يوم القيامة يقول ربك عز وجل اقرا وارق بكل آية درجة ، حتى ينتهى إلى آخر آية معه ، يقول الله عز وجل للعبد : اقبض . فيقول العبد بيده : يارب ! أنت أعلم . يقول : بهذه الخلد (٣) ، وبهذه النعم (٤) »

• عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : ذكر عند النبي ﷺ رجل نام ليلة حتى أصبح ، قال « ذاك رجل بال الشيطان في أذنه أو قال في أذنيه » (٥)

(نام ليلة حتى أصبح) قال الحافظ « يراد به صلاة الليل أو المكتوبة » قال الحافظ في الفتح « واختلف في بول الشيطان ، فقيل هو على حقيقته . قال القرطبي وغيره : لا مانع من ذلك ، إذ لا إحالة فيه لأنه ثبت أن الشيطان يأكل ويشرب وينكح ، فلا مانع من أن يبول . وقيل هو كناية عن سد الشيطان أذن الذى ينام عن الصلاة حتى لا يسمع الذكر . وقيل معناه أن

(١) صحيح ، رواه ابن خزيمة في صحيحه والحاكم وقال الألبانى في التعليق على صحيح ابن خزيمة وإسناده على شرط الشيخين « انظر الصحيحة رقم ٦٤٣ وصحيح الترغيب رقم ٦٣٦ .
(٢) قال الحاكم على شرط مسلم .

(٣) قال الألبانى : أى اقبض يمينك على الخلد وشمالك على النعم كما في رواية أخرى لابن عساكر وفي أولها زيادة وقد خرجتها في الضعيفة رقم (٥٤٩٥) .

(٤) حسن ، قال المنذرى : رواه الطبرانى في « الكبير » و « الأوسط » بإسناد حسن وفيه إسماعيل بن عياش عن الشاميين ، وروايته عنهم مقبولة عند الأكثرين وحسنه الألبانى : انظر صحيح الترغيب رقم ٦٣٤ .

(٥) رواه البخارى ومسلم والنسائى .

الشیطان ملأ سمعه بالأباطیل فحجب سمعه عن الذکر . وقیل هو کنایة عن ازدراء الشیطان به . وقیل معناه أن الشیطان استولى علیه ، واستخف به حتی اتخذہ كالکنیف المعد للبول ، إذ من عادة المستخف بالشیء أن یبول علیه . وقیل هو مثل مضروب للغافل عن القیام بثقل النوم کمن وقع البول فی أذنه فثقل أذنه ، وأفقد حسه ، والعرب تکنى عن الفساد بالبول قال الراجز :
 بال سهیل فی الفسیخ ففسد . وکنى بذلك عن طلوعه لأنه وقت إفساد الفسیخ فعبر عنه بالبول .

قال الحسن : إن بوله والله لثقیل .

قال ابن مسعود : « حسب الرجل من الخیبة والشر أن ینام حتی یصبح وقد بال الشیطان فی أذنه » (١) .

وقال الطیبی : خص الأذن بالذکر وإن كانت العین أنسب للنوم إشارة إلى ثقل النوم ، فإن المسامع هو موارد الإنباه ، وخص البول لأنه أسهل مدخلا فی التجاویف ، وأسرع نفوذا فی العروق فیورث الكسل فی جمیع الأعضاء » (٢) أهـ .

● وعن ابی هريرة رضی الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله یبغض کل جمعطری جواظ صحَّاب فی الأسواق ، جيفة باللیل ، حمار بالنهار ، عالم بأمر الدنیا ، جاهل بأمر الآخرة » (٣) .

● عن أنس رضی الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « جعل الله علیکم صلاة قوم أبرار ، یقومون لللیل ویصومون النهار لیسوا بأثمّة ولا فُجّار » (٤) صلاة

(١) قال الحافظ فی الفتح ج ٣ « موقوف صحیح الإسناد » .

(٢) فتح الباری ج ٣ باب : « إذا نام ولم یصل بال الشیطان فی أذنه » .

(٣) صحیح : رواه ابن حبان فی صحیحه ، والبیهقی فی السنن الكبرى ، وصححه الألبانی فی الأحادیث الصحیحة (١٩٥) ، ، صحیح الجامع ، رقم ١٨٧٤ .

(٤) صحیح : رواه عبد بن حمید ، والضیاء عن أنس وصححه الألبانی فی الصحیحة رقم (١٨١٠) وصحیح الجامع رقم (٣٠٩٢) .

قوم : أى دعاء قوم ، فرسول الله ﷺ فى دعائه هذا يجعل أول صفات الأبرار قيامهم بالليل .

• عن عبد الله بن أبى قيس قال : قالت عائشة : « لا تدع قيام الليل ، فإن رسول الله ﷺ كان لا يدعه ، وكان إذا مرض أو كسل صلى قاعدا »^(١) .
وعند ابن خزيمة « كان لا يذره ، وكان إذا مرض أو كسل صلى قاعدا » .

• عن أبى مسلم قال قلت لأبى ذر رضى الله عنه : أى قيام الليل أفضل ؟ قال أبو ذر ؛ سألت رسول الله ﷺ كما سألتنى يشك عوف فقال : « جوف الليل الغابر أو نصف الليل وقليل فاعله »^(٢) .

قال الساعق فى الفتح الربانى :

« شك عوف أحد الرواة فى قوله جوف الليل الغابر أو نصف الليل .
(جوف الليل) : ثلثه ، (والغابر) : الباقى أى ثلثه الآخر وهو الجزء الخامس من أسداس الليل ، ولفظ الغابر يطلق على الماضى والباقى ، لأنه من الأضداد ، والمعروف الكثير أن الغابر الباقى ، وهو المراد هنا » .

• عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « من صلى فى ليلة بمائة آية لم يكتب من الغافلين ، ومن صلى فى ليلة بمائتى آية فإنه يكتب من القانتين المخلصين »^(٣) .

• عن عبد الله بن مسعود أنه قال : ألا إن الله يضحك إلى رجلين : رجل

(١) إسناده صحيح : رواه أبو داود ، وابن خزيمة : وقال الألبانى إسناده صحيح على شرط مسلم انظر تحقيق صحيح ابن خزيمة ، وقال الشيخ عبد القادر الأرنؤوط : إسناده صحيح انظر جامع الأصول ج ٦ .

(٢) سنده جيد : رواه أحمد فى « مسنده » وقال الساعق « سنده جيد » انظر الفتح الربانى لترتيب مسند أحمد بن حنبل الشيبانى على أبواب البخارى ٢٣٥/٤ .

(٣) صحيح : أخرجه الحاكم فى المستدرک ٣٠٩/١ وقال صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبى وأورده الألبانى فى مقام احتجاج به .

قام في ليلة باردة من فراشه ولحافه ودثاره ، فتوضأ ثم قام إلى الصلاة ، فيقول الله عز وجل للملائكة : ما حمل عبدى هذا على ما صنع ، فيقولون : ربنا رجاء ما عندك ، وشفقة مما عندك ، فيقول فإني قد أعطيته مارجاً ، وأمته مما يخاف ^(١) . وقيام الليل يدفع إلى التفكير وإلى الزهد في الدنيا .

• عن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ أن بني إسرائيل استخلفوا خليفة عليهم بعد موسى عليه السلام فقام يصلى ذات ليلة فوق بيت المقدس في القمر ، فذكر أموراً كان صنعها فخرج فتدلى بسبب ، فأصبح السبب معلقاً في المسجد ، وقد ذهب ، قال : فانطلق حتى أتى قوماً على شط البحر فوجدهم يضربون لبنا أو يصنعون لبنا ، فسألهم : كيف تأخذون على هذا اللبن ؟ فأخبروه فلبن معهم ، فكان يأكل من عمل يده ، فإذا كان حين الصلاة قام يصلى ، فرفع ذلك العمال إلى دهقانهم أن فينا رجل يفعل كذا وكذا ، فأرسل إليه فأبى أن يأتيه ثلاث مرات ، ثم إنه جاء يسير على دابته ، فلما رآه فرّ فاتبعه فسبقه ، فقال : انتظرني أكلمك ، فقام حتى كلمه ، فأخبره خبره ، فلما أخبره أنه كان ملكاً ، وأنه قر من رهبة ربه ، قال : إني لأظنني لاحق بك ، قال فاتبعه فعبداً الله حتى ماتا برميلة مصر ، قال عبد الله لو أنى كنت ثم لا هتديت إلى قبريها بصفة رسول الله ﷺ الذى وصف لنا ^(٢)

وفي رواية : فقال : ما أنت بأحوج إلى ما صنعت متى ، قال : ثم نزل عن دابته فسيبها ، ثم تبعه ، فكانا يعبدان الله عز وجل ، فدعوا الله أن يميتهما جميعاً ، قال : فماتا .
السبب : أى الحبل ونحوه .

(١) إسناده حسن : رواه الطبراني في الكبير وقال الهيثمى في مجمع الزوائد ج ٢ ص ٢٥٧ ، إسناده حسن .

(٢) رواه البزار والطبراني في الأوسط والكبير وقال الهيثمى إسناده حسن ورواه أحمد في مسنده وقال الساعقانى : إسناده حسن لأن يزيد بن هرون سمع من المسعودى بعد تغيره .

هدى الرسول ﷺ في القيام

هدى رسول الله ﷺ في القيام .

● عن أبي هريرة - وهو يقصص في قصصه - وهو يذكر رسول الله ﷺ :

« إن أخطأ لكم لا يقول الرفث ، يعني بذلك عبد الله بن رواحة : -
وفينا رسول الله يتلو كتابه إذا انشق معروف من الفجر ساطع
أرانا الهدى بعد العمى فقلوبنا به موقنات أن ما قال واقع
بيت يجافى جنبه عن فراشه إذا استثقلت بالمشركين المضاجع (١)

الرفث : الباطل أو الفحش من القول .

يقال سطم إذا ارتفع « من الفجر » بيان للمعروف الساطع (٢)
يجافى جنبه : كناية عن صلواته بالليل .

● ويرحم الله شوقي حين يقول عن الرسول ﷺ :

مُحِبِّي اللَّيْلِ صَلَاةً ، لَا يَقْطَعُهَا إِلَّا بَدَمِجٍ مِنَ الْإِشْفَاقِ مُنْجِمٍ -
مُسَبِّحًا لَكَ جَنَحَ اللَّيْلِ ، مُحْتَمِلًا ضُرًّا مِنَ السُّهْدِ ، أَوْ ضُرًّا مِنَ الْبُرْمِ -
رَضِيَّةً نَفْسَهُ ، لَا تَشْكِي سَأْمًا وَمَا مَعَ الْحَبِّ إِنْ أَخْلَصْتَ مِنْ سَأْمِ (٣)

● ● كان قيامه ﷺ لربه مُخْلِصًا له الدين :-

كان رسول الله ﷺ سيد المخلصين والمخلصين ، أطال النظر إلى خالقه ومولاه
فشغل عن المخلوق .

(١) أخرجه البخاري في كتاب التهجد من صحيحه ، باب فضل من تعار من الليل .

(٢) أنظر فتح الباري ج ٣ كتاب التهجد باب فضل من تعار من الليل .

(٣) الشوقيات لأمر الشعراء أحمد شوقي ج ١ ص ٢٠٧ طبع المكتبة التجارية الكبرى .

«إستعداده للقيام» نَوْمُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ذَاكِرًا لِلَّهِ نَائِيًا لِلْقِيَامِ

كان رسول الله ﷺ يندندن حول القيام ، ويتخذ السبل التي تهيئ له هذا الأمر .

فخشونة فراشه سبب يمهده للقيام كان ينام على الحصير حتى يخط في جنبه الشريف :-

● عن أنس بن مالك قال : دخلت على رسول الله ﷺ وهو على سرير مضطجع مرمل بشریط^(١) ، وتحت رأسه وسادة من آدم حشوها ليف ، فدخل عليه نفر من أصحابه ، ودخل عمر فانحرف رسول الله ﷺ انحرافه فلم ير عمر بين جنبيه وبين الشريط ثوبًا ، وقد أثر الشريط بجنب رسول الله ﷺ فبكى عمر ، فقال النبي ﷺ : ما يبكيك يا عمر ؟ قال : والله ألا أن أكون أعلم أنك أكرم على الله عز وجل من كسرى وقبصر وهما يعبثان في الدنيا فيما يعبثان ، وأنت يا رسول الله بالمكان الذي أرى ، فقال النبي ﷺ : «أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة ؟» قال عمر : بلى ، قال : فإنه كذلك^(٢) .

وعند مسلم من حديث عمر : «فدخلت على رسول الله ﷺ وهو مضطجع على حصير فجلست ، فأدنى عليه إزاره وليس عليه غيره ، وإذا الحصير قد أثر في جنبه»^(٣) الحديث .

● وعن ابن عباس رضي الله عنهما «أن رسول الله ﷺ دخل عليه عمر وهو

(١) مرمل : مصنوع ، شريط : حبل يُقتل من الخوص .

(٢) أخرجه أحمد في مسنده ، وهو عند البخارى ومسلم وابن ماجه من حيث عمر =

(٣) رواه مسلم كتاب الطلاق باب الإيلاء واعتزال النساء .

على حصر قد أثر في جنبه فقال : يا نبي الله لو اتخذت فراشاً أوثر من هذا ؟ فقال
مالي وللدنيا ما مثلي ومثل الدنيا إلا كراكب سار في يوم صائف فاستظل تحت
شجرة ساعة من نهار ثم راح وتركها^(١) .

● وعن عائشة رضی الله عنها قالت : كانت وسادته التي ينام عليها بالليل من
أدم حشوها ليف^(٢) .

وها هو رسول الله ﷺ وهو الذي كانت تنام عيناه ولا ينام قلبه ، وهو
الذي كان سيد العابدين إلى يوم القيامة يتخذ فراشاً من حصر ، ووسادة من
جلد حتى لا تلهيه عن قيام الليل معلماً بذلك أمته .

قال المناوي رحمه الله : « الأولى لمن غلبه الكسل ، والميل للدعة والترفة أن
لا يبالي في حشو الفراش لأنه سبب لكثرة النوم والغفلة والشغل عن مهمات
الخيرات »^(٣) .

● وكانت كيفية نومه وهديه فيه تعينه على القيام :-

فلقد كان رسول الله ﷺ يضطجع على شقه الأيمن عند نومه .

فمن حفصة رضی الله عنها قالت : « كان إذا أخذ مضجعه جعل يده اليمنى
تحت خده الأيمن »^(٤) .

وفي نوم رسول الله ﷺ بهذه الكيفية سر لطيف يبينه لنا شيخ الإسلام ابن

(١) صحيح : أخرجه أحمد في مسنده وتفرد به وعنه في تاريخ ابن كثير ، والحاكم في المستدرک ،
وقال الهيثمي : رجال أحمد رجال الصحيح غير هلال بن خباب وهو ثقة وقال الشيخ شاكر
إسناده صحيح وقال الألباني حديث صحيح : أنظر المسند حديث رقم ٢٧٤٤ وصحيح الجامع
رقم ٥٥٤٥ .

(٢) تخريج الحديث رقم (٢) « كان وسادته » صحيح : أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي وابن
ماجة وحسنه السيوطي وصححه الألباني « صحيح الجامع رقم (٤٧١٤) »

(٣) فيض القدير للمناوي ج ٥ ص ١٨٠ .

(٤) صحيح : رواه الطبراني في « الكبير » عن حفصة ، وخرجه الترمذي عن البراء بزيادة « وقال رب
قني عذابك يوم تبعث عبادك » . قال المناوي : وأشار المؤلف - أي السيوطي - إلى صحته ،
وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٤٥٢٣) .

قيم الجوزية فيقول رحمه الله : « وفي اضطجاعه على شقه الأيمن سر ، وهو أن القلب معلق في الجانب الأيسر ، فإذا نام على شقه الأيسر ، استثقل نوماً ، لأنه يكون في دعة واستراحة ، فيثقل نومه ، فإذا نام على شقه الأيمن ، فإنه يثقل ولا يستغرق في النوم ، لثقل القلب ، وطلبه مستقره وميله إليه ، ولهذا استحَب الأطباء النوم على الجانب الأيسر لكمال الراحة وطيب المنام ، وصاحب الشرع يستحب النوم على الجانب الأيمن لثلا يثقل نومه فينام عن قيام الليل ، فالنوم على الجانب الأيمن أنفع للقلب ، وعلى الجانب الأيسر أنفع للبدن والله أعلم » (١) .

« أذكار النوم » :-

كان رسول الله ﷺ يبيت وينام على ذكر الله كما قال الشاعر :
وآخر شيء أنت في كل هجعة وأول شيء أنت عند هبوي
ومن أذكار النوم :-

● « كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن ينام قال « باسمك اللهم أموت وأحيا » وإذا استيقظ من نومه قال « الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور » (٢) .

● وعن عائشة أن النبي ﷺ كان إذا آوى إلى فراشه كل ليلة : جمع كفيه ، ثم نفث فيها يقرأ فيها : ﴿ قل هو الله أحد ﴾ و ﴿ قل أعوذ برب الفلق ﴾ و ﴿ قل أعوذ برب الناس ﴾ ثم يمسخ بها ما استطاع من جسده يبدأ بها على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده يفعل ذلك ثلاث مرات (٣) .
وفي حديث أبي هريرة : « إذا أويت إلى فراشك فاقراً آية الكرسي » ﴿ الله

(١) ازاد العباد لابن القيم ج ١ ص ٣٢١ ، ٣٢٢ مؤسسة الرسالة ... « تحقيق شعيب وعبد القادر الأرنؤوط » .

(٢) رواه مسلم والنسائي وأحمد في مسنده عن البراء ، والبخاري وأحمد وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه عن حذيفة وأحمد والبخاري ومسلم عن أبي ذر

(٣) رواه البخاري ومسلم

لا إله إلا هو الحى القيوم ﴿﴾ حتى تحتمها ، فإنه لن يزال عليك من الله حافظ ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح ، فقال النبي ﷺ : « صدقك وهو كذوب »^(١)

• وفي الصحيحين عن أبي مسعود الأنصارى عن النبي ﷺ قال : « من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه » .

وفي الصحيحين عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « إذا قام أحدكم عن فراشه ثم رجع إليه ، فليفضه بصنفة إزاره ثلاث مرات ، فإنه لا يدري ما خلّفه عليه بعده ، وإذا اضطجع فليقل : باسمك ربى وضعت جنبي ، وبك أرفعه ، فإن أمسكت نفسي فارحمها ، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين ، فإذا استيقظ فليقل الحمد لله الذى عافانى فى جسدى ، وردّ علىّ روحى وأذن لى بذكره »^(٢) .

وصنفة الإزار : طرفه مما يلي طرفه كما فى « النهاية » .

عن أنس بن مالك أن النبي ﷺ « كان إذا آوى إلى فراشه قال : « الحمد لله الذى أطعنا وسقانا ، وكفانا ، وآوانا فكم ممّن كافى له ولا مؤوى له »^(٣) وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال :

« إذا آوى أحدكم إلى فراشه ، فليفضه بداخله إزاره ، فإنه لا يدري ما خلّفه عليه ، ثم ليضطجع على شقه الأيمن ، ثم ليقبل : باسمك ربى وضعت جنبي ، وبك أرفعه ، إن أمسكت نفسي فارحمها ، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين »^(٤)

وفي صحيح مسلم عن ابن عمر أن رجلاً إذا أخذ مضجعه أن يقول : « اللهم أنت خلقت نفسى ، وأنت تتوفأها ، لك مماتها ومحياها ، إن أحييتها

(١) جزء من حديث فى البخارى .

(٢) حسن : رواه الترمذى وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع رقم ٧٢٩ .

(٣) رواه مسلم وأبو داود والترمذى والنسائى وأحمد فى مسنده .

(٤) رواه البخارى ومسلم وأبو داود .

فاحفظها ، وإن أمتها فاغفر لها ، اللهم إني أسألك العافية » قال ابن عمر :
سمعتن من رسول الله ﷺ .

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة أن النبي ﷺ « كان إذا أوى إلى فراشه
قال : « اللهم رب السموات ورب الأرض ورب العرش العظيم ، ربنا ورب كل
شيء فالق الحب والنوى ، منزل التوراة والإنجيل والفرقان ، أعوذ بك من شر
كل ذي شر أنت آخذ بناصيته ، أنت الأول فليس قبلك شيء ، وأنت الآخر
فليس بعدك شيء ، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك
شيء ، اقض عنا الدين ، وأغننا من الفقر » .

وعن عبادة بن أخضر أن رسول الله ﷺ « كان إذا أخذ مضجعه قرأ :

﴿ قل يا أيها الكافرون ﴾ حتى يختمها (١) .

وعن أبي الأزهر أن رسول الله ﷺ : « كان إذا أخذ مضجعه من الليل
قال : « بسم الله وضعت جنبي ، اللهم اغفر لي ذنبي ، واخسأ شيطاني ، وفكَّ
رهاني ، وثقل ميزاني ، واجعلني في الندى الأعلى » (٢)

(١) حسن : رواه الطبراني في « الكبير » : ورمز السيوطي لحسنه ، قال المناوي : وليس كما زعم فقد
أعله الهيشي وغيره بأن فيه يحيى الجاني ويحيى الجعفي وكلاهما ضعيف جداً « فيض القدير ج ٥
حديث رقم (٦٥٤١) وحسنه الألباني في صحيح الجامع رقم (٤٥٢٤) وابن أخضر هو عبادة
ابن عبادة بن علقمة المازني المصري المعروف بابن أخضر وكان زوج أمه وليس بصحابي كما قاله
المناوي .

(٢) صحيح : رواه أبو داود والحاكم في المستدرک وحسنه المناوي وصححه الحاكم والسيوطي
والألباني صحيح الجامع رقم (٤٥٢٥) .

(٢) حديث رقم (٢) : قال المناوي في فيض القدير ج ٥ ص ٩٢ : « وهذا دعاء يجمع خير الدنيا
والآخرة فتأكد المواظبة عليه كلما أريد النوم ، وهو من أجل الأدعية المشروعة عنده على كثرتها .
وقال ص ٩١ ، ٩٢ : قوله « اخسأ شيطاني » أي اجعله خاسئاً مطروداً وهو يوصل الهمزة
(وفك رهاني) أي خلصني من عقاب ما اقترفت نفسي من الأعمال التي لا ترتضيها بالعفو عنها ،
والرهان كسهم الرهن وهو ما يجعل وثيقه بالدين والمراد هنا نفس الإنسان لأنها مرهونة بملها
﴿ كل امرئ بما كسب رهين ﴾ .

(واجعلني في الندى الأعلى) : أي الملاء الأعلى من الملائكة ، والندى . بفتح النون وكسر الدال =

وعن حفصة أن رسول الله ﷺ « كان إذا أراد أن يرقد ، وضع يده اليمنى تحت خده ، ثم يقول « اللهم قني عذابك يوم تبعث عبادك » (ثلاث مرات) (١) .

وعن حذيفة أن رسول الله ﷺ : « كان إذا نام وضع يده اليمنى تحت خده وقال : « اللهم قني عذابك يوم تبعث عبادك » (٢) .

وفي الصحيحين عن البراء بن عازب قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا أتيت مضجعك ، فتوضأ وضوءك للصلاة ، ثم اضطجع على شقك الأيمن وقل اللهم إني أسلمت نفسي إليك ، ووجهت وجهي إليك ، وفوضت أمري إليك ، وألجأت ظهري إليك ، ورغبة ورهبة إليك ، لا ملجأ ولا منجأ منك إلا إليك ، آمنت بكتابك الذي أنزلت ، وبنبيك الذي أرسلت ، فإن متَّ متَّ على الفطرة واجعلهن آخر ما تقول . »

وعن أنس رضی الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « اقرأ ﴿ قل يا أيها الكافرون ﴾ عند منامك ، فإنها براءة من الشرك » (٣) .
وفي وصيته لفاطمة حين أتت إليه تطلب خادماً وتشكو إليه تعبها قال ﷺ

= وتشديد الباء كما في « الأذكار » القوم مجتمعون في مجلس ومنه النادى .
(أبي الأزهر) قال النووي في الأذكار : ويقال أبو زهير الأعمري الشامي ، قال البغوي في المعجم لم ينسب ، ولا أدرى أله صحبة أم لا ، وفي التقريب : صحابي لا يعرف اسمه .
(١) حديث رقم (١) : حديث صحيح : رواه أبو داود والنسائي في اليوم والليلة . ورمز السيوطي لحسنه وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٤٥٣٢) .
قال المناوي : « والظاهر حصول أصل السنة بمرة وكماها باستكمال الثلاث » ويدل على كلامه الحديث رقم (٢) .

(٢) صحيح : رواه أحمد والترمذي والنسائي عن البراء ، وأحمد والترمذي عن حذيفة ، وأحمد وابن ماجه عن ابن مسعود . وقال الترمذي : حسن صحيح . وقال ابن حجر : إسناده صحيح ورمز السيوطي لتصحيحه وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٤٦٦٦) .
(٣) صحيح : أخرجه البيهقي في « شعب الإيمان » عن أنس ، وأحمد في مسنده والبخاري في « التاريخ وأبو داود والترمذي وابن حبان في صحيحه والحاكم في المستدرک وابن السني عن نوفل ، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (١١٧٢) .

لها ولعلی : « ألا أدلكما على خير لكما من خادم ، إذا أويتما إلى فراشكما فسبحا ثلاثاً وثلاثين ، واحمدا ثلاثاً وثلاثين ، وكبِراً أربعاً وثلاثين فإنه خير لكما من خادم » (١)

ما كان يبدأ به ﷺ من ذكر الله عند الانتباه من النوم عن عبادة بن الصامت عن النبي ﷺ :

« من تعارَ من الليل فقال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير ، الحمد لله وسبحان الله ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، ولا حول ولا قوة إلا بالله . ثم قال : اللهم اغفر لي - أو دعا استجيب له فإن توفياً قُبِلت صلاته » (٢)

عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ : « إذا استيقظ أحدكم فليقل : الحمد لله الذي ردّ علي رُوحِي ، وعافاني في جسدي ، وأذن لي بذكركه » (٣) .
عن ربيعة بن كعب الأسلمي رضي الله عنه قال : « كنت أبيت عند حجرة النبي ﷺ ، فكنت أسمعُه إذا قام من الليل يقول « سبحان الله رب العالمين » الهوى ، ثم يقول : « سبحان الله وبحمده » الهوى (٤) .
والهوى : الزمان الطويل .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : « كان رسول الله ﷺ إذا تضرّع من

(١) جزء من حديث علي وهو متفق عليه.

(٢) سبق تخريجه البخاري وأصحاب السنن الأربعة.

(٣) حسن : رواه الترمذي وابن السنن وحسنه الألباني صحيح الجامع رقم (٣٢٦) .

(٤) سنده صحيح : رواه النسائي والترمذي نحوه وقال : هذا حديث صحيح ، وأخرجه أبو عوانة في

صحيحه بتمامه . وقال الألباني في تخريج المشكاة « أخرجه في الأدب وسنده صحيح على شرط

مسلم ، وقد أخرج طرفه الأول بزيادة فيه » أنظر المشكاة حديث رقم (١٢١٨) .

الليل قال : لا اله إلا الله الواحد القهار ، رب السموات والأرض وما بينهما
العزيز الغفار»^(١) .

تصور : تلوى وتقلب ظهراً لبطن

عن حذيفة قال : « كان النبي ﷺ إذا أوى إلى فراشه قال : « باسمك أموت
وأحيا » وإذا قام قال : « الحمد لله الذي احيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور »^(٢) .
وفي الصحيحين عن النبي ﷺ :

« الحمد لله الذي عافاني في جسدي وردّ عليّ روحي ، وأذن لي بذكره » .
وعن أبي هريرة أن النبي ﷺ : كان إذا كان في سفر وأسحر يقول : « سمع
سامع بحمد الله وحسن بلائه علينا ، ربنا صاحبنا وأفضل علينا عائذاً بالله من
النار »^(٣)

إذا أسحر : قال النووي : معناه قام في السحر ، أو انتهى سيره إلى السحر
وهو آخر الليل .

هديه في التسوك لقيام الليل :-

عن حذيفة رضي الله عنه قال : « كان النبي ﷺ إذا قام من الليل يشوص
فاه بالسواك »^(٤)

-
- (١) صحيح :- أخرجه النسائي والحاكم في المستدرک ، وابن حبان في صحيحه وابن السني ، وأبوز
نصر في قيام الليل وابن منده والسهمي .
وقال الحاكم . على شرط الشيخين وواقفه الذهبي ، وقال الحافظ العراقي في أماليه حديث
صحيح ورمز لصحته السيوطي وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم ٤٥٦٩ ص ٢١٣ ،
وانظر فيض القدير ج ٥ حديث ٦٦١٥ .
- (٢) البخاري في كتاب الدعوات باب : مايقول إذا نام ج ١١ ص ١١٣ .
- (٣) صحيح مسلم - كتاب الأدعية ص ٥٦٧ .
- (٤) رواه البخاري مسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه وأحمد في مسنده عن حذيفة . والإسناد عند
البخاري كله كوفيون . وفي رواية مسلم إذا قام ليتهجد .

قال ابن حجر في الفتح : [الشَّوْصُ : بالفتح الغسل والتنظيف كذا في الصحاح] .

وفي المحكم : الغسل ، والتنقية عن أبي عبيد ، والدلك عند ابن الأنباري .
وقيل الإمرار على الأسنان من أسفل إلى فوق ، واستدل قائله بأنه مأخوذ من الشوصة وهي ريح ترفع القلب عن موضعه ، وعكسه الخطابي فقال : هو ذلك الأسنان أو الأصابع عرضاً

قال ابن دقيق العيد : فيه استحباب السواك عند القيام من النوم ، لأن النوم مقتض لتغير الفم لما يتصاعد إليه من أبخرة المعدة ، والسواك آلة تنظيفه فيستحب عند مقتضاه . قال : وظاهر قوله « من الليل » : عام في كل حالة ، ويحتمل أن يخص بما إذا قام إلى الصلاة . قلت : ويدل عليه رواية المصنف في الصلاة بلفظ « إذا قام للتهجد » ولمسلم نحوه . « كان النبي ﷺ إذا قام للتهجد يشوص فاه بالسواك . وحديث ابن عباس يشهد له ، وكان ذلك هو السر في ذكره في الترجمة » (١)

ولقد ذكره البخاري في باب « طول القيام في صلاة الليل »
واستشكل ابن بطال دخوله في هذا الباب فقال : لا مدخل له هنا لأن التسوك في صلاة الليل لا يدل على طول الصلاة . قال : ويمكن أن يكون ذلك من غلط الناسخ فكتبه في غير موضعه ، أو أن البخاري أعجلته المنية قبل تهذيب كتابه ، فإن فيه مواضع مثل هذا تدل على ذلك .

وقال ابن المنير : يحتمل أن يكون أشار إلى أن استعمال السواك يدل على ما يناسبه من إكمال الهيئة والتأهب ، وهو دليل طول القيام إذ التخفيف لا يتبها له هذا التهيؤ الكامل .

وقال ابن رشيد : الذي عندي أن البخاري إنما أدخله لقوله « إذا قام

(١) فتح الباري ج ٢ ص ٣٥٦

للتَّهْجِدُ» أي إذا قام لعادته ، وقد تبينت عادته في الحديث الآخر .
وكلف التَّهْجِدُ مع ذلك مشعر بالسهر ، ولا شك أن في التسوك عونا على دفع
النوم فهو مشعر بالاستعداد للإطالة .

وقال البدر بن جماعة : يظهر لي أن البخاري أراد بهذا الحديث استحضار
حديث حذيفة الذي أخرجه مسلم

وأقرب الأقوال توجيه ابن رشيد^(١) . أ . هـ . قول ابن حجر

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ « كَانَ يُصَلِّي بِاللَّيْلِ
رَكْعَتَيْنِ رَكْعَتَيْنِ ، ثُمَّ يَنْصَرِفُ فَيَسْتَاكُ »^(٢)

[قال أبو شامة : يعنى : وكان يتسوك لكل ركعتين ، وفي هذا موافقة لما
يفعله كثير في صلاة التراويح وغيرها ، قال العراقي : مقتضاه أنه لو صلى صلاة
ذات تسليمت كالضحى والتراويح يستحب أن يستاك لكل ركعتين وبه صرح
النووي]^(٣) .

وعن ابن عمر أن النبي ﷺ : « كان لا يتعار من الليل إلا أجرى السواك
على قيه »^(٤)

(١) فتح الباري ج ٣ ص ١٩ ، ٢٠ .

(٢) صحيح : رواه احمد والنسائي وابن ماجه والحاكم في المستدرک . وقال الحاكم على شرطها ، لكن
مغلطاي قال ليس كما زعم . وقال ابن حجر إسناده صحيح . وقال المنذرى رواه ابن ماجه ثقات ،
ورمز لصحته السيوطى ، وقال الولى العراقى : وهو عند أبى نعيم بإسناد جيد من حديث ابن عباس
أن المصطفى ﷺ : كان يستاك بين ركعتين : صححه الألبانى فى صحيح الجامع رقم (٤٨٣٧) .

(٣) فيض القدير ج ٥ ص ٢٢٤ .

(٤) حسن : رواه ابن نصر فى « الصلاة » ، والطبرانى فى « المعجم الكبير » وأبو يعلى . وقال الهيثمى
سنده ضعيف وفيه من لم يسم ورواه ابن عدى ورمز السيوطى لصحته وحسنه الألبانى فى صحيح
الجامع رقم (٤٧١٨) والسلسلة الصحيحة (٢١١١) .

قال المناوي : « أى تسوك به ، وإن تعدد انتباهه فيسن ذلك لكل أحد »^(١)

وعن عائشة رضی الله عنها أن النبي ﷺ « كان لا يرقد من ليل ولا نهار فيستيقظ إلا تسوك »^(٢)

قال المناوي في فيض القدير :

« (يرقد) : أى ينام ، « من ليل ولا نهار » من لا يبتداء الغاية أو زائدة قال ابن العراقي : والأقرب أنها ظرفية بمعنى « في » كما في ﴿ إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة ﴾ (فيستيقظ) : عطف على يرقد وليس جواباً للنبي ، إنما جوابه (إلا تسوك) .

● قد تجاذب السواك ترتيبه على الاستيقاظ من النوم ، وفعله قبل الوضوء ، فاحتمل أن سببه النوم ، وأن سببه الوضوء وأن كلاهما جزء علة ، والعلة المجموع .

قال ابن العراقي : « الأول أقرب لكونه رتبة عليه ، وظاهر صنيع المؤلف أن هذا هو الحديث بتمامه هكذا هو ثابت في روايتها فأسقطه المؤلف ذهولاً .

قال العراقي : وقوله « قبل أن يتوضأ » صادق مع كونه قبله بزمن كثير ، فلا يدل ذلك على أنه من سنته ، لأن السواك المشروع في الوضوء داخل في مسماه بناءً على الأصح أنه من سنته ، فإذا دل دليل خارجي على ندب السواك للوضوء دل على أن هذا السواك غير مشروع في الوضوء ، لكن المشرع فيه داخل في قوله قبل أن يتوضأ ، فلو كان هو المشروع في الوضوء لزم التكرار » [٣]

(١) فيض القدير ج ٥ ص ١٨٢ .

(٢) حسن : رواه أبو داود وابن أبي شيبة والطبراني في الأوسط ، وقال النووي في شرح أبي داود في إسناده ضعف ، وقال المنذرى فيه على بن زيد بن جدهان وهو لا يحتج به ، وقلل العراقي فيه أيضاً أم محمد الراوية عن عائشة وهى مجهولة عيناً وحالاً ورمز السيوطى لصحته وحسنه الألبانى في صحيح الجامع رقم ٢٩ .

(٣) فيض القدير ج ٥ ص ١٨٥ .

وعن ابن عمر رضی الله عنهما أن النبي ﷺ : « كان لا ينام إلا والسواك عند رأسه ، فإذا استيقظ بدأ بالسواك »^(١)

وعن جابر يرفعه : « كان رسول الله ﷺ يتسوك من الليل مرتين أو ثلاثة ، كلما رقد واستيقظ إستاك وتوضأ وركع ركعتين أو ركعات »^(٢)

هديه ﷺ في قراءة آخر آل عمران إذا قام من الليل :

سيأتي في خبر ابن عباس وحديثه أن رسول الله ﷺ « كان يمسح النوم عن وجهه بيده ، ثم ينظر إلى السماء ويقرأ العشر آيات الخواتم من سورة آل عمران . قال النووي في شرح مسلم : « استحباب مسح أثر النوم عن الوجه ، واستحباب قراءة هذه الآيات عند القيام من النوم »^(٣)

(١) حسن : رواه أحمد ومحمد بن نصر في كتاب « الصلاة » وابن حبان في صحيحه وابن عدى ، وقال الهيثمي سنده ضعيف وتابعه المناوي ورمز السيوطي لحسنه وحسنه الألباني في صحيح الجامع رقم (٤٧٤٨) .

(٢) سنده حسن : قال البوصيري : رواه عبد بن حميد والبرزبار بسند حسن وأورده الحافظ ابن حجر في « اللطالبع العالمة » .

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي ج ٢ ص ٤١٦

هدية فيما يفتح به القيام من الذكر والدعاء « أدعية الاستفتاح ليلاً »

عن ابن عباس رضى الله عنها قال : كان النبي ﷺ إذا قام من الليل يتهدد قال : « اللهم لك الحمد أنت قيم السموات والأرض ومن فيهن ، ولك الحمد لك ملك السموات والأرض ومن فيهن ، ولك الحمد أنت نور السموات والأرض [ومن فيهن] ، ولك الحمد أنت الحق ، ووعدك الحق ، ولقاؤك حق ، وقولك حق ، والجنة حق ، والنار حق ، والنبيون حق ، ومحمد ﷺ حق ، والساعة حق ، اللهم لك أسلمت ، وبك آمنت ، وعليك توكلت ، وإليك أنبت ، وبك خاصمت ، وإليك حاکمت ، (أنت ربنا وإليك المصير) ، فاغفرلى ما قدمت وما أخرت ، وما أسررت وما أعلنت ، (وما أنت أعلم به منى) ، أنت المقدم وأنت المؤخر (أنت إلهى) ، لا إله إلا أنت ، ولا إله غيرك ، ولا حول ولا قوة إلا بالله » (١)

قال الحافظ في الفتح : « [قوله : (إذا قام من الليل يتهدد) : ظاهر السياق أنه كان يقوله أول ما يقوم إلى الصلاة ، وترجم عليه ابن خزيمة الدليل على أن النبي ﷺ كان يقول هذا التحميد بعد أن يكبر ، ثم ساقه ابن عباس قال : كان رسول الله ﷺ إذا قام للتهجد قال بعد ما يكبر « اللهم لك الحمد » (٢)

(١) رواه البخارى واللفظ له [ما عدا بين الأقواس] ، ومسلم وأبو عوانة وأبو داود وابن نصر والدارمى .

قيم السموات : حافظها وراعياها .

أنت نور السموات : أى منورها وبك يتهدى من فيها .

(٢) فتح البارى ج ٣ ص ٣ ، ٤ ، ٤

عن عائشة رضى الله عنها قالت : كان النبي ﷺ إذا قام من الليل افتتح صلاته : « اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل ، فاطر السموات والأرض ، عالم الغيب والشهادة ، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون . إهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم » (١) .

انظر رحمك الله إلى حب القلوب ودوائها وهو يدعو بدعاء فيه الحياة ، أشار إلى جبريل وهو ملك الوحي الذى فيه الحياة فلقد سماه المولى عز وجل « روحا » ، وميكائيل ملك القطر والمطر والنبات وفيه الحياة للأرض ، وإسرافيل ملك النفخ فى الصور وفيه الحياة بعد الموت فكأنه ﷺ يدعو فى استفتاحه بهذا الدعاء بالليل لتحيا القلوب .

عن عاصم بن حميد قال : سألت عائشة : بأى شيء كان يفتتح رسول الله ﷺ قيام الليل فقالت : لقد سألتنى عن شيء ما سألتنى عنه أحد قبلك : - كان إذا قام كبر عشراً وحمد الله عشراً وسبح عشراً وهلل عشراً ، واستغفر عشراً ، وقال اللهم اغفرلى واهدنى وارزقنى ، وعافنى (عشراً) ، ويتعوذ من ضيق المقام يوم القيامة (٢) .

عن أبى سعيد الخدرى قال : -

(كان رسول الله ﷺ إذا قام من الليل كبر ثم يقول : - « سبحانك اللهم وبحمدك ، وتبارك اسمك ، وتعالى جدك ، ولا إله غيرك ، ثم يقول : لا إله إلا الله (ثلاثاً) ثم يقول الله أكبر كبيراً (ثلاثاً) (٣) ، أعوذ بالله

(١) رواه مسلم وأبو عوانة وأبو داود .

أنظر مسلم كتاب صلاة المسافرين باب صلاة النبي ﷺ ودعاؤه بالليل .

(٢) إسناده صحيح : رواه أبو داود فى كتاب الصلاة باب : ما يستفتح به الصلاة من الدعاء ، ورواه أحمد وابن أبى شيبة والطبرانى فى الأوسط بسند صحيح والآخر حسن وصححه الألبانى فى مشكاة المصابيح حديث ١٢١٦ ج ١ ص ٣٨٣ .

(٣) إلى هنا للطحاوى بسند حسن كما قال الألبانى أنظر صفة صلاة النبي ﷺ للألبانى تحت عنوان أدعية الاستفتاح ص ٤٩ .

السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه^(١) ونفخه ونفته ثم يقرأ^(٢) .
ومن أدعيته ﷺ في الاستفتاح ليلاً :
« الله أكبر (ثلاثاً) ذو الملكوت والجبروت والكبرياء والعظمة »^(٣) .
وهذه الأدعية خاصة بالاستفتاح في قيام الليل ، وله أن يدعو بأدعية
الاستفتاح الأخرى .

-
- (١) همز الشيطان : المؤنثة : نوع من الجنون ، نفخه : الكبر ، نفته : الشعر المذموم والفسيرات
الثلاث وردت مرفوعة إلى النبي ﷺ بسند صحيح مرسل كما قال الألباني .
(٢) إسناده صحيح : رواه أبو داود في كتاب الصلاة باب من رأى الاستفتاح « بسبحانك »
وصححه الألباني في مشكاة المصابيح في الحديث عن الحديث رقم (١٢١٧) ولزيد الكلام على
صحة الحديث واختلاف القول فيه راجع بذل المجهود ج ٤ ص ٥١٣ ، ٥١٤ .
(٣) إسناده صحيح : رواه أبو داود والطيالسي وصححه الألباني في صفة الصلاة ص ٥١ .

وقت قيامه ﷺ

عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال « ما كنا نشاء أن نرى رسول الله ﷺ في الليل مصلياً إلا رأيناه ، ولا نشاء أن نراه نائماً إلا رأيناه » (١) .

وعند البخارى عن أنس قال « كان رسول الله ﷺ يفطر من الشهر حتى نظن أن لا يصوم ، ويصوم حتى نظن أن لا يفطر منه شيئاً ، وكان لا تشاء أن تراه من الليل مصلياً إلا رأيناه ولا نائماً إلا رأيناه » (٢) .

قال الحافظ ابن حجر في الفتح : « أى أن صلاته ونومه كان يختلف بالليل ، ولا يرتب وقتاً معيناً بل بحسب ما تيسر له القيام ، ولا يعارضه قول عائشة : « كان إذا سمع الصارخ قام » فإن عائشة تخبر عما لها عليه اطلاع ، وذلك أن صلاة الليل تقع منه غالباً في البيت ، فخير أنس محمول على ما وراء ذلك » (٣) ا . هـ .

وعن مسروق قال سألت عائشة عن عمل رسول الله ﷺ فقالت : (كان يجب الدائم) ، قال قلت أى حين كان يصلى ؟ فقالت : « كان إذا سمع الصارخ قام فصلى » (٤) .

وعند أبى داود « الصُراخ » ، وعند الطيالسى في مسنده « الصارخ الديك » والصرخة هى الصيحة الشديدة .

قال النووى : [« فيه الحث على القصد فى العبادة ، وأنه ينبغى للإنسان ألا

(١) إسناده صحيح : أخرجه النسائى فى سننه كتاب قيام الليل باب : ذكر صلاة رسول الله ﷺ وقال الألبانى إسناده صحيح على شرطها وصحح إسناده أيضاً عبد القادر الأرناؤوط انظر مشكاة المصابيح رقم ٨٦ .

(٢) صحيح البخارى - كتاب التهجيد باب : قيام النبى ﷺ بالليل ونومه .

(٣) فتح البارى كتاب التهجيد شرح باب قيام النبى ﷺ بالليل ونومه ص ٢٣ .

(٤) رواه البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى ... واللفظ لمسلم باب صلاة الليل وعدد ركعات النبى ﷺ كتاب صلاة المسافرين .

يحتمل من العبادة إلا ما يطيق الدوام عليه ثم يحافظ عليه .
وقال أيضاً « الصارخ هنا هو الديك باتفاق العلماء قالوا : وسمى بذلك
لكثرة صياحه » [.

● قال الحافظ ابن حجر العسقلاني : « جرت العادة بأن الديك يصيح عند
منتصف الليل غالباً قاله محمد بن نصر ، قال ابن التين : وهو موافق لقول ابن
عباس « نصف الليل أو قبله بقليل أو بعده بقليل » .

وقال ابن بطلال : الصارخ يصرخ عند ثلث الليل ، وكان داود يتحرى
الوقت الذى ينادى الله فيه « هل من سائل » كذا قال ، والمراد بالدوام قيامه كل
ليلة فى ذلك الوقت لا الدوام المطلق^(١) . هـ .

عن عائشة رضى الله عنها قالت : « كان صلى الله عليه وسلم ينام أول الليل ويحيى
آخره ، ثم إن كانت له حاجة إلى أهله قضى حاجته ثم ينام ، فإذا كان عند
النداء الأول قالت : وثب « ولا والله ما قلت قام » « فأفاض عليه الماء » ولا
والله ما قالت اغتسل وأنا أعلم ما تريده ، وإن لم يكن جنباً توضأ وضوء الرجل
للصلاة ثم صلى الركعتين^(٢) .

وعند البخارى : « كان ينام أوله ويقوم آخره فيصلى » ثم يرجع إلى فراشه .
وعن عائشة قالت : « إن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليوقظه الله عز وجل بالليل
فما يحيىء السحر حتى يفرغ من جزبه^(٣) » .

وعن حميد بن عبد الرحمن بن عوف قال : إن رجلاً من أصحاب النبي
صلى الله عليه وسلم قال : قلت وأنا فى سفر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم : والله لأرغب رسول الله صلى الله عليه وسلم
للصلاة حتى أرى فعله ، فلما صلى صلاة العشاء ، - وهى العتمة ، اضطجع

(١) فتح البارى - كتاب التهجيد - شرح باب « مَنْ نام عند السحر » .

(٢) البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى واللفظ لمسلم كتاب صلاة المسافرين باب صلاة الليل .

(٣) إسناده حسن : رواه أبو داود فى الصلاة باب وقت قيام النبي صلى الله عليه وسلم ، وسكت عنه المنذرى وقال

لشيخ عبد القادر الأرنؤوط : إسناده حسن أنظر التعليق على شرح السنة .

هويًا من الليل ، ثم استيقظ فنظر في الأفق ، فقال : ﴿ ربنا ما خلقت هذا باطلاً ﴾ حتى بلغ إلى ﴿ إنك لا تخلف الميعاد ﴾ ، ثم أهوى رسول الله ﷺ إلى فراشه فاستل منه سواكًا ، ثم أفرغ في قدح من إداوة عنده ماءً ، فاستنَّ ، ثم قام فصلى حتى قلت قد صلى قدر ما نام ، ثم اضطجع حتى قلت قد نام قدر ما صلى ، ثم استيقظ ففعل كما فعل أول مرة ، وقال مثل ما قال ، ففعل رسول الله ﷺ ثلاث مرات قبل الفجر» (١) .

● وسيمر بك في حديث أم سلمة رضي الله عنها عن صلواته ﷺ « كان يصلي ثم ينام قدر ما صلى ، ثم يصلي قدر ما نام ، ثم ينام قدر ما صلى حتى يصبح » .

(١) إسناده صحيح : رواه النسائي في سننه وقال الألباني : إسناده صحيح على شرط مسلم وقال الشيخ عبد القادر الأرناؤوط إسناده حسن انظر تخریج حدیث رقم (١٢٠٩) .

قيامه ﷺ ما بين المغرب والعشاء

عن حذيفة رضى الله عنه « أنه صلى مع النبي ﷺ المغرب ثم صلى حتى صلى العشاء » (١).

عن عبيد مولى رسول الله ﷺ أن النبي ﷺ « كان يصلى بين المغرب والعشاء » (٢).

تطيه ﷺ للقيام

عن أنس قال « كان للنبي ﷺ إناء يعرض عليه سواكه ، فإذا قام من الليل خلا واستنجى واستاك وتوضأ ثم تطلب الطيب في رباغ نسائه » (٣).

(١) صحيح : رواه النسائي والترمذي مطولاً [في مناقب الحسن والحسين] ، وأحمد في مسنده ، وابن خزيمة في صحيحه ، وابن نصر ، والبيهقي في سننه ، والحاكم في المستدرک وقال صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي ، وصححه الألباني في « الصحيحه » رقم (٢١٣٢) ، وقال الساعاني : إسناده جيد ، وصححه الدكتور مصطفى الأعظمي في التعليق على صحيح ابن خزيمة حديث رقم (١١٩٤) .

(٢) صحيح : رواه الطبراني في « الكبير » وأحمد : وقال الهيثمي : « مداره كله في طرقه على رجل لم يسم ، وبقيه رجال أحمد رجال الصحيح » . وقال الذهبي : عن ابن عبد البر رواه عن ابن عبيد سليمان التيمي وسقط بينها رجل وحسنه السيوطي وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٤٨٣٨) .

(٣) مختصر قيام الليل ص ٤٨ .

« عدد صلاة النبي ﷺ بالليل »

عن القاسم بن محمد عن عائشة رضی الله عنها قالت :
(كان النبي ﷺ يصلي من الليل ثلاث عشرة ركعة ، منها الوتر وركعتا
الفجر) ^(١) .

عن مسروق قال : « سألت عائشة رضی الله عنها عن صلاة رسول الله ﷺ
بالليل فقالت : سبع وتسع وإحدى عشرة ، سوى ركعتي الفجر » ^(٢) .

عن أبي سلمة بن عبد الرحمن أنه سأل عائشة رضی الله عنها : كيف كانت
صلاة النبي ﷺ في رمضان ؟ فقالت : (ما كان رسول الله ﷺ يزيد في
رمضان ولا في غيره على إحدى عشرة ركعة : يصلي أربعاً ، فلا تسئل عن
حسنهن وطولهن - ثم يصلي أربعاً ، فلا تسئل عن حسنهن وطولهن . ثم يصلي
ثلاثاً ، قالت عائشة : فقلت يا رسول الله أتنام قبل أن توتر ؟ فقال : يا عائشة
إن عيني تنامان ولا ينام قلبي » ^(٣) .

عن ابن عباس رضی الله عنها قال : كانت صلاة النبي ﷺ ثلاث عشرة
ركعة يعني بالليل ^(٤) .

عن ابن عباس قال : إن النبي ﷺ صلى من الليل ثلاث عشرة ^(٥) .
عن زيد بن خالد الجهني أنه قال :

« لأرمن صلاة رسول الله ﷺ ، فصلى ركعتين خفيفتين ، ثم صلى ركعتين
طويلتين طويلتين طويلتين ، ثم صلى ركعتين وهما دون اللتين قبلها ، ثم صلى
ركعتين وهما دون اللتين قبلها ، ثم صلى ركعتين وهما دون اللتين قبلها ، ثم صلى
ركعتين وهما دون اللتين قبلها ثم أوتر فذلك ثلاث عشر ركعة » ^(٦) .

(١) ، (٢) ، (٣) ، رواه البخاري كتاب التهجذ باب كيف كان صلاة النبي ﷺ .

(٤) رواه البخاري كتاب التهجذ باب « كيف كان صلاة النبي ﷺ » .

(٥) إسناده صحيح : رواه أحمد في مسنده وصححه الشيخ أحمد شاكر حديث رقم (٢٠١٩) .

(٦) رواه مالك في « صلاة الليل » باب « صلاة النبي ﷺ في الوتر » ، وعنه مسلم في « صلاة

المسافرين » . باب « الدعاء في الليل » ، وأبو عوانة ، وأبو داود ، وابن نصر .

قال النووي : [قال القاضي عياض : « قال العلماء في هذه الأحاديث إخبار كل واحد من ابن عباس وعائشة وزيد بما شاهد .
وأما الاختلاف في عائشة فقليل هو منها ، وقيل من الرواة عنها ، فيحتمل أن إخبارها بأحد عشرة هو الأغلب ، وباقى رواياتها إخبار منها بما كان يقع نادراً في بعض الأوقات فأكثره خمس عشرة بركعتي الفجر ، وأقله سبع ، وذلك بحسب ما كان من اتساع الوقت أو ضيقه بطول قراءة كما جاء في حديث حذيفة وابن مسعود ، أو لنوم أو عذر أو مرض أو غيره ، أو في بعض الأوقات عند كبر في السن كما قالت : فلما أسنّ صلى سبع ركعات ، أو تارة تعد الركعتين الخفيفتين في أول قيام الليل كما في رواية زيد بن خالد ، وروتها عائشة بعدها في صحيح مسلم ، وتعد ركعتي الفجر تارة وتحذفها تارة ، أو تعد إحداها ، وقد تكون عدت راتبة العشاء مع ذلك تارة وحذفتها تارة .

قال القاضي : ولا خلاف أنه ليس في ذلك حد لا يزداد عليه ولا ينقص منه ، وأن صلاة الليل من الطاعات التي كلما زاد فيها زاد الأجر ، وإنما الخلاف في فعل النبي ﷺ وما اختاره لنفسه والله أعلم » [(١) ١ . هـ .
قال الحافظ ابن حجر في الفتح :

[ما أجابت به عائشة رضي الله عنها مسروقاً فرادها أن ذلك وقع منه في أوقات مختلفة فتارة كان يصلي سبعاً ، وتارة تسعاً ، وتارة إحدى عشرة . أما حديث القاسم فمحمول على أن ذلك كان غالب حاله كما ورد في رواية أبي سلمة عنها أن ذلك كان أكثر ما يصليه من الليل .

أما ما رواه الزهري عن عروة عنها في باب « ما يقرأ في ركعتي الفجر » بلفظ « كان يصلي بالليل ثلاث عشرة ركعة ، ثم يصلي إذا سمع النداء بالصبح ركعتين خفيفتين » فظاهره مخالف لما تقدم ، فيحتمل أن تكون أضافت إلى صلاة الليل

(١) صحيح مسلم بشرح النووي باب صلاة الليل والوتر من كتاب المسافرين ص ٣٨٨

سنة العشاء ، لكونه كان يصلّيها في بيته ، أو ما كان يفتح به صلاة الليل فقد ثبت عند مسلم من طريق سعد بن هشام عنها أنه كان يفتحها بركعتين خفيفتين وهذا أرجح في نظري لأن رواية أبي سلمة التي دلت على الحصر في إحدى عشرة جاء في صفتها عن المصنف وغيره « يصلّي أربعاً ، ثم أربعاً ثم ثلاثاً » فدل على أنها لم تتعرض للركعتين الخفيفتين ، وتعرضت لهما في رواية الزهري ، والزيادة من الحافظ مقبولة وبهذا يجمع بين الروايات .

وينبغي أن نستحضر هنا ما تقدم في أبواب الوتر من ذكر الركعتين بعد الوتر ، والاختلاف هل الركعتان بعد الفجر ، أو صلاة مفردة بعد الوتر ، ويؤيده ما وقع عند أحمد وأبي داود من رواية عبد الله بن أبي قيس عن عائشة بلفظ « كان يوتر بأربع وثلاث ، وست وثلاث ، وثمان وثلاث ، وعشر وثلاث ، ولم يكن يوتر بأكثر من ثلاث عشرة ولا أنقص من سبع » وهذا أصح ما وقفت عليه من ذلك ، وبه يجمع بين ما اختلفت عن عائشة من ذلك والله أعلم .

قال القرطبي : أشكلت روايات عائشة على كثير من أهل العلم حتى نسب بعضهم حديثها إلى الاضطراب ، وهذا إنما يتم لو كان الراوي عنها واحداً أو أخبرت عن وقت واحد ، والصواب أن كل شيء ذكرته من ذلك محمول على أوقات متعددة وأحوال مختلفة ، بحسب النشاط وبيان الجواز والله أعلم .

وظهر لي أن الحكمة في عدم الزيادة على إحدى عشرة ركعة أن التهجد والوتر مختص بصلاة الليل ، وفرائض النهار - الظهر وهي أربع ، والعصر وهي أربع ، والمغرب وهي ثلاث وتر النهار ، فناسب أن تكون صلاة الليل كصلاة النهار في العدد جملة وتفصيلاً وأما مناسبة ثلاث عشرة فبضم صلاة الصبح لكونها نهاية إلى ما بعدها^(١) . . . كلام ابن حجر .

• قال الألباني : [ويؤيد الجمع الذي رجحه الحافظ ، أن زواية مالك

(١) فتح الباري ج ٣ ص ٢٠ شرح باب « كيف صلاة النبي ﷺ » .

جاءت مفصلة بذكر الركعتين الخفيفتين من حديث زيد بن خالد الجهني - المذكور سابقاً - قلت : ويحتمل عندي أن تكون هاتان الركعتان الخفيفتان ركعتي سنة العشاء ، بل هو الظاهر فإني لم أجد رواية تذكرهما مع هذه الركعات الثلاث عشرة ، بل وجدت ما يؤيد ما استظهرته وهو حديث جابر بن عبد الله قال : أقبلنا مع رسول الله ﷺ من الحديبية حتى إذا كنا بالسقيا (قرية بين مكة والمدينة) قام رسول الله ﷺ وجابر إلى جنبه فصلى العتمة ثم صلى ثلاث عشرة سجدة . رواه ابن نصر (ص ٤٨) فهذا الحديث كالنص في أن سنة العشاء داخل في الثلاث عشر ركعة ورجاله ثقات غير شرحبيل بن سعد ففيه ضعف» [١]. هـ . كلام الألباني .

● قال الحافظ ابن قيم الجوزية :

« كان قيامه ﷺ بالليل إحدى عشرة ركعة ، أو ثلاث عشرة كما قال ابن عباس وعائشة فإنه ثبت عنها هذا وهذا . ففي الصحيحين عنها : ما كان رسول الله ﷺ يزيد في رمضان ولا غيره على إحدى عشرة ركعة . وفي الصحيحين عنها أيضاً : « كان رسول الله ﷺ يصلي من الليل ثلاث عشرة ركعة ، يوتر من ذلك بخمس ، لا يجلس في شيء إلا في آخرهن » (٢) . والصحيح عن عائشة الأولى . والركعتان فوق الإحدى عشرة هما ركعتا الفجر ، جاء ذلك مبيناً عنها في هذا الحديث بعينه : كان رسول الله ﷺ يصلي ثلاث عشرة ركعة بركعتي الفجر ذكره مسلم في صحيحه (٣) . وقال البخاري في هذا الحديث : كان رسول الله ﷺ يصلي بالليل ثلاث عشرة ركعة ، ثم يصلي إذا سمع النداء بالفجر ركعتين

(١) صلاة التراويح للألباني ص ١٧ طبع المكتب الإسلامي - الطبعة الثانية .

(٢) مسلم في صلاة المسافرين باب صلاة الليل وعدد ركعات النبي ﷺ والبخاري في « التهجذ » باب

كيف كان صلاة النبي ﷺ .

(٣) صلاة المسافرين : باب صلاة الليل وعدد ركعات النبي ﷺ .

واختلف في الركعتين الأخيرتين : هل هما ركعتا الفجر أو هما غيرهما ؟ فإذا
الضاف ذلك إلى عدد ركعات الفرض والسنن الراجعة التي كان يحافظ عليها
جاء مجموع ورده بالليل والنهار أربعين ركعة ، كان يحافظ عليها دائماً ، سبعة
عشر فرضاً ، وعشر ركعات أو اثنتا عشرة سنة راتبة ، وإحدى عشرة أو ثلاث
عشرة ركعة قيامه بالليل ، والمجموع أربعون ركعة ، وما زاد على ذلك فعارض
غير راتب كصلاة الفتح ثمان ركعات^(١) ، وضلاة الضحى إذا قدم من سفر ،
وصلاته عند من يزوره ، وتحية المسجد ونحو ذلك ، فينبغي للعبد أن يواظب على
هذا الورد دائماً إلى المات فما أسرع الإجابة وأعجل فتح الباب لمن يقرعه كل يوم
وليلة أربعين مرة . والله المستعان [١٢] . هـ .

(١) أخرجه البخارى ومسلم

(٢) زاد المعاد لابن قيم الجوزية ص ٣٢٥-٣٢٧ تحقيق عبد القادر وشعيب الأرنؤوط .

« الكيفيات التي صلى بها الرسول ﷺ في صلاة الليل والوتر »

لَمَّا كَثُرَ الْقَوْلُ فِي الْكَيْفِيَةِ الَّتِي صَلَّى بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي صَلَاةِ اللَّيْلِ وَجَدْتُ أَشْفَى وَأَوْفَى وَأَتَمَّ وَأَجْمَلَ مَا كَتَبَ فِيهَا كَلَامَ مَحْدَثِ دِيَارِ الشَّامِ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ نَاصِرِ الدِّينِ الْأَبْلَانِيِّ حَفِظَهُ اللَّهُ وَهُوَ مِنْ هُوَ : هُوَ مَجْدِدُ عَصْرِنَا هَذَا فِي عِلْمِ الْحَدِيثِ كَمَا قَالَ الشَّيْخُ ابْنُ بَازٍ .. وَ « قَلَّ رَجُلٌ يَكُونُ مِثْلَهُ فِي هَذَا الْمَجَالِ كَمَا قَالَ شَيْخُنَا ابْنُ عَثِيمِينَ فِي رِسَالَةٍ بَعَثَ بِهَا إِلَيَّ .
فَرَأَيْتُ أَنْ أَنْقَلَهُ بِتَمَامِهِ وَاللَّهُ الْمَوْفِقُ .

قال المحدث الشيخ محمد ناصر الدين الأبلاني حفظه الله :

[اعلم أيها المسلم أن قيام النبي ﷺ في الليل ووتره ، كان على أنواع وكيفيات كثيرة ، ولَمَّا كَانَ ذَلِكَ غَيْرَ مَدُونٍ فِي كِتَابِ الْفِقْهِ ، سِوَاءِ مِنْهَا الْمُخْتَصِرَةُ أَوْ الْمَطْوَلَةُ ، وَكَانَ مِنَ الْوَاجِبِ بَيَانُ سُنَنِهِ ﷺ لِلنَّاسِ لِكَيْ تَهْتَدَ السَّبِيلَ لِمَنْ كَانَ مِنْهُمْ مَحَبًّا لِاتِّبَاعِهَا أَنْ يَعْمَلَ بِهَا فَيَكْتَسِبَ لِنَا أَجْرَهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى ، وَحَتَّى يَتَوَعَّضَ عَنْ إِنْكَارِ شَيْءٍ مِنْهَا مَنْ كَانَ جَاهِلًا ، وَقَفْنَا اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِاتِّبَاعِهِ ﷺ حَقَّ الْإِتِّبَاعِ ، وَاجْتِنَابِ مَا حَذَرْنَا مِنَ الْإِتِّبَاعِ ، فَقَدْ وَجِبَ بَيَانُ ذَلِكَ فَأَقُولُ :
يُصَلِّي ۱۳ رَكْعَةً يَفْتَتِحُهَا بِرَكْعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ : -

وفيه أحاديث :

الأول : حديث زيد بن خالد الجهني .

الثاني : حديث ابن عباس قال : « بت عند رسول الله ﷺ وهو عند ميمونة » فقام حتى ذهب ثلث الليل أو نصفه استيقظ فقام . إلى شن (١) فيه ماء فتوضأ وتوضأت معه ، ثم قام فقامت إلى جنبه على يساره ، فجعلني على يمينه ، ثم وضع يده على رأسي كأنه يمس أذني كأنه يوقظني فصلى ركعتين خفيفتين ، قد

(١) شن : قرية .

قرأ فيها بأم القرآن في كل ركعة ، ثم سلم ، ثم صلى حتى صلى إحدى عشرة ركعة بالوتر ثم نام ، فاتاه بلال فقال : الصلاة يا رسول الله فقام فركع ركعتين ، ثم صلى بالناس» (١) .

الثالث : حديث عائشة : قالت : « كان رسول الله ﷺ إذا قام من الليل افتتح صلاته بركعتين خفيفتين ، ثم صلى ثمان ركعات ، ثم أوتر » وفي لفظ « كان يصلي العشاء ثم يتجاوز بركعتين ، وقد أعد سواكه وطهوره ، فيبعثه الله لما شاء أن يبعثه ، فيتسوك ويتوضأ ثم يصلي ركعتين ، ثم يقوم فيصل ثمان ركعات ، يسوي بينهن في القراءة ، ثم يوتر بالتسعة فلما أسن (٢) رسول الله ﷺ وأخذ اللحم جعل تلك الثلثي ستاً ، ثم يوتر بالسابعة ، ثم يصلي ركعتين وهو جالس يقرأ فيها ب ﴿ قل يا أيها الكافرون ﴾ و ﴿ إذا زلزلت ﴾ (٣)

قال الألباني : - واللفظ عند الطحاوي صريح في أن عدد الركعات ثلاث عشرة ، فهو دليل على أن قولها في اللفظ الأول : ثم أوتر . أي بثلاث ، ليتفق مجموع الركعات فيه مع هذا اللفظ الآخر ، وبذلك يكون حديث عائشة هذا مثل حديث ابن عباس الذي قبله .

ويلاحظ في اللفظ الثاني أن عائشة رضی الله عنها ذكرت الركعتين الخفيفتين بعد صلاته ﷺ للعشاء ، ولم تذكر بينها سنة العشاء ، فهذا يؤيد ما كنت أرجحه أن هاتين الركعتين الخفيفتين هما سنة العشاء والله أعلم .

(١) صحيح : قال الألباني : رواه أبو داود (٢١٥/١) وعنه أبو عوانة في صحيحه (٣١٨/٢) وأصله في الصحيحين انظر صلاة التراويح ص ٨٧ . قال الألباني : « قد فأت ابن القيم هذه الرواية فقال : « ولم يذكر ابن عباس افتتاحه بركعتين خفيفتين كما ذكرته عائشة ... » .
(٢) [أي كثر لحمه « لحم بدنه » ﷺ] ، في رواية أخرى للنسائي « حتى أسن ولحم فذكرت من لحمه ما شاء الله .

قال السندي : « لحم » أي كثر لحمه [الألباني] .

(٣) أسنده صحيح : قال الألباني : أخرجه الطحاوي (١٦٥/١) باللفظين وإسنادهما صحيح ، والشرط الأول من اللفظ أخرجه مسلم (١٨٤/٢) وأبو عوانة وكلهم روه من طريق الحسن البصري معنا ، لكن أخرجه النسائي وأحمد من طريقه مصرحاً بالتحديث باللفظ الثاني نحوه .

يصلى ١٣ ركعة ، منها ثمانية يسلم بين كل ركعتين ، ثم يوتر بخمس لا يجلس ولا يسلم إلا في الخامسة .

وفيه حديث عائشة رضی الله عنها قالت :-

« كان صلى الله عليه وسلم يرقد ، فإذا استيقظ تسوّك ، ثم توضعاً ، ثم صلى ثمان ركعات يجلس بين كل ركعتين فيسلم ، ثم يوتر بخمس ركعات لا يجلس إلا في الخامسة ، ولا يسلم إلا في الخامسة [فإذا أذن المؤذن قام فصلى ركعتين خفيفتين]^(١) ورواية أحمد هذه صريحة بأن مجموع الركعات ثلاث عشرة ركعة ما عدا ركعتي الفجر ، فهو بظاهره مخالف لحديث عائشة المتقدم بلفظ « ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزيد في رمضان ولا في غيره على إحدى عشرة ركعة » وقد تقدم الجمع بينهما هناك بما خلاصته أنها أرادت بهذا اللفظ ما عدا الركعتين الخفيفتين اللتين كان صلى الله عليه وسلم يفتتح بها صلاة الليل ، وقد وجدت ما هو كالتص في هذا الجمع وهو حديثها الآخر الذي ذكرت فيه هاتين الركعتين ثم ثمان ركعات ثم الوتر ، وقد مضى في النوع الذي قبله .

يصلى ١١ ركعة ثم يسلم بين كل ركعتين ، ثم يوتر بواحدة .

لحديث عائشة رضی الله عنها قالت :-

« كان صلى الله عليه وسلم يصلى فيما بين أن يفرغ من صلاة العشاء ، وهي التي يدعو الناس العتمة - إلى الفجر إحدى عشرة ركعة ، يسلم بين كل ركعتين ويوتر بواحدة ، [ويمكث في سجوده قدر ما يقرأ أحدكم خمسين آية قبل أن يرفع

(١) سنده صحيح : رواه أحمد وسنده صحيح على شرط الشيخين ، وقد أخرجه مسلم وأبو عوانة ، وأبو داود والترمذي وصححه ، والدارمي وابن نصر والبيهقي وابن حزم في المحلى ، ورواه كلهم مختصراً ليس فيه التسليم من كل ركعتين ، وروى منه الشافعي والطيالسي والحاكم الأيتار بالخمس فقط ، وللحديث شاهد من حديث ابن عباس أخرجه أبو داود والبيهقي وسنده صحيح « ١ : هـ . تخريج الألباني انظر صلاة التراويح ص ٨٩

رأسه [فإذا سكت المؤذن في الفجر ، وتبين له الفجر ، وجاء المؤذن قام فركع
ركعتين خفيفتين ثم اضطجع على شقه الأيمن حتى يأتيه المؤذن للإقامة » ^(١) .

ويشهد لهذا النوع حديث ابن عمر أيضاً أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ
عن صلاة الليل ؟ فقال : « صلاة الليل مثنى مثنى . فإذا خشى أحدكم
الصبح ، ركع ركعة واحدة توتر له ما قد صلى » ^(٢) وزادا : « فقيل لابن عمر :
ما مثنى مثنى ؟ قال : أن يسلم في كل ركعتين » وفي رواية مالك والبخارى : -
« أن عبد الله بن عمر كان يسلم بين الركعة والركعتين في الوتر حتى يأمر ببعض
حاجته » .

وتفسير ابن عمر المذكور رواه أحمد (رقم ٥١٠٣) مرفوعاً مدرجاً في
صلب الحديث ، لكن في سنده عبد العزيز بن أبي رواد وهو صدوق ربما وهم ،
كما في « التقريب » وأخشى أن يكون قد وهم في رفعه . والله أعلم .
يصلى ١١ ركعة ، أربعاً بتسليمة واحدة ، ثم أربعاً مثلها ، ثم ثلاثاً .
رواه الشيخان وغيرهما من حديث عائشة :

عن أبي سلمة بن عبد الرحمن أنه سأل عائشة رضي الله عنها كيف كانت
صلاة رسول الله ﷺ في رمضان ؟ فقالت : « ما كان رسول الله ﷺ يزيد في
رمضان ولا في غيره على إحدى عشرة ركعة ^(٣) يصلى أربعاً فلا تسلم عن حسن
وطولهن ، ثم يصلى أربعاً فلا تسأل عن حسنهن وطولهن ، ثم يصلى ثلاثاً ^(٤) .
• قال النووي : في قولها « يصلى أربعاً » وهذا لبيان الجواز ، وإلا فالأفضل

(١) رواه مسلم وأبو عوانة وأبو داود والطحاوي وأحمد ، وأخرجه الأولان من حديث ابن عمر
أيضاً ، وأبو عوانة من حديث ابن عباس .

(٢) رواه البخاري ومسلم ومالك وأبو عوانة .

(٣) قال الألباني : « وفي رواية لابن أبي شيبة (١/١١٦/٢) ومسلم وغيرهما « كانت صلاته في شهر

رمضان وغيره ثلاث عشر ركعة بالليل منها ركعتان الفجر » .

(٤) رواه البخاري ومسلم وأبو عوانة وأبو داود والترمذي والنسائي ، ومالك ، وعنه البيهقي وأحمد .

التسليم من كل ركعتين ، وهو المشهور من فعل رسول الله ﷺ ، وأمره بالصلاة
مثنى مثنى . هـ

● قال الألباني : « وصدق رحمه الله ، فقول الشافعية : « يجب أن يسلم من
كل ركعتين ، فإذا صلاها بسلام واحد لم تصح » كما في « الفقه على المذاهب
الأربعة » (٢٩٨/١) ، وشرح القسطلاني على البخاري (٤/٥) وغيرها
خلاف هذا الحديث الصحيح ، ومناف لقول النووي بالجواز وهو من كبار
العلماء المحققين في المذهب الشافعي فلا عذر لأحد يفتي بخلافه » .

قال الألباني : « وظاهر الحديث أنه كان يقعد بين كل ركعتين من الأربع
والثلاث ، ولكنه لا يسلم وبه فسره النووي كما تقدم ، وقد روى ذلك صريحاً في
بعض الأحاديث عن عائشة أنه ﷺ كان لا يسلم بين الركعتين والوتر ، ولكنها
معلولة كلها كما ذكر الحافظ ابن نصر والبيهقي والنووي وبيته في (التعليقات الجياد
على زاد المعاد) . فالعمدة في مشروعية الفصل بالقعود بدون تسليم ظاهر في هذا
الحديث ، ولكن سيأتي ما ينافي هذا الظاهر في آخر الفصل والله أعلم » .
يصلى ١١ ركعة ، منها ثمان ركعات لا يقعد فيها إلا في الثامنة يتشهد ويصلى على
النبي ﷺ ، ثم يقوم ولا يسلم ، ثم يوتر بركعة ، ثم يسلم ، ثم يصلى ركعتين وهو
جالس :-

لحديث عائشة رضي الله عنها رواه سعد بن هشام بن عامر أنه أتى ابن عباس
فسأله عن وتر رسول الله ﷺ ، فقال ابن عباس : ألا أدلك على أعلم أهل
الأرض بوتر رسول الله ﷺ ؟ قال : من ؟ قال : عائشة ، فأتيتها فاسألتها ،
فانطلقت إليها ، قال : قلت : يا أم المؤمنين : أنبئيني عن وتر رسول الله ﷺ ؟
فقلت :-

« كنا نعدُّ له سواكه وطهوره ، فيبعثه الله ما شاء أن يبعثه من الليل ،
فيتسوك ويتوضأ ويصلى تسع ركعات ، لا يجلس فيها إلا في الثامنة ، فيذكر الله

وحمده [ويصلى على نبيه]^(١) ، ويدعو ، ثم ينض ولا يسلم ، ثم يقوم فيصلى التاسعة ، ثم يقعد فيذكر الله وحمده ، [ويصلى على نبيه ﷺ] ويدعو ، ثم يسلم تسليماً يسمعنا ، ثم يصلى ركعتين بعد ما يسلم وهو قاعد ، فتلك إحدى عشرة يا بنى ، فلما أسنَّ نبي الله ﷺ ، وأخذ اللحم أوتر بسبع ، وصنع في الركعتين مثل صنيعه الأول فتلك تسع يا بنى^(٢) .

يصلى ٩ ركعات ، منها ست ركعات لا يقعد إلا في السادسة منها ، يتشهد ويصلى على النبي ﷺ ، ثم يقوم ولا يسلم ، ثم يوتر بركعة ، ثم يسلم ، ثم يصلى ركعتين وهو جالس . لحديث عائشة الذي ذكرته .

ثم قال الألبانى : « هذه هي الكيفيات التي كان رسول الله ﷺ يصلى بها صلاة الليل والوتر ، ويمكن أن يزداد عليها أنواع أخرى ، وذلك بأن ينقص من كل نوع من الكيفيات المذكورة سابقاً ما شاء من الركعات ، وحتى يجوز له أن يقتصر على ركعة واحدة ، لقوله ﷺ : « فن شاء فليوتر بخمس ، ومن شاء فليوتر بثلاث ، ومن شاء بواحدة » .

فهذا الحديث نص في جواز الإيتار بهذه الأنواع الثلاثة المذكورة فيه ، وإن كان لم يصح النقل بها عن رسول الله ﷺ ، بل صح عن حديث عائشة أنه ﷺ لم يكن يوتر بأقل من سبع كما سبق ، فهذه الخمس والثلاث أن شاء الله صلاها بعود واحد ، وتسليمة واحدة كما في النوع الثاني ، وإن شاء صلاها بعود واحد ، وتسليمة واحدة كما في النوع الثاني ، وإن شاء صلاها بعود بين كل ركعتين بدون سلام كما في النوع الرابع ، وإن شاء سلم بين كل ركعتين وهو الأفضل كما في النوع الثالث وغيره » [^(٣) انتهى كلام الشيخ الألبانى حفظه الله .

(١) قال الألبانى : « هذه فائدة هامة فيها البيان الواضح أنه ﷺ كان يصلى على نفسه بنفسه وأنه كان يجعل هذه الصلاة في التشهد الأول ، كما يجعلها في التشهد الآخر ، ومن المقرر عند العلماء أنه لا فرق في أحكام الصلاة بين الفريضة والنافلة إلا بدليل وهو هنا معدوم .

(٢) رواه مسلم وأبو عوانة وأبو داود والنسائي وابن نصر والبيهقي وأحمد .

(٣) انظر صلاة التراويح للألبانى من ص ٨٧ حتى ص ٩٤ .

كيفية قيامه كما ذكرها ابن القيم

قال الحافظ ابن قيم الجوزية في « زاد المعاد » عن كيفية قيامه صلى الله عليه وسلم :
منها هذا الذي ذكره ابن عباس « قام فصلى ركعتين أطال فيها القيام والركوع والسجود ، ثم انصرف ، فنام حتى نفخ ، ثم فعل ذلك ثلاث مرات بست ركعات ، كل ذلك يستاك ويتوضأ ويقرأ هؤلاء الآيات ثم أوتر بثلاث ، فأذن المؤذن فخرج إلى الصلاة ... » (١) الحديث .

النوع الثاني : - ما ذكرته عائشة : أنه كان يفتح صلاته بركعتين خفيفتين ، ثم يتمم ورده إحدى عشرة ركعة ، يسلم بين كل ركعتين ، ويوتر بواحدة . ثلاث عشرة ركعة كذلك .

يصلي ثمان ركعات ، يسلم بين كل ركعتين ، ثم يوتر بخمس سرداً متوالية ، لا يجلس في شيء إلا في آخرهن .

تسع ركعات ، يسرد منهن ثمانياً ، لا يجلس في شيء منهن ، إلا في الثامنة ، يجلس يذكر الله تعالى ويحمده ويدعوه ، ثم ينهض ولا يسلم ، ثم يصلّي التاسعة ، ثم يقعد ويتشهد ويسلم ثم يصلّي ركعتين جالساً بعدما يسلم .

النوع السادس : يصلّي سبعمائة كالتسع المذكورة ، ثم يصلّي بعدها ركعتين جالساً .

النوع السابع : أنه كان يصلّي مثنى مثنى ، ثم يوتر بثلاث لا يفصل بينهما ، فهذا رواه الإمام أحمد عن عائشة « أنه كان يوتر بثلاث لا يفصل بينهما » (٢) .

(١) جزء من حديث رواه مسلم في صلاة المسافرين ، باب « الدعاء في صلاة الليل وقيامه » .

(٢) رواه أحمد في المسند ١٥٥/٦ ، ١٥٦ ، ولفظه يرجع إليه ، وفي سنده يزيد ابن جعفر ، قال

الذهبي في الميزان : ليس بحجة ، وقال الدارقطني يعتبر به أي في المتابعة ، وإلا فهو لين .

وروى النسائي عنها « كان لا يسلم في ركعتي الوتر »^(١) ، وهذه الصفة فيها نظر ، فقد روى أبو حاتم حبان في صحيحه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ « لا توتروا بثلاث أوتروا بخمس ، أربع ، ولا تشبهوا بصلاة المغرب » ، وسيأتي بالتفصيل في الوتر- والأحاديث في التسليم في الوتر أقوى وأكثر وأثبت عن النبي ﷺ .

ومن هديه في القيام أيضا :-

قال شيخ الإسلام ابن قيم الجوزية :-

« كان ﷺ يقوم تارة إذا انتصف الليل ، أو قبله بقليل ، أو بعده بقليل ، وربما كان يقوم إذا سمع الصارخ ، وهو إنما يصيح في النصف الثاني ، وكان يقطع ورده تارة ، ويصله تارة وهو الأكثر ، ويقطعه كما قال ابن عباس في حديث ميبته عنده ، ولم يذكر ابن عباس افتتاحه بركعتين خفيفتين كما ذكرته عائشة ، فيما إنه كان يفعل هذا تارة ، وهذا تارة ، وإما أن تكون عائشة حفظت ما لم يحفظ ابن عباس وهو الأظهر للملازمة له ، ولمراعاتها ذلك ، ولكونها أعلم الخلق بقيامه بالليل » ا . ه .

(١) إسناده صحيح : قال عبد القادر الأرناؤوط : « رواه النسائي ٢٣٤/٣ في صلاة الليل : باب كيف الوتر بثلاث ، والحاكم ٣٠٤/١ ، والدارقطني ص ١٧٥ ، والطحاوي ٢٨٠/١ ، والبيهقي ٣١/٣ ، وإسناده صحيح ، وقال النووي في شرح المهذب ٧/٤ : رواه النسائي بإسناد حسن ، والبيهقي في السنن الكبير بإسناد صحيح » ا .

« هديه إذا تكرر قيامه »

عن ابن عباس حدّث : أنه بات عند نبي الله ﷺ ذات ليلة فقام نبي الله ﷺ من الليل فخرج فنظر إلى السماء ثم تلا هذه الآية التي في آل عمران ﴿ إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار ﴾ حتى بلغ ﴿ سبحانك فمنا عذاب النار ﴾ ثم رجع إلى البيت فتسوك وتوضأ ثم قام فصلى ثم اضطجع ثم رجع أيضاً فنظر في السماء ثم تلا هذه الآية ثم رجع فتسوك وتوضأ ثم قام فصلى ، ثم اضطجع ، ثم رجع أيضاً فنظر في السماء ثم تلا هذه الآية ، ثم رجع فتسوك وتوضأ ، ثم قام فصلى ^(١) .

(١) إسناده صحيح : رواه أحمد في مسنده وقال الشيخ أحمد شاكر إسناده صحيح حديث رقم (٢٤٨٨) .

هديه في افتتاح صلاته بركعتين خفيفتين

مرّ بك بعض الأحاديث في ذلك ، وإليك حديثان آخران يدلان على استحباب ذلك لينشط بها لما بعدهما .

عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ :

« إذا قام أحدكم من صلاة الليل فليستفتح صلاته بركعتين خفيفتين »^(١)

وعن عائشة قالت : « كان رسول الله ﷺ إذا قام من الليل ليصلى افتتح

صلاته بركعتين خفيفتين »^(٢)

فهذا نصح منه ﷺ لأئمة ، وقد فعله .

« كان ابن سيرين رحمه الله يقرأ فيها في الركعة الأولى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

آمَنُوا أَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمَ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خِلَّةٌ ﴾ إلى قوله

﴿ أَصْحَابَ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ وفي الثانية ﴿ اللَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي

الْأَرْضِ ﴾ . إلى آخر السورة^(٣) .

(١) إسناده صحيح : رواه أحمد في مسنده وقال الشيخ أحمد شاكر إسناده صحيح . أنظر حديث رقم (٧٧٣٤) ، ورواه مسلم ولفظ مسلم : « إذا قام أحدكم من الليل فليفتتح صلاته بركعتين خفيفتين .

(٢) رواه مسلم في كتاب صلاة المسافرين باب صلاة النبي ﷺ ودعاؤه بالليل .

(٣) مختصر قيام الليل ص ٥٥ .

افتتاحه القيام بركعتين طويلتين أحياناً

قال محمد بن نصر رحمه الله عن افتتاحه صلى الله عليه وسلم صلواته من الليل بركعتين خفيفتين : « وهذا عندنا اختيار وليس بواجب . فإن افتتح صلواته بركعتين طويلتين فذلك مباح والدليل على ذلك : -

حديث حذيفة رضى الله عنه قال : « صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فافتتح بالبقرة فقلت يركع عند المائة الأولى ثم مضى ، فقلت يصلى بها في ركعة ، فضى ، فقلت يركع بها ثم افتتح النساء فقرأها ، ثم افتتح آل عمران فقرأها يقرأ مترسلاً إذا مر بآية فيها تسبيح سبح ، وإذا مر بسؤال سأل ، وإذا مر بتعوذ تعوذ ، ثم ركع فجعل يقول : سبحان ربى العظيم ، فكان ركوعه نحواً من قيامه ، ثم قال سمع الله لمن حمده ، ثم قام طويلاً قريباً مما ركع ، ثم سجد فقال سبحان ربى الأعلى فكان سجوده قريباً من قيامه »^(١) .

عن ابن عباس قال : كنت في بيت ميمونة فقام النبي صلى الله عليه وسلم يصلى من الليل فقامت معه على يساره فأخذ بيدي فجعلتى عن يمينه ، ثم صلى ثلاث عشرة ركعة حَزَرْتُ قَدْرَ قِيَامِهِ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ قَدْرَ ﴿يَا أَيُّهَا الزَّمَلُ﴾^(٢)

● عن عوف بن مالك الأشجعي قال : قمت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة فقام فقرأ سورة البقرة ، لا يمر بآية رحمة إلا وقف فسأل ، ولا يمر بآية عذاب إلا وقف فتعوذ ، قال : ثم ركع بقدر قيامه يقول في ركوعه « سبحان ذى الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة ، ثم سجد بقدر قيامه ثم قال في سجوده مثل ذلك ثم قام فقرأ بآل عمران ثم قرأ سورة سورة »^(٣) . هـ . أى سورة النساء ثم المائدة .

(١) رواه مسلم واللفظ له باب استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل ، والنسائي وأبو داود .
 (٢) إسناده صحيح : رواه أحمد في مسنده وأبو داود : وصححه الشيخ شاکر ٣٤٥٩ ، والألباني في صفة الصلاة والساعات في الفتح الرباني .
 (٣) إسناده حسن : رواه أبو داود واللفظ له في الصلاة باب : ما يقول الرجل في ركوعه وسجوده ، والنسائي في الافتتاح في باب نوع آخر من الذكر وحسنه الألباني في مشكاة المصابيح رقم (٨٨٢) وعبد القادر الأرنؤوط في «جامع الأصول» .

صفة صلاته ﷺ

طولها :-

● عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال :-
« صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَطَالَ حَتَّى هَمَمْتُ بِأَمْرِ سَوْءٍ . قَالَ قِيلَ : وَمَا هَمَمْتَ بِهِ ؟

قال : هَمَمْتُ أَنْ أَجْلِسَ وَأُدْعَهُ » (١) .
وعند البخارى بلفظ : « صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ لَيْلَةً فَلَمْ يَزَلْ قَائِمًا حَتَّى هَمَمْتُ بِأَمْرِ سَوْءٍ قُلْنَا : وَمَا هَمَمْتَ ؟ قَالَ : هَمَمْتُ أَنْ أَقْعُدَ وَأُذَرَ النَّبِيَّ ﷺ » .
قال الحافظ فى الفتح : « وفى الحديث دليل على اختيار النبي ﷺ تطويل صلاة الليل ، وقد كان ابن مسعود قوياً محافظاً على الاقتداء بالنبي ﷺ وما همة بالقعود إلا بعد طول كثير ما اعتاده » (٢) .

● وعن جابر رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ :
« أَفْضَلُ الصَّلَاةِ طَوْلُ الْقَنُوتِ » (٣) .

قال النووى : « المراد بالقنوت هنا القيام باتفاق العلماء فيما علمت ، وفيه دليل الشافعى ومن يقول كقوله : إن تطويل القيام أفضل من كثرة الركوع والسجود » .

عن حذيفة : أنه رأى رسول الله ﷺ يصلى من الليل فكان يقول الله أكبر (ثلاثاً) ذو الملكوت والجبروت والكبرياء والعظمة ، ثم استفتح فقرأ البقرة ثم ركع فكان ركوعه نحواً من قيامه ، وكان يقول فى ركوعه : سبحان ربى العظيم ،

(١) رواه البخارى فى التهجد باب طول القيام فى صلاة الليل ، ومسلم فى صلاة المسافرين ، باب استحباب تطويل القراءة فى صلاة الليل ، ورواه ابن ماجه .

(٢) فتح البارى ج ٣ كتاب التهجد ص ١٩ .

(٣) صحيح مسلم كتاب صلاة المسافرين باب صلاة الليل منى منى .

سبحان ربى العظيم ، ثم رفع رأسه من الركوع فكان قيامه نحواً من ركوعه ، يقول : « لربى الحمد » ثم سجد فكان سجوده نحواً من قيامه ، فكان يقول فى سجوده : « سبحان ربى الأعلى » ثم رفع رأسه من السجود ، وكان يقعد فيما بين السجودتين نحواً من سجوده ، وكان يقول « رب اغفرلى ، رب اغفرلى » فصلى أربع ركعات قرأ فيهنّ (البقرة وآل عمران والنساء) والمائدة أو الأنعام^(١) شك شعبة .

عن أنس رضى الله عنه قال : وجد رسول الله ﷺ ذات ليلة شيئاً فلما أصبح قيل يا رسول الله إن أثر الوجع عليك لبين . قال : « إني على ما ترون بحمد الله قد قرأت السبع الطوال »^(٢) .

- « وكان - أحياناً - يقرأ فى كل ركعة بسورة منها »^(٣) .
- وما علم عنه أنه قرأ القرآن كله فى ليلة قط .

(١) إسناده صحيح : رواه أبو داود وصححه الألبانى فى المشكاة رقم (١٢٠٠) وعبد القادر الأرنؤوط فى تعليقه على « جامع الأصول » .

(٢) صحيح : قال الألبانى : أخرجه أبو يعلى والحاكم فى كتاب صلاة التطوع وقال صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبى وسكت عنه الألبانى .

حديث رقم (٢) : وقال الهيمى : رجاله ثقات ، وأورده الحافظ فى المطالب العالية وضعفه الألبانى فى التعليق على حديث رقم (١١٣٦) من صحيح ابن خزيمة وقال : إسناده ضعيف مؤمل صدوق ساء الحفظ انظر صفة الصلاة رقم ٦٦ والمستدرک ج ١ ص ٣٠٨ .

(٣) الحديث رقم (٣) : إسناده صحيح : رواه أبو داود والنسائى بإسناد صححه الألبانى فى صفة الصلاة ص ٦٧ .

حديث جامع :

عن زرارة أن سعد بن هشام بن عامر أتى عباس فسأله عن وتر رسول الله ﷺ فقال ابن عباس ألا أدلك على أعلم أهل الأرض بوتر رسول الله ﷺ؟ قال : من؟ قال : عائشة فأتها فاسألها ثم اتتني فأخبرني بردها عليك ، فانطلقت إليها فأتيت على حكيم بن أنطح فاستلحقتُهُ إليها فقال : ما أنا بقاربها لأنى نهيتها أن تقول في هاتين الشيعتين شيئاً فأبت فيها إلا مضياً قال : فأقسمتُ عليه فجاء فانطلقنا إلى عائشة فاستأذنا عليها فأذنت لنا فدخلنا عليها فقالت : أحكيماً « فَعَرَفْتُهُ » فقال : نعم فقالت : من معك ، قال : سعد بن هشام ، قالت مَنْ هِشَامُ؟ قال : ابن عامر فترحمتُ عليه وقالت : خيراً « قال قتادة : وكان أصيب يوم أحد » .

فقلت : يا أم المؤمنين : أنبئني عن خلق رسول الله ﷺ؟ قالت : ألسنتُ تقرأ القرآن؟ قلت : بلى ، قالت : فإن خلق نبي الله ﷺ كان القرآن . قال : فهممتُ أن أقوم ولا أسأل أحداً عن شيء حتى أموت ، ثم بدا لي فقلت : أنبئني عن قيام رسول الله ﷺ ، قالت : ألسنتُ تقرأ « يا أيها المزمل »؟ قلت : بلى ، قالت : فإن الله عز وجل افترض قيام الليل في أول هذه السورة فقام نبي الله ﷺ وأصحابه حولاً ، وأمسك الله خاتمها اثني عشر شهراً في السماء حتى أنزل الله في آخر هذه السورة التخفيف فصار قيام الليل تطوعاً بعد فريضة .

قال : قلت : يا أم المؤمنين : أنبئني عن وتر رسول الله ﷺ . فقالت : كنا نعد له سواكه وطهوره فيبعثه الله ما شاء أن يبعثه من الليل فيتسوك ويتوضأ ويصلي تسع ركعات لا يجلس فيها إلا الثامنة ، فيذكر الله ويحمده ويدعوه ثم ينهض ولا يسلم ، ثم يقوم فيصلي التاسعة ، ثم يقعد فيذكر الله ويحمده ويدعوه ثم يسلم تسليماً يُسمعنا ثم يصلي ركعتين بعدما يسلم وهو قاعد فذلك إحدى عشرة

ركعة يا بُني ، فلما أَسَنَ نبي الله ﷺ وأخذ اللحم أوتر بسبع وصنع في الركعتين مثل صنيعه الأول فتلك تسع يا بني ، وكان نبي الله ﷺ إذا صلى صلاة أحب أن يداوم عليها ، وكان إذا غلبه نوم أو وجع عن قيام الليل صلى من النهار اثنتي عشرة ركعة ، ولا أعلم نبي الله ﷺ قرأ القرآن كله في ليلة ، ولا صلى ليلة إلى الصبح ، ولا صام شهراً كاملاً غير رمضان .

قال : فانطلقت إلى ابن عباس فحدثته بحديثها ، فقال : صدقت لو كنت أقربها أو أدخل عليها لأتيها حتى تشافهني به ، قال : قلت : لو علمت أنك لا تدخل عليها ما حدثتك حديثها (١) .

وكان ﷺ لا يقرأ القرآن في أقل من ثلاث . عن عائشة رضي الله عنها قالت : « كان ﷺ لا يقرأ القرآن في أقل من ثلاث » (٢)

● وكان يقرأ في كل ليلة بـ « بنى إسرائيل والزمر وتبارك والسجدة المسبحات » .

عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ :
« كان لا ينام حتى يقرأ (آلَم) تنزيل السجدة و « تبارك الذي بيده الملك » (٣)

وعن عائشة رضي الله عنها : أن رسول الله ﷺ « كان لا ينام حتى يقرأ بنى

(١) رواه مسلم وأبو داود .

(٢) حديث رقم (٢) صحيح : أخرجه ابن سعد (٣٧٦/١) وأبو الشيخ في « أخلاق النبي ﷺ » قال المناوي : ورمز السيوطي لحسنه ، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٤٧٤٢) .

(٣) حديث رقم (٣) صحيح : - رواه أحمد في مسنده ، والترمذي والنسائي والحاكم . وقال البغوي : غريب وقال الصدر المناوي : فيه اضطراب . وقال الحاكم على شرطها ورمز السيوطي لصحته وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٤٧٤٩) .

إسرائيل والزمير»^(١) و «كان رسول الله ﷺ يقرأ المُسَبَّحَات قبل أن ينام ، وإذا اضطجع»^(٢)

و «كان - أحياناً - يقرأ في كل ركعة قدر خمسين آية أو أكثر»^(٣)

هديه في القراءة ليلاً

الترتيل في القيام :

عن حفصة رضى الله عنها : « كان رسول الله ﷺ يقرأ بالسورة فيرتلها حتى تكون أطول من أطول منها »^(٤) وفي رواية أخرى عنها رضى الله عنها :
« كان يرتل السورة حتى تكون أطول من أطول منها »
وكانت قراءته ﷺ مفسرةً حرفاً . - .

عن يعلى بن مملك أنه سأل أم سلمة عن قراءة رسول الله ﷺ وصلاته ؟
فقلت : « ما لكم وصلاته »^(٥) ، كان يصلى ، وينام قدر ما صلى ، ثم يصلى
قدر ما نام ، ثم ينام قدر ما صلى حتى يصبح ، ونعتت قراءته فإذا هي تنعت
قراءته مفسرة حرفاً حرفاً^(٦) أى مرتلة ومجودة مميزة غير مخالطة ، بل كان يقرأ
بحيث يمكن عد حروف ما يقرأ ، والمراد حسن الترتيل والتلاوة .

(١) حديث رقم (١) : صحيح : رواه أحمد في مسنده والترمذى والحاكم والدارمى . وقال
الترمذى : حسن غريب وصححه الحاكم ووافقه الذهبي ورمز السيوطى لصحته وصححه
الألبانى في صحيح الجامع رقم (٤٧٥٠) .

(٢) حديث رقم (٢) : أخرجه الترمذى وحسنه ، وأبو داود وحسنه الحافظ انظر حديث رقم
(٩٩٤) من كتاب النصيحة في الأذكار والأدعية الصحيحة للشيخ محمد بن أحمد بن اسماعيل
نشر دار وطنية .

(٣) حديث رقم (٣) : أخرجه البخارى وأبو داود .

(٤) حديث رقم (٤) : أخرجه مسلم ومالك .

(٥) معناه : أى شئ يحصل لكم مع وصف قراءته وصلاته وأنتم لا تستطيعون أن تفعلوا مثله فقيه نوع
تعجب ونظيره قول عائشة رضى الله عنها : « وأيكم يطيق ما كان رسول الله ﷺ يطيق » .

(٦) تخريج الحديث رقم (٥) مسنده صحيح : قال المنذرى : أخرجه الترمذى والنسائى ، وقال =

قال الطيبي : « وهذا يحتمل وجهين : أحدهما أن تقول : كانت قراءته كيت وكيت .

وثانيهما : أن تقرأ مرتلة مبينة كقراءة النبي ﷺ كذا ذكره في المرقاة » (١) .
● وكان ﷺ يمد قراءته مداً :

عن قتادة قال : « سألت أنس بن مالك عن قراءة النبي ﷺ فقال : كان يمد مداً » (٢)

وعن قتادة قال : « سئل أنس : كيف كانت قراءة النبي ﷺ فقال :
« كانت مداً . ثم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم يمد بسم الله ، ويمد بالرحمن ،
ويمد بالرحيم » (٣) والمراد أنه كان يمد ما كان في كلامه من حروف المد واللين
بالقدر المعروف والشرط المعلوم .

● وكان ﷺ يقف على رؤس الآي : -
عن أم سلمة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ : « كان يُقَطِّعُ قراءته آية
آية » : (الحمد لله رب العالمين) ثم يقف : (الرحمن الرحيم) ثم يقف » (٤) .
« ولقد كان جماعة من الأئمة السالفين والقراء الماضين يستحبون القطع على
الآيات وإن تعلق بعضهم ببعض وهي سنة أعرض عنها الناس » (٥) فالواجب

= الترمذى : حسن صحيح غريب وأخرجه أحمد وابن المبارك في الزهد ص ١٩٢ وصحح إسناده
الألبانى في صفة الصلاة وفي المشكاة رقم (١٢١٠) .
● الحديث رقم (٢) : أخرجه البخارى وأبو داود .
● الحديث رقم (٣) البخارى وأحمد في المسند والنسائى وابن ماجه .
(٤) الحديث رقم (٤) : صحيح : أخرجه الترمذى وأحمد وأبو داود وابن خزيمة والحاكم وقال
الحاكم على شرط الشيخين وأقره الذهبي ، وقال الترمذى : حسن غريب . وقال الدارقطنى :
إسناده صحيح وصححه السيوطى والألبانى في صحيح الجامع رقم (٤٨٧٦) وصححه أيضا
عبد القادر الأرناؤوط .

(٥) أبو عمرو الدانى في المكتنى ونقله عنه الألبانى في صفة الصلاة .

لمن كان له عقل يعقل عن رسول الله ﷺ التأدب بأدب رسول الله ﷺ . وها هو ينصح أمته .

فمن عبد الله بن عمرو ، قال : قال رسول الله ﷺ :
« يقال لصاحب القرآن : اقرأ وارفق ، ورتل كما كنت تُرتل في الدنيا ، فإن منزلت عند آخر آية تقرأها » (١) .

ولقد سار على هذا الهدى صحابة رسول الله ﷺ وسلف الأمة .
« فعن علقمة قال : صليت مع ابن مسعود من أول الليل إلى انصرافه من الفجر فكان يرتل ولا يرتجع ويسمع من في المسجد .
وفي رواية أن علقمة قرأ على عبد الله رضي الله عنه وكان حسن الصوت فكانه عجل ، قال رتل فذاك أبي وأمي فإنه زين القرآن » . وعن ابن مسعود رضي الله عنه :

« لا تهذوا القرآن كهذ الشعر ولا تنثروه كنثر الدقل ، وقفوا عند عجائبه ، وحركوا به القلوب ، ولا يكون هم أحدكم من السورة آخرها » .

- وعن ابن عباس في قوله ﴿ ورتل القرآن ترتيلاً ﴾ بينه وبيننا .
- وعن ابن أبي مليكة « سافرت مع ابن عباس من مكة إلى المدينة وهم يسرون إليها ، ويتزلون بالليل فكان ابن عباس رضي الله عنه يقوم نصف الليل فيقرأ القرآن حرفاً حرفاً ثم حكى قراءته قال : ثم يبكي حتى نسمع إلى نسيحا » .
- وقال ابن عون : كان محمد بن سيرين يحب الترتيل في القرآن ويقول :

(١) تخريج حديث رقم (١) : حسن : أخرجه أحمد في مسنده وأبو داود والترمذي وقال الألباني إسناده حسن انظر المشكاة رقم (٢١٣٤) .

هذه الأصوات التي تقرؤها محدثة . وقيل لمجاهد : رجل يعجل في القراءة وآخر
يترسل . قال : إن أحب الناس إلى الله أعقلهم عنه « (١) .

قال ابن القيم : « وذكر الزهري أن قراءة رسول الله ﷺ كانت آية آية ،
وهذا هو الأفضل ، الوقوف على رموس الآيات وإن تعلقت بما بعدها ، وذهب
بعض القراء إلى تتبع الأغراض والمقاصد والوقوف عند انتهائها ، واتباع هدى
النبي ﷺ وسنته أولى . ومن ذكر ذلك البيهقي في « شعب الإيمان » وغيره ،
ورجح الوقوف على رموس الآي وإن تعلقت بما بعدها « (٢) ١ هـ .
« قال مجاهد وطاووس كانوا يستحبون إذا قام الرجل من الليل أن يمد صوته
بالآية من القرآن » (٣) .

● وكان ﷺ - أحببانا - يُرْجِعُ صوته :
● فعن أم هانئ رضي الله عنها قالت : « كنت أسمع صوت النبي ﷺ وهو
يقرأ وأنا نائمة على فراشي يرجع القرآن » (٤) .
وعند محمد بن نصر «...قراءة النبي ﷺ وأنا نائمة على عريشي يرجع
بالقرآن » .

وعند ابن ماجه « كنت أسمع قراءة النبي ﷺ وأنا على عريشي » (٥) ، (٦) .

(١) مختصر قيام الليل ص ٥٦ .

(٢) زاد المعاد طبع مؤسسة الرسالة ج ١ ص ٣٣٧ .

(٣) مختصر قيام الليل ص ٥٧ .

(٤) تخریج الحديث رقم ٨٢ : إسناده صحيح .

قال الحافظ في الفتح ج ١ باب الترجيع « رواه الترمذي في « الشمائل » والنسائي وابن ماجه وابن
أبي داود واللفظ له . وقال الشيخ الأرنؤوظ : أخرجه أيضاً أحمد وإسناده صحيح .

(٥) إسناده صحيح : قال في الزوائد عن حديث ابن ماجه : إسناده صحيح ورجاله ثقات ، رواه
ابن ماجه في كتاب « إقامة الصلاة » باب « ما جاء في القراءة في صلاة الليل » حديث رقم
(١٣٤٩) ج ١ ص ٤٢٩ .

(٦) العريش : هو البيت : أي سقف بيتها ، والمراد ما يستظل به ، وقد سميت بيوت مكة عروشاً لأنها
عيدان تنصب وتظلل .

قال الحافظ في «الفتح» : «هو تقارب ضروب الحركات في القراءة وأصله التردد ، وترجيع الصوت : ترديده في الحلق» .

وقال أيضاً «والذى يظهر أن في الترجيع قدرًا زائدًا على الترتيل ، وقال الشيخ أبو محمد بن أبي حمزة : معنى الترجيع : تحسين التلاوة لا ترجيع الغناء ، لأن القراءة بترجيع الغناء تنافي الخشوع الذى هو مقصود التلاوة» ١. هـ .
وقال المناوى : «وذلك ينشأ غالبًا على أريحية وانبساط» ١. هـ .

ولا شك أن رسول الله ﷺ كان يحصل له من ذلك حظ وافر في قيام الليل قال النووى في شرحه لحديث ترجيع النبي ﷺ سورة الفتح على راحلته يوم فتح مكة :

« قال القاضى عياض : أجمع العلماء على تحسين الصوت بالقراءة وترتيلها . قال أبو عبيد : والأحاديث الواردة في ذلك محمولة على التحزين والتشويق . قال : واختلفوا في القراءة بالألحان فكرهها مالك والجمهور لخروجها عما جاء القرآن له من الخشوع والفهم ، وأباحها أبو حنيفة وجماعة من السلف للأحاديث ، ولأن ذلك سبب للركة وإثارة الخشية وإقبال النفوس على استماعه . قال النووى : قلت : «قال الشافعى في موضع : أكره القراءة بالألحان ، وقال في موضع : لا أكرهها قال أصحابنا : ليس له فيها خلاف ، وإنما هو اختلاف حالين فحيث كرهها أراد إذا مطط وأخرج الكلام عن موضعه بزيادة أو نقص أو مد غير ممدود ، وإدغام مالا يجوز إدغامه ، ونحو ذلك . وحيث أباحها أراد إذا لم يكن فيها تغير لموضع الكلام . والله أعلم» (١) ١. هـ .

(١) شرح النووى بصحيح مسلم ج ٢ ص ٤٤٨ والحديث أخرجه البخارى ومسلم عن عبد الله بن مغفل المزنى .

بكاؤه في صلاته

عن عبد الله بن الشخير رضى الله عنه قال : أتيت رسول الله ﷺ وهو يصلى ، وفي صدره أزيز كأزيز المرجل من البكاء» (١) .
 وأيم الله لقد كان خوفه ﷺ وهو سجد الخائفين لا يوصف ولا يجارى فقد قال ﷺ :

« شيتنى هود وأخواتها » (٢) وفي حديث آخر « شيتنى هود وأخواتها قبل المشيب » (٣) .

وقال ﷺ : « شيتنى هود وأخواتها من المفصل » (٤) وقال ﷺ :
 « شيتنى هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون وإذا الشمس كورت » (٥) .
 عن عطاء قال :- « دخلت أنا وعبيد بن عمير على عائشة رضى الله عنها فقال عبد الله بن عمير :

حدثينا بأعجب شيء رأيتيه من رسول الله ﷺ فبكت ، وقالت :-

-
- (١) الحديث رقم (١) : إسناده صحيح : رواه أبو داود والترمذى فى الشمائل ، وقال النووى فى « الأربعين النووية » إسناده صحيح ، وقال الألبانى فى « التراويح » إسناده صحيح على شرط مسلم .
 (٢) الحديث رقم (٢) صحيح : أخرجه الطبرانى فى الكبير عن عقبة بن عامر وعن أبى جحيفة وصححه السيوطى والألبانى فى صحيح الجامع رقم (٣٦١٤) .
 (٣) الحديث رقم (٣) : صحيح : أخرجه ابن مردويه عن أبى بكر وحسنه السيوطى وصححه الألبانى فى صحيح الجامع رقم (٣٦١٥) والصحيحة رقم (٩٥٥) .
 (٤) الحديث رقم (٤) : صحيح : أخرجه سعيد بن منصور فى « سننه » عن أنس و « ابن مردويه » عن عمران وصححه السيوطى والألبانى فى صحيح الجامع رقم (٣٦١٦) .
 (٥) الحديث رقم (٥) : صحيح : رواه الترمذى فى « الشمائل » عن ابن عباس ، وفى السنن ، وقال حديث حسن غريب ، والحاكم عن أبى بكر فى « المستدرک » وقال : صحيح على شرط البخارى ووافقه الذهبى والحاكم أيضاً عن ابن عباس . والحديث أخرجه أيضاً ابن مردويه عن سعد ، و « ابن سعد » فى « الطبقات » و أبو نعيم فى « الحلية » والضياء فى « الأحاديث المختارة » . وقال ابن الصلاح فى الاقتراح إسناده على شرط البخارى وحسنه السيوطى فى الدرر وفى الجامع الصغير « وصححه الألبانى فى صحيح الجامع رقم (٣٦١٧) .

قام ليلة من الليالي فقال : يا عائشة ذريني أتعبد لربي ، قالت : قلت : والله إنى لأحب قربك ، وأحب ما يسرك ، قالت : فقام فتطهر ، ثم قام يصلى ، فلم يزل يبكى حتى بل حجره ، ثم بكى ، فلم يزل يبكى حتى بل الأرض ، وجاء بلال يؤذن بالصلاة فلما رآه يبكى ، قال : يا رسول الله تبكى وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال : « أفلا أكون عبداً شكوراً . لقد نزلت على الليلة آيات وبل لمن قرأها ولم يتفكر فيها ﴿ إن في خلق السموات والأرض ﴾ الآية (١) » .

صفة قراءته

كان صلى الله عليه وسلم يسر بالقراءة في صلاة الليل تارة ، ويجهز تارة بها كما قال ابن القيم في زاد المعاد .

عن ابن عباس رضى الله عنها قال : « كانت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالليل قدر ما يسمعه من في الحجرة وهو في البيت » وعند أبي داود : « كانت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم على قدر ما يسمعه من في الحجرة وهو في البيت . قال القارى : المراد بالحجرة أخص من البيت يعنى كان لا يرفع صوته كثيراً ولا يسر بحيث لا يسمعه أحد ، وهذا إذا كان يصلى ليلاً وأما في المسجد فكان يرفع صوته فيها كثيراً ذكره ابن الملك » ا.هـ .

وقال الألبانى : « الحجرة » هنا ما يتخذ حجرة للمبيت عند بابه ، مثل الحرم للبيت . والحديث يعنى أنه صلى الله عليه وسلم كان يتوسط بين الجهر والإسرار » (٢) ا.هـ .

(١) الحديث رقم (١) : إسناده جيد : رواه أبو الشيخ (ابن حبان في « أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم ») وابن حبان في صحيحه وصححه الألبانى .

(٢) انظر « صفة صلاة النبي » في التعليق على « الجهر والإسرار في القراءة في صلاة الليل » .

و « كان ربما رفع صوته أكثر من ذلك حتى يسمعه من كان ظلي عريشه » (١)
أى خارج الحجرة .

عن ابن عباس رضى الله عنها قال :

« كانت قراءة النبي ﷺ ربما يسمعه من فى الحجرة ، وهو فى البيت » (٢)

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال :

« كانت قراءة النبي ﷺ بالليل يرفع طوراً ويخفض طوراً » (٣) .

وعند ابن نصر عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ « كان إذا قرأ من الليل يرفع طوراً ويخفض طوراً » (٣) .

عن أم هانئ قالت :

« كنت أسمع قراءة النبي ﷺ بالليل وأنا على عريشى » (٤)

عن عبد الله بن أبى قيس قال : سألت عائشة كيف كانت قراءة النبي ﷺ بالليل فقالت :-

« كل ذلك قد كان يفعل ، ربما أسرَّ بالقراءة وربما جهر » . فقلت : « الحمد

(١) الحديث (١) أورده هكذا الألبانى فى « صفة الصلاة » وقال : رواه النسائى والترمذى فى « الشمائل » والبيهقى فى « الدلائل » بإسناد حسن .

(٢) الحديث رقم (٢) : أخرجه أبو داود والترمذى فى « الشمائل » واللفظ له وقال الألبانى : إسناده حسن صحيح وقال الألبانى : هذا الحديث يدل على تواسطه ﷺ فى القراءة . انظر مختصر الشمائل المحمدية للشيخ الألبانى طبع المكتبة الإسلامية بالأردن حديث رقم ٢٧٥ ص ١٦٩ .

(٣) الحديث رقم (٣) : حسن : رواه أبو داود فى سننه ، والحاكم فى المستدرک ، وابن حبان فى صحيحه وابن نصر فى « الصلاة » وسكت عنه أبو داود والمنذرى فهو صالح كما قال المناوى وحسنه السيوطى والألبانى فى صحيح الجامع رقم (٤٦٤٣) .

(٤) الحديث رقم (٤) : حسن صحيح : أخرجه النسائى وابن ماجه والترمذى فى « الشمائل » واللفظ له وقال الألبانى : إسناده حسن صحيح قولها : وأنا على عريشى « أى على سريرى » . والرسول ﷺ يصل فى الليل عند الكعبة انظر « مختصر الشمائل المحمدية » ص ١٦٧ حديث رقم (٢٧٢) .

لله الذى جعل فى الأمرسة» (١) ولفظ النسائي : « سألت عائشة كيف كانت قراءة رسول الله ﷺ بالليل يجهر أم يُسرّ؟ قالت : كل ذلك قد كان يفعل ربما جهر وربما أسر » .

وقال صاحب تحفة الأحوذى : الحديث يدل على أن الجهر والإسرار جائزان فى قراءة صلاة الليل ، وحديث أبى قتادة [سيأتى ذكره فى قيام الصديق] يدل على أن المستحب فى القراءة فى صلاة الليل التوسط بين الجهر والإسرار » .
عن أبى هريرة قال قال رسول الله ﷺ :

« ما أذن الله لشيء ما أذن لنى حسن الصوت يتغنى بالقرآن يجهر به » (٢) .
وقال رسول الله ﷺ : « الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة ، والمسر بالقرآن كالمسر بالصدقة » (٣) .

قال النووى رحمه الله : « جاءت أحاديث بفضيلة رفع الصوت بالقراءة ، وآثار بفضيلة الإسرار ، قال العلماء والجمع بينهما أن الإسرار أبعد من الرياء فهو أفضل فى حق من يخاف ، فإن لم يخف فالجهر أفضل بشرط أن لا يؤذى غيره من مصل أو نائم أو غيرهما » ا.هـ .

وسيمر بك مرور رسول الله ﷺ وسماعه لأبى موسى من الليل وسماعه لعباد ابن بشر ودعاؤه له وسماعه لرجل ذكره « آية من القرآن أنسيها . وسماعه أصوات الأشعرين بالقرآن ، وفيها جواز رفع الصوت بالقراءة فى الليل ، وفى المسجد ولا كراهة فيه إذا لم يؤذ أحداً ولا تعرض للرياء والإعجاب » ا.هـ . من عون المعبود .

(١) إسناده حسن : رواه الترمذى واللفظ له ، والنسائى نحوه ، وقال الترمذى حديث صحيح غريب ، وصححه الحاكم ووافقه الذهبى ، وقال الشوكانى فى « نيل الأوطار » رجاله رجال الصحيح ، وقال عبد القادر الأرنؤوط والشاويش إسناده حسن فى التعليق على شرح السنة ج ٤ ص ٢٩ .

(٢) رواه البخارى ومسلم واللفظ له باب تحسين الصوت بالقرآن وابن مندة فى التوحيد .
(٣) صحيح : رواه أبو داود والترمذى والنسائى عن عقبة بن عامر ، والحاكم عن معاذ وقال الترمذى =

وفي فعله ﷺ سعة وهدياً لمن جاء بعده من أمته .

« عن أبي بكر بن محمد قال أتتنا عمرة فباتت عندنا فقمنا من الليل أصل
فجعلت أخافت بقراءتي فقالت يا ابن أخي لم لا تجهر بالقرآن فوالله ما كان
يوقظنا بالليل إلا قراءة معاذ القارئ أو قراءة أفلح مولى أبي أيوب وفي رواية وتميم
الداري .

وقال عن أبيه محمد بن أبي بكر أنه كان يرفع صوته بالقراءة
بالليل» (١) . ا. هـ .

هديه في التغني بالقرآن

قال رسول الله ﷺ : « لَيْسَ مَتَا مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالْقُرْآنِ » (٢) .
وعن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ : « ما أذن الله لشيء ما أذن
للنبي أن يتغنى بالقرآن » (٣) ، وفي لفظ آخر : « ما أذن لني أن يتغنى بالقرآن »
وآخر « كما يأذن لني بالقرآن » وآخر « ما أذن الله لشيء ما أذن لني حسن الصوت
يتغنى بالقرآن يجهر به » .

وآخر « لم يأذن الله لشيء ما أذن لني أن يتغنى بالقرآن » .

وآخر : « ما أذن لني في الترم في القرآن » (٣) .

وآخر : « حسن الترم بالقرآن » (٣) .

وردت عدة تأويلات لتفسير التغنى .

قال الحافظ في الفتح : « والحاصل أنه يمكن الجمع بين أكثر التأويلات

= حسن غريب وصححه الحاكم ووافقه الذهبي وصححه السيوطي والألباني في صحيح الجامع
رقم (٣١٠٠) وفي إسناده الطريق الأول اسماعيل ابن عياش وفيه مقال ومنهم من يصحح عن
الشاميين وهذا الحديث شامى الإسناد .

(١) مختصر قيام الليل للسمرقندى ص ٥٧ .

(٢) أخرجه البخارى عن أبي هريرة ، وأبو داود وأحمد في مسنده والحاكم عن سعد ، وأبو داود عن
أبي لبابة ابن عبد المنذر ، والحاكم عن ابن عباس وعن عائشة والدارمي وابن نصر .

(٣) رواه البخارى ومسلم وأبو داود والنسائي وأحمد في مسنده عن أبي هريرة ، والطبري والطحاوي
وابن أبي داود .

المذكورة وهو أنه يحسن صوته ، جاهراً به ، مترنماً على طريق التحنن ، مستغنياً به عن غيره من الأخبار»^(١) طالباً به غنى النفس^(٢) وقد نظمت ذلك في بيتين :

تغزى بالقرآن حسن به الصور حزيناً جاهراً رنم
واستغن عن كتب الألى طالباً غنى يد ، والنفس ثم الزم
ولقد اختلف على كلمة التغنى : قال ابن الجوزى : « يتغنى على أربعة أقوال :-

أحدها : تحسين الصوت والثاني : الاستغناء والثالث : التحنن قاله الشافعي والرابع : التشاغل به تقول العرب : تغنى بالمكان أقام فيه .

« وفيه أقوال أخرى سردها الحافظ ابن حجر العسقلاني في الفتح : التلذذ والاستحلاء له : كما يستلذ أهل الطرب بالغناء ، فأطلق عليه تغنياً من حيث إنه يفعل عنده ما يفعل عند الغناء ، وهو كقول النابغة : بكاء حامة تدعو هديلاً مُفَجَّعَةً على فَنَنِ تغنى أطلق على صوتها غناء لأنه يطرب كما يطرب الغناء وإن لم يكن غناء حقيقة .. حكاه ابن الأبارى في « الزاهر » .

وفيه قول آخر حسن : « وهو أنه يجعله هجيراً كما يجعل المسافر والفارغ هجيراً الغناء ، قال ابن الأعرابي : كانت العرب إذا ركبت الإبل تتغنى وإذا جلست في أفنيها وفي أكثر أحوالها ، فلما نزل القرآن أحب النبي ﷺ أن يكون هجيراً التلاوة مكان التغنى »^(٣) . ا . ه .

● « عن إبراهيم : ما بعث الله نبياً إلا حسن الوجه والصوت »^(٤)

(١) ، (٢) رأيان لسفيان بن عيينة .

(٣) انظر فتح الباري ج ٣ باب التهجد شرح باب من لم يتغن بالقرآن .

(٤) مختصر قيام الليل ص ٦٠ .

(ما أذن) : قال العلماء : معنى « أذن » في اللغة : الاستماع ومنه قوله تعالى : ﴿ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّت ﴾ .

وقال عدى بن زيد :

أيها القلب تعلق ببردن إن هَمَّي في استماع وأذن
وقال النووى : « معنى يتغنى عند الشافعى وأصحابه وأكثر العلماء من الطوائف وأصحاب الفنون : يُحَسِّنُ صوته به » .

قال الليث بن سعد : يتغنى : يتحزن به ويرقق به قلبه .

● « وعن أبي هريرة أنه قرأ سورة فحزنها شبه الرثى »^(١) .

● [وعن عبيد من عمير قال « كان داود عليه السلام يتغنى حين يقرأ -

ويكى ويكى » .

وعن ابن عباس : « أن داود كان يقرأ الزبور بسبعين لحناً ، ويقراً قراءة يطرب منها المحموم ، وكان إذا أراد أن يكى نفسه لم تبق دابة في بر ولا بحر إلا أنصت له واستمعت وبكت » .

[ولا شك أن النفوس تميل إلى سماع القراءة بالترنم أكثر من ميلها لمن لا يترنم ، لأن للتطريب تأثيراً في رقة القلب وإجراء الدمع ، وقد كان بين السلف اختلاف في جواز القراءة بالألحان أما تحسين الصوت وتقديم حسن الصوت على غيره فلا نزاع في ذلك ، فإن لم يكن حسناً فليحسُّه ما استطاع ، ومن جملة تحسينه أن يراعى فيه قوانين النغم ، فإن الحسن الصوت يزداد حسناً بذلك ما لم يخرج عن شرط الأداء المعتبر عند أهل القراءات فإن خرج عنها لم يف تحسين الصوت بقبح الأداء ، ولعلّ هذا مستند من كره القراءة بالأنغام لأن الغالب على من راعى الأنغام أن لا يراعى الأداء ، فإن وجد من يراعيها معاً فلا شك في أنه

(٣) إسناده حسن : ذكره ابن أبي داود انظر فتح البارى شرح باب من لم يتغن بالقرآن ج ٣ .

أرجح من غيره ، لأنه يأتي بالمطلوب من تحسين الصوت ويحْتبب الممنوع من حرمة الأداء والله أعلم [(١)]

• قال رسول الله ﷺ : « تعلموا كتاب الله وتعاهدوه ، واقتنوه ، وتغنوا به فوالذي نفسى بيده لهُوَ أشد تفلنا من المخاض في العقل » (٢)

• عن فضالة بن عبيد مرفوعاً « لله أشد أذناً إلى الرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة إلى قبيته » (٣)

• وعن جابر رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن من أحسن الناس صوتاً بالقرآن الذى إذا سمعته يقرأ رأيت أنه يخشى الله » (٤)

• وقال ﷺ « إن من أحسن الناس صوتاً بالقرآن الذى إذا سمعوه يقرأ حسبتموه يخشى الله » (٥)

(١) فتح الباب شرح باب من لم يتغن بالقرآن ج ٣ كتاب التهجد .

(٢) حديث (٢) : سنده صحيح ، رواه الدارمى وأحمد بسند صححه الألبانى فى صفة الصلاة ص ٧٢ والمخاض هى الإبلى ، والعقل جمع عقال وهو الخيل الذى يعقل به البعير .

(٣) حديث رقم (٣) رواه أحمد وابن ماجه والحاكم وصححه على شرط الشيخين ، وابن حبان وصححه ، والكجى ، وقال الذهبى : هو منقطع .

(٤) حديث رقم (٤) صحيح : أخرجه ابن ماجه وصححه الألبانى فى صحيح الجامع رقم (٢١٩٨) .

(٥) حديث رقم (٥) : صحيح : رواه ابن المبارك فى « الزهد » و « الدارمى » وابن نصر والطبرانى وأبو نعيم فى « أخبار أصفهان » والضياء فى « المختارة » انظر الألبانى فى صفة صلاة .

- وقال رسول الله ﷺ « حسنوا القرآن بأصواتكم ، فإن الصوت الحسن يزيد القرآن حسناً »^(١) وفي رواية « زينوا القرآن بأصواتكم »^(٢)
- وفي رواية « زينوا القرآن بأصواتكم ، فإن الصوت الحسن يزيد القرآن حسناً »^(٣)

وروى مسلم عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال قال رسول الله ﷺ « إن عبد الله بن قيس أو الأشعري أعطى مزماراً من مزامير آل داود »
وعند البخارى « يا أبا موسى ، لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل داود »
والمراد بآل داود داود نفسه لأنه لم ينقل أن أحداً من أولاد داود ولا من أقاربه كان أعطى من حسن الصوت ما أعطى ، وقد يطلق آل الرجل على نفس الرجل ، قال تعالى ﴿ ادخلوا آل فرعون أشد العذاب ﴾ وفرعون أولهم والمراد بالمزمار الصوت الحسن ، وأصله الآلة ، أطلق اسمه على الصوت للمشابهة .

(١) حديث رقم (١) : صحيح : رواه البخارى تعليقاً والدارمى والحاكم وتمام الرازى بسندين صحيحين كما قال الألبانى فى « صفة الصلاة » وابن نصر فى « الصلاة » وكلهم عن البراء بن عازب وحسنه السيوطى وصححه الألبانى فى صحيح الجامع رقم (٣١٤٠)

(٢) حديث رقم (٢) : « زينوا القرآن بأصواتكم » : صحيح : رواه أحمد فى مسنده والنسائى وأبو داود وابن ماجه والحاكم عن البراء . وأبو نصر السجزي فى « الإبانة عن أبى هريرة ، والدارقطنى فى « الأفراد » والطبرانى فى المعجم الكبير عن ابن عباس ، وأبو نعيم فى الحلية عن « عائشة » ، والدارمى وأبو نعيم فى « الحلية » عن البراء ، وابن حبان فى صحيحه عن أبى هريرة . وابن سعد وابن نصر عن ابن مسعود ، وعلقه البخارى فى آخر الصحيح ، وقال ابن حجر : هذا الحديث لم يصله البخارى فى صحيحه ووصله فى « خلق أفعال العباد » وصححه الحاكم وابن حبان وحسنه الدارقطنى وصححه السيوطى ، والألبانى فى صحيح الجامع رقم (٣٥٧٤) ،

وصحح إسناده عبد القادر الأرنؤوطى فى التعليق على شرح السنة ج ٤ ص ٤٨٦ .

(٣) حديث رقم (٣) : صحيح : رواه الحاكم فى فضائل القرآن ، والدارمى عن البراء ، وصححه الحاكم والسيوطى والألبانى فى صحيح الجامع رقم (٣٥٧٥) .

قال أبو عثمان النهدي « دخلت دار أبي موسى الأشعري فما سمعت صوتا صيخ
ولا بربط ولا ناي أحسن من صوته » (١).

وقال أيضا : « إنه كان ليصلي بنا فتودّ أنه قرأ البقرة من حسن صوته وهو
يقرأ القرآن ، فقال عليّ بن أبي طالب لعمر بن الخطاب : ألا تنهى هذا عن أن
يعنى بالقرآن في مسجد رسول الله ﷺ فأمهّل عمر حتى إذا كان الليل خرج
فاستمع لأبي موسى وهو يقرأ فلما سمع قراءته رقّ لها حتى بكى ثم انصرف ، فلما
أصبح واجتمع إليه أصحابه قال لهم : من استطاع منكم أن يعنى غناء
أبي موسى فليفعل .

وقدّم أبو موسى رضي الله عنه على معاوية فتزل في بعض الدور بدمشق
فخرج معاوية من الليل إلى منزله يمشى حتى استمع قراءته (٢) .

ولقد كان رسول الله ﷺ يحب سماع القرآن ليلاً من غيره ، سمعه من سالم
مولى أبي حذيفة فحمد الله أن جعل في أمته مثله ، وسمعه من أبي موسى الأشعري
ووقف لقراءته ، واستمعه من عبّاد بن بشر ودعا له فالقرآن سماع التبيين فارق
بقلبك وتصوّر صوت رسول الله ﷺ وما أحلى صحله وهو يترنم في الليل ، وقد
أرخص الليل سدوله ، وتصوّر خوف سيد العابدين وحسن صوته وبكائه وقد رأى
عند سدرة المنتهى ما رأى ثم عاد إلى الأرض ومعه الحنين والشوق إلى مولاه ،
وارق إلى داود في روضات الفردوس وهو قائم عند ساق العرش ومولاه يقول
له : يا داود مجدني بذلك الصوت الحسن الرّحيم ، فيقول كيف وقد سلّبتني في
الدنيا فيقول : فإني أردّه عليك فيرفع داود صوته بالزبور والقرآن فيستفرغ صوت
داود نعيم أهل الجنة اللهم بلّغنا روضات الجنان .

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية وقال الحافظ في الفتح شرح باب : حسن الصوت بالقراءة بالقرآن
إسناده حسن

(٢) مختصر قيام الليل ص ٥٩ .

ومن هديه التعوذ والتسبيح في القراءة :

عن حذيفة بن اليمان قال : كان ﷺ إذا مرّ بآية خوف تعوذ ، وإذا مرّ بآية رحمة سأل ، وإذا مرّ بآية فيها تنزيه لله سبح (١) .

قال المناوي في فيض القدير « قال الحلبي : فينبغي للمؤمنين سواء أن يكونوا كذلك ، بل هم أولى به منه إذا كان الله غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، وهم من أمرهم على خطر » (٢) ١. هـ .

• وفي لفظ آخر عند ابن خزيمة « صليت مع رسول الله ﷺ ذات ليلة ، ما مرّ بآية رحمة إلا وقف عندها فسأل ، ولا مرّ بآية عذاب إلا وقف عندها تعوذ » (٣) .

وعند النسائي : « لا يمر بآية رحمة إلا سأل ، ولا بآية عذاب إلا استجار » .

(١) حديث رقم (١) : رواه مسلم وأحمد في مسنده ، وأبو داود في سننه ، والنسائي وابن ماجه
(٢) حديث رقم (٣) إسناده صحيح كما قال الدكتور مصطفى الأعظمي في تحقيق الحديث رقم ٥٤٣
من صحيح ابن خزيمة .

قيامه بآية حتى الصباح

عن جَسْرَةَ بنت دَجَاجَةَ قالت : سمعت أبا ذر يقول « قام النبي ﷺ حتى إذا أصبح بآية ، والآية ﴿ إن تعذبهم فإنهم عبادك ، وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم ﴾ ^(١) .

وفي لفظ ابن ماجة وابن خزيمة : قام النبي ﷺ بآية حتى أصبح يردددها ، والآية ﴿ إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم ﴾ .
وفي لفظ آخر قام رسول الله ﷺ حتى أصبح يتلو آية واحدة من كتاب الله بها يركع وبها يسجد ، وبها يدعو حتى أصبح ﴿ إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم ﴾ فلما أصبح قلتُ لعبد الله بن مسعود إن رسول الله ﷺ فعل الليلة كذا وكذا فلو سألته عن ذلك ، فقال عبد الله : بأبي وأمي يا رسول الله قتت الليل بآية واحدة بها ترقع وبها تسجد وبها تدعو ، وقد علمك الله القرآن كله [لو فعل هذا بعضنا لوجدنا عليه] قال إني دعوت لأمتي [إني سألت ربي عز وجل الشفاعة لأمتي فأعطانها ، وهي نائلة إن شاء الله لمن لا يشرك بالله شيئاً] ^(٢) .

عن خباب بن الأرت رضى الله عنه وكان قد شهد بدرًا مع رسول الله ﷺ أنه راقب رسول الله ﷺ الليلة كلها حتى كان مع الفجر فلما سلم رسول الله ﷺ من صلاته جاءه خباب فقال يا رسول الله بأبي أنت وأمي ، لقد صليت الليلة صلاة ما رأيتك صليت نحوها فقال رسول الله ﷺ : «أجل : إنها صلاة رغب

(١) حديث رقم (١) : إسناده صحيح : رواه النسائي في كتاب افتتاح الصلاة - ترديد الآية ، وابن ماجة باب ما جاء في القراءة في صلاة الليل كتاب إقامة الصلاة ، وأحمد في مسنده وابن خزيمة في صحيحه والحاكم وابن نصر ، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي ، وقال الهيثمي إسناده صحيح ورجاله ثقات وصححه د . مصطفى الأعظمي في تحقيق صحيح ابن خزيمة ج ١ ص ٢٧١ ، وعبد القادر الأرنؤوط في التعليق على زاد للمعاد ج ١ ص ٣٣١ .

(٢) لفظ النسائي . اللفظ عند ابن نصر في قيام الليل سوى ما بين الأقواس [] .

ورهب [وإني] سألت ربي عز وجل فيها ثلاث خصال فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة ، سألت ربي عز وجل أن لا يهلكنا بما أهلك به الأمم قبلنا فأعطانيها ، وسألت ربي عز وجل أن لا يظهر علينا عدواً من غيرنا فأعطانيها ، وسألت ربي أن لا يلبسنا شيعاً فمنعنيها ^(١)»

هديه في الجمع بين السورتين في ركعة

عن أبي وائل قال « جاء رجل إلى ابن مسعود فقال : قرأت المفصل الليلة في ركعة فقال : هذا كهذ الشعر . لقد عرفت النظائر التي كان النبي ﷺ يقرن بينها - فذكر عشرين سورة من المفصل . سورتين في ركعة ^(٢) .

وفي طرف آخر عند البخاري : « غدونا على عبد الله فقال رجل : قرأت المفصل البارحة فقال : هذا كهذ الشعر ، إنا قد سمعنا القراءة ، وإني لأحفظ القرءاء التي كان يقرأ بها الرسول ﷺ : ثمان عشرة سورة من المفصل وسورتين من ال حم ^(٣) .

وفي لفظ آخر للبخاري « اثنين اثنين في كل ركعة فقام عبد الله ودخل معه علقمة وخرج علقمة فسألناه فقال عشرون سورة من أول المفصل على تأليف ابن مسعود آخرهن الحواميم حم الدخان وعم يتساءلون ^(٤) .

ولفظ مسلم : عن أبي وائل : « قال جاء رجل يقال له تهيبك بن سينان إلى عبد الله فقال يا أبا عبد الرحمن كيف تقرأ هذا الحرف ألقأ تجده أم يا »

(١) الحديث رقم (١) .

رواه النسائي كتاب قيام الليل باب إحياء الليل ، وأحمد والترمذي في الفتن وقال حديث حسن صحيح والطبراني .

وفي لفظ [أن لا يهلك أمتي بسنة]

(٢) البخاري ومسلم واللفظ البخاري كتاب الأذان باب الجمع بين السورتين في ركعة ، ورواه ابوداود والنسائي .

(٣) ، (٤) البخاري كتاب فضائل القرآن باب التزليل في القراءة وباب تأليف القرآن .

من ماءٍ غير آسنٍ أو من ماءٍ غير ياسنٍ قال فقال عبد الله : وكل القرآن أحصيت
غير هذا ؟

قال : إني لأقرأ المفصل في كل ركعة فقال عبد الله هذا كهذا الشعر إن أقواماً
يقراءون القرآن لا يُجاوز تراقيهم ولكن إذا وقع في القلب فرسخ فيه نفع ، إن
أفضل الصلاة الركوع والسجود إني لأعلم النظائر التي كان رسول الله ﷺ يقرن

بينهن سورتين في كل ركعة ثم قام عبد الله فدخل علقمة في أثره ثم خرج فقال قد
أخبرني بها (١) ا. هـ . وفي لفظ آخر عنده : جاء رجل من بني بَجيلة إلى عبد الله
وعنده عشرون سورة من المفصل في تأليف عبد الله .

● وفي حديث نحوه : اثنتان في ركعة عشرين سورة في عشر ركعات .
● وعنده أيضاً :

« قال رجل من القوم قرأت المفصل البارحة كله قال فقال عبد الله هذا كهذا
الشعر ، إنا لقد سمعنا القرائن وإني لأحفظ القرائن التي كان يقرأهن رسول الله
ﷺ ثمانية عشر من المفصل وسورتين من آل حم » .

« والنظائر هي السور المتماثلة في المعاني كالموعظة أو الحكم أو القصص .
والمفصل منها آخر القرآن اتفاقاً ، وابتداؤه من (ق) على
الأصح » (٢) ا. هـ .

وسمى مفصلاً نقصر سوره ، وقرب انفصال بعضهم من بعض .

قوله : عشرون سورة في عشر ركعات :

قال النووي « قال القاضي : هذا صحيح موافق لرواية عائشة وابن عباس
أن قيام النبي ﷺ كان إحدى عشرة ركعة بالوتر ، وأن هذا كان قدر قراءته
غالباً ، وأن تطويله الوارد إنما كان في التدبير والترتيل ، وما ورد من غير ذلك في

(١) مسلم كتاب صلاة المسافرين باب ترتيل القرآن واجتناب الهدء .

(٢) صفة صلاة النبي ﷺ ص ٥٧ نقلًا عن فتح الباري ج ٢ .

قراءته البقرة والنساء وآل عمران كان في نادر من الأوقات « (١) ا. هـ.
قوله « عشرون من المفصل » .

لا تعارض فيه لأن مراده في الثانية معظم العشرين من المفصل بدليل أنه
فرق بينهما في الأولى . وقوله في الأولى أكثر تفصيلاً .

(آل حم) : يعني حم .

قال الحافظ في الفتح :

« وفي الأحاديث : كراهة الإفراط في سرعة التلاوة لأنه يتنافى المطلوب من
التدبر والتفكير في معاني القرآن ، وفيه جواز تطويل الركعة الأخيرة على ما
قبلها ، وإذا جاز الجمع بين السورتين ساغ الجمع بين ثالث فصاعداً لعدم
الفرق .

عن عبد الله بن شقيق قال : سألت عائشة : « أكان رسول الله ﷺ يجمع
بين السور؟ قالت : نعم من المفصل » (٢) .

« ولا يخالف هذا أنه جمع بين البقرة وغيرها من الطوال لأنه يحمل على
النادر .

وليس في حديث ابن مسعود ما يدل على المواظبة ، بل فيه أنه كان يقرن بين
السور المعنيات إذا قرأ من المفصل » (٣) ا. هـ .

ولقد ورد ذكر هذه السور في رواية ابن خزيمة الآتية وعند أبي داود .
ففي صحيح ابن خزيمة :

« جاء نبيك بن سنان إلى عبد الله فقال : كيف تجهد هذا الحرف : من ماء
غير آسن أو ياسن؟ فقال : أكل القرآن أحصيت غير هذا؟

قال : إني لأقرأ المفصل في ركعة . فقال عبد الله : هذا كهذا الشعر ، إن

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ٢/٢٧١-٢٧٢ .

(٢) الحديث رقم (٢) : رواه أبو داود وصححه ابن خزيمة .

(٣) فتح الباري ج ٢ ص ٢٥٥ ، ٢٧٨ .

أقواماً يقرءون القرآن بألسنتهم لا يعدو تراقيهم ، ولكنه إذا دخل في القلب فرسخ فيه نفع . وإن أخير الصلاة الركوع والسجود . وإني لأعلم النظائر التي كان رسول الله ﷺ يقرأ بين سورتين في كل ركعة في كل ركعة ، ثم أخذ بيد علقمة فدخل ، ثم خرج فعذهن علينا .
قال الأعمش : وهي عشرون سورة على تأليف عبد الله ، أولهن الرحمن وآخرتهن الدخان .

الرحمن والنجم ، الذاريات والطور ، هذه النظائر . واقتربت والحاقة ، والواقعة ونون ، والنازعات سأل سائل ، والمدثر والمزمل ، وويل للمطففين وعبس ، ولا أقسم وهل أتى ، والمرسلات وعم يتساءلون ، وإذا الشمس كورت والدخان» ^(١) ، ^(٢)

هدية في طول ركوعه ليلاً وما يقول فيه

عن البراء رضى الله عنه قال : « كان ركوع النبي ﷺ وسجوده ، وبين السجدين ، وإذا رفع من الركوع ، ما خلا القيام والقعود قريباً من السواء » ^(٣)
ولقد مر في حديث حذيفة « فكان ركوعه نحواً من قيامه » ولقد قام في تلك الليلة بالبقرة والنساء وآل عمران .

ومرّ بك حديث عوف بن مالك الأشجعي ، ولفظ النسائي عنه .
« قمت مع رسول الله ﷺ ليلة فلما ركع مكث قدر سورة البقرة يقول في ركوعه وسجوده : « سبحان ذى الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة » .

(١) رواه ابن خزيمة في صحيحه كتاب الصلاة باب إباحة قراءة السورتين في الركعة الواحدة ج ١ ص ٢٦٩ ، ٢٧٠ وذكره مسلم مختصراً وكذا النسائي .

(٢) ولقد ذكر أبو داود السور في كتاب الصلاة باب تحزيب الآي . إلا أن أبا داود كان يذكر كلمة ركعة فيقول الرحمن والنجم في ركعة . وفي الثانية عنده اقتربت والحاقة ، والثالثة عنده هي الثانية في رواية ابن خزيمة ، وويل للمطففين وعبس مكان المدثر والمزمل ولم يخالفه في الاقتران .

(٣) حديث رقم (٣) : متفق عليه .

- وعند ابن خزيمة عن حذيفة : قال « صليت مع النبي ﷺ ذات ليلة فكان ركوعه مثل قيامه ، فقال في ركوعه « سبحان ربي العظيم » . فالسنة في القيام طول الركوع حتى يكون قريباً من القيام فالزمها .

أذكار الركوع

- « سبحان ربي العظيم ثلاث مرات » ^(١) .
- وكان أحياناً يكررها أكثر من ذلك ، وبالغ مرة في تكرارها في صلاة الليل حتى كان ركوعه قريباً من قيامه .
- « سبحان ربي العظيم وبحمده ثلاثاً » ^(٢) .
- « سبح قدوس رب الملائكة والروح » ^(٣) .
- « سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لي ، وكان يكثر منه في ركوعه وسجوده يتأول القرآن » . وفي لفظ آخر لمسلم « سبحانك وبحمدك ، استغفرك واتوب إليك » ^(٤) .
- « اللهم لك ركعت ، وبك آمنت ، ولك أسلمت [أنت ربي] خشع لك سمعي وبصري ، ومخى وعظمي (وفي رواية : وعظامي) وعصبي ، [وما استقلت به قدمي لله رب العالمين] » ^(٥) .
- « اللهم لك ركعت ، وبك آمنت ، ولك أسلمت ، وعليك توكلت ، أنت

(١) قال الألباني في « صفة صلاة النبي ﷺ » : رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه والدارقطني والطحاوي والبخاري والكبير عن سبعة من الصحابة ففيه رد على من أنكروا ورود التقييد بثلاث تسيحات كابن القيم وغيره .

(٢) جزء من حديث صحيح رواه أبو داود والدارقطني وأحمد والطبراني والبيهقي .

(٣) جزء من حديث عند مسلم وأبي عوانة « السبوح » : الذي يتره عن كل سوء ، والقدوس : المبارك وقيل الظاهر .

(٤) جزء من حديث في البخاري ومسلم .. معنى يتأول القرآن يعمل بما أمر به فيه أي في قوله تعالى ﴿ فسبح بحمد ربك واستغفره ﴾ .

(٥) جزء من حديث صحيح عند مسلم وأبي عوانة والطحاوي والدارقطني .

رني خشع سمعي وبصري ودمي ولحمي وعظمي وعصبي لله رب العالمين «
« سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة » .

عن عائشة رضی الله عنها قالت : « افتقدت النبي ﷺ ذات ليلة فظننت أنه ذهب إلى بعض نسائه فتحسست ثم رجعت ، فإذا هو راکع أو ساجد يقول « سبحانك وبحمدك لا إله إلا أنت » فقلت بأبي أنت وأمي إني لفي شأن وإنك لفي آخر » (٢)

(فائدة) : قال الألباني : « هل يشرع الجمع بين هذه الأذكار في الركوع الواحد أم لا ؟ اختلفوا في ذلك ، وتردد فيه ابن القيم في « الزاد » وجزم النووي في « الأذكار » بالأول فقال : « والأفضل أن يجمع بين هذه الأذكار كلها إن تمكن ، وكذا ينبغي أن يفعل في جميع الأبواب » .

وتعقبه أبو الطيب صديق حسن خان فقال في « نزل الأبرار » (٨٤)
« يأتي مرة بهذه ، وبذلك أخرى ، ولا أرى دليلاً على الجمع ، وقد كان رسول الله ﷺ لا يجمعها في ركن واحد ، بل يقول هذا مرة ، وهذا مرة والاتباع خيرة من الابتداء » قال الألباني : « هذا هو الحق إن شاء الله تعالى ، لكن قد ثبت في السنة إطالة هذا الركن وغيره حتى يكون قريباً من القيام ، فإذا أراد المصلی الاقتداء به ﷺ في هذه السنة فلا يمكنه ذلك إلا على طريقة الجمع الذي ذهب إليه النووي ، وقد رواه ابن نصر في « قيام الليل » عن عطاء ، وإلا على طريقة التكرار المنصوص عليه في بعض الأذكار ، وهذا أقرب إلى السنة والله أعلم » (٣)

قال ابن جريج قلت لعطاء كيف تقول في الركوع : « قال إذا لم أعجل ولم

(١) جزء من حديث صحيح رواه النسائي بسند صحيحه الألباني في صفة الصلاة .

(٢) حديث (٢) رواه مسلم باب ما يقول في « الركوع والسجود » .

(٣) . صفة صلاة النبي ﷺ ص ٧٨-٧٩ .

يكن معي من يعجلني فإني أقول سبحانك وبحمدك لا إله إلا أنت ، سبحان ربنا
 إن كان وعد ربنا لمفعولاً ثلاث مرات ، وسبحان ربي العظيم ثلاث مرات ثم
 أقول سبحان الله وبحمده ثلاث مرات وسبحان الملك القدوس ثلاث مرات ،
 وسبوح قدوس رب الملائكة والروح تسبق رحمة ربي غضبه مراراً^(١) .

هديه في الرفع من الركوع وأذكاره

مر بك سابقاً « وكان قيامه نحواً من ركوعه وكان ركوعه ، وإذا رفع رأسه
 من الركوع ، وسجوده بين السجدين قريباً من السواء » .

أما أذكار الرفع من الركوع فهي مثل باقي الصلوات .

عن حذيفة أنه صلى مع رسول الله ﷺ ذات ليلة فسمعه حين كبر قال الله

أكبر ذا الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة ، وكان يقول في ركوعه :

سبحان ربي العظيم ، وإذا رفع رأسه من الركوع قال : لربي الحمد ، لربي

الحمد ، وفي سجوده « سبحان ربي الأعلى ، وبين السجدين : رب اغفر لي ،

رب اغفر لي ، وكان قيامه وركوعه وإذا رفع رأسه من ركوعه وسجوده وما بين

السجدين قريباً من السواء^(٢) .

« ربنا ولك الحمد »^(٣) وتارة يقول :

« ربنا لك الحمد »^(٤) وتارة يضيف إلى هذين اللفظين قوله اللهم^(٥) .

(١) مختصر قيام الليل للسمرقندي ووردت مطولة أكثر من ذلك في المصنف ج ١ ص ١٦١ .

(٢) حديث (٢) إسناده صحيح : قال الألباني رواه أبو داود والنسائي بسند صحيح ، انظر صفة

صلاة النبي ﷺ .

(٣) البخاري ومسلم .

(٤) البخاري وأحمد : وقد سها ابن القيم رحمه الله فأنكر في « الزاد » صحة الرواية الجامعة بين

« اللهم » و « الواو » أنها في « صحيح البخاري » ومسنده أحمد ، والنسائي وأحمد أيضاً من

طريقين عن أبي هريرة ، وعند الدارمي من حديث ابن عمر ، وعند البيهقي عن أبي سعيد

الخدري ، وعند النسائي من حديث أبي موسى « قاله الألباني » .

وتارة يزيد على ذلك :

« ملء السموات ، وملء الأرض ، وملء ما شئت من شيء بعد »^(١) .
وإما « ملء السموات و [ملء] الأرض ، وما بينهما ، وملء ما شئت من
شيء بعد »^(٢) .

وتارة يضيف إلى ذلك قوله :

« أهل الثناء والمجد ، لا مانع لما أعطيت ، ولا معطى لما منعت ، ولا ينفع
ذا الجد منك الجد »^(٣) .

وتارة تكون الإضافة :

« ملء السموات ، وملء الأرض ، وملء ما شئت من شيء بعد ، أهل
الثناء والمجد ، أحق ما قال العبد ، وكلنا لك عبد [اللهم] لا مانع لما أعطيت
[ولا معطى لما منعت] ولا ينفع ذا الجد منك الجد »^(٤) .
« ربنا ولك الحمد ، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه [مباركاً عليه ، كما يجب
ربنا ويرضى] »^(٥) .

(١) مسلم وأبو عوانة .

(٢) مسلم وأبو عوانة .

(٣) أبو داود والنسائي بسند صحيح .

(٤) مالك والبخاري وأبو داود أنظر « صفة صلاة النبي » ص ٨١ .

هديه في سجوده وأذكار السجود

طول سجوده :

عن عروة أن عائشة أخبرته أن رسول الله ﷺ كان يصلي إحدى عشرة ركعة كانت تلك صلاته يسجد السجدة من ذلك قدر ما يقرأ أحدكم خمسين آية قبل أن يرفع رأسه ، ويركع ركعتين قبل صلاة الفجر ، ثم يضطجع على شقه الأيمن حتى يأتيه المنادى للصلاة « (١) .
وكان سجوده نحواً من قيامه من الركوع .

أذكار السجود عامة :

« سبحان ربى الأعلى ثلاث مرات » (٢) وكان أحياناً يكررها أكثر من ذلك وكان يباليغ في تكرارها في سجوده في صلاة الليل .
« سبحان ربى الأعلى وبحمده ثلاثاً » (٣) .
« سبح قدوس رب الملائكة والروح » .
« سبحانك اللهم ربنا وبحمدك ، اللهم اغفرلى » .
عن عائشة كان النبي ﷺ يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده « اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفرلى يتأول » (٤) القرآن .
اللهم لك سجدت ، وبك آمنت ، ولك أسلمت ، [وأنت ربى] سجد وجهى للذى خلقه وصوره [فأحسن صورى] ، وشق سمعه وبصره ، [ف] تبارك الله أحسن الخالقين (٥)

-
- (١) البخارى ج ٣ كتاب التهجذ باب طول السجود في قيام الليل .
 - (٢) أحمد في مسنده وأبو داود وابن ماجه والطبرانى في الكبير والطحاوى والبخارى والدارقطنى .
 - (٣) صحيح : رواه أبو داود وأحمد في مسنده والبيهقى والطبرانى وصححه الألبانى .
 - (٤) البخارى ومسلم .
 - (٥) مسلم وأبو عوانة والطحاوى والدارقطنى .

« اللهم اغفر لي ذنبي كله ، دقة وجله ، وأوله وآخره ، وعلانيته
وسره » (١)

« سجد لك سوادى وخيالى ، وآمن بك فوادى ، وأبوء بنعمتك على ،
هذى يدي وما جنيت على نفسى » (٢)

ورود فى ذكره فى سجوده ليلاً الأذكار التالية « ولا يبنى ذلك مشروعياً
هذه الأوراد فى « الفرض » لعدم وجود الفرق بينه وبين النفل ، وبهذا يقول
الشافعى وأحمد وإسحاق يرون أن هذا جائز فى المكتوبة والتطوع ، كما حكاه
الترمذى وذهب إلى مشروعية ذلك الإمام الطحاوى أيضاً فى « مشكل
الآثار » .. والنظر الصحيح يؤيد ذلك ، لأنه ليس فى الصلاة مكان لا يشرع فيه
ذكر ، فينبغى أن يكون كذلك الأمر ههنا وهذا بين لا يخفى » (٣)
« سبحان ذى الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة » .

« اللهم [إني] أعوذ برضاك من سخطك ، و [أعوذ] بمعافاتك من
عقوبتك ، وأعوذ بك منك ، لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على
نفسك » (٤)

عن عائشة رضى الله عنها قالت : فقدت رسول الله ﷺ ليلة من الفراش
فالتصته ، فوقعت يدي على بطن قدميه وهو فى المسجد ، وهما منصوبتان وهو
يقول « اللهم أعوذ برضاك من سخطك ، وبمعافاتك من عقوبتك ، وأعوذ بك
منك لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك » (٥)

• قال الخطابى : « فى هذا معنى لطيف ، وذلك أنه استعاذ بالله تعالى وسأله

(١) مسلم وأبو عوانة .

(٢) ابن نصر والبزار والحاكم وصححه أنظر صفة الصلاة للألبانى .

(٣) صفة صلاة النبى ﷺ ، ص ٨٧ .

(٤) مسلم وأبو عوانة وابن أبى شيبه فى المصنف .

(٥) صحيح مسلم باب ما يقول فى الركوع والسجود حديث رقم ١١٨ .

أن يجيره برضاه من سخطه ، وبمعافاته من عقوبته ، والرضاء والسخط ضدان متقابلان ، وكذلك المعافاة والعقوبة ، فلما صار إلى ذكر ما لا ضد له وهو الله سبحانه وتعالى استعاذ به منه لا غير ، ومعناه الاستغفار من التقصير في بلوغ الواجب من حق عبادته والثناء عليه ، وقوله « لا أحصى ثناء عليك : أى لا أطيعه ولا آتى عليه ، وقيل : لا أحيط به ، وقال مالك رحمه الله تعالى : معناه لا أحصى نعمتك وإحسانك والثناء بها عليك وإن اجتهدت في الثناء عليك . وقوله « أنت كما أثنت على نفسك » : اعتراف بالعجز عن تفصيل الثناء وأنه لا يقدر على بلوغ حقيقته ، ورد للثناء إلى الجملة دون التفصيل والإحصار والتعيين ، فوكل ذلك إلى الله المحيط بكل شيء » (١) . ا . هـ .

« سبحانك [اللهم] وبحمدك ، لا إله إلا أنت » (٢) .

عن عائشة رضی الله عنها قالت : « فقدت رسول الله ﷺ من مضجعه فجعلت أتمسه ، وظننت أنى بعض جواريه ، فوقعت يدي عليه وهو ساجد وهو يقول « اللهم اغفرلى ما أسررت وما أعلنت » (٣) .

عن ابن عباس قال « بت عند خالتي ميمونة بنت الحرث ، وبات رسول الله ﷺ عندها ، فرأيته قام لحاجته ، فأتى القربة فحلّ شناقها ، ثم توضأ وضوءاً بين الوضوءين ، ثم أتى فراشه ، فنام ، ثم قام قومة أخرى فأتى القربة فحلّ شناقها ثم توضأ وضوءاً هو الوضوء ، ثم قام يصلى ، وكان يقول في سجوده : - « اللهم اجعل في قلبي نوراً [وفي لساني نوراً] ، واجعل في سمعي نوراً ، واجعل في بصرى نوراً ، واجعل من تحتي نوراً ، واجعل من فوقى نوراً ، وعن يمينى نوراً ، وعن يسارى نوراً ، واجعل أمامى نوراً ، واجعل خلفى نوراً ،

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ج ٢ ص ١٢٣ ، ١٢٤ .

(٢) جزء من حديث في صحيح مسلم وأبو عوانة والنسائي وابن نصر .

(٣) صحيح رواه ابن أبي شيبة والنسائي والحاكم وصححه ووافقه الذهبي حديث ٠١١٩ .

وأعظم لى نوراً وفي لفظ مسلم « واجعلنى نوراً »^(١)
 عن عائشة قالت كان رسول الله ﷺ يقول فى صلاة الليل فى سجوده :
 « سبحانك لا إله إلا أنت »^(٢)

• عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :
 « أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد ، فأكثرُوا فيه من الدعاء »^(٣)
 قال الحافظ فى الفتح « الأمر بإكثار الدعاء فى السجود يشمل الحث على
 تكثير الطلب لكل حاجة ، ويشمل التكرار للسؤال الواحد »^(٤) . هـ .

« أذكار ما بين السجدين »

مرت بك أحاديث مطولة ورد فيها ذكر ما بين السجدين .

عن حذيفة أن النبى ﷺ كان يقول بين السجدين :

« رب اغفرلى ، رب اغفرلى »^(٥) .

عن ابن عباس قال : « بت عند خالتي ميمونة قال : فانتبه رسول الله ﷺ
 من الليل فذكر الحديث ، قال : ثم ركع ، قال : فرأيتُه قال فى ركوعه :
 سبحان ربى العظيم ، ثم رفع رأسه ، فحمد الله ما شاء أن يحمده ، قال ثم
 سجد ، قال : فكان يقول فى سجوده : سبحان ربى الأعلى ، قال : ثم رفع
 رأسه فكان يقول فيما بين السجدين : « رب اغفرلى وارحمنى ، واجبرنى ،
 وارفعنى ، وارزقنى واهدنى »^(٦) .

(١) حديث (١) رواه مسلم وأبو عوانة وابن أبى شيبه فى المصنف والنسائى واللفظ له سوى ما بين
 القوسين .

(٢) حديث (٢) أحمد فى مسنده ورجاله ثقات .

(٣) رواه مسلم وأبو داود والنسائى وأحمد والبيهقى وأبو عوانة .

(٤) فتح البارى ج ٢ ص ٣٠٠ .

(٥) رواه ابن ماجه وقال الألبانى فى « صفة النبى ﷺ » إسناده حسن .

(٦) (٦) إسناده صحيح : رواه أحمد فى مسنده ، وأبو داود والترمذى والحاكم وابن ماجه والبيهقى :

وقال ابن حجر فى تلخيص الحبير فيه كامل أبو العلاء وهو مختلف فيه ، وقال صاحب =

وقد ورد الذكر بالفاظ عدة :

● اللهم [رب] اغفر لي ، وارحمني ، [واجبرني] ، [وارفعني] ، واهدني [وعافني وارزقني] .

« اللهم اغفر لي وارحمني ، واجبرني واهدني وارزقني » عند الترمذي .
« اللهم اغفر لي وعافني وارزقني واهدني » عند أبي داود .
« اللهم اغفر لي وارحمني واجبرني وارزقني وارفعني » عند ابن ماجة .
« اللهم اغفر لي واجبرني وارحمني وارفعني ، وارزقني واهدني » عند

الحاكم

هديه في القيام والقعود في صلاة الليل

قال شيخ الإسلام ابن قيم الجوزية :

« كانت صلاته ﷺ بالليل ثلاثة أنواع :

أحدها : وهو أكثرها : صلاته قائماً .

الثاني : أنه كان يُصلي قاعداً ، ويركع قاعداً .

الثالث : أنه كان يقرأ قاعداً ، فإذا بقى يسير من قراءته ، قام فركع قائماً ،

والأنواع الثلاثة صحت عنه « (١) » .

وإليك الأحاديث في ذلك :

عن عبد الله بن شقيق قال قلت لعائشة « هل كان النبي ﷺ يصلي وهو

قاعدا قالت نعم بعد ما حطمه الناس » (٢) .

« المعنى : حطم فلاناً أهله إذ كبر فيهم ، كأنه لما حملة من أمورهم وأنقاهم

والاعتناء بمصالحهم صبروه شيخاً محطوماً والحطم الشيء اليابس » (٣) .

= تحفة الأوحدي إن لم يصح فهو حسن ، وقال الشيخ أحمد شاكر إسناده صحيح انظر الحديث رقم (٣٥١٤) في المسند .

(١) . زاد المعاد طبع مؤسسة الرسالة ج ١ ص ٣٣١ ، ٣٣٢ .

(٢) حديث (٢) : رواه مسلم في كتاب صلاة المسافرين باب جواز النافلة قائماً وقاعداً .

(٣) صحيح مسلم ج ٢ شرح باب جواز النافلة ص ٢٨٥ .

عن أبي سلمة بن عبد الرحمن أن عائشة أخبرته أن النبي ﷺ لم يمت حتى كان كثير من صلاته وهو جالس» (١) .

عن عروة عن عائشة قالت «لما بَدَن رسول الله ﷺ ونُقِل كان أكثر صلاته جالساً» (٢) .

قال النووي : «قال القاضي عياض رحمه الله : قال أبو عبيد في تفسير هذا الحديث : بَدَن الرجل بفتح الدال المشددة تبدينا إذا أَسَنَّ . قال أبو عبيد : ومن رواه (بَدَن) بضم الدال المخففة فليس له معنى هنا ، لأن معناه كثر لحمه وهو خلاف صفته ﷺ ، يقال : بدن يبدن بدانة . وأنكر أبو عبيد الضم . قال القاضي : روايتنا في مسلم عن جمهورهم «بَدَن» بالضم ، وعن العذري بالتشديد وأراه إصلاحاً ، قال : ولا ينكر اللفظان في حقه ﷺ ففي حديث عائشة في مسلم : فلما أَسَنَّ رسول الله ﷺ وأخذ اللحم أوتر بسبع ، وفي حديث آخر «ولحم» وفي آخر «أَسَنَّ وكثر لحمه» وفي وصفه «بادن متماسك» هذا كلام القاضي ، والذي ضبطناه ووقع في بلادنا التشديد والله أعلم» ١ هـ .

عن حفصة أنها قالت «ما رأيت رسول الله ﷺ صَلَّى في سُبْحَتِهِ قاعداً حتى كان قبل وفاته بعام ، فكان يصلي في سبحته قاعداً ، وكان يقرأ بالسورة فيرتلها حتى تكون أطول من أطول منها» (٣) وفي رواية أخرى «بعام أو اثنين» .

(١) حديث (١) : رواه مسلم في كتاب صلاة المسافرين باب جواز النافلة قائماً وقاعداً ، وفي الشرائع للترمذي بسند صحيح .

(٢) حديث (٢) : رواه مسلم في كتاب صلاة المسافرين باب جواز النافلة قائماً وقاعداً .

(٣) حديث رقم ٣ : رواه مسلم في كتاب صلاة المسافرين باب جواز النافلة قائماً وقاعداً ، والموطأ في صلاة الجماعة باب ما جاء في صلاة القاعد في النافلة .

(فائدة) : في الحديث (٣) في مسلم : لطيفة في الإسناد ففيه ثلاثة من الصحابة يروى بعضهم عن بعض : السائب بن يزيد عن المطلب بن وداعة عن حفصة رضي الله عنها ١ هـ .

● عن جابر بن سمرة « أن النبي ﷺ لم يمّت حتى صلى قاعداً » وكان رسول الله ﷺ يصلي قاعداً سواء مرض أم لم يمرض .

عن عبد الله بن أبي قيس قال : قالت عائشة « لا تدع قيام الليل فإن رسول الله ﷺ كان لا يدعه ، وكان إذا مرض أو كسل صلى قاعداً » (١) .

عن عائشة رضی الله عنها قالت : ما رأيت رسول الله ﷺ يقرأ في شيء من صلاة الليل جالساً حتى إذا كبر قرأ جالساً حتى إذا بقى عليه من السورة ثلاثون أو أربعون آية قام فقرأهن ثم ركع » (٢) .

عن أنى سلمة بن عبد الرحمن عن عائشة أن رسول الله ﷺ « كان يصلي جالساً فيقرأ وهو جالس ، فإذا بقى من قراءته قدر ما يكون ثلاثين أو أربعين آية قام فقرأ وهو قائم ثم ركع ثم سجد ثم يفعل في الركعة الثانية مثل ذلك » (٣) . وزاد البخارى « فإذا قضى صلاته نظر فإن كنت يقظى تحدث معى ، وإن كنت نائمة أضطجع » .

عن عمرة عن عائشة قالت : « كان رسول الله ﷺ يقرأ وهو قاعد ، فإذا أراد أن يركع قام قدر ما يقرأ الإنسان أربعين آية » (٤) .

عن علقمة بن وقاص قال : قلت لعائشة : كيف كان يصنع رسول الله ﷺ في الركعتين وهو جالس . قالت « كان يقرأ فيها فإذا أراد أن يركع قام فركع » (٥) فوائده من الأحاديث :

● إباحة التطوع جالساً وإن لم يكن بالمرء مرض وهو إجماع العلماء .

قال ابن حجر فى الفتح عن قول عائشة « من صلاة الليل ... حتى أسن

وكبر .

(١) صحيح سبق تخريجه .

(٢) البخارى ومسلم واللفظ لمسلم كتاب صلاة المسافرين باب جواز النافلة قائماً وقاعداً .

(٣) البخارى ومسلم واللفظ لمسلم كتاب صلاة المسافرين باب جواز النافلة قائماً وقاعداً .

(٤) مسلم كتاب صلاة المسافرين باب جواز النافلة قائماً وقاعداً .

(٥) مسلم كتاب صلاة المسافرين باب جواز النافلة قائماً وقاعداً .

[قال ابن التين : قيدت عائشة ذلك بصلاة الليل لتخرج الفريضة .
و « حتى أسنَّ » لتعلم أنه إنما فعل ذلك إبقاءً على نفسه ليستديم الصلاة
وأفادت أنه كان يديم القيام ، وأنه كان لا يجلس عما يطيقه من ذلك .
• جواز إيقاع بعض الصلاة قاعداً ، وبعضها قائماً في صلاة الليل ، وجواز
العود في أثناء صلاة النافلة لمن افتتحها قائماً ، كما يباح له أن يفتتحها قاعداً ثم
يقوم إذ لا فرق بين الحالتين .

• قولها (فإذا بقي من قراءته) ، قال الحافظ ابن حجر « فيه إشارة إلى أن
الذي كان يقرؤه قبل أن يقوم أكثر ، لأن البقية تطلق في الغالب على الأقل وفي
هذا الحديث أنه لا يشترط لمن افتتح النافلة قاعداً أن يركع قاعداً ، أو قائماً أن
يركع قائماً »^(١) .

• وفي الحديث كما قال النووي « دليل على استحباب تطويل القيام في
النافلة ، وأنه أفضل من تكثير الركعات في ذلك الزمان »^(٢) وهو مذهب
الشافعي .

عن عبد الله بن شقيق عن عائشة قالت : « كان رسول الله ﷺ يصلي ليلاً
طويلاً ، فإذا صلى قائماً ركع قائماً ، وإذا صلى قاعداً ركع قاعداً » وفي لفظ
آخر « يصلي ليلاً طويلاً قائماً » .

• عن عبد الله بن شقيق قال : سألت عائشة عن صلاة رسول الله ﷺ
بالليل فقالت : « كان يصلي ليلاً طويلاً قائماً ، وليلاً طويلاً قاعداً ، وكان إذا
قرأ قائماً ، ركع قائماً ، وإذا قرأ قاعداً ركع قاعداً »^(٣) .
وفي لفظ آخر .

• عن عبد الله بن شقيق قال : سألت عائشة عن صلاة رسول الله ﷺ

(١) البخاري كتاب نقصير الصلاة شرح باب إذا صلى قاعداً ثم صح من فتح الباري .

(٢) شرح النووي لمسلم ج ٢ ص ٣٨٤ ، ٣٨٥ .

(٣) مسلم واللفظ له باب جواز الصلاة قائماً وقاعداً .

فقلت :-

« كان رسول الله ﷺ يكثر الصلاة قائماً وقاعداً ، فإذا افتتح الصلاة قائماً ركع قائماً ، وإذا افتتح الصلاة قاعداً ركع قاعداً »
• قال ابن خزيمة في صحيحه :

« قد أنكر هشام بن عروة خبر عبد الله بن شقيق : إذ ظاهره كان عنده خلاف خبره عن أبيه عن عائشة ، وهو عندي غير مخالف لخبره ، لأن في رواية خالد عن عبد الله بن شقيق عن عائشة « فإذا قرأ وهو قائم ركع وسجد وهو قائم ، وإذا قرأ وهو قاعد ركع وسجد وهو قاعد » ، فعلى هذه اللفظة هذا الخبر ليس بخلاف خبر عروة وعمره عن عائشة ، لأن هذه اللفظة التي ذكرها خالد دالة على أنه كان إذا كان جميع القراءة قاعداً ركع قاعداً ، وإذا كان جميع القراءة قائماً ركع قائماً ، ولم يذكر عبد الله بن شقيق صفة صلاته إذا كان بغض القراءة قائماً وبعضها قاعداً ؟ وإنما ذكره عروة وأبو سلمة وعمره عن عائشة إذا كانت القراءة في الحالتين جميعاً بعضها قائماً وبعضها قاعداً ؟ فذكر أنه كان يركع وهو قائم إذا كانت قراءته في الحالتين كليهما » (١) .

ثم تكلم الحافظ ابن خزيمة عن الحديث الأخير فقال : « هذا الخبر يبين هذه الأخبار كلها ، فعلى هذا الخبر إذا افتتح الصلاة قائماً ثم قعد وقرأ انبغى له أن يقوم فيقرأ بعض قراءته ثم يركع وهو قائم ، فإذا افتتح صلاته قاعداً قرأ جميع قراءته وهو قاعد ، ثم ركع وهو قاعد اتباعاً لفعل النبي ﷺ » . هـ .

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني في تعليقه على حديث عروة عن عائشة : « فيه رد على من اشترط على من افتتح الصلاة النافلة قاعداً أن يركع قاعداً أو قائماً أن يركع قائماً ، وهو محكى عن أشهب وبعض الحنفية والحجة فيه حديث عبد الله بن شقيق عن عائشة .

وحديث عبد الله بن شقيق صحيح ، ولكن لا يلزم منه منع مارواه عروة

(١) صحيح ابن خزيمة ج ١ ص ٢٤٠ ، ٢٤١ .

عنها فيجمع بينهما بأنه كان يفعل كلاً من ذلك بحسب النشاط وعدمه والله أعلم» (١) ١. هـ .

كيفية جلوسه إذا صلى قاعداً :

عن عائشة رضی الله عنها قالت :

« رأيت رسول الله ﷺ يصلي متربعا » (٢) .

خاصية لرسول الله ﷺ في القيام والقعود ليلاً

عن عبد الله بن عمرو رضی الله عنهما قال :

« حدثت أن رسول الله ﷺ قال : صلاة الرجل قاعداً نصف الصلاة قال

فأنته فوجدته يصلي جالساً ، فوضعت يدي على رأسه ، فقال : « مالك يا عبد الله بن عمرو قلت : حدثت يا رسول الله أنك قلت صلاة الرجل قاعداً على نصف الصلاة وأنت تصلي قاعداً ، قال : « أجل ، ولكني لست كأحد منكم » (٣) .

(١) فتح الباري ج ٣ كتاب التهجيد شرح قيام النبي ﷺ في رمضان وغيره .

(٢) حديث رقم (٢) : إسناده صحيح .

قال الحافظ ابن حجر في تلخيص الحبير : [رواه النسائي والدارقطني وابن حبان ، والحاكم من حديث عائشة ، قال النسائي : « ما أعلم أحداً رواه غير أبي داود الحفري [وهو ثقة] ولا أحسبه إلا خطأ » . وقد رواه ابن خزيمة والبيهقي من طريق محمد بن سعيد الأصبهاني بمتابعة أبي داود فظهر أنه لا خطأ فيه ؟ وروى البيهقي من طريق ابن عينة عن ابن عجلان عن عامر بن عبد الله بن الزبير عن أبيه : رأيت النبي ﷺ يدعو هكذا ؟ ووضع يديه على ركبتيه وهو متربعا جالس » ورواه البيهقي عن حميد : رأيت أنسا يصلي متربعا على فراشه ؟ وعلقه البخاري] ١. هـ . كلام الحافظ ولقد نحا الحافظ محمد بن نصر المروزي منحى النسائي وذهب في « قيام الليل » إلى خطأ الراوي .

وقال الألباني : « إسناده صحيح كما قال الحاكم والذهبي ، تحظنة الثقة بالظن لا يجوز » | انظر تحقيق صحيح ابن خزيمة ج ١ حديث رقم (١٢٣٨) ، وقال الألباني في « صفة صلاة النبي ﷺ » : « رواه عبد الغني المقدسي في « السنن » وابن خزيمة والحاكم وصححه ووافقه الذهبي .

(٣) حديث رقم (٣) : رواه مسلم باب جواز النافلة قائماً وقاعداً .

قال النووي : [هو من خصائص النبي ﷺ فجعلت نافلته قاعداً مع القدرة على القيام كنافلته قائماً تشریفاً له كما خصّ بأشياء معروفة .

وقال القاضي عياض : « معناه أن النبي ﷺ لحقه مشقة من القيام لحطم الناس وللسن ، فكان أجره تاماً بخلاف غيره ممن لا عذر له » . هذا كلامه وهو ضعيف باطل ، لأن غيره ﷺ إن كان معذوراً لثوابه أيضاً كامل ، وإن كان قادراً على القيام فليس هو كالمعذور فلا يبقى فيه تخصيص فلا يحسن على هذا التقدير « لست كأحد منكم » وإطلاق هذا القول ، فالصواب ما قاله أصحابنا أن نافلته ﷺ قاعداً مع القدرة على القيام ثوابها كثوابها قائماً وهو من الخصائص والله أعلم » [(١) ا . هـ . كلام النووي .

هديه في القيام عند مرضه

مربك أنه ﷺ قرأ وهو وجع بالسبع الطوال في ليلة ، وذلك من اجتهاده ﷺ في العبادة وحرصه على قيام الليل ، ومرت بك أحاديث صلته قاعداً . وكان ﷺ إذا مرض صلى قاعداً وأحياناً يترك القيام .

عن عبد الله بن أبي موسى قال قالت لى عائشة : « لا تدع قيام الليل فإن رسول الله ﷺ كان لا يذره ، وكان إذا مرض أو كسل صلى قاعداً » (٢) .

عن عائشة زوج النبي ﷺ قالت : « عليكم بقيام الليل ، فإن رسول الله ﷺ كان لا يدعه ، فإن مرض قرأ وهو قاعد ، وقد عرفت أن أحدكم يقول

(١) انظر شرح صحيح مسلم للنووي ج ٢ ص ٣٨٦ ، ٣٨٧ .

(٢) حديث رقم (٢) إسناده صحيح : رواه ابن خزيمة في صحيحه كتاب « أبواب صلاة التطوع بالليل . باب استحباب صلاة الليل قاعداً إذا مرض المرء أو كسل » . وقال الألباني إسناده صحيح على شرط مسلم ، ورواه أبو داود .

بحسبي أن أقيم ما كتب لي ، وأتى له ذلك »^(١)

قال الشيخ الساعاتي في الفتح الرباني :

« فيه الحث على قيام الليل والاهتمام به ، والاعتداء برسول الله ﷺ فيه ، حيث لم يتركه مطلقاً^(٢) حتى إن كان مريضاً أداه قاعداً ؟ فهذا رسول الله وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر لم يترك قيام الليل ونحن مع ارتكابنا للذنوب وتقصيرنا في الأعمال نتقاعد عن فعله ، مع إننا لو صمنا النهار وقمنا الليل جميعه لم نبلغ عُشر معشار ما بلغه ﷺ من الدرجة والفضل ، وأنى لنا ذلك ؟ فيجدر بنا أن نسارع فنستبق إلى قيام الليل ، لأننا أحوج إلى رحمة الله تعالى ومغفرته »^(٣) .

● وأحياناً كان يترك قيام الليل لوجعه أو مرضه .

عن جندب بن سفيان قال « اشتكى رسول الله ﷺ فلم يقم ليلتين أو ثلاثة فجاءته امرأته ، فقالت يا محمد ، إني لأرجو أن يكون شيطانك قد تركك ، ولم أره قربك منذ ليلتين أو ثلاثة قال فأنزل الله عز وجل ﴿ وَالصَّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى ، مَا ودعك ربك وما قلى ﴾^(٤) .

ولقد بوب البخاري رحمه الله في تركه ﷺ للقيام فقال في كتاب التهجد « باب ترك القيام للمريض . » وهناك دليل آخر على تركه ﷺ أحياناً أثناء مرضه سنذكره فيما بعد إن شاء الله تعالى .

(١) حديث رقم (١) : أخرجه أحمد في مسنده وهو طرف من حديث طويل

(٢) سيأتي الرد على ذلك .

(٣) الفتح الرباني ج ٤ ص ٢٣٧

(٤) حديث رقم (٤) أخرجه البخاري ومسلم والنسائي واللفظ لمسلم كتاب الجهاد باب « ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين » ج ٤ ص ٤٤٠ ، وذكره البخاري في صحيحه في فضائل القرآن

وذكره مختصراً في « التهجد » .

« هديه في القيام في السفر »

ما كان رسول الله ﷺ ليترك قيام الليل في السفر .
عن حميد بن عبد الرحمن قال : إن رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ قال : قلت وأنا في سفر مع رسول الله ﷺ والله لأرقيَنَّ رسول الله ﷺ للصلاة حتى أرى فعله ، فلما صَلَّى صلاة العشاء وهي العتمة اضطجع هَوِيًّا من الليل ، ثم استيقظ فنظر في الأفق فقال : ﴿ ربنا ما خلقت هذا باطلاً حتى بلغ إلى .. إنك لا تخلف الميعاد ﴾ ثم أهوى رسول الله ﷺ إلى فراشه فاستل منه سواكاً ، ثم أفرغ في قدح من إداوة عنده ماء فاستنَّ ثم قام فصلى حتى قلتُ قد صلى قدر ما نام ، ثم اضطجع حتى قلتُ قد نام قدر ما صلى ، ثم استيقظ ففعل كما فعل أول مرة ، وقال مثل ما قال ، ففعل رسول الله ﷺ ثلاث مرات قبل الفجر» (١) .

حديث ثوبان « إن هذا السفر جهد » ...

عن عبد الله بن عامر بن ربيعة أن أباه أخبره أنه رأى النبي ﷺ صلى السُّبْحَةَ بالليل في السفر على ظهر راحلته حيث توجهت به» (٢) .

عن عبد الله بن عمر رضی الله عنهما قال : « رأيت رسول الله ﷺ إذا أعجله السير في السفر يؤخر صلاة المغرب حتى يجمع بينها وبين العشاء ، قال سالم : وكان عبد الله يفعله إذا أعجله السير ، ويقيم المغرب فيصليها ثلاثاً ثم يسلم ، ثم قلماً يلبث حتى يقيم العشاء فيصليها ركعتين ثم يسلم ، ولا يسبح بينها بركعة ، ولا بعد العشاء بسجدة حتى يقوم من جوف الليل» (٣) .

(١) حديث رقم (١) : إسناده صحيح : رواه النسائي في سننه وقال الألباني إسناده صحيح على شرط مسلم أنظر حديث رقم (١٢٠٩) مشكاة المصابيح ، وقال عبد القادر الأرناؤوط ، إسناده حسن .

(٢) حديث رقم (٢) : رواه البخاري في الوتر في السفر ومسلم في صلاة المسافرين باب جواز النافلة على الدابة في السفر . وأحمد في مسنده .

(٣) حديث رقم (٣) البخاري - تقصير الصلاة باب هل يؤذن أو يقيم .

قال سالم : كان عبد الله يصلى من دابته من الليل وهو مسافر ما يبالي حيثما كان وجهه . قال ابن عمر : وكان رسول الله ﷺ يسبح على الراحلة قبيل أى وجه توجه ، ويوتر عليها ، غير أنه لا يصلى عليها المكتوبة ^(١) . ومن هذه نرى ان رسول الله ﷺ كان يتهدد ويصلى الليل في السفر ، ونفى التطوع في السفر ليس محمولاً على الوتر أو صلاة الليل ، وأنه ﷺ كان يتطوع على الدابة . قال الشافعى : ثبت عن النبي ﷺ أنه كان يتنفل ليلاً وهو يقصر . قال الإمام ابن القيم في زاد المعاد : ج ١ ص ٤٧٥ : « كان من هديه ﷺ التطوع على راحلته حيث توجهت به ، وكان يومئذ إيماءً برأسه في ركوعه وسجوده ، وسجوده أخفض من ركوعه » ^(٢) .

عن أنس « أن النبي ﷺ كان إذا أراد أن يتطوع في السفر استقبل بناقته القبلة ثم صلى حيث وجهت ركابه » ^(٣) .

ولقد استحب ذلك أحمد وأبو ثور .

« وفي هذا الحديث نظر ، وسائر من وصف صلاته ﷺ على راحلته أطلقوا أنه كان يصلى عليها قبيل أى جهة توجهت به ، ولم يستثنوا من ذلك تكبيرة الإحرام ولا غيرها ، كعامر بن ربيعة ، وعبد الله بن عمر ، وجابر بن عبد الله ، وأحاديثهم أصح من حديث أنس هذا والله أعلم . وصلى على الراحلة وعلى الحمار » ^(٤) .

(١) حديث رقم (١) ، البخارى - تقصير الصلاة . باب ينزل للمكتوبة .

(٢) انظر ابن خزيمة حديث رقم ١٢٧٠ وانظر حديث رقم (١٣٤٦) مشكاة المصابيح

(٣) حديث رقم (١٤٤) : صحيح : رواه أحمد في المسند ٢/٢٠٣ ، وأبو داود في الصلاة باب التطوع على الراحلة والوتر ورواه ابن حبان في « كتاب الثقات » ، والضياء في « المختارة » ، والدارقطنى . وصححه غير واحد كما قال عبد القادر الأرنؤوط . صححه ابن السكن ، وابن

الملقن وحسنه المنذرى وصححه الشيخ الألبانى في المشكاة (١٣٤٥)

(٤) مسلم - باب جواز صلاة النافلة على الدابة

عن ابن عمر قال « كان النبي ﷺ يصلي في السفر على راحلته حيث توجهت به ، يومئذ إيماء صلاة الليل إلا الفرائض ، ويوتر على راحلته »^(١) وعلى هديه سار أصحابه ﷺ من بعده ومن بعدهم من التابعين عن مجاهد قال : سافرت مع عبد الله بن عمر من مكة .

● عن عثمان بن عبد الله بن سراقه أنه رأى حفص بن عاصم يسبح في السفر ومعهم في ذلك السفر عبد الله بن عمر ، فقيل إن خالك ينهى عن هذا ، فسألت ابن عمر ، عن ذلك فقال رأيت رسول الله لا يصنع ذلك ، لا يصلي قبل الصلاة ولا بعدها ، قلت : أصلي بالليل ؟ فقال : صل بالليل ما بدا لك^(٢) .

عن جابر قال : رأيت النبي ﷺ وهو على راحلته يصلي النوافل في كل وجه ، ولكنه يخفض السجدين من الركعتين ويومئ إيماء^(٣) .

نومه في السحر

عن عائشة رضي الله عنها قالت : ما ألقى رسول الله ﷺ السحر الأعلى في بيتي أو عندي إلا نائماً^(٤)

وعند الإسماعيلي « ما ألقى النبي ﷺ عندي بالأسحار إلا وهو نائم » ولم يذكر البخاري لفظ الأعلى .
ألفاه : أي وجده .

(١) حديث رقم (١) متفق عليه ، رواه البخاري في الوتر باب الوتر في السفر ، وباب الوتر على الدابة وكذا أخرجه النسائي في القبلة ، باب الحال التي يجوز عليها استقبال غير القبلة =
(٢) حديث رقم (٢) : رواه ابن خزيمة في صحيحه .. جماع أبواب صلاة التطوع في السفر حديث رقم (١٢٥٦) وقال الألباني إسناده صحيح .

(٣) رواه ابن خزيمة في صحيحه ج ١ حديث رقم ١٢٧٠ ، وأخرجه أبو داود ومسلم والترمذي والنسائي وقال الألباني إسناده صحيح

(٤) رواه البخاري ومسلم واللفظ له وأبو داود والنسائي - البخاري كتاب التهجذ باب من نام السحر ، ومسلم كتاب صلاة المسافرين باب عدد ركعات النبي ﷺ .

قال الحافظ ابن حجر : « المراد نومه بعد القيام الذى مبدؤه عند سماع الصارخ جمعاً بينه وبين رواية مسروق التى قبلها » . ا. هـ .
وقال أيضاً الحافظ ابن حجر :

[قال ابن التين : « قولها » إلا نائماً تعنى مضطجعاً على جنبه لأنها قالت فى حديث آخر « فإن كنت يقظانة حدثنى وإلا اضطجع » وتعقبه ابن رشيد بأنه لا ضرورة لحمل هذا التأويل لأن السياق ظاهر فى النوم حقيقة وظاهر فى المداومة على ذلك ، ولا يلزم من أنه ربما لم ينام وقت السحر هذا التأويل ، فدار الأمر بين حمل النوم على مجاز التشبيه ، أو حمل التعميم على إرادة التخصيص ، والثانى أرجح وإليه مال البخارى لأنه ترجم بقوله « من نام عند السحر » ثم ترجم عقبه بقوله « من تسحر فلم ينام » .

عن أنس بن مالك رضى الله عنه « أن نبى الله ﷺ وزيد بن ثابت رضى الله عنه تسحرا ، فلما فرغا من سحورهما قام نبى الله ﷺ إلى الصلاة فصلى . قلنا لأنس : كم كان بين فراغهما من سحورهما ودخولها فى الصلاة ؟ قال : كقدر ما يقرأ الرجل خمسين آية » .

فأوماً إلى تخصيص رمضان من غيره ، فكأن العادة جرت فى جميع السنة أنه كان ينام عند السحر إلا فى رمضان فإنه كان يتشاغل بالسحور فى آخر الليل ، ثم يخرج إلى الصلاة عقبه .

وقال ابن بطال : النوم وقت السحر كان يفعله النبى ﷺ فى الليالى الطوال وفى غير شهر رمضان ، كذا قال ، ويحتاج فى إخراج الليالى القصار إلى دليل [(١) انتهى كلام الحافظ

ونوم السحر هو هدى نبى الله داود عليه السلام فى الحديث ... و « ينام سدسه » وذلك كما قال الحافظ أرفق للبدن « لأنه يستدرك بالنوم ما يستريح به

(١) فتح البارى شرح باب من نام السحر ج ٣ ص ١٨ وأحمد فى مسنده .

من نصب القيام في بقية الليل ، ويريح البدن ، ويذهب ضرر السهر وذبول الجسم ، بخلاف السهر إلى الصباح وفيه من المصلحة استقبال صلاة الصبح وأذكار النهار بنشاط وإقبال ، وأنه أقرب إلى عدم الرياء لأن من نام السدس الأخير أصبح ظاهر اللون سليم القوى فهو أقرب إلى أن يخفى عمله على من يراه وأشار إلى ذلك ابن دقيق العيد . هـ .

خاصية لرسول الله ﷺ في نومه :

عن عائشة قالت : « كان رسول الله ﷺ ينام حتى ينفخ ثم يقوم فيصلي ولا يتوضأ »^(١) .

عن أنس أن النبي ﷺ « كان تنام عيناه ولا ينام قلبه »^(٢) .
 عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ « نام حتى سمع له غطيط فقام فصلى ولم يتوضأ »^(٣) .

وفي حديث له ﷺ :

« يا عائشة إن عيني تامان ولا ينام قلبي »^(٤) .

قال النووي : « هذا من خصائص الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ، ومر في حديث نومه ﷺ في الوادي ، فلم يعلم بفوات وقت الصبح حتى طلعت الشمس ، وأن طلوع الفجر والشمس متعلق بالعين لا بالقلب ، وأما أمر الحدث

(١) صحيح : رواه ابن ماجة كتاب الطهارة وسنها باب الوضوء من النوم واللفظ له ، وصححه السيوطي . وقال المناوي سننه صحيح ، وقال مغلطى : على شرط الشيخين ، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٤٨٩٣) .

(٢) حديث رقم (١) صحيح : رواه الحاكم عن أنس وأحمد في مسنده عن ابن عباس . وقال الحاكم : على شرط مسلم ورده الذهبي بأن يعقوب بن محمد الزهري ضعيف ولم يرو له مسلم ، وصححه السيوطي والألباني انظر فيض القدير ج ٥ ص ١٦٩ وصحيح الجامع رقم (٤٦٨٢) .

(٣) حديث رقم (٣) : إسناده صحيح : رواه أحمد في مسنده وقال الشيخ أحمد شاكر إسناده صحيح انظر المسند رقم (٣١٩٤) .

(٤) رواه البخاري ومسلم عن عائشة وكذا مالك وأحمد وأبو داود والطحاوي .

ونحوه فتعلق بالقلب ، وأنه قيل إنه في وقت ينام قلبه ، وفي وقت لا ينام فصادف الوادى نومه ، والصواب الأول» (١) . هـ .

● وفي حديث نوم ابن عباس عند خالته ميمونة قول ابن عباس « فنام حتى نفخ ثم أتاه بلال فأذنه بالصلاة فخرج فصلى الصبح ولم يتوضأ » .

صلاته ﷺ على فراشه وزوجه معترضة بين يديه :

عن عائشة زوج النبي ﷺ أنها قالت : « كنت أنام بين يدي رسول الله ﷺ ورجلاي في قبلته ، فإذا سجد غمزني فقبضت رجلي ، فإذا قام بسطتها ، قالت : والبيوت يومئذ ليس فيها مصابيح » (٢) .

عن عائشة رضی الله عنها قالت : « لقد كان رسول الله ﷺ يقوم فيصلي من الليل ، وإني لمعترضة بينه وبين القبلة على فراش أهله » (٣) .

● عن عروة أن النبي ﷺ كان يصلي وعائشة معترضة بينه وبين القبلة على الفراش الذي ينامان عليه .

بأنى أنت وأمى يا رسول الله جعلت قرّة عينك في الصلاة فلم يشغلك عنها شيء من متاع الدنيا .

فعن عائشة قالت : « لقد رأيتني مضطجعة على السرير فيجىء النبي ﷺ فيتوسط السرير فيصلى فأكره أن أنسحه » (٤) فأنسل من قبل رجلى السرير حتى أنسل من لحافى والمراد أنه كان يصلى إلى السرير ، أى أسفل منه والسرير بينه وبين القبلة » .

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ج ٢ ص ٣٩١ ، ٣٩٢ .

(٢) ، (٣) حديث رقم (٢ ، ٣) : رواه البخارى كتاب الصلاة ج ١ باب الصلاة على الفراش ، باب الصلاة خلف النائم ، باب الصلاة خلف المرأة ، باب الصلاة إلى السرير .

(٤) أن أظهر له من قدامه .

صلاته القيام جماعة أحيانا

وذلك ثابت في هديه ، وقيام بعض أصحابه معه مثل ابن عباس وحذيفة وعبد الله بن مسعود وهذا من باب التعاون على البر والتقوى ، ولقد حث الرجل على قيام الليل مع أهله ودعا بالرحمة لهما وأخبر أنها إن صليا كتبا من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات .

عن ابن عباس « أن النبي ﷺ قام من الليل يصلي ، فقامت فتوضأت فقامت عن يساره ، فجذبني فجرني فأقامني عن يمينه فصلى ثلاث عشرة ركعة قيامه فيهن سواء» (١).

[وسأل ابن جريج عطاء : أبصلي القوم بصلاة الرجل في التطوع فإن ابن عباس قد صلى إلى جنب النبي ﷺ متطوعاً؟ قال : أجل .
قال محمد بن نصر : وكره أصحاب الرأي أن يصلي التطوع في جماعة ما خلا قيام رمضان ، و صلاة كسوف الشمس ، وذلك خلاف السنة ، فقد ثبت عن رسول الله ﷺ أنه صلى التطوع جماعة في غير شهر رمضان ليلاً ونهاراً وفعل ذلك جماعة من أصحابه من بعده .

● عن هشام بن عروة : رأيت عبد الله بن الزبير يؤمهم في المسجد الحرام بالنوافل ووراءه شيوخ من أهل الفقه والصلاح يرون أن ذلك حسن .
● قال هشام : إن الإمام كان يؤمهم في المكتوبة ثم يدخل الدار فيسبح (٢) ويسبحون بصلاته وهو يؤمهم وكان عروة يفعل ذلك ويراه حسناً .
قال محمد بن نصر : وفي الباب أحاديث كثيرة .. وسئل مالك عن الرجل يؤم الرجل في النافلة قال ما أرى بذلك بأساً» (٣) .

(١) حديث رقم (١) : إسناده صحيح : رواه أحمد في مسنده وقال الشيخ أحمد شاكر :

إسناده صحيح ، انظر المسند حديث رقم (٢٢٧٦) .

(٢) أي يصلى .

(٣) مختصر قيام الليل للسمرقندى ص ٩١ ، ٩٢ -

● ولقد بوب الإمام البخارى فى التهجد فقال « باب صلاة النوافل جماعة .
ثم أورد أحاديث قال الحافظ ابن حجر بعدها : « وفى الحديث فوائد كثيرة ، فيه
ماترجم له هنا وهو صلاة النوافل جماعة . وروى وهب عن مالك : أنه لا بأس أن
يؤم نفر فى النافلة ، فأما أن يكون مشتهراً ويجمع له الناس فلا [(١)] . هـ .

صلاته بعد العشاء ركعات أحيانا :

وأحيانا كان صلى الله عليه وسلم يصلى ركعات بعد العشاء قبل نومه فقد ثبت « أن النبي
صلى الله عليه وسلم كان إذا صلى العشاء ورجع إلى بيته صلى أربع ركعات » (٢) .
عن عائشة قالت « ما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم العشاء قط فدخل على إلا صلى
أربع ركعات أو ست ركعات ، ولقد مطرنا مرة بالليل فطرحننا له نطعاً فكأنى
أنظر إلى ثقب فيه ينبع الماء منه ، وما رأيته متقياً الأرض يشىء من ثيابه قط » (٣)
قال صاحب عون المعبود : [قال القارى : « وقال الزرقانى فى شرح المواهب :
قالت عائشة : ما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم العشاء قط فدخل بيته إلا صلى أربع
ركعات » أى تارة ، أو ست ركعات أى أخرى فليست أول للشك ، وفى مسلم :
قالت « ثم يصلى بالناس العشاء ويدخل بيته فيصلى ركعتين » ، وكذا فى حديث
ابن عمر عند الشيخين . ومفاد الأحاديث أنه كان بحسب ما تيسر له ركعتين أو
أربعاً أو ستاً إذا دخل بيته بعد العشاء » [(٤)] . هـ .

(١) فتح البارى ج ٣ ص ٦٢ .

(٢) قال الألبانى فى صحيح الترغيب والترهيب ج ١ ص ٢٢٤ حديث رقم (٥٨٩) : حديث
صحيح : ثبت ذلك من حديث ابن عباس وغيره فى صحيح البخارى وغيره وهو مخرج فى
صحيح أبى داود ١٢١٦ - ١٢١٨ - ١٢٤٨ .

(٣) رواه أبوداود حديث رقم ١٢٨٩ وأشار الألبانى إلى صحته .

(٤) عون المعبود ج ٤ ص ١٨٦ شرح حديث ١٢٨٩ .

صلاته لركعتين بعد الوتر وهو جالس :

عن أبي سلمة قال : سألت عائشة عن صلاة رسول الله ﷺ فقالت : « كان يصلي ثلاث عشرة ركعة يصلي ثمان ركعات ، ثم يوتر ثم يصلي ركعتين وهو جالس فإذا أراد أن يركع قام فركع ثم يصلي ركعتين بين النداء والإقامة من صلاة الصبح » (١) .

وفي جزء من حديث لها عند مسلم : « كنا نعد له سواكه وطهوره فيبعثه الله ما شاء أن يبعثه من الليل فيتسوك ويتوضأ ويصلي تسع ركعات لا يجلس فيها إلا في الثامنة فيذكر الله ويحمده ويدعوه ، ثم ينهض ولا يسلم ثم يقوم فيصلّي التاسعة ثم يقعد فيذكر الله ويحمده ويدعوه ثم يسلم تسليماً يسمعون ثم يصلي ركعتين بعد ما يسلم وهو قاعد » فتلك إحدى عشرة ركعة يا بني ، فلما أسنّ نبي الله ﷺ وأخذ اللحم أوتر بسبع ، وصنع في الركعتين مثل صنيعه الأول فتلك تسع يا بني » .

عن عائشة رضى الله عنها قالت : كان رسول الله ﷺ يوتر بواحدة ، ثم يركع ركعتين يقرأ فيهما وهو جالس ، فإذا أراد أن يركع قام فركع » (٢) .
عن ابن عباس رضى الله عنه قال : زرت خالتي ميمونة فوافقت ليلة النبي ﷺ فقام رسول الله ﷺ بسحر طويل ، فأسبغ الوضوء ، ثم قام يصلي فقامت فتوضأت ثم جثت إلى جنبه ، فلما علم أني أريد الصلاة معه أخذ بيدي فحوّلني عن يمينه ، فأوتر بتسع أو سبع ، ثم صلى ركعتين ، ووضع جنبه حتى سمعت

(١) حديث رقم (١) رواه مسلم - كتاب صلاة المسافرين باب صلاة الليل والوتر - وكذا رواه أبو داود والنسائي وابن خزيمة -

(٢) حديث رقم (٢) إسناده صحيح - رواه ابن ماجه في سننه - كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها باب ما جاء في الركعتين بعد الوتر جالساً وقال في زوائد ابن ماجه « إسناده صحيح ورجاله ثقات

ضفيـزه^(١) ثم أقيمت الصلاة فانطلق فصلي^(٢) .

قال الإمام ابن خزيمة : « هاتان الركعتان اللتان ذكرهما ابن عباس في هذا الخبر يحتمل أن يكون أراد الركعتين اللتين كان النبي ﷺ يصليهما بعد الوتر كما أخبرت عائشة ، ويحتمل أن يكون أراد بهما ركعتي الفجر اللتين كان يصليهما قبل صلاة الفريضة^(٣) » ثم قال رحمه الله . بعد هذا الكلام بياين : « باب ذكر الدليل على أن الصلاة بعد الوتر مباحة لجميع من يريد الصلاة بعده ، وأن الركعتين اللتين كان النبي ﷺ يصليهما بعد الوتر لم يكونا خاصة للنبي ﷺ دون أمته ، إذ أنه ﷺ قد أمرنا بالركعتين بعد الوتر أمر ندب وفضيلة لا أمر إيجاب وفريضة^(٤) » ثم ذكر الحديث الآتي :

عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ قال : كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فقال : « إن هذا السفر جهد وثقل ، فإذا أوتر أحدكم فليركع ركعتين خفيفتين فإن استيقظ وإلا كانتا له^(٥) . »

قال الألباني بعد ذكره لكلام ابن خزيمة تعليقا على حديث ثوبان :

[وهذه فائدة هامة استفدناها من هذا الحديث ، وقد كنا من قبل مترددين

في التوفيق بين صلاته ﷺ الركعتين وبين قوله « اجعلوا آخر صلاتكم بالليل وترا » وقلنا في التعليق على صفة الصلاة : « والأحوط تركها اتباعا للأمر والله

(١) ضفيـزه : أي غطيـطه كما جاء في « لسان العرب » .

(٢) إسناده صحيح : رواه ابن خزيمة في صحيحه - أبواب ذكر الوتر - باب الرخصة في الصلاة بعد الوتر ، وقال الدكتور مصطفى الأعظمي : إسناده صحيح انظر حديث رقم (١١٠٣) . صحيح ابن خزيمة

(٣) صحيح ابن خزيمة ج ٢ ص ١٥٨ ، ١٥٩ .

(٤) إسناده صحيح : رواه ابن خزيمة في صحيحه ، والدارقطني وابن حبان والدارمي : وفيه : إن هذا السهر جهد وقال الهيثمي في الزوائد (٢/٢٤٦) رواه الطبراني في الكبير والأوسط وفيه عبد الله بن صالح كاتب الليث وفيه مقال « انظر موارد الظمان » حديث ٦٨٣ ، وصححه الألباني في الصحيحة رقم ١٩٩٣ . وقال مصطفى الأعظمي : إسناده صحيح لغيره .

أعلم . وقد تبين لنا من هذا الحديث أن الركعتين بعد الوتر ليستا من خصوصياته ﷺ ، لأمره ﷺ بهما أمرأ عاماً ، فكان المقصود بالأمر يجعل آخر صلاة الليل وترأ أن لا يهمل الإيتار بركعة فلا ينافيه صلاة ركعتين بعدهما لما ثبت من فعله وأمره والله أعلم [(١) ١ . هـ . كلام الشيخ الألباني حفظه الله .

• عن ابن عباس عن النبي ﷺ « أنه قام من الليل فاستن ، ثم صلى ركعتين ، ثم نام ، ثم قام فاستن وتوضأ وصلى ركعتين حتى صلى ستاً ثم أوتر بثلاث وصلى ركعتين » (٢) .

• عن أبي أمامة « أن النبي ﷺ « كان يصليهما بعد الوتر وهو جالس ، يقرأ فيها ﴿ إذا زلزلت الأرض ﴾ و ﴿ قل يا أيها الكافرون ﴾ » (٣) .

وعند ابن نصر في قيام الليل عن أبي أمامة قال : « كان رسول الله ﷺ يوتر بتسع ، حتى إذا بدؤ وكثر لحمه أوتر بسبع وصلى ركعتين وهو جالس يقرأ فيها ﴿ إذا زلزلت ﴾ و ﴿ قل يا أيها الكافرون ﴾ .

• قال النووي في شرحه لصحيح مسلم عند شرحه لحديث « ثم يصلى ركعتين وهو جالس - » الحديث :-

[هذا الحديث أخذ بظاهره الأوزاعي وأحمد فيما حكاه القاضي عنهما ، فأباحا ركعتين بعد الوتر جالساً ، وقال أحمد : لا أفعله ولا أ منع من فعله . قال : وأنكره مالك . قلت : والصواب أن هاتين الركعتين فعلهما ﷺ بعد الوتر جالساً لبيان جواز الصلاة بعد الوتر ، وبيان جواز النفل جالساً ، ولم يواظب على

(١) السلسلة الصحيحة ج ٤ ص ٦٤٧

(٢) إسناده صحيح : رواه أحمد في مسنده وقال الشيخ أحمد شاكر إسناده صحيح انظر حديث رقم (٣٢٧١) نحوه .

(٣) حديث رقم (٣) : إسناده حسن : رواه أحمد في مسنده (٢٦٠/٥) والبيهقي وابن نصر بسند حسن كما قاله الألباني في صفة صلاة النبي ﷺ ، وعبد القادر الأرنؤوط في التعليق على ج ٤ من شرح السنة ص ٩٤ وقال الهيثمي : رواه الطبراني في الكبير وأحمد ورجال أحمد ثقات .

ذلك ، بل فعله مرة أو مرتين أو مرات قليلة ، ولا تغتر بقولها « كان يصلي » فإن المختار الذي عليه الأكثرون والمحققون من الأصوليين أن لفظه (كان) لا يلزم منها الدوام ولا التكرار وإنما هي فعل ماض يدل على وقوعه مرة ، فإن دل دليل على التكرار عمل به ، وإلا فلا تقتضيه بوضعها . وإنما تأولنا حديث الركعتين جالساً ، لأن الروايات المشهورة في الصحيحين وغيرهما عن عائشة مع روايات خلائق من الصحابة في الصحيحين مصرحة بأن آخر صلاته ﷺ في الليل كان وتراً فكيف يظن به ﷺ مع هذه الأحاديث وأشباهاها أنه يداوم على ركعتين بعد الوتر ويجعلها آخر صلاة الليل ؟ . وإنما معناه ما قدمناه من بيان الحواز وهذا الجواب هو الصواب ، وأما ما أشار إليه القاضي عياض من ترجيح الأحاديث المشهورة ، ورد رواية الركعتين جالساً فليس بصواب ، لأن الأحاديث إذا صحت وأمكن الجمع بينها تعين ، وقد جمعنا بينها والله الحمد [(١) ١ . هـ . كلام النووى .

● وقال الحافظ ابن حجر في الفتح « اختلف السلف في مشروعية ركعتين بعد الوتر عن جلوس » ثم ساق حديث عائشة وقال : « وقد ذهب إليه بعض أهل العلم وجعلوا الأمر في قوله « اجعلوا آخر صلاتكم بالليل وتراً » مختصاً بمن أوتر آخر الليل ، وأجاب من لم يقل بذلك بأن الركعتين المذكورتين هما ركعتا الفجر ، وحمله النووى على أنه ﷺ فعلة لبيان جواز النفل بعد الوتر وجواز التنفل جالساً » (٢) ١ . هـ .

قال الإمام الحافظ ابن القيم :

[وقد ثبت عنه ﷺ أنه كان يُصلي بعد الوتر ركعتين جالساً تارة ، وتارة

(١) شرح مسلم ٣٩٢/٢ .

(٢) فتح البارى - كتاب الوتر شرح أحاديث باب « ما جاء في الوتر » .

يقراً فيها جالساً فإذا أراد أن يركع قام فركع] ثم ساق حديث عائشة وقال : وفي المسند عن أم سلمة « أن النبي ﷺ كان يصلي بعد الوتر ركعتين خفيفتين وهو جالس »^(١) ثم قال رحمه الله بعد ذكره الأحاديث : [وقد أشكل هذا على كثير من الناس فظنوه معارضا لقوله ﷺ « اجعلوا آخر صلاتكم بالليل وتراً » وأنكره مالك رحمه الله هاتين الركعتين ، وقال أحمد : لا أفعله ولا أمنع من فعله ، قال : وأنكره مالك ، وقالت طائفة : إنما فعل هاتين الركعتين ليبين جواز الصلاة بعد الوتر ، وأن فعله لا يقطع التنفل ، وحملوا قوله « اجعلوا آخر صلاتكم بالليل وتراً » على الاستحباب ، وصلاة الركعتين بعده على الجواز والصواب أن يقال : إن هاتين الركعتين تجريان مجرى السنة وتكميل الوتر ، فإن الوتر عبادة مستقلة ، ولا سيما إن قيل بوجوبه ، فتجري الركعتان بعده مجرى سنة المغرب من المغرب فإنه وتر النهار ، والركعتان بعدها تكميل لها ، فكذلك الركعتان بعد وتر الليل والله أعلم]^(٢) ا. هـ. كلام ابن القيم وستأتي زيادة بيان في « فقه القيام »

قضاؤه ﷺ للتهجد إن نام عنه أو مرض :

عن عائشة أن رسول الله ﷺ : « كان إذا فاتته الصلاة من الليل من وجع أو غيره صلى من النهار ثنتي عشرة ركعة »^(٣) .
عن عائشة رضي الله عنها قالت : « كان رسول الله ﷺ إذا عمل عملاً أثبتته ، وكان إذا نام من الليل أو مرض صلى من النهار ثنتي عشرة ركعة ، قالت : وما رأيت رسول الله ﷺ قام ليلة حتى الصباح ، وما صام شهراً متتابعاً إلا رمضان »^(٤) .

(١) رواه أحمد في المسند ٦/٢٩٨ - ٢٩٩ ورجاله ثقات قاله الأرنؤوط في التعليق على شرح السنة

(٢) زاد المعاد طبع مؤسسة الرسالة ج ١ ص ٣٣٢ - ٣٣٣ .

(٣) رواه مسلم واللفظ له والترمذي في الصلاة من الجامع وفي الشامل والنسائي .

(٤) رواه مسلم واللفظ له ، وكذا رواه أبو داود .

● ومن حديث لها عند مسلم « كان نبي الله ﷺ إذا صلى صلاة أحب أن يداوم عليها ، وكان إذا غلبه نوم أو وجع عن قيام الليل صلى من النهار ثنتي عشرة ركعة ... » الحديث

● ولها عند الترمذى : « كان النبي ﷺ إذا لم يصل من الليل منعه من ذلك النوم ، أو غلبته عيناه صلى من النهار ثنتي عشرة ركعة » (١) .

قال صاحب تحفة الأحوذى : « أى فيما بين صلاة الفجر والظهر ، وفيه دليل على استحباب المحافظة على الصلاة ، وحث على ذلك أمته ، وبين الوقت الذى يقضى فيه صلاة التهجد » ا. هـ .

متى يقضى من نام عن حزبه من الليل ؟

عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ :
 « من نام عن حزبه أو عن شيء منه فقرأه فيما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر كُتِبَ له كأنما قرأه من الليل » (٢) .
 « وفيه استحباب المحافظة على الأوراد وأنها إذا فاتت تقضى » كما قال النوى .

قال صاحب عون المعبود : [« والحديث يدل على مشروعية اتخاذ ورد في الليل وعلى مشروعية قضائه ، إذا فات لنوم أو عذر من الأعذار ، وأن من فعله فيما بين صلاة الفجر إلى صلاة الظهر كان كمن فعله في الليل ، وفيه استحباب قضاء التهجد إذا فاته من الليل ، ولم يستحب أصحاب الشافعى قضائه ، إنما استحبووا قضاء السنن الرواتب » قاله الشوكانى .

(١) الترمذى فى الجامع - كتاب الصلاة باب منه وقال حديث حسن صحيح -
 (٢) حديث رقم (٢) رواه مسلم فى صحيحه كتاب صلاة المسافرين باب « من نام عن صلاة الليل أو مرض ، واللفظ له ، ورواه أبوداود والنسائى وابن ماجه والترمذى وابن خزيمة .

(كتب له) : قال القرطبي : هذا الفضل من الله تعالى ، وهذه الفضيلة إنما تحصل لمن غلبه نوم أو عذر منعه من القيام مع أن نيته القيام [ا.هـ. كلام صاحب عون المعبود .

● أما ما جاء فيمن كانت له صلاة بالليل وغلبه عليها النوم ، وأنها تكتب له أجر صلاته فلا تعارض بينها وبين القضاء فكما قال صاحب عون المعبود : « ما جاء من القضاء للمحافظة على العادة ، ولمضاعفة الأجر والله أعلم » . قال السيوطي : « من نام عن حزه » أى من نام في الليل عن ورده ، والحمل على الليل بفرينة النوم ويشهد له آخر الحديث .

وهو قوله « ما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر » ثم الظاهر أنه تحريض على المبادرة ، ويحتمل أن فضل الأداء مع المضاعفة مشروط بخصوص الوقت ، وفي الحديث دليل على أن النوافل تقضى » . وقال السيوطي رحمه الله « الحزب : هو الجزء من القرآن يصلى به » (١) ا.هـ .

اجتهاده في القيام :

عن المغيرة بن شعبة « أن النبي ﷺ صلى حتى انتخت قدماه ، فقيل له : أتكلّف هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال : « أفلا أكون عبداً شكوراً » (٢) .

(١) حاشية السيوطي على النسائي ج ٣ ص ٢٥٩ .

(٢) حديث (٢) : رواه البخارى ومسلم واللفظ له والترمذى والنسائي . رواه مسلم في كتاب المنافقين باب إكثار الأعمال والإجتهاد في العبادة والبخارى في التهجد باب « قيام النبي ﷺ بالليل » .

وعند مسلم بلفظ آخر « قام النبي ﷺ حتى ورمت قدماه ، قالوا : قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر . قال : « أفلا أكون عبداً شكوراً » .
وعند البخارى « إن كان النبي ﷺ ليقوم أو ليصلى - حتى تَرمَ قدماه - أو ساقاه - فيقول « أفلا أكون عبداً شكوراً » .

عن عائشة قالت : « كان رسول الله ﷺ إذا صلى قام حتى تَفَطَّرَ رجلاه . قالت عائشة : يا رسول الله : أتصنع هذا وقد غُفِرَ لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال : يا عائشة : « أفلا أكون عبداً شكوراً » ^(١) .

وعند البخارى « أن نبى الله ﷺ كان يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه ، فقالت عائشة : - لم تصنع هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال : « أفلا أحب أن أكون عبداً شكوراً » ، فلما كثر لحمه صلى جالساً ، فإذا أراد أن يركع قام فقرأ ثم ركع » .

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ يصلى حتى تزلع يعنى تشقق قدماه ^(٢) .

« تفطر » بقاء واحدة وفى رواية « تتفطر » والفطور : الشقوق كذا ذكره أبو عبيدة فى المجاز .

قال النووى : تفطرت : تشققت ، قالوا : ومنه فطر الصائم وأفطره لأنه خرق صومه وشقه .

« حتى تَرمَ » بفتح التاء وكسر الراء وتخفيف الميم بلفظ المضارع من الورم هكذا سمع وهو نادر .

« حتى تزلع » .

قال الحافظ فى الفتح [« لا اختلاف بين هذه الروايات فإنه إذا حصل

(١) رواه البخارى ومسلم واللفظ له من كتاب صفات المنافقين باب إكثار الأعمال والاجتهاد فى

العبادة ، والبخارى باب تفسير سورة الفتح باب « ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر » .

(٢) إسناده صحيح : رواه النسائى فى قيام الليل باب الاختلاف على عائشة فى إحياء الليل .

الانتفاخ أو الورم حصل أزرع والتشقق والله أعلم .
« كثر لحمه » وفي أخرى « بدن » .

بدن : بدن بالتخفيف : إذا سمن ، وبالتشديد : إذا كبر .
« أفلا أكون عبداً شكوراً » قال الحافظ : « الفاء للسببية ، وهي عن
محذوف تقديره أترك تهجدي فلا أكون عبداً شكوراً ، والمعنى : أى المغفرة
سبب لكون التهجد شكراً فكيف أتركه ؟ » .

قال ابن بطال : « وفي هذا الحديث أخذ الإنسان على نفسه بالشدة في
العبادة وإن أضر ذلك ببدنه لأنه صلى الله عليه وسلم إذا فعل ذلك مع علمه بما سبق له فكيف
بمن لم يعلم بذلك فضلاً عن من لم يأمن أنه استحق النار » . هـ .
ومحل ذلك ، إذا لم يفض إلى الملل لأن حال النبي صلى الله عليه وسلم كانت أكمل
الأحوال فكان لا يمل من عبادة ربه ، وإن أضر ذلك ببدنه ، بل صح أنه قال
« وجعلت قرة عيني في الصلاة » .

قال القرطبي : ظن من سأله عن سبب تحمله المشقة في العبادة أنه إنما يعبد
الله خوفاً من الذنوب وطلباً للمغفرة فمن تحقق أنه غفر له لا يحتاج إلى ذلك ،
فأفادهم أن هناك طريقاً آخر للعبادة وهو الشكر على المغفرة وإيصال النعمة لمن لا
يستحق عليه فيها شيئاً فيتعين كثرة الشكر على ذلك ، والشكر الاعتراف بالنعمة
والقيام بالخدمة ، فمن كثر ذلك منه سمي شكوراً ، ومن ثم قال سبحانه وتعالى :
﴿ اعملوا آل داود شكراً وقليل من عبادى الشكور ﴾ .

قال العلماء : إنما أزم الأنبياء أنفسهم بشدة الخوف لعلمهم بعظيم نعمة الله
تعالى عليهم وأنه ابتدأهم بها قبل استحقاقها ، فبدلوا مجهودهم في عبادته ليؤدوا
بعض شكره ، مع أن حقوق الله أعظم من أن يقوم بها العباد والله أعلم .
(فائدة) : قال الحافظ في الفتح : « قيل : أخرج البخارى هذا الحديث
لينبه على أن قيام جميع الليل غير مكروه ولا تعارضه الأحاديث الآتية بخلافه ،
لأنه يجمع بينهما بأنه صلى الله عليه وسلم لم يكن يداوم على قيام جميع الليل بل كان يقوم وينام

كما أخبر عن نفسه وأخبرت عنه عائشة أيضاً» [(١) ا.هـ .
بأبي وأمي رسول الله ﷺ من كان له القدرح المُعلّى في العبادة حتى تقول
إحدى أمهات المؤمنين رضوان الله عليهن « وأينكم يطيق ما كان يطيق » وأخرى
تقول « ما لكم وصلاته ﷺ » .

حُسن صلاته وقيامه :

مرّبك في حديث عائشة المخرج في الصحيح : « ما كان رسول الله ﷺ
يزيد في رمضان ولا في غيره على إحدى عشرة ركعة ، يصلى أربعاً فلا تسأل عن
حسنهن وطولهن ، ثم يصلى أربعاً فلا تسأل عن حسنهن وطولهن ، ثم يصلى
ثلاثاً ... » الحديث .

قال النووي : « هن في نهاية من كمال الحسن والطول مستغنيات بظهور
حسنهن وطولهن عن السؤال عنه والوصف ..

تطيه ﷺ للقيام :

« عن أنس قال « كان للنبي ﷺ إناء يعرض عليه سواكه ، فإذا قام من
الليل خلا واستنجدى واستاك وتوضأ ثم تطلب الطيب في رباغ نسائه » (٢) .

(١) فتح الباري شرح باب قيام النبي ﷺ .

(٢) ذكره بسنده في مختصر قيام الليل ص ٤٨ .

نصحه لأهله وحثهم على القيام :

ولقد مرّت أحاديث توضح حرص رسول الله ﷺ ، وكيف يمر على ابنته وابن عمه في وقت جعله الله سكناً ضائناً بهم أن يركنا إلى الدعة والسكون قائلاً لها : ألا تصليان ؟ وقوله حائثاً لنسائه « من يوقظ صواحب الحجرات » يعني أمهات المؤمنين ، وسيمر بك إيقاظ أهله للوتر فصاروا بحمته ﷺ إياهم على قيام الليل إذا ذكر أصحاب الليل كانوا أثنهم .

دعاؤه وجهه ﷺ لمن يُعين على قيام الليل :

عن ربيعة بن كعب الأسلمي قال : كنت أبيت مع رسول الله ﷺ فأبته بوضوئه وحاجته فقال لي سل : فقلت أسألك مرافقتك في الجنة . قال : أوغير ذلك ؟ قلت : هو ذاك . قال : « فأغنى على نفسك بكثرة السجود »^(١) . فانظر إلى ذلك الصحابي وكيف نال من الشرف ما نال من إعانته لرسول الله ﷺ على القيام حتى يقول له الرسول ﷺ لما رأى منه ذلك يقول له : « سل » عن ابن عباس « أن رسول الله ﷺ كان في بيت ميمونة فوضعت له وضوءاً من الليل . قال : فقالت ميمونة : يا رسول الله وضع لك هذا عبد الله بن عباس فقال « اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل »^(٢) ولقد نال ابن عباس ما نال بسبب دعاء رسول الله ﷺ لما أعانه على القيام وأعد له وضوءه . عن زيد بن خالد قال قال رسول الله ﷺ « لا تسبوا الديك فإنه يوقظ

(١) رواه مسلم واللفظ له كتاب الصلاة باب « فضل السجود والحث عليه » .

(٢) إسناده صحيح : رواه أحمد في مسنده وصححه الشيخ أحمد شاكر رقم (٣٠٣٣) .

للصلاة»^(١) ولقد مرّ بك في الأحاديث أنه ﷺ «كان إذا سمع الصارخ قام فصلّي قال المناوي : (فإنه يوقظ للصلاة) : أى لقيام الليل بصياحه فيه ، ومن أعان على طاعة يستحق المدح لا الذم ، وفي رواية للطيالسي « لا تسبوا الديك فإنه يدل على مواقيت الصلاة »

قال الحلبي : وفيه دليل على أن كل من استفيد منه خير لا ينبغي أن يسب ولا يستهان به ، بل حقه الإكرام والشكر ويتلقى الإحسان . وليس في معنى دعاء الديك إلى الصلاة أنه يقول بصراحة « صلوا » أو حانت الصلاة ، بل معناه أن العادة جرت بأنه يصرخ صرخات متتابعة عند طلوع الفجر - وفي الثلث الأخير وقت قيامه ﷺ - وعند الزوال فطرة فطره الله عليها ، فيذكر الناس بصراخه للصلاة»^(٢).

فطوبى لك يا من أعنت على قيام الليل أهلك وستعلم قدرك بوصول هدية الملك « كتباً من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات » .
اللهم من دل غيره على قيام الليل فارزقه شهادة في سبيلك ، واجعله من العلماء الربانيين واسكنه الفردوس ، واغفر له خطايا ، فهو أحوج من كل الأنام إلى رحمتك يا أكرم الأكرمين .

(١) إسناده صحيح : رواه أبو داود - في الأدب باب « في الديك والبهائم » ، وأخرجه النسائي مستنداً ومرسلاً كما قال المنذرى .

وصححه إسناده الحديث النورى في « الأذكار » و« الرياض » ، وقال غيره : رجاله ثقات . وصححه المناوى وحسنه السيوطى وقال المناوى متعباً له « فرمز المؤلف لحسنه فقط تقصير أوقصور ، وصححه الألبانى في صحيح الجامع ، رقم (٧١٩١) وانظر تخرىج المشكاة . (٤١٣٦) .

(٢) فيض القدير .

تذكيره بالآخرة في الليل ليسهل القيام :

انظر إليه ﷺ وهو يقول : « ما أنزل الليلة من الخزائن ... يارب كاسية في الدنيا عارية يوم القيامة ... » .

عن قبيصة : « كان رسول الله ﷺ إذا ذهب ثلث الليل قام فقال : « يا أيها الناس اذكروا الله ، جاءت الراجفة ، من خاف أدلج ، ومن أدلج بلغ المنزل ، ألا إن سلعة الله غالية ، ألا إن سلعة الله الجنة ، جاءت الراجفة تتبعها الرادفة ، جاء الموت بما فيه » (١) .

قيامه عند الشدائد :

انظر إلى الخبير ﷺ العالم بمجامع الطرق وكيف يأخذها في قرع أبواب مَنْ لا تضيق عنده المناوح .

انظر إليه ﷺ « يوم بدر » :

عن علي رضي الله عنه قال : « ما كان فينا فارس يوم بدر غير المقداد ، ولقد رأيتنا وما فينا إلا نائم ، إلا رسول الله ﷺ تحت شجرة يصلي ويبكي حتى أصبح » .

وفي رواية : « فإنه كان يصلي إلى شجرة ويدعو حتى أصبح » (٢) .

(١) الحديث رقم (١) : إسناده حسن : رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح ، وروى نحوه

أبو نعيم في « الحلية » ، وأحمد في مسنده والحاكم في المستدرک وقال « صحيح الإسناد » ووافقه الذهبي ومحمد بن نصر في قيام الليل وحسنه الألباني في الصحيحة رقم (٩٥٤) .

(٢) حديث رقم (٢) : إسناده صحيح . رواه أحمد في « المسند » وابن خزيمة في صحيحه

والنسائي ، وصححه ابن خزيمة وأورده الحافظ ابن كثير في تفسيره وعزاه لأبي يعلى عن زهير عن

عبد الرحمن بن مهدي ، وهفيل عن غزوه للإمام أحمد ، وصحح إسناده الشيخ أحمد شاكر

في المسند رقم ١٠٢٣ ، (١١٦١) . وقال الساعاني : سنده صحيح : انظر الفتح الرباني

(٣٦/١) ، وحارثة بن مضرب ثقة كما قال الهيثمي في المجمع (٧٦/٦) وصححه الألباني في

« صحيح الترغيب والترهيب » ، حديث رقم ٥٤٦٠ .

أنظر إلى حبه وتعطشه للقيام والدعاء « لما نزل طش من المطر فانطلق الصحابة تحت الشجر والحجف وهي التروس يستظلون تحتها من المطر وبات رسول الله ﷺ « يدعو ربه » .

قال الحافظ ابن كثير في « يدعو ربه » : يعنى قائماً يصلى .

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله في « البداية والنهاية » : « بات رسول الله ﷺ يصلى إلى جذع شجرة هناك ، ويكثر في سجوده أن يقول : « يا حي يا قيوم » يكرر ذلك ويلطّ عليه السلام بقيام الليل والبكاء حتى الصباح والدعاء والاستغاثة بطلب النصر « اللهم إني أنشدك عهدك ووعدك ، اللهم إن شئت لم تعبد ^(١) » يصلى هو وأبو بكر ويقول في صلواته « اللهم لا تودع مني ، اللهم لا تخذلني ، اللهم لا تترني ، اللهم أنشدك ما وعدتني ^(٢) . « اللهم هذه قريرش قد أتت بجيلائها وفخرها تجادل وتكذب رسولك ، اللهم فنصرك الذي وعدتني » .

يقول ابن مسعود « ما سمعنا مناشداً ينشد ضالة أشد مناشدة من محمد لربه يوم بدر : اللهم إني أنشدك ما وعدتني ^(٣) يدعو حتى يسقط رداءه فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه ، ثم التزمه من ورائه فقال : « يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك فأنزل الله عز وجل ﴿ إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم ... ﴾ الآية فأمده الله بالملائكة » .

هذا هو الزاد عند الشدائد ﴿ وَلَا يُبَدِّلُ مِثْلُ حَبِيرٍ ﴾ يعطيه القدوة ﷺ لمن بعده ... يأخذ بمجامع الطرق .. ويُدْمِ قَرَعُ أَبْوَابِ السَّمَاءِ ... يستغيث بربه

(١) جزء من حديث البخارى ٥٩٥٣

(٢) جزء من حديث في « مسلم » .

(٣) حديث رقم (٣) : إسناده حسن : رواه الطبراني وقال الحافظ ابن حجر في « فتح الباري » شرح

حديث ٣٩٥٣ ج ٧ : إسناده حسن .

يطلب منه العون والممدد .. فَمَنْ كَانَ اللَّهُ مَعَهُ ، فَمِمَّنْ يَخَافُ وَمَنْ يَخْشَى .. !!
يقوم رسول الله ﷺ الليل باكياً داعياً .. وترك هذا الميراث للقادة التي سجلوا
بأحرف من نور أروع الانتصارات في التاريخ الإسلامي .. صلاح الدين الأيوبي
وأستاذه نور الدين محمود زنكي ومحمد الفاتح .. وضيع قوم الميراث فأضاعوا
البلاد :

حكماننا ضيعونا حينما فسقوا باعوا المآذن والقرآن والدينا
أى الحكايا ستروى عارنا جلال نحن الهوان وذال القدس يكفيننا

قيامه الليل في غزوة الأحزاب :-

قال تعالى : « لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله
واليوم الآخر وذكر الله كثيرا . ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا
الله ورسوله . وصدق الله ورسوله ، وما زادهم إلا إيمانا وتسليما » [الأحزاب :
٢١ ، ٢٢] صورة وضيفة في وسط الظلام ، مطمئنة في وسط الزلزال ، واثقة
بالله ، مستيقنة من نصر الله .. لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم - على
الرغم من الهول المرعب والضيق المجهد ، مثابة الأمان للمسلمين .

لنا أن تصور أية طاقة يطلقها هذا الجو في أرواحهم ، وأى ينبوع يتفجر
في كيانهم بالرضى والحاسة والثقة والاعتزاز وهم يرون الرسول يضرب بالفأس
ويحرف بالمسحاة ويحمل في المكنل ، ومع هذا كانت روحه صلى الله عليه وسلم
تستشرف النصر من بعيد ، وتراه رأى العين في ومضات الصخور على ضرب
المعاول ... فإذا جاء الليل وظلمته الشديدة مع ما هم فيه من الجوع الشديد
والبرد القارس .. جاء بالهول الذي يزلزلهم ويكرب أنفاسهم .. لقد كان الهول
الذي واجهه المسلمون من الضخامة ، وكان الكرب الذي واجهوه من
الشدّة ، وكان الفرع الذي لقوه من العنف بحيث زلزلهم زلزالا شديدا ، كما
قال عنهم أصدق القائلين « هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا » وما
يصور هذه الحالة أبلغ تصوير خبر حذيفة والرسول صلى الله عليه وسلم يحس

حالة أصحابه ويرى نفوسهم من داخلها - .- روى الإمام مسلم في صحيحه عن إبراهيم التيمي عن أبيه قال : كنا عند حذيفة فقال رجل لو أدركت رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتلت معه وأبليت فقال حذيفة : أنت كنت تفعل ذلك لقد رأيتنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الأحزاب وأخذتنا ريح شديدة وقرّ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الأرجل يأتيني بخبر القوم جعله الله معي يوم القيامة ؟ فسكتنا فلم يجبه منا أحد ، ثم قال : ألا رجل يأتينا بخبر القوم جعله الله معي يوم القيامة ؟ فسكتنا فلم يجبه منا أحد ، فقال قم يا حذيفة فأتنا بخبر القوم فلم أجد بدا إذ دعاني بإسمي أن أقوم ، قال : اذهب فأتني بخبر القوم ولا تدعهم عليّ ، فلما وليت من عنده جعلت كأنما أمشي في حمّام حتى أتيتهم فرأيت أبا سفيان يصلي ظهره بالنار فوضعت سها في كبد القوس فأردت أن أرميه فذكرت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تدعهم عليّ ، ولو زميته لأصبته فرجعت وأنا أمشي في مثل الحمّام فلما أتيت فآخبرته بخبر القوم وفرغت فُررت فألْبسني رسول الله صلى الله عليه وسلم من فضل عباءة كانت عليه يصلي فيها فلم أزل نائما حتى أصبحت فلما أصبحت قال : قم يا نومان .

وفي مسند أحمد : عن محمد بن كعب القرظي قال : قال فتى منا من أهل الكوفة لحذيفة بن اليمان يا أبا عبد الله رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبتهموه ؟ قال نعم يا ابن أخي ، قال : فكيف كنتم تصنعون ؟ قال والله لقد كنا نجهد ، قال والله لو أدركناه ما تركناه يمشي على الأرض ولجعلناه على أعناقنا ، قال فقال حذيفة يا ابن أخي والله لقد رأيتنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحنديق وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من الليل هويا ثم التفت إلينا فقال : من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم يشترط له رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه يرجع أدخله الله الجنة ، فما قام رجل ثم صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هو يامن الليل ثم التفت إلينا فقال من رجل يقوم فينظر

لنا ما فعل القوم ثم يرجع بشرط له رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجعة أسأل الله أن يكون رفيق في الجنة ، فما قام رجل من القوم مع شدة الخوف وشدة الجوع وشدة البرد ، فلما لم يقم أحد ، دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يكن لي بد من القيام حين دعاني فقال : « يا حذيفة ، اذهب فادخل في القوم فانظر ما يفعلون ، ولا تتحدثن شيئا حتى تأتينا » . قال : فذهبت فدخلت في القوم ، والرياح وجنود الله عز وجل تفعل بهم ما تفعل ، لاتقر لهم قدرا ولا نارا ولا بناء ، فقام أبو سفيان فقال : يا معشر قريش لينظر امرؤ من جلسه ، قال حذيفة : فأخذت بيد الرجل الذي إلى جنبي ، فقلت من أنت ؟ فقال : أنا فلان بن فلان ، ثم قال أبو سفيان : يا معشر قريش إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام ، لقد هلك الكراع^(١) والخف^(٢) . وأخلفتنا بنو قريظة ، وبلغنا عنهم الذي نكره ، ولقينا من هذه الرياح الذي ترون . والله ما تطمئن لنا قدر ، ولا تقوم لنا نار ، ولا يستمسك لنا بناء فارتحلوا إني مرتحل ، ثم قام إلى جملة وهو معقول ، فجلس عليه ، ثم ضربه ، فوثب به على ثلاث ، فما أطلق عقاله إلا وهو قائم . ولولا عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم إليّ « أن لاتحدث شيئا حتى تأتيني » ثم شئت لقتلته بسهم . قال حذيفة : فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قائم يصلى في مرط^(٣) لبعض نسائه مُرَحَّل ، فلما رأيته أدخلني بين رجليه ، وطرح على طرف المرط ، ثم ركع وسجد وإني لفيه ، فلما سلم أخبرته الخبر ، وسمعت غطفان بما فعلت قريش فانشمروا راجعين إلى بلادهم .

(١) الكراع : اسم لجميع الخيل .

(٢) الخف : الأبل .

(٣) المرط : بكسر فسكون : كساء من صوف

إلى جانب الزلزلة وزوغان الأبصار وكرب الأنفاس الصلة التي لا تنقطع
بالله ، والإدراك الذي لا يضل عن سنن الله ، والثقة التي لا تتزعزع بثبات هذه
السنن .. وكان قيام رسول الله صلى الله عليه وسلم وتهجده مع شدة الجوع
والبرد والظلمة والريح ..

وصورة وضيفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم : بينا هو في تهجده وصلاته
واتصاله بربه ، لا يترك حذيفة يرتعش حتى ينتهى من صلاته بل يأخذه -
صلوات الله وسلامه عليه بين رجله ، ويلقى عليه طرف الثوب ليدفنه في
حنو ، ويمضى في صلاته .

وصورة مشرقة أخرى : العتاب والمداعبة الرقيقة من رسول الله صلى الله
عليه وسلم لحذيفة بعد ما عاد من استطلاعهم ومهمته وقد بلغ به الجهد مبلغه
فنام حتى أصبح فيقول له صاحب المهمة العلية صلى الله عليه وسلم : قم
يانومان يعاتبه على عدم القيام والتهجد حتى وإن بلغ به الجهد مبلغه ...
بأبي أنت وأمي يارسول الله .

قيامه الليل في غزوة تبوك :

أما في غزوة تبوك فقد وردت الفوائد في ظلام ليلها :

« عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده : أن رسول الله ﷺ وعلى آله
وسلم عام غزوة تبوك قام من الليل يصلى فاجتمع وراءه رجال من أصحابه
يحرصونه حتى إذا صلى وانصرف إليهم فقال لهم : « لقد أعطيت الليلة خمسا
ما أعطيتن أحد قبلي أما أنا فأرسلت إلى الناس عامة .. ، وكان من قبلي إنما
يرسل إلى قومه ، ونصرت على العدو بالرعب ولو كان بيني وبينه مسيرة شهر
لملئ منه رعبا ، وأحلت لى الغنائم كلها ، وكان من قبلي يعظمون أكلها كانوا
يحرقونها ، وجعلت لى الأرض مساجد وطهورا أينما أدركتني الصلاة تمسحت
وصليت ، وكان من قبلي يعظمون ذلك إنما كانوا يصلون في كئناشهم

وبيعهم ، والخامسة هي ماهى ، قيل لى : سل فإن كان نبي قد سأل فادخرت
مسألتى إلى يوم القيامة فهي لكم ولن شهد أن لا إله إلا الله» (١) .
فكانت أعظم هداياه تزف لأمته أثر صلواته الليل في غزوة تبوك الشفاعة
وهي ماهى .

(١) رواه أحمد وقال البيهقي : رجاله ثقات ، وقال المنذرى في الترغيب والترهيب ج ٤/٤٣٣ رواه
أحمد بإسناد صحيح ، وقال ابن كثير في التفسير ٢/٢٥٥ : إسناد جيد قوى ولم يخرجوه وقال
مقبل بن هادى الوادعى : هذا الحديث بهذا السند صحيح لغيره ، فإن عمرو بن شعيب إذا
صح السند إليه فحسن كما أفاده الحافظ الذهبي في الميزان .
انظر كتاب « الشفاعة » لمقبل الوادعى ص ٧٩ ، ٨٠ طبع دار الأرقم بالكويت .

قال تعالى : ﴿ سبحان الذى أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لترىه من آياتنا إنه هو السميع البصير ﴾ (١) .
ويخشع القلم حين يذكر قيام رسول الله ﷺ بالأنبياء ويعجز العقل عن كنه ذلك ، ويقر القلب ، ويأتى سالماً مصداقاً ، وبالجلال الموقف وطهر اللقاء حين تتكلم عن قيام الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ليلة الإسراء والمعراج بالمسجد الأقصى .

عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :
« لقد رأيتني في الحجر وقريش تسألني عن مسراى فسألني عن أشياء من بيت المقدس لم أثبتها فكُرت كربة ما كُرتُ مثله قط ، قال : فرفعه الله لي ، وأنظر إليه ما يسألوني عن شيء إلا أنبأتهم به ، وقد رأيتني في جماعة من الأنبياء ، فإذا موسى قائم يصلي فإذا رجل ضرب جعد كأنه من رجال شنوءة ، وإذا عيسى ابن مريم عليه السلام قائم يصلي أقرب الناس به شبهاً عروة بن مسعود الثقفي ، وإذا إبراهيم عليه السلام قائم يصلي أشبه الناس به صاحبكم يعنى نفسه فحانت الصلاة فأمتهم فلما فرغت من الصلاة قال قائل : يا محمد هذا مالك صاحب النار فسلم عليه فالتفت إليه فبدأني بالسلام » (٢) فإن قيل كيف يصلون وهم أموات وهم في الدار الآخرة وليست دار عمل ؟ .

قال الإمام النووي « قال القاضي عياض : إنهم كالشهداء بل هم أفضل منهم ، والشهداء أحياء عند ربهم فلا يبعد أن يحجوا ويصلوا وأن يتقربوا إلى الله تعالى بما استطاعوا لأنهم وإن كانوا قد توفوا فهم في هذه الدنيا التي هي دار العمل حتى إذا فئيت مدتها وتعقبها الآخرة التي هي دار الجزاء انقطع العمل » (٣) ١ . هـ .

(١) الإسراء الآية رقم ١ .

(٢) رواه مسلم كتاب الإيمان باب ذكر المسيح بن مريم عليه السلام والمسيح الدجال ج ١ ص ٤١٣ .

(٣) صحيح مسلم شرح النووي ص ٤٠٤ باب الإسراء وفرض الصلوات .

قيام الليل عند الأنبياء
صلوات الله وسلامه عليهم

قيام موسى عليه الصلاة والسلام :

عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :
« مرت ليلة أسرى لى على موسى قائماً يصلى فى قبره » (١)

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : « وأما كونه رأى موسى قائماً يصلى فى قبره ، ورآه فى السماء أيضاً فهذا لا منافاة بينها فإن أمر الأرواح من جنس أمر الملائكة . فى اللحظة الواحدة تصعد وتهبط كالملك ، ليست فى ذلك كالبدن .

وهذه الصلاة ونحوها مما يتمتع بها الميت ، ويتنعم بها كما يتنعم أهل الجنة بالتسبيح ، فإنهم يلهمون التسبيح كما يلهم الناس فى الدنيا النفس ، فهذا ليس من عمل التكليف الذى يطلب له ثواب منفصل ، بل نفس هذا العمل هو من النعم الذى تنعم به الأنفس وتلذذ به .

وقول النبى ﷺ « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية ، وعلم ينتفع به ، وولد صالح يدعو له » يريد به العمل الذى يكون له ثواب ، لم يرد به نفسه العمل الذى يتنعم به ، فإن أهل الجنة يتنعمون بالنظر إلى الله ، ويتنعمون بذكره وتسبيحه ، ويتنعمون بقراءة القرآن ، ويقال لقارئ القرآن اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل فى الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها . ويتنعمون بمخاطبتهم لرهبهم ومناجاته ، وإن كانت هذه الأمور فى الدنيا أعمالاً يترتب عليها الثواب فهى فى الآخرة أعمال يتنعم بها صاحبها أعظم من أكله وشربه ونكاحه ، وهذه كلها أعمال أيضاً ، والأكل والشرب والنكاح فى الدنيا مما يؤمر به ويثاب عليه مع النية الصالحة ، وهو فى الآخرة نفس الثواب الذى يتنعم به والله أعلم » (٢) . هـ . كلام شيخ الإسلام رحمه الله أبى وأمى نبى الله

(١) رواه مسلم وأحمد والنسائى .

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية ص ٣٢٩ ، ٣٣٠ .

موسى عليه السلام لسان حاله يقول لمولاه :
 فَمَا مِنْكُمْ بُدٌّ وَلَا عَنْكُمْ غِنَى . وَمَا لِيَ مِنْ صَبْرٍ فَاسْأَلُوا عَنْكُمْ
 ويرحم الله ابن القيم رحمه الله حين يقول عن الحب لله عز وجل :
 وتفتنى عظام الصب بعد مماته وأشواقه وقف عليه مُحَرَّمٌ
 فكيف بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام وهم أحياء في قبورهم ؟ !

قيام عيسى عليه السلام :

كان عليه السلام يقول : « إن هذا الليل والنهار خزانتان فانظروا ما تضعون
 فيها » ويقول « اعملوا الليل لما خلق ، واعملا النهار لما خلق له .
 روى عن ابن عباس أنه قال لرجل سأله عن الصيام :
 « وإن شئت أنبأتك بصوم ابن العذراء البتول عيسى بن مريم فإنه كان يصوم
 الدهر ويأكل الشعير ويلبس الشعر يأكل ما وجد ، ولا يسأل عما فقد ليس له
 ولد يموت ، ولا بيت يخرب ، وكان أينما أدركه الليل صفت بين قدميه وقام يصلى
 حتى يصبح » (١) .

قيام نبي الله داود عليه السلام :

صوتُ الأوابِ مزاميرٌ فلتصغُ جبالُ البلدان
 قال رسول الله ﷺ : « كان داود أعبد البشر » (٢) .
 وقال ﷺ : « أحب الصلاة إلى الله صلاة داود ، وأحب الصيام إلى الله

(١) البداية والنهاية ج ٢ ص ١٦ .

(٢) صحيح : رواه مسلم عن ابن عمرو الترمذى والحاكم فى المستدرک والبخارى فى التاريخ ، عن
 أبى الدرداء ، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع رقم (٤٣٢٩) .

صيام داود ، كان ينام نصف الليل ، ويقوم ثلثه ، وينام سدسه ويصوم يوماً ويفطر يوماً»^(١) .

● عن الجريري قال : بلغنا أن داود عليه الصلاة والسلام سأل جبريل فقال : يا جبريل : أى الليل أفضل ، قال : ياداود ما أدري إلا أن العرش يهتز من السحر»^(٢) .

قال الحسن : لما أصاب داود الخطيئة خرّ ساجداً أربعين ليلة فقبل له : ياداود ارفع رأسك فقد عفوت عنك . وعن عبد الله بن عبيد بن عمير قال : خرّ داود أربعين ليلة ساجداً يبكي فرفع رأسه وما فى جبينه لحادة من لحم »^(٣) : قال تعالى : ﴿ اعملوا آل داود شكراً وقليل من عبادى الشكور ﴾ . قال الحافظ ابن كثير : « كان لا يمضى ساعة من آناء الليل وأطراف النهار إلا وأهل بيته فى عبادة ليلاً ونهاراً ، وكان داود عليه السلام هو المقتدى به فى ذلك الوقت فى العدل وكثرة العبادة وأنواع القربات .

قال تعالى : ﴿ واذكر عبدنا داود ذا الأيد إنه أواب ﴾^(٤)

قال ابن عباس ومجاهد : الأيد : القوة فى الطاعة يعنى ذا قوة فى العبادة . وروى عن ابن عباس عن قيام داود عليه السلام : « وكانت له ركعة من الليل يبكى فيها نفسه ، ويبكى بيكائه كل شيء ، ويصرف بصوته الهموم والأحزان »^(٥) .

(١) رواه البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى وابن ماجه وأحمد .

(٢) رواه أحمد بن حنبل فى الزهد ص ٧٠ .

(٣) الزهد والرفائق ص ١٦٢ ، والزهد لابن حنبل ص ٧١ .

(٤) سورة ص الآية رقم ١٧ .

(٥) البداية والنهاية ج ٢ ص ١٦ .

قيام سليمان بن داود عليه السلام :

قال قتادة قال سليمان بن داود عليه السلام : « عجباً لتاجر كيف يخلص
يلحف بالنهار وينام بالليل » (١) .

وروى عن جابر بن عبد الله رضى الله عنها قال : قال رسول الله
ﷺ : « قالت أم سليمان بن داود لسليمان : يا بُنَيَّ لا تكثر النوم بالليل ، فإن
كثرة النوم بالليل تترك الرجل فقيراً يوم القيامة » (٢) .

من قيام داود وآله :

عن وهيب بن الورد أن داود عليه السلام كان قد جعل الله كله نُوباً عليه
وعلى أهل بيته، لا تمر ساعة من الليل إلا وفي بيته مصل لله وذاكر، فلما كان نوبة
داود قام يصلى وبين يديه غدِير، وكأنه أعجب بما هو فيه وأهل بيته مما فضلوا به
من العبادة فأنطق الله ضفدعاً من الماء فنادته « يا داود كأنك أعجبت بما أنت
فيه وأهل بيتك من عبادة ربك ، فوالذى أكرمك بالنبوة إني لقاومة لله منذ
خلقنى على رجل ما استراحت أوداجي من تسيحه إلى هذه الساعة فما الذى
يعجبك من نفسك وأهل بيتك ، قال : فتصاغت إلى داود نفسه . وعن ابن
عباس فنادته ضفدع : يا داود كنت أدأب منك لقد أغفيت إغفاءة ، وفي
رواية : لا تعجب بنفسك فقد رأيتك البارحة حين خفقت برأسك .

● عن ثابت البناني بلغنا أن داود عليه السلام جزى أهل بيته الصلاة فلم تكن
تأتى ساعة من ليل أو نهار إلا وإنسان من آل داود قائم يصلى . وعن مجاهد « لما

(١) الزهد لابن حنبل ص ٤٠ .

(٢) رواه ابن ماجه والبيهقي وقال الهيثمي : وفي إسناده احتمال للتخسين ، وقال ابن حجر فيه الفضل

ابن عيسى الرقاشي وقد أجمعوا على ضعفه انظر مجمع الزوائد ج ٢ ص ٨٠ .

أنزلت ﴿اعملوا آل داود﴾ قال داود لسليمان : إن الله قد ذكر الشكر فاكفني قيام النهار وأكفيك قيام الليل قال لا أستطيع قال : فاكفني إلى صلاة الظهر فكفاه . وعن ابن شبرمة : لما أنزلت ﴿اعملوا آل داود شكراً﴾ اعتقبوا الليل فكنت لا ترى منهم إلا مصلياً .

قيام يحيى بن زكريا السيد الحصور المبارك عليها السلام :

الخائف الوجمل الذى أتى ربه عليه فقال :

﴿يا يحيى خذ الكتاب بقوة ، وآتيناه الحكم صبياً ، وحناناً من لدنا وزكاة وكان تقياً . وبراً بوالديه ولم يكن جباراً عصياً . وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حياً﴾^(١) .

عن مجاهد قال : « كان طعام يحيى بن زكريا عليها السلام العشب وإن كان ليكي من خشية الله ما لو كان القار على عينيه لخرقته دموعه ، ولقد كانت الدموع اتخذت مجرى في وجهه^(٢) .

• عن يحيى بن جابر عن يزيد بن ميسرة قال : كان طعام يحيى الجراد وقلوب الشجر وكان يقول : مَنْ أنعم منك يا يحيى وطعامك الجراد وقلوب الشجر^(٣) .

• عن وهيب بن الورد قال : بلغنا أن إبليس تبدى ليحيى بن زكريا فقال له : إني أريد أن أنصحك قال : كذبت أنت لا تنصحنى ولكن أخبرني عن بني آدم قال هم عندنا على ثلاثة أصناف : أما صنف منهم فهم أشد الأصناف علينا نقبل عليه حتى نفتنه ونستمكن منه ثم يفزع إلى الاستغفار والتوبة فيفسد علينا كل شيء أدركنا منه ثم نعود له فيعود فلا نحن نياسُ منه ولا نحن ندرك منه حاجتنا . وأما الصنف الآخر فهم في أيدينا بمتزلة الأكرة^(٣) في أيدي صبيانكم

(١) مريم الآيات ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥ .

(٢) الزهد والرفائق لابن المبارك ص ١٦٥ ، ٤٧ وانظر الزهد لابن حنبل ص ٩٠ .

(٣) جمع كرة

نتلقفهم كيف شئنا قد كفونا أنفسهم وأما الصنف الآخر فهم مثلك معصومون لا
نقدر منهم على شيء فقال له يحيى على ذلك هل قدرت منى على شيء؟ قال :
لا إلا مرة واحدة فإنك قدمت طعاماً تأكله فلم أزل أشهيه إليك حتى أكلت منه
أكثر مما تريد فنمت تلك الليلة فلم تقم إلى الصلاة كما كنت تقوم إليها فقال له
يحيى : لا جرم لا شبعت من طعام أبداً حتى أموت . فقال له الخبيث : لا جرم
لا نصحت آدمياً بعدك ^(١) .

ليلة واحدة تنامها أيها المبارك أيها السيد الحصور فتقسم ألا تشبع من طعام
أبداً حتى لا تفوتك صلاتك بالليل ، أما نحن فسل عنا الجشأ وسل عنا الوسادة .

قيام إدريس عليه السلام :

عن القاسم بن عوف الشيباني قال : بينا أنا عند خالد بن عرعة وأبي
عُجَيل وزارهما الربيع بن خيثم فقال أحدهما لصاحبه حدث أبا يزيد ما سمعت
من كعب فقال بينا نحن عند كعب إذ أتاه رجل بين بردى حبرة فإذا هو ابن
عباس فقال ابن عباس لكعب إني سألك عن أشياء أجدها في كتاب الله فسأله
عن إدريس ورفع مكانه فقال إن إدريس كان رجلاً خياطاً وكان يكسب
فيجربى كسبه فيتصدق بثلثه وكان لا ينام الليل ولا يفطر النهار ولا يفتر عن ذكر
الله فأتاه جبريل فبشره وقال هل لك من حاجة؟ قال :. وددت أني أعلم متى
أجلى قال : ما أعلم ذلك فصعد به إلى السماء فإذا ملك الموت فسأله متى أجله
فنظر ملك الموت في الكتاب فوجده لم تبق من أجله إلا ست ساعات أو سبع

(١) مختصر قيام الليل ص ٢٤ .

وقال أمرت أن أقبض روحه ههنا فقبض روحه في السماء فذلك رفع مكانه» (١).

قيام ذى النون عليه السلام :

قال تعالى : ﴿ وَذَا النُّونِ إِذْ ذُهِبَ مَغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴾ . نبى الله يونس عليه السلام صاحب الحوت يناجى في الظلمات : ظلمة الليل وظلمة بطن الحوت ويسبح ، لسان حاله يقول « قد اتخذت لك مسجداً - وهو بطن الحوت - ما اتخذهُ أحد قبلي يسافر الليل مع الحوت داعياً مسبحاً مناجياً متهجداً .
لله أنتم معاشر الأنبياء .

(١) مختصر قيام الليل ص ٢٤ .

ملحوظة : قد نسبنا الكلام إلى مصدره وبذلك برئت منا الذمة والعهدة على مصدره . وقد قال رسولنا ﷺ « حدثوا عن بنى إسرائيل ولا حرج » أى من طول الإسناد وأفضل هدى محمد ﷺ ونعرض ما جاءنا عنهم على كتاب الله وعلى سنة نبيه .
• أما كعب الأخبار فالجمهور على توثيقه ويكنى قول الحافظ ابن حجر في الفتح [٢٨٥/١٣] :
كان من أخبار الأخبار .

والأخرى يكعب رحمه الله لو أنه ميز في مروياته بين الغث والسمين وما يجوز نقله وما لا يجوز »
انظر الاسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير ص ٣٧٢ ، ١٠٢ وما بعدها .

قيام الليل عند الصحابة رضوان الله عليهم

القانتون المحبتون لربهم
يحيون ليلهم بطاعة ربهم
وعيونهم تجرى بفيض دموعهم
في الليل زهبان ، وعند جهادهم
وإذا بدا علمُ الرّهان رأيتهم
بوجوههم أثر السجود لربهم
ولقد أبان لك الكتاب صفاتهم
وبراع السبع الطوال صفاتهم
وبراءة والحشر فيها وصفهم

الناطقون بأصدق الأقوال
بتلاوة ، وتضرع ، وسؤال
مثل انهال الوابل الهطال
لعدوهم من أشجع الأبطال
يشسابقون بصالح الأعمال
وبها أشعة نوره المتلالي
في سورة الفتح المبين العالی
قوم يحيم ذوو إدلال
وبهل أتى وبسورة الأنفال^(١)

(١) ابن القيم - إغاثة اللهفان .

مها سطر القلم وخطّ المداد ، ومها أوتينا من لسن وفصاحة فلن نوْفَى
أصحاب رسول الله ﷺ حقهم وصدق الله تعالى إذ يقول ﴿ والسابقون الأولون
من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان ﴾ .

وقال رسول الله ﷺ « خير القرون قرنى ثم الذين يلونهم »
وقال رسول الله ﷺ « والذي نفسى بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما
أنفق مَدُّ أحدهم ولا نصيفه »^(١) .

هُمُ عباد الله الذين اصطفى كما قال سفيان ، اختارهم الله على الثقلين سوى
النبيين والمرسلين .

قال ابن مسعود « إن الله نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمد خير قلوب
العباد فاصطفاه لنفسه فابتعثه برسالته ، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد
فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد فجعلهم وزراء نبيه ﷺ »^(٢) .
كانوا خير هذه الأمة أبرها قلوباً وأعمقها علماً وأقلها تكلفاً .

● صَلَّى عَلَى بِنِ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صَلَاةَ الْفَجْرِ فَلَمَّا سَلَّمَ انْفَتَلَ عَنْ يَمِينِهِ
ثُمَّ مَكَثَ كَأَنَّ عَلَيْهِ كَأَبَةٌ حَتَّى إِذَا كَانَتِ الشَّمْسُ عَلَى حَائِطِ الْمَسْجِدِ قَيْدَ رِمْحٍ
قَلْبَ يَدِهِ فَقَالَ :

لقد رأيت أثراً من أصحاب رسول الله ﷺ فما أرى أحداً يشبههم ، والله
إن كانوا ليصبحون شعثاً غيراً صفرأ ، بين أعينهم أمثال رُكَبِ المعزى ، قد باتوا
يتلون كتاب الله يراوحون بين أقدامهم وجباههم ، إذا ذكر الله مادوا كما تميد
الريح في يوم ريح فانهملت أعينهم حتى تبل والله ثيابهم والله لكأن القوم باتوا
غافلين .

(١) رواه البخارى ومسلم .

(٢) التبصرة ج ١ ص ٤٧٧ .

(٣) انصرف .

نعم يا أبا الحسن . ليس أحدًا يشبههم .
 وحدثنى يا سعد عنهم فردتني جنوناً فردني من حديثك يا سعد
 بأبي وأمي أناس تشناق إليهم الجنة لعبادتهم .. كم بيننا وبينهم .
 قال رسول الله ﷺ :

« اشتاقت الجنة إلى علي وعمار وسلمان » .

ونحن ما نشتاقت إلى الجنة .

إلى العباد في الدنيا جنان الخلد تشتاقت
 عبيد من خطاياهم إلى الرحمن أباق
 عليهم حين تلقاهم سيكينات وإطراق
 يضجون إلى الله ودمع العين مهراق
 توهمهم وقد مالت بسكر القوم أحداق
 وقد قاموا فلا يهجع ع من قد ذاق ما ذاقوا^(١)

كم في صحابة رسول الله ﷺ من أواه تالي ... بل كلهم أواه متهد
 تالي .. كل فرد منهم نسيج وحده في التهد والعبادة ... ما المتهد فيمن بعدهم
 إلا كاللاعب .. لقد سبقوا على خيل ضم .. وأتعبوا من خلفهم .

انظر رحمك الله إلى الصدق يشع من كلام هند زوج أبي سفيان رضى الله
 عنها وقد أتت زوجها صبيحة فتح مكة ، ورأت تهجد الصحابة .. فقالت
 لزوجها : « إني أريد أن أبايع محمدا ﷺ قال أبو سفيان : قد رأيتك
 تكفرين . قالت : أى والله ! والله ما رأيت الله تعالى عبداً حق عبادته في هذا
 المسجد قبل الليلة ، والله إن باتوا إلا مصلين قياماً وركوعاً وسجوداً »^(٢) .
 هذا الموقف وهذا التهجد الطيب الصادق الذى شع صدقه ونوره ، ورف

(١) التبصرة ج ١ ص ٤٩٨

(٢) حياة الصحابة ص ٤٩٦ ، وانظر « البداية والنهاية » ، وعند ابن مندة في « بيعة النساء » .

نداه في جنبات مكة حتى أثر في جلمود صخرها .. أث في هند ومس شغاف قلبها
ودفعها لتنضم لقافلة النور رضى الله عنها .

● وانظر إلى موقف آخر : « والخير ما شهدت به الأعداء » .

عن عروة رضى الله عنه قال : « لما تدانى العسكران [يوم اليرموك] بعث
القبلاء رجلاً عربياً ، فذكر الحديث وفيه : فقال : ما وراءك ؟ قال : بالليل
رهبان وبالنهار فرسان » ^(١) .

● وموقف آخر :

« لما هزمت جنود هرقل أمام المسلمين ، قال لهم : فما بالكم تنهزمون ؟
فقال : شيخ من عظماهم : من أجل أنهم يقومون الليل ويصومون
النهار » ^(٢) .

انظر إلى عظيم الروم بعد خروجه من بيت المقدس إلى غير رجعة قال :
« عليك السلام يا سورية سلاماً لا اجتماع بعده ، ويرحل إلى عاصمة ملكه ،
وهناك يسأل رجلاً ممن اتبعه كان قد أسرمع المسلمين ، فقال أخبرني عن هؤلاء
القوم :

قال : أخبرك كأنك تنظر إليهم ، هم فرسان بالنهار . رهبان بالليل ، لا
يأكلون في ذمتهم إلا بثمن ، ولا يدخلون إلا بسلام ، يقفون على من حاربوه
حتى يأتوا عليه ، فقال : لئن صدقت ليملكن موضع قدمي هاتين » ^(٣)

سلوا عظيم الروم يخبركم أن جبال الصدق ، ومعادن التقوى ، ورعاة النجوم
أهل الليل من أصحاب محمد ﷺ ، قد صدقوا الله فصدقهم ، طوبى لهم .
ولهم أحق الناس بكلام علي بن أبي طالب لنوف البكالى إذ خرج معه ذات ليلة
فنظر إلى النجوم فقال له : « يانوف أراقد أنت أم رامت ؟ قال . قلت : بل رامت .

(١) الطبرى ج (٢) ص ٦١ .

(٢) ابن عساکر ج ١ ص ١٤٣ عن ابن إسحاق .

(٣) البداية والنهاية ج ٧ ص ٥٩ .

يا أمير المؤمنين ، فقال : يانوف : طوبى للزاهدين في الدنيا والراغبين في الآخرة ، أولئك قوم اتخذوا الأرض بساطاً ، وترايبها فراشاً ، وماءها طيباً ، والقرآن والدعاء دثاراً وشعاراً»^(١)... نعم ضحكت الآخرة لهم وبكت الدنيا عليهم وشغلوا بالتهجد والقرآن فرضوان الله عليهم أجمعين .

قيام أبي بكر الصديق رضى الله عنه :

أنا مولاي إمام ضحكت من ثنانيا فضله آى الزمّر
صَدَقَ المرسل إيماناً به ولحا في الله من كان كفر
ثم بالغار له منقبة خصه الله بها دون البشر
«ثاني اثنين» ، وقول المصطفى . معنا الله - فلا تُبدى الحذر^(٢)

طار والله صديق الأمة رضى الله عنه بعنائها ، وفاز بحبائها ، وذهب بفضائلها ، وأدرك سوابقها كانت فضائله وعبادته مستورة بنقاب « ما سبقكم أبو بكر بصوم ولا صلاة ، ولكن بشيء وقر في صدره » فهي مجانسة لمنقبتة ﴿فأوحى إلى عبده ما أوحى﴾

مَنْ لى بمثل سيرك المُدَلَّل تمشى رويداً ونجى في الأول
« كان على بن أبي طالب رضى الله عنه يحلف بالله أن الله عز وجل أنزل اسم أبي بكر من السماء « الصديق »^(٣)

عن أبي قبادة قال « إن النبي ﷺ خرج ليلة ، فإذا هو بأبي بكر الصديق

(١) حلية الأولياء ج ٦ ص ٥٣ .

(٢) التبصرة ج ١ ص ٣٩٧ .

(٣) التبصرة ج ١ ص ٣٩٨ .

يصلى يخفض من صوته ، قال : ومر بعمر وهو يصلى رافعاً صوته ، قال : فلما اجتمعا عند النبي ﷺ قال النبي ﷺ : « يا أبا بكر مررت بك وأنت تصلى تخفض صوتك » ، قال : « قد أسمعتُ من ناجيتُ يا رسول الله » . قال : وقال لعمر « مررت بك وأنت تصلى رافعاً صوتك » قال : فقال : يا رسول الله أوظظ اللِّسَان وأطرد الشيطان ، فقال النبي ﷺ : « يا أبا بكر ارفع من صوتك شيئاً » وقال فلعمري « اخفض من صوتك شيئاً »^(١)

فكيف يدرك حال وعبادة صديق يقول « قد أسمعت من ناجيتُ ! ؟ » .

قيام الفاروق عمر رضى الله عنه :

قالت عائشة « إذا شتمتُ أن يطيب المجلس فعليكم بذكر عمر بن الخطاب » .
 ساهر العين بالعزائم يقظان ، وقد قيّد العينون الرقادُ
 قد كَفَتُهُ المناقبُ المدحَ إلا مَدَحْنَا من صفاته يستفادُ
 • قال الحسن : « تزوج عثمان بن أبي العاص امرأة من نساء عمر بن الخطاب ، فقال : والله ما نكحتها رغبة في مال ولا ولد ، ولكني أحببت أن تخبرني عن ليل عمر فسألتها ، فقال : كيف كان صلاة عمر بالليل ؟ قالت : كان يصلّي العشاء ثم يأمرنا أن نضع عند رأسه توراً فيه ماء فيتعار من الليل فيضع يده في الماء فيمسح وجهه ويديه ثم يذكر الله عز وجل حتى يغنى ، ثم يتعار حتى تأتي الساعة التي يقوم فيها »^(٢)

(١) إسناده صحيح : رواه أبو داود واللفظ له باب رفع الصوت بالقراءة في صلاة الليل والحاكم وصححه ووافقه الذهبي ، وروى الترمذى نحوه في كتاب الصلاة باب : ما جاء في قراءة الليل ٣١٠/٢ وقال حديث غريب . وقال الألباني في تخريج المشكاة « وإسناده صحيح فإن الذي وصله ثقة » وصحح إسناده أيضاً الشيخ أحمد شاكر والشيخ عبد القادر الأرناؤوط في التعليق على شرح السنة « ج ٤ ص ٣١

(٢) الزهد لابن حنبل ص ١١٨ ، ١١٩ قال الهيثمي في مجمع الزوائد ج ٩ ص ٧٣ « وأخرجه الطبراني ورجاله ثقات » .

- « وقال معاوية بن خديج وقد دخل عليه في وقت الظهيرة فظنه قائلاً : قال : بشس ما قلت ، أو بشس ما ظننت لئن نمت بالنهار لأضيعن الرعية ، ولئن نمت بالليل لأضيعن نفسي فكيف بالنوم مع هذين يا معاوية »^(١) .
ولذا كان ينعس وهو قاعد فقيل له : ألا تنام يا أمير المؤمنين فيقول : كيف أنام ؟ إن نمت الليل ضيعت حظي مع الله . لله درك يا فاروق الإسلام ... خفقات برأسك فقط ولا تركزن إلى الفراش .

بأبي هو وأمي لسان حاله يقول :

لستُ أدري أطال ليلي أم لا كيف يدري بذاك من يتقلّي
لو تفرغت لاستطالة ليلي ولرعى النجوم كنتُ مُخلّاً
● قال الحافظ ابن كثير : « وكان يصلي بالناس العشاء ثم يدخل بيته فلا يزال يصلي إلى الفجر .

● وقال أسلم مولى عمر : قدم المدينة رفقة من تجار ، فترلوا المصلي فقال عمر لعبد الرحمن بن عوف هل لك أن نحرسهم الليلة ؟ قال نعم . فباتا يحرسانهم ويصليان »^(٢)

لم يكن شيء يشغله عن قيام الليل ، ويقضى الوقت الواحد في أكثر من طاعة .

● قال العباس بن عبد المطلب : كنت جاراً لعمر بن الخطاب ، فما رأيت أحداً من الناس كان أفضل من عمر : إن ليله صلاة ، وإن نهاره صيام وفي حاجات الناس »^(٣) .

● وعن الفاروق قال : « لولا ثلاث لما أحببت البقاء : لولا أن أحمل على جياذ الحيل في سبيل الله ، ومكابدة الليل ، ومجالسة أقوام يتقون أطايب الكلام

(١) الزهد لابن حنبل ص ١٢٢ ، ١٢٣ .

(٢) البداية والنهاية ج ٧ ص ١٤٩ .

(٣) حلية الأولياء . ص ٥٤ .

كما يتتقى أطايب التمر»^(١).

● عن زيد بن أسلم عن أبيه أن عمر بن الخطاب كان يصلى من الليل ما شاء الله ، حتى إذا كان من آخر الليل أيقظ أهله للصلاة يقول لهم « الصلاة الصلاة ثم يتلو هذه الآية : ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى ﴾ »^(٢).

- « وفي الصحيحين أنه لما تُوفى عمر قال علىّ عليه السلام : « ما خَلَفْتَ أحداً أحبّ أن ألقى الله بمثل عمله منك يا عمر » .

● « كان في وجهه خطان أسودان مثل الشراك من البكاء ، وكان يمرّ بالآية من ورده بالليل فيسكى حتى يسقط ويبقى في البيت حتى يُعاد للمرض »^(٣).

لقد استلذّ رضى الله عنه بشراب الدموع ولولا صحو السهر والجوع ما بات عند الجبل هلالُ « يا سارية »^(٤) والله در القائل :

فن يجارى أبا حفصٍ وسيرته أو من يحاول للفاروق تشبيها
هذه درجات أهل الفضائل وأهلها هم أهل الزلنى والدرجات العلى كما يقول
ابن القيم .

فرضى الله عن أبوا المسلمين وشيخيهما ووزيرا رسول الله ﷺ الذى قال
مادحاً لها :

« هذان السمع والبصر يعنى أبا بكر وعمر »^(٥) وقال أيضاً : « هذان سيدا

(١) مدارج السالكين ج ٢ ص ٢٨١

(٢) إسناده صحيح : رواه مالك في الموطأ باب ما جاء في صلاة الليل وصحح إسناده عبد القادر الأرنؤوط. أنظر التعليق على جامع الأصول .

(٣) التبصرة ج ١ ص ٤٢١ .

(٤) التبصرة ج ١ ص ٤٢٣ .

(٥) صحيح : رواه الترمذى والحاكم في المستدرک عن عبد الله بن حنطب وصححه الألبانى في صحيح الجامع ٨٦٨١ والصحيحة رقم ٨١٤ .

كهل أهل الجنة ، من الأولين والآخرين ، إلا النبيين والمرسلين ، لا نخبرهما
يا على . يعنى أبا بكر وعمر»^(١) .

قيام ذى النورين عثمان بن عفان رضى الله عنه :

تَحَدَّثُ وَلَا تَخْرُجُ بِكُلِّ عَجِيْبَةٍ عَنِ الْبَحْرِ أَوْ تَلُكُ الْخِلَالَ الْزَّوَاهِرَ
وَلَا عَيْبَ فِي أَخْلَاقِهِ غَيْرَ أَنَّهَا فِرَائِدُ دَرِّ مَا لَهَا مِنْ نِظَائِرِ
يُقَرَّرُ لَهَا بِالْفَضْلِ كُلِّ مَنَازِعٍ إِذَا قِيلَ يَوْمَ الْجُمُعِ هَلْ مِنْ مَفَاخِرِ
● عَنِ ابْنِ سِيرِينَ قَالَ : « قَالَتْ امْرَأَةٌ عُثْمَانَ حِينَ قُتِلَ : لَقَدْ قَتَلْتُمُوهُ وَإِنَّهُ
لِيَحْيِي اللَّيْلَ كُلَّهُ بِالْقُرْآنِ فِي رَكْعَةٍ »^(٢) .

● « رَوَى عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ فِي رَكْعَةٍ ثُمَّ يوترُ بِهَا »^(٣) .

● وَعَنْ جَدَّةِ لِلزَّيْبِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ يُقَالُ لَهَا زَهِيمَةٌ قَالَتْ : « كَانَ عُثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُ يَصُومُ النَّهَارَ وَيَقُومُ اللَّيْلَ إِلَّا مِنْ هَجْعَةٍ مِنْ أَوَّلِهِ »^(٤) .

● « وَمَا كَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ يُوَقِّظُ أَحَدًا مِنْ أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَجِدَهُ يَقْظَانَ فَيَدْعُوهُ
فِي نَائِلِهِ وَضَوْءَهُ »^(٥) .

● « قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ التَّمِيمِيُّ : لِأَغْلَبِنَ اللَّيْلَةَ النَّفْرَ عَلَى الْمَقَامِ ، فَلَمَّا صَلَّيْتَ
الْعَتَمَةَ تَخَلَّصْتَ إِلَى الْمَقَامِ حَتَّى قَمْتُ فِيهِ ، قَالَ : فَبَيْنَا أَنَا قَائِمٌ إِذَا رَجُلٌ وَضَعَ يَدَهُ
بَيْنَ كَتْفِي ، فَإِذَا هُوَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَانَ ، قَالَ : فَبَدَأَ بِأَمِّ الْقُرْآنِ فَقَرَأَ حَتَّى خَتَمَ

(١) صحيح : رواه الترمذى عن أنس وعلى وصححه الألبانى فى صحيح الجامع رقم ٨٦٨٢
والصحيحة رقم ٨٢٢ .

(٢) الزهد لابن حنبل ص ١٢٧ .

(٣) إسناده صحيح : أخرجه الطحاوى والبيهقى ٢٥/٣ ، وابن أبى داود وصححه إسناده الشيخ
شيب الأرنؤوط والشيخ زهير الشاويش فى تحقيق « شرح السنة » ج ٤ ص ٤٩٩ .

(٤) الزهد ص ١٢٩ .

(٥) الزهد ص ١٢٦ .

القرآن ، فرقع وسجد ، ثم أخذ نعليه فلا أدري صلى قبل ذلك شيئاً أم لا»^(١) .

● عن الشعبي قال : لقي مسروق الأشتر ، فقال مسروق للأشتر : قتلتم عثمان ؟ قال : نعم ، قال : أما والله لقد قتلتموه صَوَاماً قَوَاماً^(٢) .

● وقال الحافظ ابن كثير : « وقد روى من غير وجه أنه صلى بالقرآن العظيم في ركعة واحدة عند الحجر الأسود ، أيام الحج ، وقد كان هذا من دأبه رضي الله عنه ، ولهذا روينا عن ابن عمر أنه قال في قوله تعالى : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانَتْ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَبْجُرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ﴾ قال : هو عثمان بن عفان»^(٣) .

● وقال حسان بن ثابت رضي الله عنه :-

ضَحَّوْا بِأَسْمَطِ عُنْوَانِ السُّجُودِ بِهِ يُقَطِّعُ اللَّيْلَ تَسِيحًا وَقِرَانًا
قيام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه :

إِنْ كُنْتُ وَبِحَكِّ لَمْ تَسْمَعْ مَنَاقِبَهُ فَاسْمَعْ مَنَاقِبَهُ مِنْ « هَلْ أَنِي » وَكَفَيْ
رضي الله عَمَّنْ لَازِمُ السَّهْرِ لِيَسْمَعَ : « هَلْ مِنْ سَائِلٍ » .

● وصفه ضرار بن ضمرة الكنانى حين طلب منه ذلك أمير المؤمنين معاوية بن أبى سفيان رضي الله عنه فقال في وصفه « يستوحش من الدنيا وزهرتها ، ويستأنس بالليل وظلمته ، وأشهد بالله لقد رأيت في بعض مواقفه ، وقد أرخى الليل سدوله ، وغارت نجومه ، يميل في محرابه قابضاً على لحيته ، يتململ تملل السليم ، ويكي بكاء الحزين ، فكأنى أسمع الآن وهو يقول : ياربنا ياربنا - يتضرع إليه - ثم يقول للدنيا - إلى تغررت ، إلى تشوفت ، هيهات هيهات ، غرى

(١) حلية الأولياء ص ٥٦ ، ٥٧ .

(٢) حلية الأولياء ج ١ ص ٥٦ ، ٥٧ .

(٣) انظر تفسير سورة الزمر الآية ٩ .

غيرى ، قد تبتك ثلاثاً ، فعمرك قصير ، ومجلسك حقير ، وخطرك يسير ، آه آه من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق . « فوكفت دموع معاوية على لحيته ما يملكها وجعل ينشفها بكُمه ، وقد اختنق القوم بالبكاء . فقال : كذا كان أبو الحسن رحمه الله . كيف وجدك عليه يا ضرار؟ قال : وَجَدُ من ذبح واحداها في حجرها لا ترقأ دمعها ولا يسكن حزنها » (١) .

رحمك الله يا مَنْ كنت غزير الدمعة ، يا مَنْ قال فيك ابن حنبل « إن علياً مازاته الخلافة ولكن هو زانها » (٢) .

مابات إلا على هم ولا اغتمضت عيناه إلا على عزم وإزمام
يذوق بالعين طعم النوم مضمضة إذا الجبان ملاعينا بتهاج (٣)

● قال رحمه الله في وصف المتقين - وهو من ساداتهم -

« ألا إن لله عبداً كمن رأى الجنة في الجنة محلدين وأهل النار في النار معذبين ، شرورهم مأمونة ، وقلوبهم محزونة ، وأنفسهم عفيفة ، وحواسهم خفيفة ، صبروا أياماً قليلة ، لعقبى راحة طويلة . أما الليل فصافون أقدامهم تجرى دموعهم على خدودهم ، يجأرون إلى الله في فكاك رقابهم ، وأما النهار فظماء حُلماء ، بررة أتقياء كأنهم القداح ، ينظر إليهم الناظر ويقول مرضى ، وما بالقوم من مرض ، وخولطوا وقد خالط القوم أمر عظيم » (٤) وروى عنه أنه كان يقول : « علامة الصالحين صفرة الألوان وعمش العيون وذبول الشفاه » (٥)

(١) الحلية ج ١ ص ٨٥ .

(٢) التبصرة ج ١ ص ٤٤٣ .

(٣) التبصرة ج ١ ص ٤٤٧ .

(٤) البداية والنهاية ج ٨ ص ٧ .

قيام أبي الدرداء رضى الله عنه « حكيم الأمة » :

كان رضى الله عنه إذا سمع المهجدين بالقرآن يقول « بأبي التَّوَّاحُّونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَتَنَدَى قُلُوبِهِمْ بِذِكْرِ - أَوْ لَذِكْرِ اللَّهِ » (١) . وانظر إلى الحكيم الذى يعلم أوقات الدعاء حين تبدو السماء قرب طالها فيقول : « إن العبد المسلم ليغفر له وهو نائم . فقالت أم الدرداء : وكيف ذلك ؟ قال : « يقوم أخوه من الليل فيتهجد ، فيدعو الله فيستجيب له ، ويدعو لأخيه فيستجيب له » . وكان رحمه الله قد بات ليلته يصلى فجعل يبكى ويقول « اللهم أحسنت خلقتى فأحسن خلقتى حتى أصبح » فحمل هذا أم الدرداء على أن تسأله رضى الله عنه « ما كان دعاؤك منذ الليلة إلا فى حسن الخلق » ؟ (٢) .

● وقال رضى الله عنه : « إن شئت لأقسمن لكم إن أحب عباد الله إلى الله لرعاء الشمس والقمر » (٣) .

قيام عبد الله بن مسعود رضى الله عنه : « كيف مُلأَ علماً » .

● قال عمر بن الخطاب : كان رسول الله ﷺ لا يزال يسمر عند أبي بكر الليلة كذلك فى الأمر من أمر المسلمين ، وأنه سمر عنده ذات ليلة وأنا معه ، فخرج رسول الله ﷺ يمشى وخرجنا معه ، فإذا رجل قائم يصلى فى المسجد ، فقام رسول الله ﷺ يسمع قراءته ، فلما كدنا أن نعرف الرجل قال رسول الله ﷺ :

« من سرّه أن يقرأ القرآن رطباً كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن عبد »

(١) الحلية ج ١ ص ٢٢١ .

(٢) الزهد ص ١٤٠ .

(٣) الزهد ص ١٤٣ .

(٥) تنبيه المعترين للشعراني ص ٤٤ .

قال : ثم جلس الرجل يدعو فجعل رسول الله ﷺ يقول : « سَلِّ تَعْطَأْ » مرتين .

قال : فقال عمر : فقلتُ والله لأغدوَنَ إليه فلاُبشِرَنه ، قال : فغدوتُ إليه لأُبشِرُه ، فوجدتُ أبا بكر قد سبقني إليه فبشِرُه ، ولا والله ما سبقته إلى خير قط إلا سبقني ^(١) .

● « وكان رحمه الله إذا هدأت العيون قام فيسمع له دوى كدوى النحل » ^(٢) .

● وقال رضى الله عنه : « فصل صلاة الليل على صلاة النهار كفضل صدقة السر على صدقة العلانية » ^(٣) .

● وقال رضى الله عنه « لا ألفين أحدكم جيفة ليل قطربَ نهار » ^(٤) .
● وعنه رضى الله عنه « ينبغى لحامل القرآن أن يعرف بلبه إذا الناس نامون ،

وبنهاره إذا الناس يفطرون ، وبخزنه إذا الناس يفرحون ، وببكائه إذا الناس يضحكون ، وبصمته إذا الناس يخلطون ، وبخشوعه إذا الناس يخالون » ^(٥) .

● عن علقمة بن قيس قال : بت مع عبد الله بن مسعود رضى الله عنه فقام أول الليل ثم قام يصلى فكان يقرأ قراءة الإمام فى مسجد حيه ، يرتل ولا يرجع يسمع من حوله ولا يرجع صوته ، حتى لم يبق من الغلس إلا كما بين آذان المغرب إلى الانصراف منها إلى الوتر ^(٦) .

(١) اسناده صحيح : هذا جزء من حديث أبى موسى عند ابن خزيمة ورواه أحمد فى مسنده من طريق أبى معاوية ، وصحح اسناده الدكتور مصطفى الأعظمى صحيح ابن خزيمة ج ٢ ص ١٨٦

(٢) الزهد لابن حنبل ص ١٥٦ .
(٣) خلية الأولياء ج ١ ص ١٣٠ والقطرب : الذى يجلس ههنا ساعة وههنا ساعة .
(٤) الخلية ج ١ ص ٢٣٣ قال الهيثمى فى الزوائد ج ٢ ص ٢٦٦ ، رواه الطبرانى فى الكبير .
ورجاله رجال الصحيح .

رحم الله عبد الله بن مسعود الذى قال عنه رسول الله ﷺ « اقتدوا بالذين من بعدي : أبى بكر وعمر ، وتمسكوا بهدى ابن أم عبد الله ابن مسعود رضى الله عنه » .

قيام معاذ بن جبل رضى الله عنه :

مقدام العلماء وإمام الحكماء .. القارئ القانت ، المحب الثابت ، أعلم الأمة بالحلال والحرام .

● عن ثور بن يزيد قال : كان معاذ بن جبل رضى الله عنه إذا تهجد من الليل قال : « اللهم قد نامت العيون ، وغارت النجوم ، وأنت حيٌ قيوم . اللهم طلبي للجنة بطيء ، وهرى من النار ضعيف . اللهم اجعل لى عندك هدى ترده إلى يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد » (١) .

● ولا حضره الموت قال : « أعوذ بالله من ليلة صباحها إلى النار . مرحباً بالموت مرحباً زائراً مغيب حبيب جاء على فاقة - اللهم إني قد كنت أخافك فأنا اليوم أرجوك ، اللهم إن كنت تعلم أنى لم أكن أحب الدنيا وطول البقاء فيها لكرى الأنهار ، ولا لغرس الشجر ، ولكن لظماً الهواجر ، ومكابدة الساعات ومزاحمة العلماء بالركب عند خلق الذكر » (٢) .

● عن محمد بن النضر الحارثى يرفعه إلى معاذ بن جبل رحمه الله قال : « ثلاث من فعلهن فقد تعرض للمقت الضحك من غير عجب ، والنوم من غير سهر ، والأكل من غير جوع » (٣) .

(١) الخلية ج ١ ص ٢٣٣ .

(٢) الزهد ص ١٨٠ - ١٨١ .

(٣) الزهد لابن حنبل ص ١٨٣ .

قيام أمير المؤمنين في الحديث أبي هريرة رضى الله عنه :

• عن أبي عثمان النهدي قال : تضيّفتُ أبا هريرة سبعاً ، فكان هو وامرأته وخادمه يقسمون الليل ثلاثاً يصلى هذا ثم يوقظ هذا» (١) .

وفي رواية أخرى : أن أبا هريرة كان يقوم ثلث الليل ، وتقوم امرأته ثلث الليل ويقوم ابنه ثلث الليل إذا نام هذا قام هذا» (٢) .

• وكان رضى الله عنه وأصحابه إذا صاموا قعدوا في السحر قالوا نظهر سيئاتنا» (٣)

رحمه الله ورضى عنه « فقد كان يسبح كل يوم اثنتي عشرة ألف تسيحة يقول أسبح بقدر ذنبي» (٤) فحياته حديث وتسيح واستغفار وقيام .

قيام أبي موسى الأشعري رضى الله عنه :

صاحب القراءة والمزمار ، الرابض نفسه بالسياحة في المضمار ، الأشعري أبي موسى عبد الله بن قيس بن حضار .

كان في أودية الحجة هائماً ، وبقراءة القرآن في الحنادس مترنماً وقائماً .
• في الصحيح المرفوع : « لقد أوتى مزماراً من مزامير آل داود» (٥) .

(١) الإصابة ، لابن حجر ج ٤ ص ٢٠٩ وقال ابن حجر : سنده صحيح .

(٢) الزهد ص ١٧٧ وسنده صحيح .

(٣) الزهد ص ١٧٨ .

(٤) الإصابة ج ٤ وقال ابن حجر أخرجها ابن سعد بسند صحيح ج ٤ ص ٢٠٩ .

(٥) صححه ابن حجر في الإصابة وابن كثير في « البداية والنهاية » .

- مر رسول الله ﷺ ذات ليلة وأبو موسى يقرأ في بيته ، ومع النبي ﷺ عائشة رضی الله عنها فقاما فاستمعا لقراءته ثم إنها مضيا ، فلما أصبح لقي أبو موسى النبي ﷺ فقال له « يا أبا موسى مررت بك البارحة ومعى عائشة ، وأنت تقرأ في بيتك فقمنا فاستمعنا لقراءتك » ، فقال أبو موسى : « يانبي الله ، أما إني لو علمت بمكانك لحبّرتُ لك القرآن تحبيرا »^(١) .
- وكان عمر رضی الله عنه إذا رآه قال : « ذكرنا ربنا يا أبا موسى » ، وفي رواية « شوقنا إلى ربنا فيقرأ عنده »^(٢) .
- قال أبو عثمان النهدي : ما سمعت صوت صبح ولا بربط ولا ناي أحسن من صوت أبي موسى بالقرآن^(٣) .
- وعن مسروق : « كنا مع أبي موسى الأشعري رضی الله عنه في سفر ، فأوانا الليل إلى بستان حرث فترلنا فيه ، فقام أبو موسى من الليل يصلي ، فذكر من حسن صوته ومن حسن قراءته قال : وجعل لا يمر بشيء إلا قاله ، ثم قال : اللهم أنت السلام ومنك السلام ، وأنت المؤمن تحب المؤمن ، وأنت المهيمن تحب المهيمن ، وأنت الصادق تحب الصادق »^(٤) .

(١) الخلية ج ١ ص ٢٥٨ .

(٢) الإصابة ج ٢ ص ٣٦٠ .

(٣) الإصابة ج ٢ ص ٣٦٠ .

(٤) الخلية ج ١ ص ٢٥٩ .

قيام الأشعرين قوم أبي موسى الأشعري رضى الله عنهم :

• عن أبي موسى قال قال رسول الله ﷺ : « إني لأعرفُ أصواتَ رُقَّةِ الأشعرين بالقرآن ، حين يدخلون بالليل ، وأعرف منازلهم من أصواتهم بالقرآن بالليل ، وإن كنتُ لم أر منازلهم حين نزلوا بالنهار »^(١) .

قيام ترجان القرآن وحب الأمة عبد الله بن عباس رضى الله عنه :

• عن عبد الله بن أبي مليكة قال : « صحبت ابن عباس رضى الله عنه من مكة إلى المدينة فكان إذا نزل قام شطر الليل فسأله أيوب : كيف كانت قراءته ؟ قال : قرأ ﴿ وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد ﴾ فجعل يرتل ويكثر في ذلكم النشيج »^(٢)

• ولقد قام الليل وهو ابن عشرين مع النبي ﷺ ، وأعد له وضوءه من الليل فدعا له .

• عن ابن عباس قال : « صليت مع النبي ﷺ فقامت إلى جنبه عن يساره ، فأخذني فأقامني عن يمينه ، قال : وقال ابن عباس : وأنا يومئذ ابن عشرين سنين »^(٣) .

وفي لفظ لمسلم « فجعلت إذا أغفيت يأخذ بشحمة أذني [اليمنى يفتلها] . قال النووي : « إنما فتلها تنبيهاً له من النعاس »^(٤) .

(١) صحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة باب : من فضائل الأشعرين .
(٢) الحلية ج ١ ص ٣٢٧ ، وعند ابن حنبل في الزهد « يكثر والله في ذلكم التسيح » .
(٣) إسناده صحيح : رواه أحمد في مسنده وصححه الشيخ أحمد شاكر رقم (٣٤٣٧) -
(٤) شرح النووي على صحيح مسلم ج ٢ ص ٤١٦ -

ولكم ينخشع القلم أمام حبر الأمة وهو يحيى الليل وهو غلام لم يتجاوز بعد العاشرة ويجعل همه حين يبيت عند خالته ميمونة أن « لا ينام حتى أنظر ما يصنع في صلاة الليل » كما ورد في الحديث . عزم في نفسه على السهر ليطلع على الكيفية التي يصلى بها رسول الله ﷺ ثم خشى أن يغلبه النوم فيوصى خالته كما يحدثنا « فقلت لميمونة : إذا قام رسول الله ﷺ فأيقظيني » ، ثم انظر إلى أذبه « فقمتم فتمطيت كراهة أن يرى أنى كنت أرقبه » وكأنه خشى أن يترك رسول الله ﷺ بعض عمله لما جرى من عادته ﷺ أنه كان يترك بعض العمل خشية أن يفرض على أمته . ويكابد السهر وطوله مع رسول الله ﷺ وهو يحيى معظم الليل ..

أنظر إلى جبهة الغلام الطيب المبارك وهي تسجد لربها قدر قراءة خمسين آية ... في ظلام الليل ويعطف رسول الله ﷺ ويشفق على حبر الأمة فيقول ابن عباس عن رسول الله ﷺ « وضع يده اليمنى على رأسى وأخذ بأذنى اليمنى يفتلها فجعل يمسح بها أذنى فعرفت أنه إنما صنع ذلك ليؤنسنى بيده في ظلمة البيت »^(١) .

أنظروا معاشر المؤمنين وقولوا للعالم أجمع : تعالوا وتأدبوا بأدب صبية بيت النبوة .

لله درهم من « طين عجن بماء الوحي ، وغرس بماء الرسالة فهل يفوح منها إلا مسك الهدى وعنبر التقي »^(٢) .

(١) مختصر قيام الليل ص ٥١

(٢) قول يحيى بن معاذ انظر تاريخ بغداد ج ١٤ ص ٢١١ .

قيام سلمان ابن الإسلام ... سلمان الخير.. سلمان الفارسي رضي الله عنه :

«سلمان منا آل البيت»^(٥) .

روى أبو نعيم بسنده عن سلمان : « حافظوا على هذه الصلوات الخمس ،
فإنهن كفارات لهذه الجراحات ما لم تصب المقتلة - يعني الكبائر- فإذا صلى الناس
العشاء صدروا على ثلاث منازل :

منهم من عليه ولا له ، ومنهم من له ولا عليه ، ومنهم من لا له ولا عليه .
● فرجل اغتم ظلمة الليل وغفلة الناس فركب رأسه في المعاصي فذلك عليه
ولا له .

● ومنهم من اغتم ظلمة الليل وغفلة الناس فقال يصلى فذلك له ولا عليه .
● ومنهم من لا له ولا عليه فرجل صلى ثم نام فذلك لا له ولا عليه ، إياك
والحقيقة وعليك بالقصد والدوام»^(١) .

● وعنه رضي الله عنه : « لو بات رجل يعطى البيض القيان ، وبات آخر
يتلو كتاب الله عز وجل - قال سليمان التيمي - كأنه يرى أن الذي يذكر الله
أفضل . وفي أخرى : « لو بات رجل يطاعن الأقران لكان الذاكر أفضل»^(٢) .
● قال طارق بن شهاب : « أتيت سلمان فقلت لأنظرن كيف صلواته فكان
ينام من الليل ثلثه » .

● ولقد أشبع سلمان من العلم « وأوتى منه » وكان يقوم في أفضل الأوقات
وقت التنزل الإلهي ... وارع قلبك هذا الحديث لتعرف قدر هذا السيد من
سادات المسلمين :-

(٥) ضعيف .

(١) حلية الأولياء ص ١٨٩ ، ١٩٠ قال المنذرى : رواه الطبراني في الكبير موقوفاً بإسناد لا بأس به
ورفعه جماعة ا.هـ .

(٢) حلية الأولياء ج ١ ص ٢٠٤ .

« عن أبي جُحَيْفَةَ قال : « آخَى النبي ﷺ بين سلمان وأبي الدرداء فزار سلمان أبا الدرداء ، فرأى أم الدرداء متبذلة ، فقال لها : ما شأنك ؟ قالت : أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا . فجاء أبو الدرداء فصنع له طعاماً ، فقال : كل ، فإني صائم ، فقال : ما أنا بآكل حتى تأكل ، فأكل ، فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم ، فقال : نم ، فنام ، ثم ذهب يقوم فقال : نم ، فلما كان آخر الليل قال سلمان : قم الآن . قال : فصلياً ، فقال له سلمان : إن لربك عليك حقاً ، ولنفسك عليك حقاً ، ولأهلك عليك حقاً ، فأعط كل ذى حق حقه ، فأتى النبي ﷺ فذكر ذلك له ، فقال النبي ﷺ : « صدق سلمان »^(١) وفي هذا منقبة ظاهرة لسلمان الخير رضى الله عنه .

قيام عبد الله بن عمر رضى الله عنه :

المتعبد المهجد نزير الحصباء والمساجد .

- كان رضى الله عنه « كلما استيقظ من الليل صلى ، وكان لا ينام من الليل إلا قليلاً بعد أن فهم عن رسول الله ﷺ قوله : « نعم الرجل عبد الله لو كان يقوم الليل » ويمتد قيامه إلى السحر فإن أخبره نافع به استغفر .
- عن أبي غالب مولى خالد بن عبد الله القرشى قال : كان ابن عمر ينزل علينا بمكة ، وكان يتهد من الليل فقال لى ذات ليلة قبل الصبح : يا أبا غالب ألا تقوم تصلى ، ولو تقرأ بثلاث القرآن . فقلت : - يا أبا عبد الرحمن قد دنا الصبح فكيف أقرأ بثلاث القرآن ، قال إن سورة الإخلاص قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن »^(٢)

(١) رواه البخارى واللفظ له كتاب الأدب باب صنع الطعام والتكلف للضيف ، والترمذى وابن خزيمة والدارقطنى والبخارى وابن حبان وأحمد وأبو نعيم ورواه ابن سعد مرسلًا .

(٢) الزهد ص ١٩٠

- « وكان له مهراش فيه ماء فيصلى ما قدر له ، ثم يصير إلى الفراش فيغنى إغفاء الطائر ، ثم يقوم فيتوضأ ثم يصلى فيرجع إلى فراشه فيغنى إغفاء الطائر ثم يثب فيتوضأ ثم يصلى يفعل ذلك في الليل أربع مرات أو خمساً »^(١) .
- عن نافع « أن ابن عمر كان يحبي الليل صلاة ثم يقول يا نافع أسحرنا فيقول لا فيعاود فإذا قال نعم تعد يستغفر الله حتى يصبح »^(٢) .
- عن نافع كان ابن عمر إذا فاتته صلاة العشاء جماعة أحيا بقية ليله^(٣) .
- عن سعيد بن جبير قال قال ابن عمر رضي الله عنهما حين حضرته الوفاة « ما آسى على شيء من الدنيا إلا ظمأ الهواجر ومكابدة الليل وأنى لم أقاتل هذه الفئة الباغية التي نزلنا بنا - يعني الحجاج - »^(٤) .
- عن سالم عن أبيه قال : أول ما ينقص من العبادة التهجيد بالليل ورفع الصوت فيها بالقراءة^(٥) .

قيام أبي ذر الغفاري رضي الله عنه :

أصدق الأمة لهجة .

- وفي الزهد لابن حنبل عن أبي ذر رضي الله عنه أنه قال : « يا أيها الناس إني لكم ناصح ، إني عليكم شفيق ، صلّوا في ظلمة الليل لوحشة القبور ، وصوموا الدنيا لحر يوم النشور ، وتصدقوا مخافة يوم عسير ، يا أيها الناس إني لكم ناصح إني عليكم شفيق »^(٦) .

(١) الإصابة في تمييز الصحابة ج ٢ ص ٣٤٨ طبع دار إحياء التراث العربي .

(٢) معجم الطبراني والحلية وقال ابن حجر في الإصابة «سنده جيد» ج ٢ ص ٣٤٩ .

(٣) الإصابة ج ٢ ص ٣٤٩ .

(٤) مختصر قيام الليل ص ٢٥ .

(٥) خلق أفعال العباد للبخاري ص ٧٧ طبع مؤسسة الرسالة .

(٦) الزهد ص ١٤٨ .

قيام عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنها :

صاحب الصيام والقيام .

زوّج عمرو بن العاص عبد الله بن عمرو وقارئ الكتابين التوراة والفرقان امرأة من قريش فلما دخلت عليه جعل لا ينحاش لها مما به من القوة على العبادة من الصوم والصلاة فجاء عمرو بن العاص إلى كتته حتى دخل عليها فقال لها : كيف وجدت بعلك ؟ .

قالت : خير الرجال أو - كخير البعولة من رجل لم يفتش لنا كنفاً ولم يقرب لنا فراشاً فأقبل عليه قائلاً : أنكحتك امرأة من قريش ذات حسب فعصلتها وفعلت ، ثم شكاه إلى رسول الله ﷺ .

عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال « أخبر رسول الله ﷺ أنه يقول : لأقومن الليل ولأصومن النهار ما عشت فقال ﷺ : «أنت الذى تقول ذلك ؟» فقلت له : قد قلته يا رسول الله . فقال رسول الله ﷺ : «فإنك لا تستطيع ذلك ، فصم وأفطر ، ونم وقم ، وصم من الشهر ثلاثة أيام فإن الحسنة بعشر أمثالها وذلك مثل صيام الدهر» ، قال : قلت : فإني أطيق أفضل من ذلك ، قال : «صم يوماً وأفطر يومين» . قال : قلت : فإني أطيق أفضل من ذلك يارسول الله . قال : «صم يوماً وأفطر يوماً وذلك صيام داود عليه السلام وهو أعدل الصيام» . قال : قلت : فإني أطيق أفضل من ذلك قال رسول الله ﷺ : «لا أفضل من ذلك» . قال عبد الله بن عمرو رضى الله عنها لأن أكون قبلت الثلاثة أيام التي قال رسول الله ﷺ أحب إلي من أهلى ومالى (١) . وفي رواية أخرى : «فإن لزوجك عليك حقاً ، ولزورك عليك حقاً ،

(١) رواه مسلم في كتاب الصوم ، باب النهى عن صوم الدهر لمن تضرره أو قوت به حقاً أو لم يفطر العيدين ...

ولجسدك عليك حقًا» قال فشددت فشدَّ عليَّ . قال وقال لي النبي ﷺ :
« إنك لا تدري لعلك يطول بك عمر» . وما فارق هذا الأمر الذي فارق عليه
رسول الله ﷺ حتى مات .

● عن يعلى بن عطاء عن أمه أنها كانت تصنع لعبد الله بن عمرو الكحل
وكان يكثر من البكاء ويعلق عليه بابه ويكي حتى رمصت عيناه» (١) .
قيام أسيد بن حضير رضى الله عنه :

« صاحب السكينة والملائكة » .

● « عن أبي سعيد الخدرى أن أسيد بن حضير بينا هو ليلة يقرأ في مِرْبَدِه (٢)
إذ جالت فرسه فقرأ ثم جالت أخرى فقرأ ثم جالت أيضًا . قال أسيد : فخشيت
أن تطأ بجي ، فقممت إليها فإذا مثل الظلة فوق رأسي فيها أمثال السرج عرجت
في الجو حتى ما أراها ، قال : فغدوت على رسول الله ﷺ فقلت يا رسول
الله : بينا أنا البارحة من جوف الليل أقرأ في مِرْبَدِي إذ جالت فرسي . فقال
رسول الله ﷺ : « إقرأ ابن حضير» . قال : فقرأت ثم جالت أيضًا فقال رسول
الله ﷺ : « إقرأ ابن حضير» . قال فانصرفت ، وكان يجي قريبًا منها فخشيت أن
تطأه ، فرأيت مثل الظلة فيها أمثال السرج عرجت في الجو حتى ما أراها . فقال
رسول الله ﷺ « تلك الملائكة كانت تستمع لك ، ولو قرأت لأصبحت يراها
الناس ما تستر منهم» (٣) .

وفي رواية البخارى : « تلك الملائكة دنت لصوتك » وصرح في رواية بأن
السورة كانت سورة البقرة .

أنظر رحمك الله إلى هذا الحديث الطيب المبارك . وكأنى برسول الله ﷺ

(١) حلية الأولياء ج ١ ص ٢٩٠ .

(٢) هو الوضع الذى يبس فيه التمر كالبيدر للحنطة ونحوها . هـ .

(٣) رواه البخارى ومسلم والنسائى .

استحضر صورة الحال فصار كأنه حاضر عنده لما رأى ما رأى فكأنه يقول :
استمر على قراءتك لتستمر لك البركة بنزول السكينة والملائكة واستماعها
لقراءتك ، وفهم أسيد ذلك فأجاب بعذره في قطع القراءة وخوفه أن تطأ بحبي .
● أنظر إلى رجل « أوتي من مزامير آل داود كما قال له ﷺ » (١) ، ومحافظته
على خشوعه في صلاته لأنه كان يمكنه أول ما جالت الفرس أن يرفع رأسه . لله
درك يا أبا عتيك من سيد من سادات الأنصار . واعلم رحمك الله أن في هذا
الحديث « منقبة للصحابي الجليل وفضل قراءة سورة البقرة في صلاة الليل ،
وفضل الخشوع في الصلاة وأن التشاغل بشيء من أمور الدنيا ولو كان من المباح
قد يفوت الخير الكثير فكيف لو كان بغير الأمر المباح » (٢) .
أنى للكلمات أن تصوّر هذا المشهد الندى واستغراق الملائكة للاستماع في
الليل لمزمار داود يتهدد في ليله ويقرأ القرآن وكأنه رسائل من فوق العرش ولو
استمر تالياً ما اختفت . مثل هذا لا يكون إلا لمثل أصحاب محمد ﷺ جيل
العبادة وشموس الهدى أو من سار على دربهم .

قيام تميم الداري رضى الله عنه :

« لمثل هذا كنا نحبك يا أبا رقية » .

هو الصحابي الذي تفرّد برؤية الجساسة والمسيخ الدجال كما جاء في الحديث
الصحيح .

● كان رضى الله عنه كثير التهجد « قام ليلة بآية حتى أصبح وهي ﴿ أم
حسب الذين اجتروا السيئات ﴾ » (٣)

(١) صحيح رواه الاسماعيلي .

(٢) فتح الباري ج ٩ ص ٦٤ .

(٣) الإصابة لابن حجر ج ١ ص ١٨٤ . قال ابن حجر « رواه البقوى في الجعديات بإسناد صحيح
إلى مسروق قال قال لى رجل من أهل مكة : هذا مقام أخيك تميم فذكره » . هـ .

● عن يزيد بن عبد الله بن الشخير أن رجلاً أتى تمماً الدارى فقال كيف صلاتك بالليل فغضب غضباً شديداً فقال : والله لركعة أصلها في جوف الليل في السراحب إلى من أن أصلى الليل كله ثم أقصه على الناس فغضب السائل عند ذلك فقال : يا أصحاب رسول الله ، الله أعلم بكم ، إن سألناكم عنفتونا وإن لم نسألكم جفوتونا . فأقبل تميم عند ذلك على الرجل فقال : رأيت إن كنت مؤمناً قوياً وأنا مؤمن ضعيف أكنت ساطباً على بقوتك فتقطعني ؟ ، رأيت إن كنت مؤمناً ضعيفاً وأنا مؤمن قوى أكنت ساطباً عليك بقوتى فأقطعك ، ولكن خذ من نفسك لدينك ، ومن دينك لنفسك حتى تستقيم لك على عبادة ترضاها »

● وعن المبارك قال : ما بلغني عن أحد من أصحاب النبي ﷺ من العبادة ما بلغني عن تميم الدارى .^(١)

● واشترى رضى الله عنه حلة بألف فكان يصلى فيها^(٢) .
● وعن جعفر بن عمرو قال : كنا فئة من أبناء أصحاب النبي ﷺ قلنا : إن آباءنا قد سبقونا بالهجرة وصحبة النبي ﷺ فهلما نجتهد في العبادة لعلنا ندرك فضائلهم أو كما قال قال : عبد الله بن الزبير ومحمد بن أبي حذيفة ومحمد بن أبي بكر ومحمد بن طلحة ومحمد بن عبد الرحمن بن عبد يغوث ، قال : فاجتهدنا في العبادة بالليل والنهار وأدركنا تمماً الدارى شيخاً فما قننا له ولا قعدنا في طول الصلاة »^(٣)

رحمك الله يا صحابى رسول الله ﷺ
● أخرج أبو نعيم بسنده : أن ناراً خرجت على عهد عمر رضى الله عنه فجعل

(١) الزهد ص ١٩٩ ، ٢٠٠ .

(٢) الزهد ص ١٩٩ ، ٢٠٠ .

(٣) الزهد ص ٢٠٠ .

تميم الداري يدفعها بردائه حتى دخلت غاراً فقال له عمر : لمثل هذا كنا نحبك يا أبا رقية .

وفي رواية أخرى : فجاء عمر إلى تميم فقال : قم إلى هذه النار ، فقال : يا أمير المؤمنين : من أنا وما أنا فلم يزل به حتى قام معه .

قال : وتبعتهما فانطلقا إلى النار قال : فجعل يحوشها بيده هكذا حتى دخلت العشب ودخل تميم خلفها وجعل عمر يقول : ليس من رأى كمن لم ير .^(١)

قيام عباد بن بشر رضى الله عنه :

عن عائشة رضى الله عنها قالت : تهجد رسول الله ﷺ في بيتي فسمع صوت عباد بن بشر فقال : « يا عائشة : صوت عباد بن بشر هذا ؟ قالت : نعم ، قال : اللهم اغفر له » وفي رواية أخرى أن النبي ﷺ سمع صوت عباد بن بشر فقال « اللهم ارحم عباد »^(٢)

ذلكم عباد بن بشر رضى الله عنه .. وتعال معي أخى ترى العجب العجاب من شغف عباد بقيام الليل لا يمنعه من ذلك جراح كادت تودى بحياته :-

عن جابر بن عبد الله قال : « خرجنا مع رسول الله ﷺ فأصاب رجل امرأة رجل من المشركين ، فحلف أن لا أنتهى حتى أهرق دماً في أصحاب محمد ، فخرج يتبع أثر النبي ﷺ فنزل النبي ﷺ فقال : « هل رجل يكلاً »^(٤) فانتدب رجل من المهاجرين^(٥) ورجل من الأنصار^(٦) ، فقال :

(١) دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني ص ٥١٠ .

(٢) حديث صحيح : صححه ابن حجر في الإصابة

(٣) يعنى في غزوة ذات الرقاع .

(٤) يكلؤنا ليلتنا : أى يحرسنا .

(٥) عمار بن ياسر .

(٦) عباد بن بشر .

« كونا بقم الشعب » فلما خرج الرجلان إلى قم الشعب اضطجع المهاجري ، وقام الأنصاري فصلى . فأتى الرجل . فلما رأى شخصه عرف أنه ريثة القوم ، فرماه بسهم فوضعه فيه ، فنزعه حتى رماه بثلاثة أسهم ، ثم ركع وسجد ثم اتبته صاحبه فلما عرف أنهم قد نذروا به هرب ، فلما رأى المهاجري ما بالأنصاري قال : سبحان الله ألا أنبئني أول ما رمى ؟ قال : كنت في سورة أقرأها فلم أحب أن أقطعها « ١ . هـ . » وفي دلائل النبوة .

« فنام عمار بن ياسر وقام عباد بن بشر يصلي ، وقال : كنت أصلى بسورة وهي « الكهف » فلم أحب أن أقطعها » (١) .

إن الكلمات وقواميس اللغات كلها لتقف عاجزة أن تصور روعة هذا الموقف لذلك السيد من سادات الأنصار والمسلمين : عباد بن بشر .
نعم يا سيد الأنصار : لكأني بك تترنم بلسان حالك ما يمنعك عن مناجاة مولاك والترنم بكلام الملك والسجود اسلاما لوجه ربك .

عذابه فيك عذب وبعده فيك قرب
وأنت عندي كروحي بل أنت منها أحب
حسبي من الحب أني لما تجب أحب

(١) رواه أبو داود في سننه وابن حبان في صحيحه ، والحاكم في المستدرک وصححه ، وعلقه البخاري في صحيحه . وأحمد والدارقطني وصححه . وابن خزيمة ، والبيهقي في سننه وفي دلائل النبوة . قال ابن حجر « كلهم من طريق ابن إسحاق وشيخه صدقة ثقة . وعقيل لا أعرف راوياً عنه غير صدقة . ولهذا لم يترجم به المصنف . أو لكونه اختصره ، أو للخلاف في ابن إسحاق ، وقال شيب وعبد القادر الأرنؤوط في تخريج زاد المعاد « في سننه عقيل بن جابر بن عبد الله وثقه ابن حبان وبقى رجاله ثقات .

قيام سالم مولى أبي حذيفة رضى الله عنه

كان رضى الله عنه حسن الصوت فى تهجده بالقرآن .

روى ابن المبارك بإسناده : أن عائشة احتبست على النبي ﷺ فقال : ما حبسك ؟ قالت : سمعت قارئاً يقرأ فذكرت من حسن قراءته ، فأخذ رداءه ، فإذا هو سالم مولى أبي حذيفة ، فقال : « الحمد لله الذى جعل فى أمى مثلك » (١)

وفى رواية أخرى : « سمع النبي ﷺ مولى أبي حذيفة يقرأ من الليل فقال : « الحمد لله الذى جعل فى أمى مثله »

رضى الله عنه .. لما كثر القتل وانكشف صف المسلمين فى موقعة اليمامة أخذ الراية سالم فقالوا له : إنا نخشى أن تؤتى من قبلك . فقال : بشس حامل القرآن إذا أنا ! ومن يكون كرجل من أصحاب الليل من حملة القرآن يحمد رسول الله ﷺ ربه أن جعل فى أمته مثله أى شرف وأى تاج وأى فخر وضعه رسول الله ﷺ على هام ذلكم الصحابى القانت .

قيام عمرو بن العاص رضى الله عنه :

سُمِعَ عمرو بن العاص وهو يصلى من الليل وهو يبكى ويقول :

« اللهم إنيك آتيت عمرواً مالاً فإن كان أحب إليك أن تسلب عمروا ماله ولا تعذبه بالنار فاسلبه ماله ، وإنيك آتيت عمرواً ولده فإن كان أحب إليك أن تشكل عمروا ولده ولا تعذبه بالنار فاشكله ولده ، وإنيك آتيت عمروا سلطانا ، فإن كان أحب إليك أن تنزع منه سلطانه ولا تعذبه بالنار فانزع منه سلطانه » .

(١) أخرجه ابن المبارك فى كتاب الجهاد ، وأخرجه أحمد عن حفظة وابن ماجه والحاكم فى المستد :

من طريق الوليد بن مسلم ، وابن المبارك أحفظ من الوليد ولكن له شاهد يقويه وهو رقم ٢

(٢) أخرجه البزار ورجاله ثقات انظر الإصابة ٧/٢ .

● وقال رضى الله عنه ركعة بالليل أفضل من عشر بالنهار» (١) .

قيام سعيد بن عامر الجمحي رضى الله عنه :

وانظروا إلى ذلكم الصحابي المشتاق للجنة وخورها .. سعيد بن عامر يقول لزوجته : « إنه كان لي أصحاب فارقوني منذ قريب ما أحب أنى صددت عنهم وأن لي الدنيا وما فيها ولو أن خيرة من خيرات الحسان أطلعت من السماء لأضاءت لأهل الأرض ، ولقهر ضوء وجهها الشمس والقمر ، ولنصيف تُكس به خير من الدنيا وما فيها فلأنت أحرى فى نفسى أن أدعك لهن من أن أدعهن لك .

ولكم كان الرجل رضى الله عنه نسيجاً وحده :

« استعمله عمر بن الخطاب على حمص فلما قدم عمر رضى الله عنه حمص قال : يا أهل حمص : كيف وجدتم عاملكم ؟ فشكوه إليه ، قالوا : نشكوا أربعاً - وذكروا من بينها أنه لا يجب أحداً بليل .

فجمع عمر بينهم وبينه وقال : اللهم لا تقبل رأى فيه اليوم . ما تشكون منه ؟

قالوا : لا يجب أحداً بليل .

قال : ما تقول ؟ قال : « إن كنت أكره ذكره .. إني جعلت النهار لهم وجعلت الليل لله عز وجل » - وأجاب عن بقية شكاياتهم فقال عمر : « الحمد لله الذى لم يقبل فراستى » (٢) .

أخى

تلك المكارم لا قعبان من لبن شبيت بماء فعادت بعد أبوالا

(١) مختصر قيام الليل ص ٢٥

(٢) الخلية ج ١ ص ٢٤٦

انظر إلى أهل الكوفة الصغرى .. ما ينقمون من صحابي رسول الله ﷺ
 « لا يجب أحداً بليل » ... « وتلك شكاة ظاهر عنك عارها » .
 ينقمون منه القيام والتهجد ، ولولا خوف الرجل أن يجيب فيه ظن إمامه
 الفاروق لكتّم أمره ولو استطاع لأخفاه عن الكرام الكاتبين .
 فاكتبوا هذا بمداد من نور واسقوا العطاشى الحيارى من سلسيلهم ونبعمهم
 النورانى .

قيام الحسن والحسين سبطى رسول الله ﷺ وربحانتيه من الدنيا :

كان الحسن بن على عليه السلام يأخذ بنصيبه من القيام فى أول الليل
 وكان الحسين عليه السلام يأخذه من آخر الليل ^(١) .
 أبى وأمى من أشبهوا خلقَ جدّهما وخلّقَه وأخذوا بالحظ الأوفر والنصيب
 الأكمل من رعى النجوم والتهجد للملك القيوم .
 قيام شدّاد بن أوس الأنصارى رضى الله عنه :

صاحب اللسان المزموم ، صاحب الحذر والورع ، والبكاء والضرع .
 كان رضى الله عنه ممن أوتى علماً وحلماً كما قال عنه أخوه أبو الدرداء عبادة بن
 الصامت « وكان رضى الله عنه إذا دخل الفراش يتقلب على فراشه بمرتلة القمحة
 فى المقلاة على النار فيقول : « اللهم إن النار قد أذهبت منى النوم ، فيقوم يصلى
 حتى يصبح ... » ^(٢) لله درك يا أبا يعلى وعيت الخطاب « ما رأيت مثل النار نام
 هاربها » فلجأت سيدي إلى ما يطفئها .. لجأت سيدي إلى التهجد .
 رضى الله عنك يا شهيد الشَّعب .. يا شهيد أحد .

(١) الزهد لابن حنبل ص ١٧١ .

(٢) حلية الأولياء ج ١ ص ٢٦٤ .

قيام الصحابي عامر بن ربيعة رضي الله عنه :

● عن يحيى بن سعيد قال : سمعت أبا عبد الله بن عامر بن ربيعة :
حين تشب الناس في الفتنة ، ثم نام فأرى في المنام فقيلاً له : قم فسل الله أن
يعيدك من الفتنة - قتل عثمان - التي أعاد منها صالح عباده فقال يصلى ثم اشتكى
فما خرج إلا في جنازة .

وفي رواية ابنه عبد الله : لما نشب الناس في الطعن على عثمان رضي الله عنه
قام أبي يصلى من الليل وقال : اللهم قني من الفتنة بما وقيت به الصالحين من
عبادك ، قال : فما خرج إلا في جنازة « (١) » .
وهذا يدل على فقه الصحابي الجليل وعلمه باستجابة الدعاء في الصلاة ليلاً .

قيام أبي ربحانة رضي الله عنه :

روى ابن المبارك في الزهد عن مولى لأبي ربحانة قال : « قفل - أبو ربحانة -
من بعث غزاه فيه ، فلما انصرف أتى أهله فتعشى من عشاءه ، ثم دعا بوضوء
فتوضأ منه ، ثم قام إلى مسجده فقرأ سورة ، ثم أخرى ، فلم يزل كذلك مكانه ،
كلما فرغ من سورة افتتح الأخرى ، حتى إذا أذن المؤذن من السحر شدّ عليه
ثيابه ، فأنته امرأته فقالت : يا أبا ربحانة قد غزوت فتعبت في غزوتك ، ثم
قدمت إليّ لم يكن لي منك حظ ونصيب . فقال : بلى والله ما خطرت لي على
بال ، ولو ذكرتك لكان لك عليّ حق . قالت : فما الذي يشغلك يا أبا ربحانة ،
قال :-

« لم يزل يهوى قلبي فيما وصف الله في جنته من لباسها وأزواجها ونعيمها ولذاتها
حتى سمعت المؤذن » (٢) .

(١) الخلية ج ١ ص ١٧٨ .

(٢) الزهد والرفائق لابن المبارك ص ٣٠٤ ، ٣٠٥ طبع دار الكتب العلمية ، وانظر أيضاً مختصر قيام

الليل ص ١٨ .

نعم سيدى .. سمت روحك الطاهرة إلى دارك الأولى الجنة فسلكت طريق
الصالحين ... التهجد .. لسان حالك يقول : إنها الجنة شغلى وفيها خلدى خذنى
إلى بيتى أرح خدى على عتباته .. وأبوس مقبض بابه ..
خذنى إلى بيت أعيش مشردا إن لم أكحل ناظرى بترابه

● عن ضمرة بن حبيب قال : استأذن أبو ربحانة صاحب مسلحته^(١) من
الساحل إلى أهله فأذن له ، فقال له الوالى : كم تريد أن أوصلك ؟ قال : ليلة ،
فأقبل أبو ربحانة : وكان فى منزله فى بيت المقدس ، فبدأ المسجد قبل أن يأتى
أهله فافتتح سورة فقرأها ثم أخرى فلم يزل على ذلك حتى أدركه الصبح وهو فى
المسجد لم يرمه^(٢) ، ولم يأت أهله ، فلما أصبح دعا بدابته فركبها متوجهاً إلى
مسلحته ، فقيل : يا أبا ربحانة إنما استأذنت لتأتى أهلك فلو مضيت حتى تأتيتهم
ثم تنصرف إلى صاحبك ؟ قال : «إنما أجلتنى أميرى ليلة ، وقد مضت ، لا
أكذب ولا أخلف وانصرف إلى مسلحته ولم يأت أهله»^(٣) .
وفى الخبر ما فيه من شغف بالزاد السماوى والتهجد والصدق والوفاء
بالعهد .

(١) المسلحة : بالفتح الثغر ، والقوم ذوو سلاح .

(٢) أى لم يبرحه .

(٣) الزهد والرقائق ص ٣٠٤ ، ٣٠٥ .

قيام شهداء بثر معونة رضى الله عنهم :

وعلى رأسهم المنذر بن عمرو بن عمرو وكانوا سبعين رجلاً من الأنصار كانوا يدعون القراء ، يحتطبون بالنهار ، ويصلون بالليل ، يقومون إلى السوارى للصلاة .. عبروا الدنيا راضين عن الله غدرت بهم رعل وذكوان وعصية حين بلغوا بثر معونة فقتلوهم ، فما وجد رسول الله ﷺ على أحد ما وجد على أصحاب بثر معونة ، وقتت شهراً في صلاة الصبح يدعو الله على رعل وذكوان وعصية .

انظر رحمك الله إلى أثر التهجد والقرآن الذى يورث صاحبه الرضا عن الله والشوق إلى لقاءه .. انظر إلى نفوس هزتها الحنين إلى الملاء الأعلى .. انظر حين يُطعن أحدهم وهو حرام بن ملحان فيقول مترنماً بلحنه الشجي يملأ الكون عبيراً وشذاً من كلامه :

« الله أكبر ، فزت ورب الكعبة » ورحم الله القاتل :

اما تبصر الطير المُقْفَصَ يافتي إذا ذكر الأوطان حَنَّ إلى المغنى
ففرج بالتغريد ما فى فؤاده فيفلق أرياب القلوب إذا غنى
كذلك أرواح المحبين يافتي تهزها الأشواق للعالم الأسنى
وتغريدة لا يكون إلا من صحابي متهجد .. تغريد أنفست تشتاق إلى حواصل
طير خصر وقناديل ذهب معلقة بأرجاء العرش .

وكم فى الصحابة من متهجد قانت وأواه تالى وإن كان متجرداً من كل شيء
مثل عبد الله ذو البهادين يلحده رسول الله ﷺ بيده حتى يتمنى ابن مسعود أن
يكون مكانه .

ومسك الختام قيام عبد الله بن الزبير بن العوام .

قيام عبد الله بن الزبير بن العوام «حمام المسجد» :

المحتك بريق النبوة ، المبجل لشرف الأمومة والأبوة ، المشاهد في القيام ،
المواصل للصيام رضى الله عنه .

تقول عنه الراوية الثبت أمه ذات النطاقين رضى الله عنها : « كان ابن الزبير
قوام الليل صوام النهار ، وكان يُسمى «حمام المسجد»^(١) .

● واسمع إلى شهادة القانت القوام لرفيقه على الدرب .. استمع بقلبك إلى
ابن عمر يقول عنه وقد وقف عليه بعد صلبه :

« رحمك الله ، فإنك والله ما علمت صواماً قواماً ، وصولاً للرحم ، والله لقد
أفلحت أمة أنت شرها » .

● واسمع إلى ابن عباس الحبر البحر الترجان يقول عنه « كان عفيفاً في
الإسلام ، قارئاً للقرآن ، أبوه الزبير ، وأمه أسماء ، وجده أبو بكر ، وعمته
خديجة ، وجدته صفية ، وخالته عائشة » .

● كان إذا قام إلى الصلاة كأنه عود وكان يقال ذلك من خشوعه لو رأته
وهو يصلى لقلت غصن شجرة يصفقها الريح .

● عن سالم بن عبد الله بن عمر : كان ابن الزبير لا ينام بالليل ، وكان يقرأ
القرآن في ليلة ، وكان يجي الدهر أجمع فكان يجي ليلة قائماً حتى يصبح ، وليلة
يجيها راکعاً حتى الصباح ، وليلة يجيها ساجداً حتى الصباح^(٢) .

لله درك يا حمام المسجد يا أبا خبيب .

(١) حلية الأولياء ج ١ ص ٣٣٤ ، ٣٣٥ .

(٢) مختصر قيام الليل ص ١٨ .

قيام معاذ أبو حليلة القارئ رضى الله عنه :

عن يحيى بن سعيد عن أبي بكر بن محمد قال : زارتنا عمرة بنت عبد الرحمن فقامت أصلى من الليل فجعلت أخفى قراءتى فقالت لى : يا ابن أخى ألا تجهر بالقرآن ، فإنه ما كان يوقظنا بالليل إلا قراءة معاذ القارئ وأفلح مولى أبى أيوب « (١) » .

قيام عبد الله ذى البجادين رضى الله عنه :

كان اسمه عبد العزى فسماه رسول الله ذا البجادين . عبد الله بن عبدنهم المزنى عم عبد الله بن مغفل المزنى قال ابن أبى الدنيا فى رسالة (الأولياء) : - قال رسول الله ﷺ « بل أنت عبد الله ذو البجادين الزمنا وكن معنا » فكان يكون مع رسول الله ﷺ وفى حجره قال : فكان إذا قام يصلى من الليل جهر بالدعاء والاستغفار والتمجيد قال فقال عمر بن الخطاب يا رسول الله أمراء هو؟ قال دعه فإنه أحد الأواهين قال : فلما كان غزاة تبوك خرج مع رسول الله ﷺ فمات قال : فقال ابن مسعود إذا أنا بنار ليلاً فى ناحية العسكر فقلت : ما هذا فانطلقت فإذا رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر ما معهم رابع قال فإذا ذو البجادين قد مات ورسول الله ﷺ فى القبر وهو يقول دلنيا إلى أخاكما قال فأضجعه رسول الله ﷺ لشقته ثم قال « اللهم إني أمسيت عنه راضياً فأرض عنه

(١) حلية الأولياء ج ٢ ص ٢١ .

اللهم إني أمسيت عنه راضياً فأرض عنه ، اللهم إني أمسيت عنه راضياً فأرض عنه « قال فقال ابن مسعود : فياليتني كنت مكانه في حفرته » (١) .

وانظر إلى قصته يسوقها طبيب القلوب ومحرك الشوق إلى بلاد الأفراح ابن القيم في « الفوائد » ص ٤٥ : [كان ذو البجادين يتيمًا في الصغر فكلفه عمه فنازعه نفسه إلى اتباع الرسول فهم بالنهوض فإذا بقية المرض مانعة فقعد ينتظر العم فلما تكاملت صحته نفذ الصبر فناداه الوجد :-

إلى كم حبسها تشكو المضيقا أثرها ربما وجدت طريقا
فقال : يا عم طال انتظاري لإسلامك وما أرى منك نشاطاً فقال والله لئن أسلمت لأنزعن كل ما أعطيتك فصاح لسان الشوق نظرة من محمد أحب إليّ من الدنيا وما فيها .

ولو قيل للمجنون ليلى ووصلها تريد أم الدنيا وما في طواياها
لقال تراب من غبار نعالها ألد إلى نفسي وأشنى ليلوها
فلما تجرد للسير إلى الرسول ﷺ جرده عمه من الثياب فناولته الأم بجاداً
فقطعه لسفر الوصل نصفين اترز بأحدهما وارتدى بالآخر فلما نادى صائح الجهاد
قنع أن يكون في ساقه الأحباب والمحبة لا يرى طول الطريق لأن المقصود يعينه .
ألا بلغ الله الحمى من يريد من يريد

(١) رسالة الأولياء من كتاب مجموعة الرسائل لابن أبي الدنيا ص ١١٩ ، وحلية الأولياء ١/٣٦٥ انظر الإصابة ٢/٣٣٠ قال ابن حجر في الإصابة : رواه البغوي بطوله من هذا الوجه ورجاله ثقات إلا أن فيه انقطاعاً وهو كذلك في السيرة النبوية وأخرجه من طريق سعد بن الصلت عن الأعمش عن أبي واثل عن عبد الله بن مسعود وقال فذكره ، من طريق كثير بن عبد الله بن عمرو عن أبيه =

فلما قضى نجه نزل الرسول ﷺ يمهد له لحده ويقول اللهم إني أمسيت عنه
راضياً فارض عنه فصاح ابن مسعود يا ليتني كنت صاحب القبر .
فياخذ الغزم أقل ما في الرقعة البيذق فلما نهض تفرزن [ا. هـ .
فانظر إلى صحابي متعهد مجاهد يمهد له الرسول ﷺ لحده ويقول عنه « إني
أمسيت عنه راضياً ، ويقول دعه فإنه أواه »
انظر إليه وهو يرتجز :

هذا أبو القاسم فأستقيمي تعرضى مدارجاً وسومي
تعرضى والجزاء فى النجوم رضى الله عنهم صحابة رسول الله « لقد أتعبتم من
خلفكم » وصاح لسان حالكم لمن بعدكم :

إن كان عندكم كرم بلا عنب إنا لدينا معاً التين والعنب
أو كان أفقكم مزن بلا سحب فالمن فى أفقنا حبلى به السحب

= عن جده . والغريانى فى الذكر وأحمد .

قيام عُلبة بن زيد بن حارثة بن الأوس الأنصارى الأوسى « المتصدق بعرضه » .

قال ابن حجر في « الإصابة ٢/٤٩٣ -

» ذكره ابن اسحاق وابن حبيب في المحبر في البكائين في غزوة تبوك ثم قال : فأما علبه بن زيد فخرج من الليل فصلى وبكى وقال : اللهم إنك قد أمرت بالجهاد ورغبت فيه ولم تجعل عندي ما أتقوى به مع رسولك ، وإني أتصدق على كل مسلم بكل مظلمة .. أصابني بها في جسد أو عرض « فذكر الحديث بغير إسناد ، وقد ورد مسندا موصولا من حديث مجمع بن حارثة ، وغيره .

وروى ابن منده بإسناده « كان علبه بن زيد بن حارثة رجلا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وآله وسلم فلما حض على الصدقة جاء كل رجل منهم بطاقته وما عنده ، فقال علبه بن زيد « اللهم إنه ليس عندي ما أتصدق به ، اللهم إني أتصدق بعرضي على من ناله من خلقك ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله وسلم مناديا فنادى أين المتصدق بعرضه البارحة ؟ فقام علبه فقال « قد قبلت صدقتك » . وعند ابن القيم في زاد المعاد (١/٣) .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « أين المتصدق هذه الليلة فلم يقم إليه أحد ثم قال أين المتصدق فليقم فقام إليه فأخبره فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « أبشر فالذى نفس محمد بيده لقد كتبت في الزكاة المتقبلة » . رضى الله عنك يا علبه .

جئت وإخوانك من البكائين تستحملون رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يجد ما يحملكم عليه ففاضت أعينكم بالدمع .. فحملكم الله بمجنه وكرمه وأثابكم قرآنا يتلى في حقكم وشرفكم :

« ولا على الذين إذا مآتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا
وأعينهم تفيض من الدمع حزناً ألا يجدوا ما ينفقون »^(١) هذا شوق سيدي إلى
الجهاد .. هذا حنينك هذا دمعك هذا بكاؤك .. ولكنه بكاء الرجال لموقف
تندرفي الرؤوس وتتخضب النحور بالدماء .. فلما عجزت عن النفقه .. علمت
خير شفيح تطرق به باب الملك العلام .. فلجأت إلى التهجد .. وتصدقت
بعرضك فقبل الله منك سيدي فكنت نبراس خير لكل متهجد مجاهد سائر على
دربكم النير .

(١) التوبة الآية رقم : ٩٢ .

قيام الليل عند السلف

هدى السلف في القيام

فائدة هامة

قبل الدخول في سيرة سلفنا بعد الصحابة نعرّج بك على كلام طيب للشاطبي في الاعتصام (٣٠٨/١ - ٣١٣) :- قال رحمه الله :-

[إن ما تقدم من الأدلة على كراهية الالتزامات التي يشق دوامها معارض بما دل على خلافه ، فقد كان رسول الله ﷺ يقوم حتى تورمت قدماه ، فيقال له أوليس قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فيقول : « أفلا أكون عبداً شكوراً؟ » ويظل اليوم الطويل في الحر الشديد صائماً ، وكان ﷺ يواصل الصيام ويبيت عند ربه يطعمه ويسقيه ونحو ذلك من اجتهاده في عبادة ربه وفي رسول الله ﷺ أسوة حسنة ، ونحن مأمورون بالتأسي به . فإن أبيت هذا الدليل بسبب أنه ﷺ كان مخصوصاً بهذه القضية ولذلك كان ربه يطعمه ويسقيه ، وكان يطيق من العمل ما لا تطيقه أمته . فما قولكم فيما ثبت من ذلك عن الصحابة والتابعين ، وأئمة المسلمين العارفين بتلك الأدلة التي استدلتتم بها على الكراهة حتى أن بعضهم قعد من رجليه من كثرة التبتل ، وصارت جبهة بعضهم كركبة البعير من كثرة السجود وجاء عن عثمان بن عفان رضى الله عنه أنه كان إذا صلى العشاء أوتر بركعة يقرأ فيها القرآن كله ، وكم من رجل صلى الصبح بوضوء العشاء كذا كذا سنة؟ وسرد الصيام كذا كذا سنة؟ ! وكانوا هم العارفين بالسنة لا يميلون عنها لحظة . وروى عن ابن عمر وابن الزبير رضى الله عنهم أنها كانا يواصلان الصيام . وأجاز مالك وهو إمام في الاقتداء بصيام الدهر ، يعنى إذا أفطر أيام العيد ، وما يحكى عن أويس القرني رضى الله عنه أنه كان يقوم ليلة حتى يصبح ويقول : بلغنى أن لله عبداً سجداً أبداً - إن لله عبداً ركوعاً أبداً وعبداً قياماً أبداً - يريد أنه يتنفل بالصلاة فتارة يطول فيها القيام ، وتارة الركوع

والسجود . وعن الأسود بن يزيد أنه كان يجهد نفسه في الصوم والعبادة حتى يخضر جسده ويصفر فكان علقمة يقول له : ويحك لم تعذب هذا الجسد فيقول إن الأمر جد ، إن الأمر جد والآثار في المعنى كثيرة عن الأولين ، وهي تدل على الأخذ بما هو شاق في الدوام ، ولم يعدهم أحد بذلك مخالفين للسنة ، بل عدوهم من السابقين ، جعلنا الله منهم وأيضاً فإن النهي ليس عن العبادة المطلوبة ، بل هو عن الغلو فيها - غلوًا يدخل المشقة على العامل . فإذا فرضنا من فقدت في حقه تلك العلة ، فلا ينهض النهي في حقه ، كما إذا قال الشارع ، لا يقض القاضي وهو غضبان ، وكانت علة النهي تشويش الفكر عن استيفاء الحجج - اطرد النهي مع كل مشوش وانتفى عند انتفائه ، حتى إنه منتف مع وجود الغضب اليسير الذي لا يمنع من استيفاء الحجج وهذا صحيح جار على الأصول . وحال من فقدت في حقه العلة حال من يعمل بحكم غلبة الخوف أو الرجاء أو المحبة فإن الخوف سوط سائق والرجاء حادٍ قائد ، والمحبة سبيل حامل ، فالخائف إن وجد المشقة - فالخوف مما هو أشق ، يحمله على الصبر على ما هو أهون ، وإن كان العمل شاقاً . والراجح يعمل وإن وجد المشقة لأن رجاء الراحة التامة يحمله على الصبر على بعض التعب ، والمحبة يعمل ببذل المجهود شوقاً إلى المحبوب فيسهل عليه الصعب ويقرب عليه البعيد ، وهو القوى (كذا) ولا يرى أنه أوفى بعهد المحبة ولا قام بشكر النعمة ، ويعمر الأنفاس ولا يرى أنه قضى نهمته .

وإذا كان كذلك صح الجمع بين الأدلة وجزان الدخول في العمل التزاماً مع الإيغال فيه ، إما مطلقاً ، وإما مع ظن انتفاء العلة ، وإن دخلت المشقة فيما بعد ، إذا صح مع العامل الدوام على العمل ، ويكون ذلك جارياً على مقتضى الأدلة وعمل السلف الصالح .

والجواب إن ما تقدم من أدلة النهي صحيح صريح ، وما نقل عن الأولين يحمل ثلاثة أوجه : (أحدها) أن يحمل أنهم عملوا على التوسط الذي هو

مظنة الدوام ، فلم يلزموا أنفسهم بما لعله يدخل عليهم المشقة حتى يتركوا بسببه ما هو أولى ، أو يتركوا العمل ، أو يبغضوه لثقله على أنفسهم بل التزموا ما كان على النفوس سهلاً في حقهم فإنما طلبوا اليسر لا العسر ، وهو الذي كان حال رسول الله ﷺ ، وحال من تقدم النقل عنه من المتقدمين ، بناءً على أنهم عملوا بمحض السنة والطريقة العامة لجميع المكلفين . وهذه طريقة الطبري في الجواب ، وما تقدم في السؤال مما يظهر منه خلاف ذلك فقضايا وأحوال يمكن حملها على وجه صحيح ، إذا ثبت أن العامل ممن يقتدى به .

و (الثاني) : يحتمل أن يكونوا عملوا على المبالغة فيما استطاعوا ، لكن على جهة الالتزام لا بنذر ولا غيره ، وقد يدخل الإنسان في أعمال يشق الدوام عليها ولا يشق في الحال فيغتم نشاطه في حالة خاصة غير ناظر فيها فيما يأتي ، ويكون جارياً فيه على أصل رفع الحرج حتى إذا لم يستطعه تركه ولا حرج عليه لأن المدوب لا حرج في تركه في الجملة . فتأملوا وجه اعتبار النشاط والفراغ من الحقوق المتعلقة أو القوة في الأعمال . وأما ما نقل عنهم من أدلة الصبح بوضوء العشاء وقيام جميع الليل وصيام الدهر ، ونحوه فيحتمل أن يكون على الشرط المذكور ، وهو أن لا يلتزم ذلك وإنما يدخل في العمل حالاً يغتم نشاطه ، فإذا أتى زمان آخر وحده فيه النشاط أيضاً ، وإذا لم يحل بما هو أولى عمل كذلك ، فيتفق أن يدوم له هذا النشاط زماناً طويلاً .. وفي كل حالة هو في فسحة الترك ، لكنه ينتهز الفرصة مع الأوقات ، فلا يُعَدَّ في أن يصحبه النشاط إلى آخر العمر ، فيظنه الظان التزاماً وليس بالترام . وهذا صحيح ، ولا سيما مع سائق الخوف أو حادى الرجاء أو حامل المحبة ، وهو معنى قوله ﷺ : « جعلت قرة عيني في الصلاة » فلذلك قام ﷺ حتى تورمت قدماه ، وامثل أمر ربه في قوله تعالى : ﴿ قم الليل إلا قليلاً ﴾ الآية .

(والثالث) : أن دخول المشقة وعدمه على المكلف في الدوام أو غيره ، ليس أمراً منضبطاً بل هو إضافي مختلف بحسب اختلاف الناس في قوة

أجسامهم ، أو في قوة عزائمهم ، أو في قوة يقينهم ، أو نحو ذلك من أوصاف
أجسامهم أو أنفسهم فقد يختلف العمل الواحد بالنسبة إلى رجلين لأن أحدهما
أقوى جسماً أو أقوى عزيمة أو يقيناً بالموعود ، والمشقة قد تضعف بالنسبة إلى قوة
هذه الأمور وأشباهها ، وتقوى مع ضعفها .

فنحن نقول : كل عمل يشق الدوام على مثله بالنسبة إلى زيد فهو منهى
عنه ، ولا يشق على عمرو فلا ينهى عنه . فنحن نحمل ما داوم عليه الأولون من
الأعمال على أنه لم يكن شاقاً عليهم ، وإن كان ما هو أقل منه شاقاً علينا ، فليس
عمل مثلهم بما عملوا به حجة لنا أن ندخل فيما دخلوا فيه ، إلا بشرط أن يمتد
مناط المسألة فيما بيننا وبينهم وهو أن يكون ذلك العمل لا يشق الدوام على مثله .
وليس كلامنا في هذا لمشاهدة الجميع ، فإن التوسط والأخذ بالرفق هو
الأولى والأحرى للجميع ، وهو الذي دلت عليه الأدلة . دون الإيغال الذي لا
يسهل مثله على جميع الخلق ولا أكثرهم إلا على القليل النادر منهم .

والشاهد لصحة هذا المعنى قوله ﷺ : « إني لست كهيشكم إني آييت
عند ربي يطعمني ويسقيني » يريد ﷺ أنه لا يشق عليه الوصال ، ولا يمنعه عن
قضاء حق الله وحقوق الخلق . فعلى هذا :

مَنْ رَزَقَ أَنْمُودَجًا مِمَّا أُعْطِيَهِ ﷺ فَصَارَ يُوغَلُ فِي الْعَمَلِ مَعَ قُوَّتِهِ وَنَشَاطِهِ
وَخَفَةِ الْعَمَلِ عَلَيْهِ فَلَا حَرَجَ .

وأما رده ﷺ على عبد الله بن عمرو فيمكن أن يكون شهد بأنه لا يطيق
على الدوام ، ولذلك وقع له ما كان متوقفاً ، حتى قال :

ليتني قبلت رخصة نبي الله ﷺ ، ويكون عمل ابن الزبير وابن عمر وغيرهما
في الوصال جارياً على أنهم أعطوا حظاً مما أعطيه رسول الله ﷺ ، وهذا بناء
على أصل مذکور في كتاب الموافقات والحمد لله ، وإذا كان كذلك لم يكن في
العمل المنقول عن السلف مخالفة لما سبق [١] . هـ .

قيام سيد التابعين « أويس القرني » :

قال رسول الله ﷺ : « إن خير التابعين رجل يقال له أويس - مروه
فليستغفر لكم » وفي رواية أخرى « لو أقسم على الله لأبره » .

[يسميه الشاطبي (سيد العباد بعد الصحابة لما عرف عنه من كثرة العبادة) ،
ويصفه الذهبي بأنه (القدوة سيد التابعين في زمانه) كان ابن حنبل يضرب به
المثل في الزهد فيقول (لا زهد إلا زهد أويس بلغ به العرى حتى قعد في
قوصرة) (١) . عاش أويس مستغرقاً في العبادة فهو في نهاره دائم الصلاة وفي ليلة
قائم حتى يصبح يقول (بلغني أن لله عباداً سجوداً أبداً) وربما يقصد بذلك
التشبه بالملائكة . لأننا نقرأ له في نص آخر (لأعبدن الله في الأرض كما تعبده
الملائكة في السماء) (٢) .

عن الربيع بن خيثم أنه قال : أتيت أويساً القرني فوجدته قد صلى الصبح
وقعد فقلت : لا أشغله عن التسيح ، فلما كان وقت الصلاة قام فصلى إلى
الظهر ، فلما صلى الظهر صلى إلى العصر ، فلما صلى العصر قعد يذكر الله إلى
المغرب ، فلما صلى المغرب صلى إلى العشاء ، فلما صلى العشاء صلى إلى الصبح ،
فلما صلى الصبح جلس فأخذته عينه ، ثم اتبه فسمعته يقول : « اللهم إني أعوذ
بك من عين نائمة ويطن لا تشيع » (٣) .

رحمك الله يا أويس تكره هذه الإغفاءة الخاطفة وتؤنب نفسك عليها.
« ولهذا يعده الشاطبي ممن يأخذ بما هو شاق في الدوام . ومع هذا لا يعتبر مخالفاً

(١ ، ٢ ، ٣) انظر الزهاد الأوائل مصطفى حلمي من ص ٨٤ - ٨٩ ، الاعتصام ٣٠٩/١ ، تنبيه
المفتين ص ١١٥ ، سير أعلام النبلاء للذهبي ، ابن سعد في الطبقات ، ابن عساكر في التاريخ ١٧٤/٣
تفسير التستري ص ٩٤ .

ملحوظة : استبعد ابن حزم الحديث النبوي في وصف أويس والظاهر أنه ليس وحده ذهب إلى ذلك لأن
ابن عساكر يذكر أن قوماً من المحدثين أنكروا أويساً بالكلية ويعلق على ذلك بقوله (وأمر أويس مشهور
فلا معنى لهذا القول) وأين حديث مسلم فيه ؟ !

للسنة ، بل إنه من السابقين الأولين ، ألم يكن الرسول ﷺ يقوم الليل حتى تتورم قدماه « (١) .

● نظر إليه رجل فقال ما لي أراك مريض الدهر فقال أويس : « وما ل لأويس لا يكون مريضاً ، إن المريض يطعم وأويس غير طاعم ، وينام المريض وأويس غير نائم .. ثم قال : يا عجباً ممن يعلم أن الجنة تزين فوقه ، وأن النار تسعر تحته ، كيف ينام من هو بينهما ينظر إليهما » (٢) .

وانظر إلى سيد من سادات المسلمين حبسه العرى عن صلاة الجماعة أحياناً ، سيد لا يترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيقول « إن قيام المؤمن بأمر الله لم يبق له صديقاً » يسأله الخليفة أن يكتب إلى عامل الكوفة ليستوصى به رفض ، قال (أكون في غبر الناس أحب إلى) إلا أنه كان ينصح هرم بن حيان بلزوم الجماعة يقول له « لا تفارق الجماعة فتفارق دينك » ، بل إنه من فرط إحساسه بالانتماء للجماعة يود لو شارك في إسعاد المسلمين جميعاً فيوفر لهم المأكل والمشرب ، فهو في دعائه وتوسله إلى الله يخاطب ربه بكلمات عميقة الدلالة فيقول (اللهم إني أعتذر إليك اليوم من كل كبد جائعة وبدن عارى ، فإنه ليس في بيتي من الطعام إلا ما في بطني ، وليس شيء من الدنيا إلا ما على ظهري » ولم يكن على ظهره حينذاك إلا خرقة) .

(١ ، ٢) انظر المراجع السابقة .

قيام سيد التابعين : سعيد بن المسيب رحمه الله :

● عن عبد الله بن إدريس عن أبيه قال : صلى سعيد بن المسيب الغداة بوضوء العتمة خمسين سنة ، وكان يسرد الصوم ^(١) .

قيام الأحنف بن قيس ^(٢) : « سيد أهل البصرة » رحمه الله :

سيد أهل البصرة صاحب الحزم والرأى رحمه الله .

● « كان عامة صلاته بالليل الدعاء ، وكان يضع المصباح قريباً منه ، فيضع إصبعه عليه فيقول : حَسْبُ يَا أَحْنَفُ ، ما حملك على ما صنعت يوم كذا وكذا يعني كذا وكذا » ^(٣) .

● انظر إلى حال التابعي الكبير وقيامه ومحاسبه لنفسه ، ومع هذا يدعو بالمصحف يوماً حتى يعلم من هو ، فينشر المصحف فرب يقوم ﴿ كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون ، وبالأسحار هم يستفرون ﴾ ومر يقوم ﴿ تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ﴾ فوق ثم قال : « اللهم لست أعرف نفسي ههنا » ^(٤) .

(١) صفة الصفوة ج ٢ ص ٨٠ .

(٢) أسلم على عهد النبي ﷺ ولم يره ودعا له النبي ﷺ ، يعد في كبار التابعين بالبصرة مات سنة سبع وستين ، وقال له عمر بن الأحنف سيد أهل البصرة ، ومشى مصعب بن الزبير في جنازته وقال يوم موته : ذهب اليوم الحزم والرأى .

(٣) الزهد لابن حنبل ص ٢٣٥ .

(٤) مختصر قيام الليل للمقريزي ص ١٧ .

قيام عامر بن عبد الله ... عامر بن عبد قيس «راهب العرب» :

● عن الحسن أن عامر بن عبد قيس قال : «إني وجدت عيش الناس في أربع : في النساء والطعام واللباس والنوم ، فأما اللباس فوالله ما أبالي ما وارت به عورتى ، وأما النساء فوالله ما أبالي امرأة رأيت أو جداراً ، وأما النوم والطعام فقد غلباني إلا أن أصيب منهما ، فوالله لأضرنّ بهما جهدى » قال الحسن : « فأضّرّ والله بهما جهده حتى مات رحمه الله ^(١) وقلما نام الليل رحمه الله . انظر إلى هذا العَلَم وهو يقول « اللهم إن هؤلاء يغدون ويروحون ولكلُّ حاجة ، وإن حاجة عامر أن تغفر له .

● وكان رحمه الله يوبخ نفسه بعد أن انتفخت ساقاه وقدماه من طول القيام فيقول : يا نفس إنما خلقت للعبادة يا أمانة السوء . قومي يا مأوى كل سوء ، فوعزة ربك لأزحفنّ بك زحوف البعير ، ولئن استطعت أن لا يميس الأرض من زهمك لأفعلن ، ثم يتلوى كما تتلوى الحبة على المقل ، ثم يقول « اللهم إن النار قد منعتنى من النوم فاغفرلى » .

● وكان يصوم أغلب الدهر ويقوم الليل ، فقبل له في ذلك ، فقال : « وما هذا إن هو إلا أنى قد جعلت طعام النهار إلى الليل ، ونوم الليل إلى النهار وليس في ذلك كبير أمر » ^(٢) . وكان طعامه طيلة يومه رغيقين رحمه الله ، وكان يتمثل ويردد « ما رأيت مثل الجنة نام طالها ولا مثل النار نام هاربا » .

وكان إذا جاء الليل قال : أذهب حر النار النوم فما ينام حتى يصبح ، وإذا جاء النهار قال : أذهب حر النار النوم فما ينام حتى يميس ، فإذا جاء الليل قال :

(١) الزهد ص ٢٢٤ .

(٢) تنبيه المقربين ص ١١٥ .

من خاف أدلج ، وعند الصباح يحمد القوم السرى» (١) .
● وقال مالك بن دينار : قالت المرأة التي نزل عليها عامر بن عبد قيس : ما للناس ينامون وأنت لا تنام . قال : إن جهنم لا تدعى أنام .
وكان إذا قام من الليل يقول : أبت عيناى أن تذوق طعم النوم مع ذكر النار (٢) .

● بعث معاوية إليه بجارية وأمرها أن تعلمه ما حاله فكان يقوم الليل كله ، ويخرج من السحر فلا يعود إلا بعد العتمة ، ولا يتناول من طعام معاوية شيئاً ، كان يجيء معه بكسرفيجعلها في ماء فيأكلها ، ويشرب من ذلك فكتب معاوية إلى عثمان بحاله فأمره أن يصله ويدينه ، فقال لى : لا إرب لى فى ذلك (٣) .
هذا هو حال راهب العرب كما قال كعب

قيام مسروق بن عبد الرحمن أبى عائشة رحمه الله :

قربق القراء وسيدهم سيد قراء أهل الكوفة
العالم بربه ، الهائم بجبهه ، الذاكر لذنبه .
حجج رحمه الله فما بات إلا ساجداً (٤) .

● كانت امرأة مسروق رحمها الله تعالى تقول : - « والله ما كان مسروق يصبح من ليلة من الليالى إلا وساقاه منتفختان من طول القيام ، وكنت أجلس خلفه فأبكي رحمة له ، وكان رحمه الله إذا طال عليه الليل وتعب صلى جالساً

(١) مختصر قيام الليل للمقرئ ص ٢٦ =

(٢) مختصر قيام الليل للمقرئ ص ١٩ =

(٣) الإصابة لابن حجر ج ٣ ص ٨٥ انظر ترجمته فى الإصابة والحلية والطبقات الكبرى =

(٤) حلية الأولياء ج ٢ ص ٩٥ ، الزهد ص ٣٤٩ =

ولا يترك الصلاة وكان إذا فرغ من صلاته يزحف كما يزحف البعير من الضعف» (١).

رحمك الله أبا عائشة تبكى زوجك خَلْفَكَ وأنت تهجد رحمة لك .. لسان حالك يقول :

أمسى وأصبح من تذكاركم قلقاً يرى لى المشفقان الأهل والولد
قد خدد الدمع خدى من تذكركم واعتادنى المضيان الشوق والكد
وغاب عن مقلتي نومي فنافرها وخانني المسعدان الصبر والجلد

رحمك الله ترحف كما يزحف البعير من الضعف .
لا غرو للدمع أن تجرى غواربه وتحت الخافقان القلب والكبد
لم يبق إلا خفى الروح من جسدى فداؤك الباقيان الروح والجسد
ابو العالية رحمه الله :

● قال رحمه الله : « كنا نعد من أعظم الذنب أن يتعلم الرجل القرآن ثم ينام لا يقرأ منه شيئاً » (٢).

أبو الأحوص عوف بن مالك بن نضلة : رحمه الله :

● عن علي بن الأقرع عن أبي الأحوص أنه قال : « إن كان الرجل ليطلق الفسطاط طروقاً بسمع لأهله دويًا كدوى النحل ، ما بال هؤلاء يأمنون ما كان أولئك يخافون » (٣).

(١) تنبيه المغترين ص ١١٤ =

(٢) الزهد لابن حنبل ص ٣٠٣ =

(٣) الزهد ص ٣٤٨ =

فانظر رحمك الله إلى رجل من الرعيّل الأول يخبر أن من إجماء الفسطاط ليلاً حيث ينزل الصحابة والتابعون يسمع دويهم لإحياء ليلهم بالعبادة والتجهد ثم يعجب من أمان أهل زمانه مما كان يخاف منه الأوائل . قال أحد الصالحين : « هنيئاً لمن اكتحلت عيناه برؤية تلك الحياة »^(١) .

قيام هرم بن حيان رحمه الله :

الهائم الوهّان ، القائم العطشان ، عاش في حبه وهان حرّماً ، وُعاد قبره حين دفن بريان غدقاً .

• عن المعلّى بن زياد قال : كان هرم بن حيان يخرج في بعض الليالي وينادي بأعلى صوته : « عجبت من الجنة كيف ينام طالبيها . وعجبت من النار كيف ينام هاربيها ، ثم قرأ : - ﴿ أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتاً وهم نائمون ﴾ ثم يقرأ « العصر ، وأهّاكم ثم يرجع »^(٢) .

• وبات رحمه الله عند حممة صاحب رسول الله ﷺ قال : فبات حممة ليلته يبكي كلها حتى أصبح ، فلما أصبح قال له هرم : يا حممة ما أبكاك ؟ قال : ذكرت ليلة صبيحتها تبعثر القبور فتخرج من فيها ، وتناثر نجوم السماء فأبكاني ذلك .

• وتمثل محمد بن نافع في السحريّيت من الشعر فرفع هرم عليه السوط وجلده على الظهر قائلاً له : أفي هذه الساعة التي ينزل فيها الرحمن ويستجاب فيها الدعاء تتمثل بالشعر »^(٣) .

(١) شريط قيام الليل للشيخ الطحان ❦

(٢) الحلية ج ٢ ص ١١٩ ، والزهد ص ٢٣١ =

(٣) الزهد ص ٢٣٢ ❦

قيام أبي مسلم الخولاني^(١) رحمه الله :

كان لأبي مسلم سوط يعلقه في مسجده فإذا كان السحر ونعس أو ملّ أخذ السوط وضرب به ساقيه ، ثم قال : لأنت أولى بالضرب من شر الدواب^(٢) وفي رواية « قومي لعبادة ربك والله لأزحفن بك زحفاً حتى يكون الكلال منك لا مني ، وإنك لأولى بالضرب من الدابة لموضع عقلك وكثرة دعاويك »^(٣) .

قيام عبد الرحمن بن الأسود بن يزيد بن قيس رحمه الله :

قال محمد بن إسحاق : « قدم علينا عبد الرحمن بن الأسود وهو معتل الرجل فقام يصلي الليلة حتى أصبح شاغراً رجله قائماً على رجل وصلى بنا العشاء والفجر بوضوء واحد . وقال رحمه الله من قرأ البقرة في ليلة توجّح تاجاً في الجنة »^(١)

(١) قال النووي رحمه الله في بستان العارفين ص ١٨٣ : « اسمه عبد الله بن ثوب ثناء مثله مضمومة ثم واو مفتوحة مخففة ثم باء موحدة ويقال ابن ثواب ويقال ابن أثوب . وهو من أهل اليمن سكن الشام وكان من كبار التابعين ، وكان قد رحل إلى رسول الله ﷺ ليصحبه فتوفى النبي ﷺ وهو في الطريق فجاه ولقى أبا بكر الصديق وعمر وغيرهما من الصحابة .
وياسناد الحفاظ أبي طاهر السلفي عن شرحبيل بن الأسود أن الأسود ابن قيس العنسي الكذاب لما ادّعى النبوة بعث إلى أبي مسلم الخولاني ، فلما جاءه قال : أتشهد أني رسول الله ؟ قال : ما أسمع . قال : أتشهد أن محمداً رسول الله ؟ قال : نعم . فردد ذلك عليه فأمر بنار عظيمة فأجّجت فألقى فيها أبا مسلم فلم تضره . فقيل : أنفه عنك وإلا أفسد عليك من تبعك ، فأمره بالرحيل ، فأقى أبو موسى المدينة وقد توفى رسول الله ﷺ واستخلف أبو بكر ، فأتاخ أبو مسلم راحلته بباب المسجد فقام يصلي إلى سارية فبصره عمر فقام إليه فقال من الرجل ؟ فقال : من أهل اليمن . قال : فلعلك الذي حرّقه الكذاب بالنار ؟ قال : ذلك عبد الله بن ثوب ، قال : نشدتك الله أنت هو ؟ قال : اللهم نعم ؛ فأعتقه ثم بكى ، ثم ذهب به حتى أجلسه فيما بينه وبين أبي بكر فقال : الحمد لله الذي لم يمتني حتى أراي في أمة محمد ﷺ من فعل به كما فعل بإبراهيم عليه السلام خليل الرحمن . . وروى عنه أنه كان يقول إذا فتره أبطن أصحاب محمد ﷺ أن يسبقونا عليه ، والله لأزاحمهم عليه حتى يعلموا أنهم خلفوا بعدهم رجالاً .

(٢) مختصر قيام الليل ص ٢٨

(٣) تنبيه المغترين ص ١١٦

قيام الحسن البصرى :

حليف الخوف والحزن ، أليف الهمّ والشجن ، عديم النوم والوسن أبو سعيد الحسين بن أبي الحسن .

قيل مرة ليونس بن عبيد : هل رأيت أحداً يعمل بعمل الحسن البصرى فقال : والله ما رأيت من يقول بقوله فكيف أرى من يعمل بعمله !! « كان وعظه يبكى القلوب ووعظ غيره لا يبكى العيون » (٢) .

كان إذا قدم فكأنما أقبل من دفن حميم له ، وإذا بكى فكأن النار لم تخلق إلا له ، رضع لبان الحكمة من أم سلمة رضى الله عنها .

● قال رحمه الله : إني لم أجد من العبادة شيئاً أشد من الصلاة في جوف هذا الليل (٣) .

● وعنه قال : في قوله تعالى : ﴿ وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكوراً ﴾ قال : « من عجز بالليل فإن له في النهار مستعجب ، ومن عجز في النهار كان له في الليل مستعجب » (٤) .

● قال الحسن : « إذا نام العبد ساجداً باهى الله به الملائكة يقول : انظروا إلى عبدى ، يعبدنى وروحه عندى وهو ساجد » (٥) .

● وقال رحمه الله : « ما عمل عملاً بعد الجهاد في سبيل الله أفضل من ناشئة الليل » (٦) .

(١) الزهد ص ٣٦١ ، ٣٦٠ وتهذيب التهذيب ص ١٤٠ .

(٢) تنبيه المغتربين ص ٩ .

(٣) الزهد لابن حنبل ص ٢٥٩ .

(٤) الزهد لابن حنبل ص ٢٧٢ .

(٥) الزهد ص ٢٨٦ .

(٦)

• وعنه رحمه الله : « والله لقد أدركت أقواماً ، وصحبت طوائف منهم ، ما كانوا يفرحون بشيء من الدنيا أقبل ، ولا يتأسفون على شيء منها أدبر ، وهى كانت أهون فى أعينهم من هذا التراب ، كان أحدهم يعيش خمسين سنة لم يطوله ثوب قط ، ولا نُصب له قدر ، ولا جعل بينه وبين الأرض شيئاً ، ولا أمر فى بيته بصنعة طعام قط ، فإذا كان الليل فقيام على أطرافهم يفترشون وجوههم ، تجرى دموعهم على خدودهم ، يناجون ربهم فى فكاك رقابهم ، كانوا إذا عملوا الحسنة دأبوا فى شكرها ، وسألوا الله أن يقبلها ، وإذا عملوا السيئة أحزنتهم وسألوا الله أن يغفرها ، فما زالوا كذلك على ذلك ، فوالله ما سلموا من الذنوب ولا نجوا إلا بالمغفرة ، وإنكم أصبحتم فى أجل منقوص ، والعمل محفوظ ، والموت والله فى رقابكم ، والنار بين أيديكم ، فتوقعوا قضاء الله عز وجل فى كل يوم «ليلة» (١) .

كلمات للحياة :

وعن الحسن رحمه الله - وكلامه يستمطر الدمع لصدقه ، وليست الثكلى كالتأخة المستعارة - يقول :

« إن لله عز وجل عبداً كمن رأى أهل الجنة فى الجنة مخلدين ، وكمن رأى أهل النار فى النار مخلدين قلوبهم محزونة ، وشروهم مأمونة ، حوائجهم خفيفة وأنفسهم عفيفة ، صبروا أياماً قصاراً تعقب راحة طويلة .

أما الليل فمُصَافَّةُ أقدامهم ، تسيل دموعهم على خدودهم ، يجأرون : ربنا ربنا ، وأما النهار فحلمااء علماء ، بررة أتقياء كأنهم القداح ينظر إليهم الناظر فيحسبهم مرضى ، وما بالقوم من مرض ، أو خولطوا ولقد خالط القوم من ذكر الآخرة أمر عظيم » (٢) .

(١) الزهد ص ٢٨٥

(٢) حلية الأولياء، ص ١٥١ . ج ٢

● ويقول رحمه الله في قوله تعالى : ﴿ وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً . والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً ﴾ قال : « الذين يمشون على الأرض بالوقار والسكينة ، حلماء لا يجهلون وإن جهل عليهم حلموا ، ذلت والله الأبدان والأبصار حتى حسبهم الجاهل مرضى ، والله ما بالقوم من مرض وإنهم لأصحاء القلوب ، ولكن دخلهم من الخوف ما لم يدخل غيرهم ، ومنع منهم الدنيا علمهم بالآخرة ، هذه أخلاقهم التي انتشروا بها في الناس ، وهم الذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً ، أسهروا والليل الأعين ، وهضموا في الآخرة كل شيء ، والله ما تعاطم في أنفسهم شيء طلبه به الجنة ، وقالوا حين دخلوا الجنة : الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن ، إن ربنا لغفور شكور » ثم يقول رحمه الله :

« والله لقد كابدوا في الدنيا أحزاناً شديدة وخوفاً شديداً ، والله ما أحزنهم من أحزان الناس شيء ، أبكاهم الخوف من النار ، وأن الله لن يجمع على المؤمن خوف الدنيا وخوف الآخرة ، فعجلوا الخوف حتى تلقوا ربكم » . وقال : « ذكر لي لهم خير ليل فقال : والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً ، ينتصبون لله على أقدامهم ، ويفترشون وجوههم سجداً لربهم ، تجرى دموعهم على خدودهم فرقا من ربهم ، لأمر ما سهروا ليلهم ، ولأمر ما خشعوا نهارهم ، صدق القوم والله الذي لا إله إلا هو فعملوا ، وأنتم تمنون ، فأيّاكم وهذه الأمانى رحمكم الله ، فإن الله لم يعط عبداً منيته خيراً في دنيا ولا آخرة » ، وكان يقول : « يا لها موعظة لو وافقت من القلوب حياة » .

● ثم قال رحمه الله : « لقد صحبت أقواماً يبيتون لربهم في سواد هذا الليل سجداً وقياماً ، يقومون هذا الليل على أطرافهم ، تسيل دموعهم على خدودهم ، فرة ركعاً ، ومرة سجداً ، يناجون ربهم في فكاك رقابهم ، لم يملوا طول السهر لما خالط قلوبهم من حسن الرجاء في يوم المرجع ، فأصبح القوم لما

أصابوا من النصب لله في أبدانهم فرحين ، وبما يأملون من حسن ثوابه مستبشرين فرحم الله امرأة ناقسهم في مثل هذه الأعمال ، ولم يرض لنفسه من نفسه بالتقصير في أمره ، واليسير من فعله ، فإن الدنيا عن أهلها منقطعة ، والأعمال على أهلها مردودة^(١) ، ثم يبكي حتى تبل لحيته بالدموع .

● وعنه : « كان يقال ما عمل الناس من عمل أثبت في خير من صلاة في جوف الليل ، وما في الأرض شيء أجهد للناس من قيام الليل والصدقة » وكان رحمه الله يصلي قائماً ، فإذا عبي صلتى قاعداً ، فإذا فتر صلى مصطحباً^(٢) .

● وكان رحمه الله يقول : « كان أحدهم يبيت يقرأ القرآن فيصبح يعرف ذلك فيه ، وأحدهم اليوم يقرأ القرآن فكأنما يحمل به رداً كتان »^(٣) .

● وقال أيضاً رحمه الله : « قرأ القرآن ثلاثة أصناف : صنف اتخذوه بضاعة ، وصنف أقاموا حروفه وضيّعوا حدوده ، واستطالوا به على أهل بلادهم ، واستدروا به الولاية ، وقد كثرت هذا الضرب من حملة القرآن لأكثرهم الله ، وصنف عمدوا إلى دواء القرآن فوضعوه على داء قلوبهم فاستشعروا الخوف ، وركدوا في محاربتهم ، وخبّوا في برانسهم فأولئك الله ينصر بهم على الأعداء ، ويسقي بهم الغيث ، فوالله لهذا الصنف من حملة القرآن أقل من الكبريت الأحمر » .

● وكان رحمه الله يقول لمجتهدى زمانه في العبادة : « والله إن اجتهدكم باللعب بالنظر لمن كان قبلكم »^(٤) .

● صدقت يا طيب القلوب ، يا من نافست من سبقك حتى يعلم أصحاب

(١) مختصر قيام الليل ص ١٥ ، ١٦ ، ١٧ .

(٢) مختصر قيام الليل ص ١٢٦ .

(٣) الخلية ص ١٥٠ ج ٨ .

(٤) تنبيه المغترين ص ١١٦ .

محمد ﷺ أنهم خلقوا بعدهم رجالاً فقلت « من نافسك في دينك فنافسه ،
ومن نافسك في دنياك فألقها في نحره » .

قد هياؤك لأمرٍ لو فطنت له فاربأ بنفسك أن ترعى مع الحمل
قيام الربيع بن خيثم رحمه الله :

تلميذ عبد الله بن مسعود الذي كان يثني عليه فيقول : « يا أبا يزيد ، لورآك
رسول الله ﷺ لأحبك ، وما رأيتك إلا ذكرت المحبتين » (١) .

• عن عبد الرحمن بن عجلان قال : بت عند الربيع بن خيثم ذات ليلة فقام
يصلى ، فَرَبِهْذِهِ الآيَةِ « أم حسب الذين اجترحوا السيئات » الآيَةِ فَكثَّ ليلته
حتى أصبح ما جاوز هذه الآيَةَ إلى غيرها بيكاء شديد (٢) .

• وكان أصحابه يُعلمون شَعْرَهُ عند المساء - وكان ذا وفرة - ثم يصبح
والعلامة كما هي ، فيعرفون أن الربيع لم يضع جنبه الليلة على فراشه (٢) .

• وكانت أمه تناديه : يا بني يا ربيع ألا تنام ، فيقول : يا أمه من جنّ عليه
الليل وهو يخالف البيات حتى له ألا ينام (٣) .

• وكانت ابنته تقول له : يا أبت مالي أرى الناس ينامون ولا أراك تنام (٣) ؟
فقال : إن النار لا تدع أباك أن ينام .

• واشترى رحمه الله فرساً بثلاثين ألفاً فغزا عليها ، ثم أرسل غلامه يسار
يحتش وقام يصلى ، فربط فرسه ، فجاء الغلام فقال : يا ربيع أين فرسك ؟
قال : سُرِقَتْ يا يسار . قال : وأنت تنظر إليها ؟ قال : نعم يا يسار إني كنت
أناجى ربي عز وجل فلم يشغلني عن مناجاة ربي شيء ، اللهم إنه سرقني ولم أكن
لأسرقه ، اللهم إن كان غنياً فاهده ، وإن كان فقيراً فاغنه ، ثلاث مرات (٤) .

(١) حلية الأولياء ج ٢ ص ١٠٦ .

(٢) حلية الأولياء ج ٢ ص ١١٢ .

(٣) حلية الأولياء ج ٢ ص ١١٤ ، مختصر قيام الليل ص ١٩ والزهد ص ٣٢٩ ، ٣٣٠ .

(٤) الزهد ص ٢٣١ ، ٢٣٢ ، مختصر قيام الليل ص ٢٧ .

يا لروعة الموقف : ويا حسن أخلاقك يا أبا يزيد حين تدعو لسارقك ..
وأنى للكلمات أن تصور رقة هذا الموقف ، ونعم تلميذ عبد الله بن مسعود أنت ،
فقد ربّاك على سمعه وبصره ، وصُنعت على عينه .

قيام عروة بن الزبير بن العوام :

المجتهد المتعبد الصّوام رحمه الله :

● عن ابن شوذب قال : كان عروة يقرأ ربع القرآن كل يوم في المصحف
ويقوم به ليله .

● وقال سلمة بن محارب : وقعت في رجل عروة الأكلة ولم يدع تلك الليلة
ورده (٥) .

رحمك الله يا ابن حواري رسول الله ﷺ وأحد فقهاء المدينة السبعة ،
تقطع رجلك وأنت صائم فما يتصور وجهك ثم تقوم من ليلتك هذه !! لقد
أتعبت من مخلفكم ، وسبقتم والله على كل ضامر فسق الله قبركم وجمعنا بكم في
مستقر رحمته .

قيام مطرف بن عبد الله :

عن ثابت قال : قال مطرف : إني لأستلقي من الليل على فراشي فأتدبر
القرآن ، وأعرض عملي على عمل أهل الجنة فإذا أعلمهم شديدة ﴿ كانوا قليلاً من
الليل ما يهجعون ﴾ ، * يبيتون لرهبهم سجداً وقياماً ﴾ ، ﴿ أمن هو قانت آناء
الليل ساجداً وقائماً ﴾ فلا أراني فيهم ، فأعرض نفسي على هذه الآية
﴿ ما سلككم في سقر ﴾ فأرى القوم مكذبين ، وأمر بهذه الآية ﴿ وآخرون
اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً ﴾ فأرجو أن أكون أنا وأنتم
يا إخوتاه منهم (٢) .

(١) حلية الأولياء ج ٢ ص ١٧٨

(٢) حلية الأولياء ج ٢ ص ١٩٨

قيام أبي الصهباء صلة بن أشيم العدوي :

كان في الحنادس منتصباً ذاكراً

• قالت عنه زوجته العابدبة المهجدة معاذة : « ما كان صلة يجيء من مسجد بيته إلى فراشه إلا حَبَواً يقوم حتى يفترا فما يجيء إلى فراشه إلا حَبَواً »^(١)

• وكان صلة يخرج إلى الجبانة فكان يمر عليه شبان يلهون ويلعبون قال فيقول لهم أخبروني عن قوم أرادوا سفراً فحادوا النهار عن الطريق ، وباتوا الليل متى يقطعون سفرهم قال فكان كذلك يمر بهم فيعظهم ، قال فمر بهم ذات يوم فقال لهم هذه المقالة فقال شاب منهم : يا قوم إنه والله ما يعني بهذا غيرنا ، نحن بالنهار نلهو وبالليل ننام ، ثم اتبع صلة وتعبد معه^(٢) .

• رحم الله قوماً أنت منهم أبا الصهباء فقد قال ثابت : « كان قوم من بني عدى قد أدركنا بعضهم إن كان أحدهم ليصلي حتى ما يأتي فراشه إلا زحفاً ، وكان ابن الربيع العدوي يصلي حتى ما يأتي الفراش إلا زحفاً أو حبواً ، وما كانوا يعدونه من أعبدهم »^(٣) .

• عن جعفر بن زيد قال : خرجنا في غزاة إلى كابل وفي الجيش صلة بن أشيم ، قال : فترك الناس عند العتمة - ثم اضطجع فالتمس غفلة الناس حتى إذا قلت هدأت العيون ، وثب فدخل غيضة قريباً منه ، فدخلت في أثره فتوضأ ثم قام يصلي فافتتح الصلاة ؟ قال وجاء أسد حتى دنا منه ، قال : فصعدت إلى شجرة ، قال : أفتراه التفت إليه أو وعذبه^(٤) حتى سجد ، فقلت : الآن يفترسه فلا شيء ، فجلس ثم سلم ، فقال : أيها السبع اطلب الرزق من مكان آخر ،

(١) الزهد لابن حنبل ص ٢٠٩ ومختصر قيام الليل ص ١٩ وأخرجه ابن سعد من طريق عفان بهذا

١٠٠ الإسناد وهو صحيح أنظر تحقيق سير أعلام النبلاء ج ٣ ص ٤٩٧ صححه شعيب الأرنؤوط

(٢) الزهد ص ٢٠٨ والحلية ج ٢ ص ٢٣٨

(٣) مختصر قيام ص ١٩

(٤) طرده أو منعه .

فولى وإن له لثبيراً أقول تصدعت منه الجبال ، فما زال كذلك يصلى حتى لما كان عند الصبح جلس فحمد الله بحماد لم أسمع بمثلها إلا ما شاء الله ، ثم قال اللهم إني أسألك أن تجيرني من النار ، أو مثلى يجترىء أن يسألك الجنة ، ثم رجع فأصبح كأنه بات على الحشايا وقد أصبحت وبى من الفترة شيء الله تعالى به عليم^(١) .

قيام محمد بن سيرين :

كان بالليل بكاءً ناعماً ، وبالنهار بساما سائحا .

قالت أم عباد امرأة هشام بن حسان : كنا نزولاً مع محمد بن سيرين في داره فكنا نسمع بكاءه بالليل وضحكه بالنهار^(٢) .

● قال محمد بن سيرين رحمه الله : لا بد من قيام ولو قدر حلب شاه^(٣) .

قيام مسلم بن يسار :

ذكروا له قلة التفاته في صلاته ، فقال : وما يدريكم أين قلبي ، وكان إذا دخل في صلاته يقول لأهله تحدثوا فلست أسمع حديثكم .

وكان يقول : « ما تلذذ المتلذذون بمثل الخلوة بمناجاة الله عز وجل ، وكان يدخل الكعبة فيصلى ركعتين بين العمودين المقدمين ويسجد ويكسى حتى يبيل المرمر ويقول : اغفرلى ذنوبى وما قدمته يداى ، وكان يقول في سجوده : متى ألقاك وأنت عنى راض^(٤) .

(١) حلية الأولياء ج ٢ ص ٢٤٠ وقال شعيب الأرنؤوط : إسناده ضعيف انظر تحقيق سير أعلام

النبلاء ج ٣ ص ٤٩٦

(٢) الحلية ج ٢ ص ٢٧٢

(٣) الزهد ص ٣٠٦

(٤) حلية الأولياء ج ٢ ص ٢٩٠، ٢٩٣، ٢٩٤

قيام معاوية بن قرة : البسام بالنهار البكاء في الأسحار .

كان رحمه الله يقول : من يدلني على رجل بكاء بالليل بسام بالنهار^(١) .

● وحدّث أن أباه كان يقول لابنيه إذا صلوا العشاء : يا بني ناموا لعلّ الله أن يرزقكم من الليل خيراً .

قيام عمرو بن الأسود السكوني :

كان عمر بن الخطاب يقول : « من سرّه أن ينظر إلى هدى رسول الله ﷺ فلينظر إلى هدى عمرو بن الأسود .

● كان رحمه الله من العباد الزهاد وكان له حلة بمائتي درهم يلبسها إذا قام إلى صلاة الليل^(٢) .

قيام الليل عند أبي محمد ثابت بن أسلم البناني رحمه الله :

المتعبد الناحل والمتعبد الذابل .

قال أنس بن مالك « إن للخير مفاتيح ، وإن ثابِتاً مفاتيح من مفاتيح الخير » .

قال رحمه الله : لا يسمى عابداً أبداً عابداً ، وإن كان فيه كل خصلة خير حتى تكون فيه هاتان الخصلتان : الصوم والصلاة ، لأنها من لحمه ودمه .

قالت ابنته : كان يقوم الليل خمسين سنة فإذا كان السحر قال في دعائه : « اللهم إن كنت أعطيت أحداً من خلقك الصلاة في قبره فأعطينها فما كان الله ليرد ذلك الدعاء »^(٣) .

● وكان يصلي قائماً حتى يعيي ، فإذا أعْيى جلس فيصلي وهو جالس .

(١) حلية الأولياء ج ٢ ص ٣٢٩ ، الزهد ص ٢٨٩ ، مختصر قيام الليل ص ١٩

(٢) البداية والنهاية ج ٨ ص ٢٦

(٣) حلية الأولياء ج ٢ ص ٣١٨

● وعنه : الصلاة تحذمة الله في الأرض ، لو علم الله عز وجل شيئاً أفضل من الصلاة لما قال : ﴿ فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب ﴾ .

● وعن المبارك بن فضالة رحمة الله دخلت على ثابت البناني في مرضه ، فلما دخلنا عليه قال : يا إخوتاه لم أقدر أن أصلي البارحة كما كنت أصلي ، ولم أقدر أن أصوم كما كنت أصوم ، ولم أقدر أن أنزل إلى أصحابي فأذكر الله عز وجل كما كنت أذكره معهم ، ثم قال : « اللهم إذا حبستني عن ثلاث فلا تدعني في الدنيا ساعة : إذ حبستني أن أصلي كما أريد ، وأصوم كما أريد ، وأذكرك كما أريد فلا تدعني فيها ساعة .

● قال ثابت : كان رجل من العباد يقول : إذا نمت ثم استيقظت ثم ذهبت أعود إلى النوم فلا أنام الله عيني إذا . قال جعفر : كنا نرى ثابتاً إنما يعنى نفسه (١) .

● وقال رحمه الله : كابدت الصلاة عشرين سنة ، وتنعمتُ بها عشرين سنة (٢) .

وقال رحمه الله : لقد أدركنا الناس وأحدهم يصلي فلا يأتي فراشه إلا زاحفاً (٣) .

وقال رحمه الله : « ما شيء أجده في قلبي ألد عندي من قيام الليل » .

وكان رحمه الله يقوم الليل فإذا أصبح يأخذ قدميه فيعصرهما ثم يقول : « مضى العابدون وقُطِعَ لي ، والهفاه » (٤) .

(١) حلية الأولياء ج ٢ ص ٣٢٠

(٢) حلية الأولياء ج ٢ ص ٣٢١

(٣) تنبيه المغترين ص ١١٥

(٤) صفة الصفوة

قيام قتادة بن دعامة :

الحافظ الرغائب ، الواعظ الرهّاب ، قتادة أبو الخطاب .

● قال أبو الخطاب قتادة رحمه الله : « ابن آدم : إن كنت لا تريد أن تأتي الخير إلا بنشاط ، فإن نفسك إلى السّامة وإلى الفترة وإلى الملل أميل ، ولكن المؤمن هو المتحامل ، والمؤمن المتقوى ، وإن المؤمنين هم العجاجون إلى الله بالليل والنهار ، وما زال المؤمنون يقولون : ربّنا ربنا في السر والعلانية حتى استجاب لهم » (١) .

● وقال رحمه الله : منع البر النوم ، وكانوا ينامون قبل الإسلام ، فلمّا جاء الإسلام أخذوا والله من نومهم وليلهم ونهارهم وأموالهم وأبدانهم ما تقربوا به إلى ربهم (٢) .

● وكان يجتم القرآن في كل سبع ليال مرة ، فإذا جاء رمضان ختمه في كل ثلاث ليال مرة .

● فإذا جاء العشر ختم في كل ليلة مرة .

● وقال رحمه الله في قوله ﴿ ولمن خاف مقام ربه جنتان ﴾ قال : « إن الله تعالى مقاماً هو قائمه ، وإن أهل الإيمان خافوا ذلك المقام ، فنصبوا ودأبوا الليل والنهار .

قيام محمد بن واسع : « زين القراء » (٣) رحمه الله

كان رحمه الله من قراء الرحمن .

● قال أبو الطيب موسى بن بشار :

(١) حلية الأولياء ج ٢ ص ٣٣٦

(٢) حلية الأولياء ج ٢ ص ٣٣٨

(٣) سمّاه بهذا الحسن

« صحبت محمد بن واسع من مكة إلى البصرة فكان يصلي الليل أجمع في الحمل جالساً يومئ برأسه إيماء ، وكان يأمر الحادى يكون خلفه ، ويرفع صوته حتى لا يفتن له ، وكان ربما عرس من الليل فينزل فيصلى ، فإذا أصبح أيقظ أصحابه رجلاً رجلاً فيجىء إليه فيقول : الصلاة الصلاة (١) .

● وكان رحمه الله يباليغ في إخفاء عمله ويقول : لقد أدركت رجلاً كان الرجل يكون رأسه مع رأس امرأته على وسادة واحدة قد بل ما تحت خده من دموعه لا تشعر به امرأته (٢) وكان رحمه الله يقول أيضاً : إن كان الرجل ليبيكى عشرين سنة وامرأته معه لا تعلم به .

قيام العلاء بن زياد العدوى :

قال مالك بن دينار لهشام بن زياد : حدثهم بحديث أخيك ، قال : نعم ، كان أخى العلاء بن زياد يجيى كل ليلة جمعة فجاء ذات ليلة فقال لامرأته أسماء : إني أجد الليلة فتره فإذا مضى كذا وكذا من الليل فأبقيتني ، قال : فلما جاءت الساعة انتبه فرعاً ، فقال : إنه أتاني آت فأخذ بمقدم رأسي فقال : يا بني زياد قم فاذا ذكر الله عز وجل يذكرك . قال هشام : فوالله ما زلت تلك الشرعات قياماً في مقدم وجهه ما صحب الدنيا وبعد موته ، ولقد غسلناه وإهنا القيام وماسكن (٣) .

قيام مالك بن دينار « أبى يحيى الخائف الجار » :

● قال المغيرة بن حبيب : تعاهدت مالكا ذات ليلة فجمت ، وقد لبست وطيفة في ليالى الشتاء قال : فطرحت نفسى على باب البيت ، قال فدخل مالك فاستقبل القبلة ، وأخذ بلحيته ، وجعل يقول : يارب إذا جمعت الأولين

(١) حلية الأولياء ج ٢ ص ٣٤٦

(٢) الحلية ج ٢ ص ٣٤٧

(٣) الزهد ص ٢٥٥ ، إحياء كل ليلة جمعة معناه والله أعلم قيامها كلها مع قيام بقية الليالى أما تخصيص ليلة الجمعة بالقيام فهذا منهى عنه .

والآخرين فحرّم شيبة مالك على النار ، فما زال كذلك حتى طلع الفجر^(١) .
● وكان يقول : لو استطعت أن لا أنام لم أنم مخافة أن ينزل العذاب وأنا نائم ، ولو وجدت أعواناً لفرقتهم ينادون في سائر الدنيا كلها : أيها الناس .. النار .. النار^(٢) .

● وكان إذا قام في محرابه يقول : يارب قد عرفت ساكن الجنة وساكن النار فأى الدارين دار مالك ثم يبكي .

قيام عبد الله بن غالب الحداني « أبى قريش العابد » .

● كان من عباد البصرة ومن خيار الناس ، وكان رحمه الله يقول في دعائه : « اللهم إنا نشكو إليك سفه أعلامنا ونقص علمنا واقتراب آجالنا وذهاب الصالحين منا »^(٣) .

● قال رحمه الله : لقد ذهب الطاعون الجارف بيني وما شبت من حديثهم ، أما النهار فكما ترون وكان يصلي فيما بين الظهر والعصر وما بين المغرب والعشاء يسبح تسيحاً كثيراً دائماً - وأما الليل فأقول الحقوا بأمكم^(٤) .

● ولقيه الحسن فقال له الحسن : لورفتت ، فقال عبد الله ﴿ كلاً لا تطعه واسجد واقترب ﴾ ثم خرّ فسجد ، وكان رحمه الله يقول : لهذا خلقنا وبهذا أمرنا^(٥) .

● قال المغيرة بن حبيب : لما برز العدو قال عبد الله بن غالب : « على ما آسى من الدنيا فوالله ما فيها لليبب جدل ، ووالله لولا محبتي لمباشرة السهر بصفحة وجهي ، واقتراش الجبهة لك ياسيدي ، والمراوحة بين الأعضاء والكراديس^(٦) »

(١) الزهد ص ٣٢٥ ، الحلية ج ٢ ص ٣٦١

(٢) الحلية ج ٢ ص ٣٦٩

(٣) الزهد لابن حنبل ص ٢٤٧

(٤) الزهد ص ٢٤٨

(٥) تهذيب التهذيب ج ٥ ص ٣٥٤ ، ٣٥٥

(٦) الكراديس : ملتقى كل عظمين كبيرين ضخمين كالركبتين والمرقنين والمنكبين .

في ظلم الليالي رجاء ثوابك وحلول رضوانك لقد كنت متمنياً لفراق الدنيا وأهلها ، ثم كسر جفن سيفه ، وتقدم فقاتل حتى قتل ، فلما دفن أصابوا من قبره المسك ، وكان الناس يأخذون من تراب قبره كأنه المسك ، وراه رجل فيما يرى النائم فقال يا أبا فراس ماذا صنعت ؟ قال خير الصنيع ، قال : إلى ما صرت ؟ قال إلى الجنة ، قال : بم ؟ قال : بحسن اليقين وطول التهجد وظماً الهواجر ، قال : فما هذه الرائحة الطيبة التي توجد من قبرك ، قال تلك رائحة التلاوة والظماً ، قال له أوصني ، قال : اكسب لنفسك خيراً لا تخرج عنك الليالي والأيام عطلاً فإني رأيت الأبرار نالوا البرّ بالبر .

وكان يصلي في اليوم مائة ركعة^(١) . أخفوا لله القيام فجعلهم الله سادة ونشر الله عملهم حتى تم التراب عنه .
قيام أيوب السخيتاني :

سيد الفتيان ، وفقى العباد والرهبان ، السخيتاني أيوب بن كيسان كان « سيد الفقهاء » كما يقول شعبة و« سيد الفتيان » كما يقول الحسن .
كان يقوم الليل كله فيخفي ذلك ، فإذا كان عند الصبح رفع صوته كأنه قام تلك الساعة^(٢) .

ولكن كيف يخفي الليل بدرًا ساطعًا ؟ رحمك الله يا سخيتاني .
قال ابنه : كان يجهر بالقرآن من الليل وكان يقوم بالسحر الأعلى .
لسان حالك يا أيوب يقول :

أسائل عمن لا أريد وإنما أريدكم من بينهم بسؤال
فيعثر ما بين الكلام ورجعه لساني بكم حتى ينم بحالي
وأطوى على ما تعلمون جوانحي وأظهر للعذال أني سالي

(١) مختصر قيام الليل للسمرقندي ص ٢٩

(٢) حلية الأولياء ج ٣ ص ٨

قيام سليمان بن طرخان :

قال عنه الذهبي (شيخ الإسلام) كان رحمه الله يقول : « إن العين إذا عودتها النوم اعتادت ، وإذا عودتها السهر اعتادت » .

وكان سليمان التيمي رحمه الله يقول لأهله : هلموا حتى نجزي الليل فإن شتم كفيتمكم أوله ، وإن شتم كفيتمكم آخره . وكان عنده زوجتان فكانوا يقتسمون الليل أثلاثاً وكان الناس يتعجبون من صبره على الصلاة ، وكان يقوم الليل كله إلا أوله ، وربما قام بالآية كلها حتى الصباح .

يقول عنه معمر مؤذنه : « صلى إلى جنبى سليمان التيمي بعد العشاء الآخرة ، وسمعتة يقرأ ﴿ تبارك الذى بيده الملك ﴾ قال : فلما أتى على هذه الآية : ﴿ فلما رأوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا ﴾^(١) . جعل يرددتها حتى خف أهل المسجد فانصرفوا ، قال : فخرجت وتركته ، قال : وعدوت لأذان الفجر فنظرت فإذا هوفى مقام ، قال : فسمعت فإذا هو فيها لم يجرها وهو يقول : ﴿ فلما رأوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا ﴾^(١)

ولما مات قالت جارية من جيرانه لأمها : يا أماه ما فعل المشجب^(٢) الذى كان فوق السطح تظن أن سليمان كان المشجب^(٢)
عبد الله بن عون :

كان رحمه الله يقول : أحب لكم يا معشر إخوانى ثلاثة : هذا القرآن تتلونه آناء الليل والنهار ، ولزوم الجماعة ، والكف عن أعراض المسلمين^(٣)
المنذر بن مالك أبو نضرة (مغيض الدموع والعبرة) :

كان رحمه الله يقول : يستحب إذا قرأ الرجل هذه الآية ﴿ أفأمن أهل

(١) حلية الأولياء ج ٣ ص ٢٩

(٢) مختصر قيام الليل ص ٢٨ ، والمشجب : عيدان تضم رؤوسها ويفرج بين قوائمها وتوضع عليها الثياب وقد تعلق عليها الأسقية لتبريد الماء « مجمع البحار »

(٣) حلية الأولياء ج ٣ ص ٤١

القرى أن يأتهم بأسنا يياتاً وهم نائمون ﴿ أن يرفع بها صوته .
 • وكان يقول : من قرأ في ليلة مائة آية إلى ألف آية أصبح وله قنطار من
 الثواب والقنطار ملء مسك ثور ذهباً^(١) .

قيام حسان بن أبي سنان :

• قالت امرأة حسان بن أبي سنان عنه : كان يجيء فيدخل في فراشي ، ثم
 يخادعني كما تخادع المرأة صبيها ، فإذا علم أني نمت سل نفسه فخرج ، ثم يقوم
 فيصلي ، قالت : فقلت له يا أبا عبد الله كم تعذب نفسك ؟ ارفق بنفسك !
 فقال : اسكتي ويحك فيوشك أن أرقد رقدة لا أقوم منها زماناً^(٢) .
 وقيل له في مرضه ما تشتهي ؟ قال : ليلة بعيدة ما بين الطرفين أحبي ما بين
 طرفيها لسان حاله يقول :-

جری حبه مجرى دمی فی مفاصلی فأصبح لی عن شغل به شغل
 كأن سهاد الليل يعشق مهجتي فبينها فی کل هجر لنا وصل^(٣)

قيام أبي همام شميظ بن عجلان :

الدامق الوهان .. الواعظ الوهان .

• ان يصف المتقين فيقول :-

« أتاهم من الله أمر وقدهم عن الباطل ، فأسهروا العيون وأجاعوا البطون ،
 وأظمأوا الأكباد ، وأنصبوا الأبدان ، واهتضموا الطارف والتالد ، باتوا على
 تصون ، أتاهم وعيد الله فناموا على خوف^(٤) »

• وكان يصف أبناء الدنيا فيقول : دائم البطنة ، قليل الفطنة ، إنما هم بطنه

(١) حلية الأولياء ج ٣ ص ٩٧

(٢) حلية الأولياء ج ٣ ص ١١٧

(٣) اللطف- في الوعظ ص ١٤

(٤) حلية الأولياء ١٢٦/٣

وفرجه وجلده يقول : متى أصبح فأكل وأشرب ، وأهوى ، وألعب ، ومتى أمسى فأنام ، جيفة بالليل بطل بالنهار . ويحك ألهذا خلفت ، أم بهذا أمرت ، أم بهذا تطلب الجنة وتهرب من النار .

وكان يقول : اللهم اجعل أحب ساعات الدنيا إلينا ساعات ذكرك وعبادتك ، واجعل أبغض ساعاتها إلينا ساعات أكلنا وشربنا ونومنا . وكان يقول : إن الله عز وجل جعل قوة المؤمن في قلبه ولم يجعلها في أعضائه ، أن الشيخ يكون ضعيفاً يصوم الهواجر ويقوم الليل والشاب يعجز عن ذلك ^(١) .

قيام محمد بن المنكدر : « سيد القراء » :

كان محمد بن المنكدر ربما يقوم من الليل فيصلى ويقول : « كم من عين الآن ساهرة في رزىء وكان له جار مبتلى فكان يرفع صوته من الليل يصيح ، وكان محمد يرفع صوته بالحمد فليل له في ذلك فقال : يرفع صوته بالبلاء وأرفع صوتي بالنعمة » ^(٢) .

قيام صفوان بن سليم :

● قال عنه مالك بن أنس : « كان صفوان يصلى في الشتاء في السطح ، وفي الصيف في بطن البيت ، يتيقظ بالحر والبرد حتى يصبح ، ثم يقول : هذا الجهد من صفوان وأنت أعلم ، وإنه لترم رجلاه حتى تعود مثل السفت من قيام الليل ويظهر فيها عروق خضر ^(٣) وكان يصلى في قبص لثلاثينام . رحمه الله لو قيل له غداً القيامة ، ما كان عنده مزيد على ما هو عليه من العبادة ، وتعدت

(١) حلية الأولياء ٣/١٣٠

(٢) حلية الأولياء ٣/١٤٧

(٣) حلية الأولياء ٣/١٥٩

ساقاه من طول القيام^(١) .

أبو حازم رحمه الله :

● كان رحمه الله يقول : لقد أدركنا أقواماً كانوا في العبادة على حد لا يقبل الزيادة^(٢) وكان يقول : كنت ترى حامل القرآن في خمسين رجلاً فتعرفه قد مصعه^(٣) القرآن وأدركت القراء الذين هم القراء ، أما اليوم فليسوا بقراء ، ولكنهم خراء .

قيام أبي حمزة محمد بن كعب القرظي :

كانت أمه تقول له : يا بني لولا أني أعرفك صغيراً طيباً وكبيراً طيباً لظننت أنك أحدثت ذنباً موبقاً لما أراك تصنع بنفسك في الليل والنهار .

قال يا أماه : « وما يؤمنني أن يكون الله قد اطلع عليّ وأنا في بعض ذنوبي ففتني فقال أذهب لا أغفر لك ، مع أن عجائب القرآن تورده عليّ أموراً حتى إنه لينقضي الليل ولم أفرغ من حاجتي .

● وكان رحمه الله يقول : « لأن أقرأ في ليلة حتى أصبح ﴿ إذا زلزلت الأرض زلزالها ﴾ والقارعة ، لا أزيد عليها وأتردد فيها وأفكر ، أحب إليّ من أهدر القرآن هدراً أو أنثره نثراً^(٤) .

قيام عمرو بن دينار : أبو محمد المتعبّد المهجد :

قسّم عمرو بن دينار الليل ثلاثاً : ثلاثاً ينام ، وثلاثاً يتحدث ، وثلاثاً يصلي^(٥)

(١) ، (٢) تنبيه المغتربين ص ١١٦ .

(٢) يريد به هنا الهزال

(٣) حلية الأولياء ٢١٤/٣ ، ٢١٥

(٤) حلية الأولياء ٣٤٨/٣

قيام يزيد بن أبان الرقاشي

كان رحمه الله يقول : إذا أنا نمت فاستيقظت ثم عدت في النوم فلا أنام الله عيني^(١) .
● وقال رحمه الله : « بطول التهجد تفرعون العابدین ، وبطول الظمأ تفرح قلوبهم عند لقاء الله »^(٢) .

قيام عمر بن المنكدر :

قالت له أمه : إني لأشتهي أن أراك نائماً ، فقال : يا أمه ، والله إن الليل ليرد عليّ فيبولني فينقضني عنى وما قضيت منه أربى^(٣) .

لسان حاله يقول : « ذُقِ الهوى وإن استطعت الملام لِمُ » .

قيام منصور بن زاذان : زين القراء والفتيان ، الميسر له تلاوة القرآن :

كان يصلى الليل كله . وقالت أم ولده : كان يقوم هذا الليل فلا يضع جنبه ، وما كان يأتيه إلا كما يأتي العصفور ، ثم يغتسل ثم يعود إلى صلاة فلا ينام هذا الليل^(٤) .

● وكان رحمه الله لا يبیت كل ليلة حتى تبل عمامته بدموعه ، ثم يضعها كما قال عنه الحسن^(٥) .

● وقالوا عنه : أنه كان يختم القرآن في كل يوم وليلة^(٦) .

قيام زين العابدين على بن الحسين : السجّاد ذى الثفتات

كانت لركبتيه ثفتات كثفتات البعير من كثرة صلواته ، وكان يقطعها في العام

(١) مختصر قيام الليل ص ١٩

(٢) مختصر قيام الليل ص ٢٨

(٣) مختصر قيام الليل ص ١٩

(٤) مختصر قيام الليل ص ٢٨

(٥) الزهد ص ٢٢٤

(٦) الخلية ٥٨/٣

مرتين وكان إذا فرغ من وضوئه للصلاة وصار بين وضوئه وصلاته اخذته رعدة ونفضة .

● فقيل له في ذلك : فقال : ويحكم أتدرون إلى مَنْ أقوم؟ ومن أريد أن أناجى !

وكان يسمى زين العابدين لعبادته . قال مالك : « لقد بلغني أنه كان يصلى في كل يوم وليلة ألف ركعة إلى أن مات »^(١) . وكان أناس من أهل المدينة يعيشون لا يدرون من أين كان معاشهم ؟ فلما مات علي بن الحسين فقدوا ما كانوا يؤتون به في الليل ، ولما مات وجدوا بظهرة آثاراً مما كان يحمل بالليل جرب الدقيق إلى المساكين^(٢)

رحمك الله يا زين العابدين يتهمونك بالبخل وأنت تخرى الصدقات وتحملها إلى البيوت ليلاً حتى تؤثر جرب الدقيق في ظهرك . قرنت التهجيد بالصدقات . يقول عنه الفرزدق :

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته والبيت يعرفه والحل والحرم
يكاد يمسكه عرفان راحته عند الخطيم إذا ما جاء يستلم
إذا رأته قريش قال قائلها إلى مكارم هذا ينتهى الكرم
إن عد أهل التقى كانوا أئمتهم أو قيل من خير أهل الأرض : قيل هم
قيام طاووس بن كيسان :

- كان رحمه الله يفرش فراشه ثم يضطجع عليه يتقلى كما تتقلى الحبة في المقلاة ، ثم يثب فيدرجه ويستقبل القبلة حتى الصباح ويقول : طير ذكر جهنم نوم العابدين^(٣) .

● وكان يقول : ألا رجل يقوم بعشر آيات من الليل فيصبح وقد كتب له مائة

(١) تهذيب التهذيب ٣٠٦/٧

(٢) حلية الأولياء ١٣٧/٣

(٣) مختصر قيام الليل ص ٢٩

حسنة أو أكثر من ذلك (١) .

- وجلس الناس الأسد ليلة في طريق الحج فدقّ الناس بعضهم بعضاً ، فلما كان السحر ذهب عنهم ، فنزل الناس يميناً وشمالاً فألقوا أنفسهم فناموا ، وقام طاوس يصلي فقال رجل لطاوس : فإنك قد نصبت منذ الليل ، فقال طاوس : ومن ينام في السحر (٢) .
قيام عمرو بن عتبة بن فرقذ :

• كان رحمه الله يخرج على فرسه ليلاً فيقف على المقبور فيقول : يا أهل القبور لقد طويت الصحف ، لقد رفعت الأعمال [لا تستعجبون من سيئة ، ولا تستزيدون من حسنة] (٣) ، ثم يبكي ، ثم يصف بين قدميه حتى يصبح فيرجع فيشهد صلاة الصبح (٤) .

• وكان يقول لأبيه : يا أبت إنما أنا عبد أعمل في فكاك رقبتى فدعنى أعمل في فكاك رقبتى (٥) .

• وكان يخرج إلى العدو مع الناس فلا يتحارس الناس لكثرة صلاة عمرو ، ورأوه ليلة يصلي فسمعوا زئير الأسد فهربوا وهو قائم يصلي فلم ينصرف ، فقالوا له : أما خفت الأسد ؟ فقال : إني لأستحي من الله أن أخاف شيئاً سواه (٦) .

• لما مات عمرو دخل بعض أصحابه على أخته فقال : أخبرتنا عنه ، فقالت : قام ليلة فاستفتح (حم) فأنى على هذه الآية ﴿ وأنذرهم يوم الآزفة ﴾ فما جاوزها حتى أصبح (٧) .

(١) حلية الأولياء ٦/٤

(٢) الزهد لابن حنبل ص ٣٧٧

(٣) مختصر قيام الليل

(٤) الزهد ص ٣٥٣

(٥) حلية الأولياء ١٥٦/٤ ، ١٥٧

(٦) حلية الأولياء ١٥٦/٤ ، ١٥٧

(٧) صفة الصفوة ٧٢/٣

قيام محمد بن عمرو بن عتبة بن فرقد :

عن سلمة بن علقمة عن محمد بن عمرو أنه أراداه أبواه أن يزوجه فأنى ، فاستعانا عليه بعثمان بن عفان رضى الله عنه فقال له عثمان : ما لك لا تتزوج ؟ فقد تزوج النبي ﷺ وتزوج أبو بكر وتزوج عمر وتزوجت أنا ، فقال : ومن لى بمثل أعمالكم ، فقال عثمان : سبحان الله سبحان الله وأعرض بوجهه وستره بيده صنع الرجل الذى إذا رأى شيئاً كرهه - وصف صنع عثمان رضى الله عنه - فلما أكثروا عليه قال فإنى أتزوج ، فخطب ابنة جرير ، فقال : إنى لا أتزوج امرأة حتى أكلمها ، قالوا نعم ، قال أبو الحسن يعنى مثنى ، فجاءوا بابنة جرير ، فقال لها : إنه لا حاجة لى فى النساء ، وإن أبواى قد أبيا على إلا أن يزوجانى ، ولك عندهم من الطعام والكسوة ما تريدن ، قالت : قد رضيت ، قال : فلما أتوه بها قام يصلى من الليل ، وقامت تصلى خلفه حتى أصبح ، وأصبح صائماً ، وأصبحت صائمة ، قال قال عمرو : فإن كنت لأفتر فيمنعنى مكانها ، فقال له أبواه : إنا إنما زوّجناك نريد ولدك ، ولا نرى هذه تلد فطلقها ، فطلقها ثم خطب عليه امرأة أخرى فقال لا أتزوج امرأة حتى أكلمها فأتياه بها فقال لها مثل ما قال لابنة جرير ، ثم فترت فكان يوماً مضطجعاً يرى أنه نائم ، فقالت لها امرأة من أهلها : يا فلانة ما لك لا تلدين أعجزت ؟ قالت : أوتلد المرأة من غير بعل ؟ فلما سمع بذلك طلقها وتركه أبواه (١) .

قيام معضد أبى يزيد العجلي :

المتعبد المتهجّد ، الشاهد المتشهد ، أبو يزيد العجلي معضد قال رحمه الله : لولا ثلاث : ظمأ الهواجر ، وطول ليل الشتاء ، ولذاذة التهجد بكتاب الله عز وجل ما باليت أن أكون يعسوباً (٢) .

(١) الزهد لابن حنبل ص ٣٥٤ . خير الهدى هدى محمد ﷺ فللزوجه حق يعلم .

(٢) ذكر النحل

وكان يقول في سجوده : « اللهم أشفني من النوم باليسير » (١) .

قيام أبي إسماعيل مرة بن شراحيل : مُرّة الطيّب

المدمن للتعبد المواظب على التهجّد الذي سمى « بالطيّب » كما يقول - بحجى
ابن معين - لعبادته .

كانت مباركة كأنها مبارك الإبل وكنت ترى أثر السجود في جبهته وكفّيه
وركبته وقدميه (٢) .

قيام همّام بن الحارث النخعي : المتعبد القوام ، المتلذذ بالسهر ، للذكر همّام :
كان يصبح مترجلاً فقال بعض القوم : إنّ جمّة همّام لتخبركم أنه لم
يتوسدها الليل وكان رحمه الله صاحب صلاة .

وكان رحمه الله يدعو ويقول : « اللهم اشفني من النوم باليسير ، وارزقني
سهرأ في طاعتك » فكان لا ينام إلا هنيهة وهو قاعد (٣) .
قيام أبي مريم زر بن حبيش :

قال عاصم : أدركت أقواماً كانوا يتخذون هذا الليل جملاً منهم زرين
حبيش (٤) .

قيام أبي عبد الرحمن السلمى عبد الله بن حبيب :

● قال شمر : أخذ بيدي أبو عبد الرحمن السلمى ، فقال : كيف قوتك في
الصلاة ؟ فذكرت ما شاء الله أن أذكره ، قال أبو عبد الرحمن : كنت أنا
مثلك أصلى العشاء ثم أقوم أصلى ، فإذا أنا حين أصلى الفجر أنشط مني أول
ما بدأت (٥) .

(١) حلية الأولياء ١٥٩/٤

(٢) حلية الأولياء ١٦٢/٤

(٣) حلية الأولياء ١٧٨/٤

(٤) حلية الأولياء ١٨٤/٤

(٥) حلية الأولياء ١٩٢/٤ ، الزهد ٣٦٦

قيام عون بن عبد الله بن عتبة :

كان يقول في بكائه « ويحى ! أزعم أن خطيئتي قد أقرحت قلبي ، ولا يتجافى جنبي ، ولا تدمع عيني ولا تسهر ليلي ! ويحى . هل ينام على مثلها مثلي ، ويحى ! لقد خشيت أن لا يكون هذا الصدق مني !

• وعن عون بن عبد الله : إن الله ليدخل الجنة قوماً فيعطيهم حتى يملأوا ، وفوقهم ناس في الدرجات العلى ، فلما نظروا إليهم عرفوهم ، فيقولون : يا ربنا إخواننا كنا معهم ، فم فضلتهم علينا ؟ فيقول : هيات هيات ! إنهم كانوا يجوعون حين تشبعون ، وبظماؤن حين تروون ، ويقومون حين تنامون ، ويشخصون حين تحفضون^(١) .

قيام أبي عبد الله سعيد بن جبير : الفقيه البكاء :

• قال يحيى بن عبد الرحمن : سمعت سعيد بن جبير يردّد هذه الآية : ﴿ وامتازوا اليوم أيها المجرمون ﴾ حتى يصبح .
• وقرأ رحمه الله القرآن في ركعة في الكعبة .

• قال خصيف : رأيت سعيد بن جبير يصلي ركعتين خلف المقام قبل صلاة الصبح فصلبت إلى جنبه وسألته عن آية فلم يجبني ، فلما صلى الصبح قال : إذا طلع الفجر فلا تتكلم إلا بذكر الله حتى تصلي الصبح^(٢) .

• وكان له رحمه الله ديك يقوم إلى الصلاة إذا صاح ، فلم يصح ليلة من الليالي فأصبح سعيد ولم يصل ، قال : فشق ذلك عليه ، فقال له : ما له ؟ قطع الله صوته ، قال : فما سمع ذلك الديك يصبح بعدها ، فقالت له أمه : أي بني لا تدع على شيء بعدها .

(١) حلية الأولياء ٢٤٧/٤ ، ٢٥٥ ، مختصر قيام الليل ص ٢٤

(٢) صفة الصفوة ٧٨/٣ ، ٧٩

قيام أبي عبد الرحمن زيد بن الحارث الأيامي :

لو رأيت وجهه رحمه الله لعلمت أن وجهه قد أخلقه طول القيام وسهر الليل . هذا الرجل المبارك الذي قال عنه سعيد بن جبير وهو من هو : لو اخترت عبداً لله أكون في مسلاخه لاخترت زيد الأيامي .

وكان رحمه الله يقسم الليل بينه وبين أبنيه ثلاثاً ، ويبدأ فيقوم ثلثه ، فإذا وجد من أحدهما أو منها كسلاً قال : نم يا بني فأنا أقوم عنك فيقوم ليلته حتى يصبح (١)

قيام منصور بن المعتمر : حليف الصيام والقيام ، خفيف التطعم والمنام :

• يقول عنه أبو بكر بن عياش : رحم الله منصوراً كان صواماً قواماً .

كان رحمه الله يصلي في سطحه فلما مات قال غلام لأمه : يا أمه الجذع الذي كان في سطح آل فلان ليس أراه [يعني آل منصور] .

قالت : يا بني ليس ذلك جذعاً ، ذاك منصور قد مات . وفي رواية : أنه قدم على ربه عز وجل .

• وكانت أمه تقول له : إن لعينيك عليك حقاً ، ولجسمك عليك حقاً ، فكان يقول لها : دعى عنك منصور فإن بين النفختين نوماً طويلاً .

فإذا كان الصبح كحل عينيه ، ودهن رأسه ، وفرق شفثيه وخرج للناس (٢) .

• وكان رحمه الله يصلي العتمة ثم يحول نعليه عن مقامه فيفتح الصلاة فيجىء القوم غدوة فإذا هو في مكانه (٣) .

(١) حلية الأولياء ٣٢/٥

(٢) حلية الأولياء ٤٠/٥ ، ٤١

(٣) مختصر قيام الليل ٢٨

• كانت جارة لمنصور بن المعتمر لها ابتتان لا تصعدان السطح إلا بعدما ينام الناس ، فقالت إحداهما ذات ليلة : يا أمّاه ، ما فعلت القائمة التي كنت أراها في سطح بني فلان ؟ فقالت : يا بنية لم تكن تلك قائمة ، إنما كان منصور يجي الليل كله في ركعة لا يسجد فيها ولا يركع .

• قال أبو الأحوص : إن منصور بن المعتمر كان إذا جاء الليل أترز وارتدى إن كان صيفاً ، وإن كان شتاء التحف فوق ثيابه ثم قام إلى محرابه كأنه خشبة منصوبة حتى يصبح .

• وقال زائدة بن قدامة : كان منصور بن المعتمر ، إذا رأته قلت : رجل قد أصيب بمصيبة منكر الطرف ، منخفض الصوت ، رطب العينين إن حركته جاءت عيناه بأربع^(١) ، ولقد قالت له أمه يوماً : ما هذا الذي تصنع بنفسك ؟ تبكي عامّة الليل لا تكاد تسكت . لعلك يا بني أصبت نفساً لعلك قتلت قتيلاً . قال : فيقول : يا أمّاه أنا أعلم ما صنعت بنفسى .

• وقال سفيان : كان يقولون في ذلك الزمان : إن أطول أهل الكوفة تهجداً طلحة وزبيد وعبد الجبار بن وائل . قال الحميدى : فقلت : فمنصور ؟ قال : نعم إنما كان الليل عنده مطية من المطايا متى شئت أصبته قد ارتحله ، وقال الثوري : لو رأيت منصوراً يصلّي نُقلت يموت الساعة .

• وقال تميم بن مالك : كان منصور إذا صلّى الغداة أظهر النشاط لأصحابه فيحدثهم ويكثر إليهم ، ولعله إنما بات قائماً على أطرافه ، كل ذلك ليخفي عليهم العمل .

• وقال سفيان : إن منصوراً صام ستين سنة . يقوم ليلاً ويصوم نهارها .

• قال عطاء بن جبلة : سألت أم منصور بن المعتمر عن عمله ، فقالت : كان

(١) أي لكثرة دموعه تفيض عيناه كأنها أربع عيون

ثلث الليل يقرأ ، وثلثه يبكي ، وثلثه يدعو^(١) .

قيام أبي حيان بن سعيد التيمي :

قال عبد الله بن إدريس : ما رأيت الليل على أحد من الناس أخف منه على أبي حيان التيمي ، صحبناه مرة إلى مكة ، فكان إذا أظلم الليل فكأنه مثل هذه الزنابير إذا هيجت من عشاها^(٢) .

قيام الواعظ البر : أبي ذر عمر بن ذر :

كان رحمه الله إذا نظر إلى الليل قد أقبل قال : جاء الليل ، لليل مهابة ، والله أحق أن يهاب^(٣) .

وانظر إليه رحمه الله كيف يستمطر الدمع حين يقول له ابنه ذر : ما بال المتكلمين يتكلمون فلا يبكي أحداً فإذا تكلمت يا أبت سمعت البكاء من ها هنا وها هنا ؟

قال : يا بني ليست النائحة المستأجرة كالنايحة الثكلي .

● مكحول :

كان مكحول إمام أهل الشام يقول : « من أحيأ ليلة في ذكر الله أصبح كيوم ولدته أمه^(٤) .

● عبد الرحمن بن أبي نعم :

كما يقول الشعبي كان يواصل حتى يعود أصحابه ، وبلغ ذلك الحجاج فحبسه خمسة عشر يوماً في بيت ، ثم فتح عنه فوجده قائماً يصلي فقال اذهب فأنت راهب العرب^(٥) .

(١) صفة الصفوة ١١٣/٣ - ١١٥ .

(٢) صفة الصفوة ١١٩/٣ .

(٣) مختصر قيام الليل ١١١/٥ .

(٤) حلية الأولياء ١٨٠/٥ .

(٥) مختصر قيام الليل ص ٢٧ .

قيام الليل عند عطاء بن ميسرة « أبو عثمان » الخراساني :

• قال عبد الرحمن بن يزيد بن جابر : « كنا في غزاة وكان عطاء الخراساني يجي الليل صلاة ، فإذا مضى من الليل ثلثه أو نصفه أقبل علينا ونحن في فسطاطنا فنأدى : قوموا فتوضؤوا ، وصلوا صيام هذا النهار بقيام هذا الليل فهو أيسر من مقطعات الحديد وشراب الصديد ، الوحاء ^(١) الوحاء ثم النجاء النجاء ثم يقبل على صلاته .

• وكان رحمه الله يجي الليل من أوله إلى آخره إلا نومه السحر .

• وقال رحمه الله : « كان يقال : قيام الليل محياة البدن ، ونور في القلب ، وضياء في البصر وقوة في الجوارح ، وإن الرجل إذا قام من الليل متهجداً أصبح فرحاً يبعد لذلك فرحاً في قلبه ، وإذا غلبته عيناه فنام عن حزيه أصبح حزيناً منكسر القلب كأنه قد فقد شيئاً ، وقد فقد أعظم الأمور له نفعاً ^(٢) .

قيام بلال بن سعد :

قال رحمه الله : « أدركتهم يشتدون بين الأغراض يضحك بعضهم إلى بعض فإذا كان الليل كانوا رهباناً ^(٣) . وكان رحمه الله يقوم الليل فإذا نعس في الشتاء ألقى بنفسه في الماء البارد ولما عاتبوه قال : إن ماء البركة أهون من عذاب جهنم ^(٤) .

قيام عمر بن عبد العزيز رحمه الله :

ذى الشجن والأزير ، نجيب بنى أمية .

(١) أى السرعة انظر الزهد لابن حنبل ص ٣٨٢ ، مختصر قيام الليل ص ١٩ ، حلية الأولياء ١٩٣/٥

(٢) مختصر قيام الليل ص ٢٧

(٣) حلية الأولياء ٢٢٤/٥ ، مختصر قيام الليل ص ١٩

(٤) البداية والنهاية ٣٤٨/٩

● قالت زوجته فاطمة بنت عبد الملك للمغيرة بن حكيم : « يا مغيرة إني أعلم أنه قد يكون من الناس من هو أكثر صلاة وصوماً من عمر ، فإما أن أكون رأيت رجلاً أشد فرقا من ربه عز وجل من عمر فإني لم أره ، كان إذا صلى العشاء الآخرة ألقى نفسه في مسجده فيدعو ويبكى حتى تغلبه عينه ثم يتبته فيدعو ويبكى حتى تغلبه عينه فهو كذلك حتى يصبح ^(١) .

● وكانت له - رحمه الله - درّاعة من شعر ، وغل ، وكان له بيت في جوف بيت يصلى فيه لا يدخل فيه أحد ، فإذا كان في آخر الليل فتح ذلك السقف ولبس تلك الدرّاعة ، ووضع الغل في عنقه ، فلا يزال يناجى ربه ويبكى حتى يطلع الفجر ^(٢) .

● وكان رحمه الله يتمثل بهذه الايات :

أيقظان أنت اليوم أم أنت نائمٌ وكيف يطيق النوم حيران هائمٌ
فلو كنت يقظان الغداة لحرّقت محاجر عينيك الدموع السّواجمُ
بل أصبحت في النوم الطويل وقد دنت إليك أمور مفضّعات عظامم
نهارك يا مغرور سهو وغفلة وليلك نوم ، والردي لك لازم
يغرّك ما يبلى ، وتشغل بالهوى كما عزّ باللذات في النوم حالم
وتشغل فيما سوف تكره غبه كذلك في الدنيا تعيش البهائم ^(٣)

رحمك الله يا أبا عبد الملك .. يا حليف السهر .. والله ما أبعد جرير حين نعاك فقال في عجز بيت له : « تبكى عليك نجوم الليل والقمر » ^(٤) .

● عن عطاء قال : دخلت على فاطمة بنت عبد الملك بعد وفاة عمر بن عبد العزيز فقلت لها : يا بنت عبد الملك أخبريني عن أمير المؤمنين ، قالت : أ فعل ،

(١) الزهد لابن حنبل ص ٢٩٩ ، الحلية ٥/٢٦٠

(٢) حلية الأولياء ٥/٢٩١

(٣) حلية الأولياء ٥/٣١٩ ، ٣٢٠

(٤) الحلية ٣٢٠/٣٢١

ولو كان حياً ما فعلت ، إن عمر رحمه الله كان قد فرغ نفسه وبدنه للناس ، كان يقعد لهم يومه ، فإن أمسى عليه بقية من حوائج الناس يومه وصله بليلته إلى أن أمسى مساء وقد فرغ من حوائج يومه ، فدعا بسراجة الذي كان يسرج له من ماله ، ثم قام فصلى ركعتين ثم أقعى^(١) ، واضعاً رأسه بين يديه ، تسيل دموعه على خده ، يشهق الشهقة ، وأقول : قد خرجت روحه أو انصدعت كبده فلم يزل ليلته حتى برق له الصبح ثم أصبح صائماً^(٢)

● بكت فاطمة زوج عمر بن عبد العزيز - حتى عشى بصرها ، فدخل عليها أخواها مسلمة وهشام ابنا عبد الملك فقالا : ما هذا الأمر الذى قدمت عليه ؟ أجزحك على بعلك ؟ فأحق من جزع على مثله ، أم على شيء فاتك من الدنيا ؟ فها نحن بين يديك ، وأموالنا وأهلونا فقالت : ما من كل جزعت ، ولا على واحدة منها أسفت ، ولكنى والله رأيت منه ليلة منظراً فعلمت أن الذى أخرجه إلى ذلك ، الذى رأيت من هول عظيم ، قد أسكن قلبه معرفته . قالوا : وما رأيت منه ؟ قالت : رأيت ذات ليلة قائماً يصلى ، فأتى على هذه الآية ﴿ يوم يكون الناس كالفرش المبثوث ، وتكون الجبال كالعهن المنفوش ﴾ ، فصاح ، « واسوء صباحاه » ثم وثب فسقط فجعل يخور منى فظننت أن نفسه ستخرج ، ثم إنه هدا ، فظننت أنه قد قضى ، ثم أفاق إفاقة فنادى : « يا سوء صباحاه » ثم وثب فجعل يحول فى الدار ويقول : « ويلي من يوم يكون الناس فيه كالفرش المبثوث ، وتكون الجبال كالعهن المنفوش » ، قالت : فلم يزل كذلك حتى طلع الفجر ، ثم سقط كأنه ميت حتى أتاه الأذان للصلاة ، فوالله ما ذكرت ليلته تلك إلا غلبتني عيناي فلم أملك رد عبرتي^(٣)

(١) أقعى أى تساند إلى ما وراءه

(٢) سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز لابن الجوزى ص ٢٢٣ تحقيق نعيم رزور - دار الكتب العلمية بيروت

(٣) سيرة ومناقب عمر بن العزيز لابن الجوزى ص ٢٢٣ ، ٢٢٤

• قرأ رحمه الله ليلة في صلاته سورة ﴿والليل إذا يغشى﴾ فلما بلغ قوله : ﴿فأنذرتكم نارا تلتظي﴾ بكى فلم يستطع أن يجاوزها مرتين أو ثلاثاً ، ثم قرأ سورة أخرى غيرها (١) .

• وكان رحمه الله يقول :

إنما الناس ظاعن ومقيم فالذى بان للمقيم عظة
ومن الناس من يعيش شقياً جيفة الليل غافل اليقظة
فإذا كان ذا حياء ودين راقب الموت واتقى الحفظة (٢)

ولقد راقبت الموت سيدى فأسهرت ليلك يا أشج بنى أمية ويا حفيد فاروق الإسلام . وكفتك خصالك الطيبة وأريحها الفواح النوراني المخبر :

• لما مات رحمه الله كان استودع مولى له سفظاً يكون عنده فجاءوه فقالوا : السفظ الذى كان استودعك عمر . فقال : ما لكم فيه خير ، فأبوا حتى رفعوا ذلك إلى يزيد بن عبد الملك فدعا بالسفظ ودعا بنى أمية وقال : حبركم هذا قد وجدنا له سفظاً ووديعة قد استودعها . فدعا به فجأوا به ففتحوه ، فإذا فيه مقطعات كان يلبسها بالليل (٣) .

تلك المكارم لاقعبان من لبن شيبت بماء فعادت بعد أبوألا

قيام أبى عثمان النهدى :

يصفه ابن كثير فيقول : كان صواماً قواماً يسرد الصوم ، ويقوم الليل لا يتركه ، وكان يصلى حتى يغشى عليه (٤) .

(١) التخويف من النار لابن رجب ص ٧٩

(٢) الحلية ٣٨٣/٥

(٣) سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز

(٤) ابن كثير البداية والنهاية ج ٩ ص ١٩٠ وانظر الزهاد الأوائل للدكتور محمد مصطفى حلمي ص

قيام عبد الله بن محيريز :

قال عنه الأوزاعي : « من كان مقتدياً فليقتد بمثله ، فإن الله لا يضل أمة فيها مثله »^(١) .

• وكان يفرش له الفراش فلا ينام عليه .

واشتهر بعبادته بين أهل الشام حتى وصفه أحدهم بأنه « إن يفخر علينا أهل المدينة بعبادتهم ابن عمر ، فإننا نفخر عليهم بعبادتنا عبد الله بن محيريز »^(٢) .

أبو اسحاق كعب الأحبار : صاحب الكتب والأسفار :

قال رحمه الله : « من تعبد لله ليلة حيث لا يراه أحد يعرفه خرج من ذنوبه كما يخرج من ليلته »^(٣) .

قيام عتبة الغلام .

كان رحمه الله إذا توضعاً من الليل قبل أن يتتصب للصلاة قال : « اللهم إني قد حملت نفسي ما لا أطيق من المعاصي والقبائح حتى استحقيت الحسف والمسخ ودخول النار ، وها أنا أريد أن أقف بين يديك خلف كل عارض على وجه الأرض رجاء أن تغفر لأحد منهم فيصيبني شيء من المغفرة »^(٤) .

• وجعل - رحمه الله - الله على نفسه ألا ينام من الليل من الليل والنهار إلا أقل من نبيه ، فقال له بعض أصحابه : لا تتم يا عتبة بالليل ونم بالنهار في الساعات اللاتي لا تحل فيها الصلاة فهذا أقل من نهبك ووفاء لنذك . فقال : أنا إذا أريد أن أطلب الحيل فيما بيني وبين ربي ، لا أنام ليلاً أو نهاراً إلا وأنا مغلوب ، فكنت إذا رأيته رأيته شبه الواله ، وما ظنك برجل لا ينام إلا مغلوباً^(٥) .

(١) الزهاد الأوائل ص ١٢٥ .

(٢) البداية والنهاية ج ٩ ص ١٨٥ ، الزهاد الأوائل ص ١٢٦ ، ١٢٧ .

(٣) الحلية ٣٨٣/٥

(٤) تنبيه المغترين

(٥) حلية الأولياء ٢٣٢/٦

● وكانت أمه تقول له : لو رفقت بنفسك يا ولدى ؟ فيقول لها : دعيني يا أماه أتعب في عمر قصير ليوم طويل^(١) .

● وكان رحمه الله يقطع الليل بثلاث صيحات : ولما سألوا جعفر الصادق عن ذلك ، قال : « لا تنظروا إلى صباحه وانظروا إلى ما صاح منه » أو « لا تنظر إلى صيحته ولكن انظر إلى الأمر الذي كان منه بين الصيحتين »^(٢) .

● وكان يستقبل القبلة فلا يزال في فكر وبكاء حتى يصبح .

● قال رياح القيسي : بات عندي عتبة الغلام فسمعتة يقول في سجوده : اللهم احشر عتبة بين حواصل الطير وبطون السباع .

رحمك الله يا عتبة فلأنت من رهبان الليل وفرسان النهار ولقد أكرمك الله بصدقك وتهجدك فنت ما تمنى .. نلت الشهادة .

رحمك الله يا عتبة لكأنما ربك الأنبياء كما يقول مخلد بن الحسين .

قيام المغيرة بن حكيم الصنعاني .

كان المغيرة بن حكيم الصنعاني يحج من اليمن ماشياً ، وكان له ورد بالليل يقرأ فيه كل ليلة ثلث القرآن فيقف فيصلي حتى يفرغ من ورده ثم يلحق بالركب متى لحق فربما لم يلحقهم إلا في آخر النهار .

سلام الله على تلك الأرواح رحمة الله على تلك الأشباح ما مثلنا ومثلهم إلا

كما قال القائل

نزلوا بمكة في قبائل هاشم ونزلت بالبيداء أبعد منزل^(٣)
قيام خليفة العبدى رحمه الله :

كان رحمه الله يقوم إذا هدأت العيون فيقول : اللهم إليك قمت أبتغي

(١) تنبيه المغترين ص ١١٥

(٢) الحلية ٢٣٤/٥ ، تنبيه المغترين ص ١١٦

(٣) لطائف المعارف

ما عندك من الخيرات ، ثم يعمد إلى محرابه فلا يزال يصلى حتى يطلع الفجر ، وكان يدعو في سجوده فيقول :

« اللهم هب لي إجابة إجابات ، وإخبات منيب ، وزيتني في خلقك بطاعتك ، وحسني لديك بخدمتك ، وأكرمني إذا وفد إليك المتقون ، فأنت خير مقصود وخير معبود وخير محمود وخير مشكور^(١)»

قيام عبد العزيز بن سلمان رحمه الله :

كانت رابعة رحمها الله تسميه « سيد العابدين » .

وقيل له ما بقي مما تلد به ؟ قال : سرداب أخلو به فيه^(٢) .

● وكان رحمه الله يقول : ما للعابدين وما للنوم !! لا نوم والله في دار الدنيا إلا نوم غالب .

● يقول عنه ابنه محمد : كان أبي إذا قام من الليل ليتهد سمعت في الدار جلبة شديدة ، واستقاء للماء الكثير ، قال : فنرى أن الجن كانوا يستيقظون للتهد فيصلون معه^(٣) .

قيام هشام الدستوائي :

● كان شعبة يقول عنه : ما أقول لكم إن أحداً طلب الحديث يريد وجه الله تعالى إلا هشام الدستوائي .

● كان رحمه الله يقول « إن لله عبداً يدفعون النوم مخافة أن يموتوا في منامهم »^(٤) .

● وكان رحمه الله لا يطفى سراجَه بالليل فقالت له امرأته : « إن هذا السراج

(١) حلية الأولياء ٣٠٣/٦ ، ٣٠٤ ،

(٢) حلية الأولياء ٢٤٥/٦

(٣) حلية الأولياء ٢٤٥/٦

(٤) مختصر قيام الليل ص ٢٩

يضرّ بنا إلى الصباح فقال : وبحك إنك إذا أطفيتيه ذكرت ظلمة القبر فلم أتقار»^(١) .

قيام عبد الواحد بن زيد : « المتفلت من القيد ، المتصيّد للصيد » :

• كان رحمه الله يقول لأهله : يا أهل الدار انتبهوا فما هذه دار نوم عن قريب يأكلكم الدود^(٢) .

• وقال عنه حصين بن القاسم : لو قسم بث عبد الواحد بن زيد على أهل البصرة لوسعهم ، فإذا أقبل سواد الليل نظرت إليه كأنه فرس رهان مضمر ثم يقوم إلى محرابه فكأنه رجل مخاطب .

• وكان رحمه الله كثيراً ما يردد :

ينام من شاء على غفلة والنوم كالموت فلا تتكل
تنقطع الأعمال فيه كما تنقطع الدنيا عن المنتقل
• وكان رحمه الله يبكي ويقول :

فرّق النوم بين المصلين وبين لذّتهم في الصلاة^(٣) .

وكان رحمه الله يقول : « وعزتك لا أعلم لمحبّتك فرحاً دون لقائك ، والاشتفاء من النظر إلى جلال وجهك في دار كرامتك ، فيا من أحلّ الصادقين دار الكرامة ، وأورث البطالين منازل الندامة ، اجعلني ومن حضرني من أفضل أوليائك زلفاً ، وأعظمهم منزلة وقرية ، تفضلاً منك علىّ وعلى إخواني يوم تجزي الصادقين بصدقهم جنات قطوفها دانية متدلية عليهم ثمرها »^(٣) .

قيام الأوزاعي : شيخ الإسلام أبي عمرو :

رحمك الله أبا عمرو يا من تعجز الملوك أن تؤدب أولادها أدبك في نفسك .

(١) مختصر قيام الليل ص ٢٧

(٢) تنبيه المغترين ص ٣٥

(٣) حلية الأولياء ١٥٥/٦

قال أبو مسهر : « كان الأوزاعي يحبي الليل صلاة وقرآنًا وبكاء »^(١)
وروى عنه رحمه الله أنه حجّ فما نام على الراحلة ، إنما هو في صلاة ، فإذا
نعس استند إلى القتب^(٢) .

ودخلت امرأة كانت لها صلة بزواج الأوزاعي فنظرت فوجدت بللاً في
مسجده في موضع سجوده فقالت لها : ثكلتك أمك أراك غفلت عن بعض
الصبيان حتى بال في مسجد الشيخ فقالت لها : ويحك هذا يُصبح كل ليلة من أثر
دموع الشيخ في سجوده^(٣) .

● وكان رحمه الله يقول : من أطال القيام في صلاة الليل هون الله عليه طول
القيام يوم القيامة - أخذ ذلك من قوله تعالى - ﴿ ومن الليل فاسجد له وسبحه
ليلاً طويلاً ﴾ ﴿ إن هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم يوماً ثقيلاً ﴾^(٤)
قيام زياد بن عبد الله الهيرى :

قال زياد رحمه الله : أتاني آت في منامي فقال : قم يا زياد إلى عبادتك
من التهجّد ، وحظك من قيام الليل ، فهو والله خير لك من نومة توهن بدنك ،
وينكسر لها قلبك ، قال فاستيقظت مرعوباً ، ثم عادني والله النوم فأتاني ذلك -
أو غيره - فقال : « قم يا زياد فلا خير في الدنيا إلا للعابدين » فوثبت فرعاً^(٥) .

كهمس الدعاء :

كان يقوم بالليل ويكثر من القيام ، فإذا مل قال لنفسه : قومي يا مأوى كل
سوء فوالله ما رضيتك لله ساعة قط^(٦) .

(١) تذكرة الحفاظ للذهبي ١٧٩/١ طبعة دار الفكر العربي

(٢) البداية والنهاية ١١٧/١٠

(٣) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٢١٨/١ ، البداية والنهاية ١١٧/١٠

(٤) البداية والنهاية ١١٧/١٠

(٥) الحلبة

(٦) الحلبة

رحمه الله يصلى ثم يستغفر من تقصيره فيها كما يستغفر المذنب من ذنبه .. إذا كان هذا حال المحسنين في عباداتهم فكيف حال المسيئين مثلنا في عباداتهم ارحموا من حسناتهم كلها سيئات وطاعاته غفلات .

قيام الليل عند الإمام أبي حنيفة رحمه الله :

● قال أبو عاصم النبيل : كان أبو حنيفة يسمي الوند لكثرة صلاته .
● وقال سفيان بن عيينة : ما قدم مكة رجل في وقتنا أكثر صلاة من أبي حنيفة .

● وكان رحمه الله يحبي الليل ويكي حتى يرحمه جيرانه .

● وتواترت الأخبار عنه أنه كان يحبي الليل كله حتى قال مغسله بعد الفراغ من غسله : لقد أتعبت من بعدك وفضحت القراء .

● وجاء رجل من أهل الكوفة فوقع في أبي حنيفة فقال له ابن المبارك : وبحك أنقع في رجل صلي خمساً وأربعين سنة خمس صلوات على وضوء واحد؟ وكان يجمع القرآن في ركعتين في ليلة ، وتعلمت الفقه الذي من عندي من أبي حنيفة .

● وقال أبو يوسف : بينا أنا أمشي مع أبي حنيفة إذ سمع رجلاً يقول لرجل : هذا أبو حنيفة لا ينام الليل ، فقال أبو حنيفة : والله لا يتحدث عني بما لا أفعل فكان يحبي الليل صلاة ودعاء وتضرعاً .

● وعن ابن الجويرية قال : صحبت حماد بن أبي سليمان ، ومحارب بن دثار ، وعلقمة بن مرتد وعون بن عبد الله ، وصحبت أبا حنيفة فما كان في القوم رجل أحسن ليلاً من أبي حنيفة ، لقد صحبته أشهراً فما منها ليلة وضع فيها جنبه .

● وكان رحمه الله إذا أراد أن يصلى من الليل تزين حتى يسرح لحبته .

● وعن مسعر بن كدام قال : أتيت أبا حنيفة في مسجده فرأيت يصلي الغداة ثم يجلس للناس في العلم إلى أن يصلى الظهر ، ثم يجلس إلى العصر فإذا صلى العصر

جلس إلى المغرب ، فإذا صلى المغرب جلس إلى أن يصلي العشاء ، فقلت في نفسي : هذا الرجل في هذا الشغل متى يتفرغ للعبادة ؟ لأتعاهدنه الليلة قال فتعاهدته فلما هدأ الناس خرج إلى المسجد فانتصب للصلاة إلى أن طلع الفجر ثلاث ليال ، كما يقول مسعر ، حتى قال مسعر : لألزمه إلى أن يموت أو أموت .

● وقال مسعر : دخلت ذات ليلة المسجد فرأيت رجلاً يصلي فاستحليت قراءته فقرأ سبعمائة ، فقلت يركع ، ثم قرأ الثلث ، ثم قرأ النصف ، فلم يزل يقرأ القرآن حتى ختمه كله في ركعة فنظرت فإذا هو أبو حنيفة .

● وقال خارجة بن مصعب : ختم القرآن في الكعبة أربعة من الأئمة : عثمان بن عفان وتمام الداروي وسعيد بن جبير وأبو حنيفة .

● وظلّ ليلة يردد في قيامه بعد العشاء قوله تعالى : ﴿لَمَنَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ﴾ إلى الصبح .

● وقال القاسم بن معين : قال أبو حنيفة ليلة بهذه الآية : ﴿بَلِ السَّاعَةِ مَوْعِدُهُمْ ، وَالسَّاعَةَ أَدهى وَأَمْرٌ﴾ يرددها ويبكي ويتضرع .

● قال يزيد بن الكميث - وكان من خيار الناس - كان أبو حنيفة شديد الخوف من الله ، فقرأ بنا علي بن الحسين المؤذن ليلة في عشاء الآخرة ﴿إِذَا زُلْزِلَتْ﴾ ، وأبو حنيفة خلفه فظل أبو حنيفة قائماً إلى الصباح وهو يقول : يا من يجزى بمثقال ذرة خير خيراً ، ويا من يجزى بمثقال ذرة شر شراً ، أجر النعمان عبدك من النار ، وما يقرب منها من السوء ، وأدخله في سعة رحمتك^(١) .

قيام هارون الرشيد :

كان يغزو عاماً ويحج عاماً .

(١) تاريخ بغداد ج ٣ ص ١٥٣ ، ١٥٧

قال الشاعر :

فمن يطلب لقاءك أو يرده فبالحرمين أو أقصى الشفور
ففي أرض العدو على طمر وفي أرض الترفه فوق كور
وما جاز الثغور سواك خلق من المتخلفين على الأمور
● كان إذا حج أحج معه مائة من الفقهاء وأبنائهم ، وإذا لم يحج أحج ثلاثمائة
بالنفقة السابعة والكسوة التامة .

● قال الحافظ ابن كثير : « كان يصلى في كل يوم مائة ركعة تطوعاً إلى أن فارق
الدنيا إلا أن تعرض له علة » .

قال الفضيل : ليس موت أحد أعز علينا من موت الرشيد ، وإني لأدعو الله
أن يزيد في عمره من عمرى ، قالوا : فلما مات الرشيد وظهرت تلك الفتن
والحوادث والاختلافات ، وظهر القول بخلق القرآن عرفنا ما كان تخوفه الفضيل
من ذلك ^(١) .

هذا هو الخليفة المفترى عليه .. يغزو عاماً ومحج عاماً ويصلى مائة ركعة ..
هذا هو هارون الذى أكثر الرعاع فيه القول وجعلوه نديماً للكاس والطاس .

● قال منصور بن عمار : « ما رأيت أغزر دعماً عند الذكر من ثلاثة : فضيل
ابن عياض وأبو عبد الرحمن الزاهد وهارون الرشيد ^(٢) .

أقللوا عليه ومحكم لا أبالكم من اللوم أو سدوا المكان الذى سدنا
وإن تعجب فأعجب من سيرة الخليفة أبي جعفر المنصور الذى تكلموا عنه
بـخليفة أحاط نفسه بالحجاب وكان شديداً .. وفيها الظلم ببابه ، ولقد أوردنا
سيرته ليس كعلم من أعلام سلفنا وقدوة وإنما لنقول إن قيام السلف وعبادتهم
أثرت وامتد أثرها إلى أبي جعفر المنصور الذى فعل وفعل وفعل ، ولا عجب فقد

(١) البداية والنهاية ١٠/٢١٣ - ٢٢٣

(٢) تاريخ بغداد ٨/١٤

كان خليفة على مثل مالك :

قيام أبي جعفر المنصور الخليفة العباسي :

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله :

« كان إذا صلى العشاء نظر في الكتب والرسائل الواردة من الآفاق ، وجلس عنده من يسامره إلى ثلث الليل ، ثم يقوم إلى أهله فينام في فراشه إلى الثلث الآخر ، فيقوم إلى وضوئه وصلاته حتى ينفجر الصباح ثم يخرج فيصلي بالناس » .

وكان يقول لابنه : يا بني لا تجلس مجلساً إلا وعندك من أهل الحديث من يحدثك ، فإن الزهري قال : علم الحديث ذكر لا يجنبه إلا ذكران الرجال ولا يكرهه إلا مؤنثوهم ، وصدق أخوزهرة « ولقد كان في شببته يطلب العلم من مظانه والحديث والفقهاء جيداً وطرفاً صالحاً .

وقد قيل له يوماً : يا أمير المؤمنين هل بقي شيء من اللذات لم تنله ؟ قال : شيء واحد ، قالوا : وما هو ؟ قال : قول المحدث للشيخ من ذكرت رحمتك الله ، فاجتمع وزراؤه وكتابه ، وجلسوا حوله ، وقالوا : ليمل علينا أمير المؤمنين شيئاً من الحديث ، فقال : لست منهم ، إنما هم الدنسة ثيابهم ، المشققة أرجلهم ، الطويلة شعورهم ، رواد الآفاق ، وقطاع المسافات ، تارة بالعراق وتارة بالحجاز وتارة بالشام وتارة باليمن ، فهؤلاء نقلة الحديث (١)

قيام إمام دار الهجرة مالك بن أنس رحمه الله :

أما عن ليل الإمام مالك فما ظنك أخي بليل سيد من سادات المسلمين يقول : « ما بت ليلة إلا رأيت رسول الله ﷺ (٢) .

(١) البداية والنهاية ١٠/١٢٥ ، ١٢٦ ،

(٢) حلية الأولياء ٦/٣١٧ ،

قيام ابن أبي ذئب الإمام الثبت أبي الحارث :

قال عنه الذهبي : العابد شيخ الوقت :

قال أحمد بن حنبل : كان ابن أبي ذئب يشبه سعيد بن المسيب ، فقيل لأحمد : أخلف مثله ؟ قال : لا ، وكان أفضل من مالك إلا أن مالكا كان أشد تنقية للرجال منه .

● قال الواقدي : كان من أروع الناس ، وكانوا يرمونه بالقدر وما كان قدرياً ، وكان يصلي الليل أجمع ويجتهد في العبادة ، ولو قيل له إن القيامة تقوم غداً ما كان فيه مزيد اجتهاد ، وكان يصوم يوماً ويفطر يوماً .

● قال أحمد : هو أروع وأقوم بالحق من مالك ، دخل على المنصور فلم يبهه أن قال له الحق ، وقال : الظلم ببابك فاش ، وأبو جعفر أبو جعفر .

● ودخل المهدي مسجد النبي ﷺ فلم يبق إلا من قام إلا ابن أبي ذئب ، فقيل له : قم ، فهذا أمير المؤمنين ، قال : إنما يقوم الناس لرب العالمين .

قال المهدي : دَعُوهُ فقد قامت كل شعرة في رأسي^(١)

قيام الامام المرضى : سفيان الثوري :

● قال عنه أبو نعيم : سمعت سفيان يقول : إني لأفرح بالليل إذا جاء .
● وعن زائدة عن سفيان قال : إذا جاء الليل فرحت ، وإذا جاء النهار حزنت^(٢)

● وقال أبو خالد الأحمر : أكل سفيان ليلة فشيح فقال : إن الحمار إذا زيد في علفه زيد في عمله فقام حتى أصبح^(٣) .

(١) انظر صفة الصفوة ج ٢ ص ١٧٤ ، ١٧٥ ، تذكرة الحفاظ ج ١ ص ١٩٠-١٩٢ ، سير أعلام

النبلاء ج ٧ ص ١٤١

(٢) مقدمة الجرح والتعديل ٨٥/١ ، ٨٦

● قال عبد الرزاق : أضاف سفيان برجل من أهل مكة فقرب إليه الطعام فأكل أكلاً جيداً ثم قرب إليه التمر فأكل أكلاً جيداً ، ثم قرب إليه الموز فأكل أكلاً جيداً ، ثم قام فشدّ وسطه فقال : يُقال شبع الحمار ثم كده . فلم يزل منتصباً حتى أصبح^(١)

● وقال أبو يزيد المعنى : كان سفيان إذا أصبح مدّ رجله إلى الحائط ورأسه إلى الأرض كي يرجع الدم إلى مكانه من قيام الليل ، وكانت ساق سفيان كيميخت « يعنى من التورك في الصلاة عليها »^(٢) .

● وقال عنه محمد بن يوسف : كان الثورى يقيمنا الليل فيقول : قوموا يا شباب ، صلّوا ما دمتم شباباً^(٣) . وفي رواية : إذا لم تصلوا اليوم فمتي ؟ ● وكان رحمه الله يخرج يدور بالليل وينضح في عينيه الماء حتى يذهب عنه النعاس^(٣) .

● ولما قيل له : كيف تصنع في ليلك قال : لها عندي أول نومة تنام ما شاءت لا أمنعها فإذا استيقظت فلا أقبلها والله^(٤)

● وقرأ رحمه الله ليلة ﴿ إنا كنا قبل في أهلنا مشفقين ﴾ فخرج فاراً على وجهه حتى لحقوه . واجتمعت بنو ثور عليه وهو شاب يناشدونه مما كان فيه من العبادة أى أقصر عن هذا . وقال عبد الرحمن بن مهدي : ما عاشرت في الناس رجلاً أرق من سفيان الثورى ، وكنت أرمقه في الليلة بغد الليلة ينهض مذعوراً ينادى النار النار شغلنى ذكر النار عن النوم والشهوات^(٤) رحمك الله يا إمام فقد كنت قواماً إذا أقبل اللججى .. بعبرة مشتاق وقلب عميد .

(١) الجرح والتعديل ٩٦/١ .

(٢) كيميخت : كلمة فارسية معناها جلد حمار الوحش ، الجرح والتعديل ٩٥/١

(٣) الحلية ٥٩/٧

(٤) تاريخ بغداد ج ٩ ص ١٥٧

قيام أبي سلمة مسعر بن كدام رحمه الله :

سماه شعبة المصحف .

قال محمد بن مسعر : كان أبي لا ينام حتى يقرأ نصف القرآن ، فإذا فرغ من وزده لفّ رداءه ثم هجع عليه هجعة خفيفة ، ثم يثب كما يثب الرجل الذي فقد منه شيء فهو يظلمه ، وإنما هو السواك والظهور ، ثم يستقبل المحراب فكذلك إلى الفجر ، وكان يجتهد على إخفاء ذلك جداً^(١)

قيام سفيان بن عيينة أبي محمد رحمه الله :

كان رحمه الله يقول : إذا كان نهارى نهار سفيه وليلى ليل جاهل فما أصنع بالعلم الذى كتبت^(٢) .

قيام على والحسن ابني صالح بن حيي رحمهما الله :

● قال وكيع بن الجراح : كان على والحسن ابنا صالح بن حيي وأمهما قد جزؤا الليل ثلاثة أجزاء فكان على يقوم الثلث ثم ينام ، ويقوم الحسن الثلث ثم ينام ، وتقوم أمهما الثلث ، ثم ماتت أمهما ، فجزئنا الليل بينهما فكان يقومان به حتى الصباح ، ثم مات على فقام الحسن به ، وكان يقال : الحسن حية الوادى - يعنى لا ينام بالليل .

وكان يقول : إني أستحي من الله تعالى أن أنام تكلفاً حتى يكون النوم هو الذى يصير عني فإذا أنا نمت ثم استيقظت ثم عدت نائماً فلا أزد الله عيني .

● قال أبو سليمان الداراني : ما رأيت أحداً الخوف أظهر على وجهه والخشوع من الحسن بن صالح قام ليلة فقرأ ﴿ عم يتساءلون ﴾ فغشى عليه فلم يختمها حتى طلع الفجر^(٣) .

(١) حلية الأولياء ٢١٦/٧

(٢) حلية الأولياء ٢٧١/٧

(٣) حلية الأولياء ٣٢٨/٧

قيام داود الطائي رحمه الله : الفقيه الواعي ، البصير الراعي ، العابد الطاوي :
كان أبو سليمان داود بن الطائي يقول : كفى بالعبادة شغلاً^(١) .

وكان رحمه الله يقول : إنما الليل والنهار مراحل تنزل بالناس مرحلة بعد مرحلة حتى ينتهي بهم ذلك إلى آخر سفرهم ، فإن استطعت أن تقدم في كل يوم مرحلة زاداً لما بين يديك فافعل ، فإن انقطاع السفر عن قريب ما هو ، والأمر أعجل من ذلك ، فتزود لسفرك ، واقض ما أنت قاض من أمرك ، فكأن بالأمر قد بلغتك^(١) .

● قالت عنه أم سعيد بن علقمة - وكانت طائية - كان بيننا وبين داود الطائي جدار قصير فكنت أسمع حنينه عامة الليل لا يهدأ ، ولربما ترنم في السحر بشيء من القرآن فأرى أن جميع نعيم الدنيا جمع في ترنيمه تلك الساعة ، وكان لا يصبح - تعني لا يسرح^(٢) .

● وعنه رحمه الله قال : ما حسدت أحداً على شيء إلا أن يكون رجلاً يقوم الليل ، فإني أحب أن أرزق وقتاً من الليل ، وكان رحمه الله إذا غلبته عيناه احتجى قاعداً .

● قال عنه أبو عبد الرحمن المذكر : كان داود يحجى الليل صلاة ثم يقعد بجذاء القبلة فيقول : يا سواد ليلة لا تضيء ، ويا بعد سفر لا ينقضي ، ويا خلوتك بي تقول داود ألم تستح؟^(٣) .

● وكان رحمه الله كما قال ابن السماك في رثائه « آنس ما تكون إذا كنت بالله خالياً ، وأوحش ما تكون آنس ما يكون الناس » .

ووقف ابن السماك على قبره بعد دفنه : فقال : يا داود كنت تسهر ليلك إذا

(١) الخلية ٣٤٦/٧

(٢) الخلية ٣٥٦/٧

(٣) تاريخ بغداد ٣٥٣/٨

الناس ينامون ، فقال القوم : صدقت (١) .

قيام أنى اسحاق : إبراهيم بن أدهم : الحازم الأحزم ، العازم الأزم :

● كان مخلد بن الحسين يقول عنه : ما انتهت من الليل إلا أصبت إبراهيم بن أدهم يذكر الله فأغتم ، ثم اتعزى بهذه الآية ﴿ ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ﴾ (٢) .

وكان إبراهيم بن أدهم رحمه الله يقول : لولا ثلاث ما باليت أن أكون يعسوباً : ظمأ الهواجر وطول ليل الشتاء والتهدج بكتاب الله عز وجل (٣) .
وكان رحمه الله يقول : إذا كنت بالليل نائماً ، وبالنهار هائماً ، وفي المعاصي دائماً ، فكيف ترضى من هو بأمرك قائماً (٤) .

● قال إبراهيم بن بشار : سمعت إبراهيم بن أدهم يقول هذا ويتمثل به إذا خلا في جوف الليل بصوت خزين موجه القلوب :

ومنى أنت صغيراً وكثيراً أخو علل فمتى ينقضى الردى ومتى ويحك العمل ؟
ثم يقول : يا نفس إياك والغرة بالله ، فقد قال الصادق « لاتفرنكم الحياة الدنيا ولا يفرنكم بالله الغرور »

● وقال رحمه الله :

قم الليل يا هذا لعلك ترشد إلى كم تنام الليل والعمر ينفد
أراك بطول الليل - ويحك - قائماً وغيرك في محرابه يتهدج
ولو علم البطال ما نال زاهد من الأجر والإحسان ما كان يرقد
فصام وقام الليل والناس نؤم ويخلو برب واحد متفرد

(١) تاريخ بغداد ٣٥٥/٨

(٢) الحلية ٢٢/٨

(٣) الحلية ٢٣/٨

(٤) الحلية ج ٨ ص ١١

بحزم وعزم واجتهاد ورغبة ويعلم أن الله ذا العرش يُعبدُ
ولو كانت الدنيا تدوم لأهلها لكان رسول الله حياً مخلدُ
أترقد يا مغرور والنار توقدُ فلا حرّها يطفأ ولا الجمر يحمّد
فياراكب العصيان ويحك خلّها ستحشر عطشاناً ووجهك أسود^(١)

رحمك الله أبا اسحاق والله درك حين تقول : لو علم الملوك وأبناء الملوك
ما نحن فيه من السرور والنعيم إذاً لجالدونا على ما نحن فيه بأسيا فهم ... رحمك
الله فقد طلبت بجوحة الجنة .

قيام عثمان بن أبي دهرش :

● يقول عنه عبد الله بن المبارك : إنه كان إذا رأى الفجر أقبل عليه بثه^(٢)
وقال : أصير الآن مع الناس فلا أرى ما أجنى على نفسي . وكان رحمه الله
يقول : ما صليت صلاة قط إلا استغفرت الله من تقصيري فيها^(٣) .

قيام أبي علي : الفضيل بن عياض : الناقل من المهالك والسباخ إلى الغصون
والرياض :

بلغ من مكانته أن أمير المؤمنين في الحديث في زمانه سفيان بن عيينة كان إذا
ألتقى به قبل يده كما يقول الذهبي^(٤) كانت آيات الذكر المتلو أثناء الليل سبباً في
توبة هذا السيد من سادات المسلمين ، فلقد كان رحمه الله في بداية أمره
شاطراً - قاطع طريق - وكان يتعشق جارية فبينما هو ذات ليلة يتسور عليها جداراً
إذ سمع قارئاً يقرأ : ﴿ ألم بأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله ﴾ فقال
بلى^(٥) . وتاب وصار جبلاً في العبادة ونسيحاً وحده في التهجد .

(١) عقود اللؤلؤ والمرجان في وظائف شهر رمضان

(٢) أحزنه

(٣) الزهد لابن حنبل ص ٣٥٦

(٤) البداية والنهاية ج ١٠

(٥) انظر تذكرة الحفاظ للذهبي - شريط قيام الليل للشيخ الطحجان الشريط الثالث الوجه الأول

● قال عنه إسحاق بن إبراهيم : « ما رأيت أحداً أخوف على نفسه ولا أرجى للناس من الفضيل » .
قال عنه عبد الله بن المبارك : إذا مات الفضيل ارتفع الحزن .
وقال عنه هارون الرشيد : ما رأيت أهيب من مالك ولا أروع من الفضيل .

وانظر إلى أثر التهجد في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .
انظر إلى سيد من سادات المتهجدين الذي كان إذا وعظ قبل ابن المبارك
جبهته وقال : يا معلم الخير من يحسن هذا غيرك .

انظر إليه حين يقول : « لأن يدنو الرجل من جيفة متنة خير له من أن يدنو إلى هؤلاء - يعني السلطان - وقال أيضاً : رجل لا يخالط هؤلاء ولا يزيد على المكتوبة أفضل عندنا من رجل يقوم الليل ويصوم النهار ويحج ويعتمر ويجاهد في سبيل الله . وسمع يا أخى إلى الجبال حين تتكلم استمع إلى زواجر الكلم تلقى على مسامع الخليفة من قبل متهجد وهو الفضيل : قال الفضل بن الربيع ^(١) : حج أمير المؤمنين فأتاني فخرجت مسرعاً فقلت : يا أمير المؤمنين لو أرسلت إليّ أتيتك ، فقال : ويحك قد حاك في نفسي شيء فانظر لى رجلاً أسأله ، فقلت ههنا سفيان بن عيينة ، فقال : امض بنا إليه ، فأتيناه فقرعنا الباب فقال : من ذا ، قلت : أجب أمير المؤمنين ، فخرج مسرعاً فقال : يا أمير المؤمنين لو أرسلت إليّ أتيتك ، فقال : خذ لما جئناك له رحمتك الله . فحدثه ساعة ثم قال له : عليك دين ؟ فقال : نعم . قال : أبا عباس اقض دينه فلما خرجنا قال : ما أغنى عنى صاحبك شيئاً ، انظر لى رجلاً أسأله قلت : ههنا عبد الرزاق بن همام ، قال : امض بنا إليه ، فأتيناه فقرعنا الباب فخرج مسرعاً فقال : من هذا ، قلت : أجب أمير المؤمنين ، فقال : يا أمير المؤمنين لو أرسلت إليّ لأتيتك ، قال : خذ لما جئناك له ، فحدثه ساعة ، ثم قال له عليك دين ؟ قال : نعم ،

(١) انظر إلى القصة في الحلية ١٠٥/٨ ١٠٧ .

قال أبا عباس اقض دينه ، فلما خرجنا قال : ما أغنى عنى صاحبك شيئاً ، انظر لى رجلاً أسأله ، قلت : ههنا الفضيل بن عياض ، قال : امض بنا إليه ، فأتيناه فإذا هو قائم يصلى يتلو آية من القرآن يرددّها ، فقال اقرع الباب ، فقرعت الباب فقال : من هذا ؟ قلت : أجب أمير المؤمنين ، فقال : ما لى ولأمير المؤمنين ؟ فقلت : سبحان الله ، أما عليك طاعة ؟ أليس قد روى عن النبي ﷺ أنه قال : « ليس للمؤمن أن يذل نفسه » فتزل ففتح الباب ثم ارتقى إلى الغرفة فأطفأ السراج ثم التجأ إلى زاوية من زوايا البيت ، فدخلنا فجعلنا نجول بأيدينا ، فسبقت كف هارون قبلى إليه فقال : يالها من كف ، ما أليها إن نجت غداً من عذاب الله عز وجل . فقلت فى نفسى : ليكلمنه الليلة بكلام من تقي قلب نقي ، فقال له : خذ لما جئناك له رحمك الله فقال : إن عمر بن عبد العزيز لما ولى الخلافة دعا سالم بن عبد الله ومحمد بن كعب وزجاء بن حيوة فقال لهم : إني قد ابتليت بهذا البلاء فأشيروا علىّ ، فعّدّ الخلافة بلاء وعددتها أنت وأصحابك نعمة ، فقال له سالم بن عبد الله : إن أردت النجاة من عذاب الله فصم الدنيا ، وليكن إفطارك منها الموت ، وقال له محمد بن كعب : إن أردت النجاة من عذاب الله فليكن كبير المؤمنين عندك أباً وأوسطهم أخاً وأصغرهم عندك ولداً ، فوقر أباك وأكرم أخاك وتحنن على ولدك ، وقال له رجاء بن حيوة : إن أردت النجاة غداً من عذاب الله فأحب للمسلمين ما تحب لنفسك ، واکره لهم ما تكره لنفسك ، ثم مت إذا شئت ، وإني أقول لك إني أخاف عليك أشد الخوف يوماً تزل فيه الأقدام ، فهل معك رحمك الله مثل هذا ؟ أو من يشير عليك بمثل هذا ، فبكى هارون الرشيد بكاء شديداً حتى غشى عليه ، فقلت له : ارفق بأمر المؤمنين ، فقال : يا ابن الربيع تقتله أنت وأصحابك وأرفق به أنا ! ، ثم أفاق فقال له : زدنى رحمك الله فقال : يا أمير المؤمنين بلغنى أن عاملاً لعمر بن عبد العزيز شكى فكتب إليه عمر : يا أحنى أذكرك طول سهر أهل النار مع خلود الأبد ، وإياك أن ينصرف بك من عند الله

فيكون آخر العهد وانقطاع الرجاء . قال : فلما قرأ الكتاب طوى البلاد حتى قدم على عمر بن عبد العزيز فقال له : ما أقدمك ؟ قال : خلعت قلبي بكتابك لا أعود إلى ولاية حتى ألقى الله عز وجل قال : فبكى هارون بكاء شديداً . ثم قال له : زدني رحمك الله ، فقال : يا أمير المؤمنين إن العباس عم المصطفى ﷺ جاء إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله أمرني على إماره ، فقال له النبي ﷺ : « إن الإمارة حسرة وندامة يوم القيامة ، فإن استطعت أن لا تكون أميراً فأفعل » . فبكى هارون الرشيد بكاءً شديداً ، فقال له : زدني رحمك الله قال : يا حسن الوجه أنت الذي يسألك الله عز وجل عن هذا الجنة يوم القيامة فيأياك أن تصبح وتمسى وفي قلبك غش لأحد من رعيتك ، فإن النبي ﷺ قال : « من أصبح لهم غاشاً لم يرح راحة الجنة » فبكى هارون الرشيد وقال له : عليك دين ؟ قال : نعم ! دين لربي لم يحاسبني عليه ، فالويل لي إن سألتني ، والويل لي إن ناقشني ، والويل لي إن كم أهم حجتي ، قال : إنما أعنى من دين العباد ؟ قال :

إن ربي لم يأمرني بهذا ، إنما أمرني أن أصدق وعده وأطيع أمره فقال جل وعز ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ، ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون ، إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين ﴾ فقال له : هذه ألف دينار فأنفقها على عيالك وتقوّ بها على عبادتك ، فقال : سبحان الله ! أنا أدلك على طريق النجاة وأنت تكافئني بمثل هذا ؟ سلمك الله ووفقك ، ثم صمت فلم يكلمنا فخرجنا من عنده ، فلما صرنا على الباب قال هارون : إن دللتني على رجل فدلتني على مثل هذا . هذا سيد المسلمين .

كانت قراءته حزينة شهية بطيئة مترسلة كأنه يخاطب إنساناً ، وكان إذا مر بآية فيها ذكر الجنة تردد فيها وسأل ، وكانت صلواته بالليل أكثر ذلك قاعداً ، تلقى له حصير في مسجده فيصلي من أول الليل ساعة حتى تغلبه عينه ، فيلقى نفسه على الحصير فينام قليلاً ، ثم يقوم فإذا غلبه النوم نام ثم يقوم هكذا حتى يصبح ،

وكان دأبه إذا نعس أن ينام^(١).

● وكان رحمه الله يقول : « كان يقال من أخلاق الأنبياء والأصفياء الأخيار ، الطاهرة قلوبهم ، خلقت ثلاثة : الحلم والإنابة وحظ من قيام الليل »^(٢).

● وأخذ الفضيل رحمه الله بيد الحسين بن زياد وقال : يا حسين : يتزل الله تعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا فيقول الرب : [كذب من ادعى محبتي ، فإذا جتّه الليل نام عنى؟! ! أليس كل حبيب يحب خلوة حبيبه ؟ ها أنذا مُطَّلِعٌ على أحبائي إذا جهم الليل ، مثلت نفسي بين أعينهم فخاطبوني على المشاهدة ، وكلموني على حضوري ، غداً أقر أعين أحبائي في جناتي]^(٣).

● وقال رحمه الله : أدركت أقواماً يستحيون من الله سواد الليل من طول المهجعة ، إنما هو على الجنب ، فإذا تحرك قال : ليس هذا لك ، قومي خذي حظك من الآخرة^(٤).

● وكان رحمه الله يقول : « إني لأقوم الليلة فيطلع الفجر فيرجف قلبي وأقول : جاء النهار بما فيه من الآفات »^(٥).

قيام أبي عبد الرحمن عبد الله بن المبارك : المتزود من الوداد ، أليف القرآن والحج والجهاد :

إمام المسلمين كما يقول أبو إسحاق الفزاري .. الطيب المبارك .. يقول عنه الأوزاعي : لو رأيتَه لقرت عينك به .

● قال علي بن الحسن بن شقيق : لم أر أحداً من الناس أقرأ من ابن المبارك

(١) حلية الأولياء ٨/٨٦

(٢) حلية الأولياء ٨/٩٥

(٣) الحلية ٨/١٠٠

(٤) الحلية ٨/١٠١

(٥) تنبيه المغترين ص ٣٤

ولا أحسن قراءة ، ولا أكثر صلاة منه ، كان يصلى الليل كله في السفر وغيره .
وكان يرتل القراءة ويمدها ، وإنما ترك النوم في المحمل لأنه كان يصلى وكان

الناس لا يدرون .

● انظروا إلى قول سفيان الثوري : « لو جهدت جهدى أن أكون في السنة ثلاثة أيام على ما عليه ابن المبارك لم أقدر » ، وقال عبد الرحمن بن مهدي : كان نسيجاً وحده .

● قال محمد بن أعين وكان صاحب ابن المبارك في الأسفار وكان كريماً عليه - قال : كان ذات ليلة ونحن في غزاة الروم ذهب ليضع رأسه ليريني أنه ينام ، فقلت : أنا برحمتي في يدي قبضت عليه ووضعت رأسي على الرمح كأني أنام كذلك ، قال : فظن أني قد نمت فقام فأخذ في صلاته فلم يزل كذلك حتى طلع الفجر وأنا أرمقه ، فلما طلع الفجر أنقظني وظن أني نائم ، وقال : يا محمد فقلت : إني لم أنم . قال فلما سمعها مني ما رأيته بعد ذلك يكلمني ولا ينسبط إلي في شيء من غزاته كلها كأنه لم يعجبه ذلك مني لما فطنت له من العمل ، فلم أزل أعرفها فيه حتى مات ، ولم أر رجلاً أسر بالخير منه^(١)

إذا سار عبد الله من مرو ليلة فقد سار منها نورها وجالها
إذا ذكر الأبحار في كل بلدة فهم أنجم فيها وأنت هلالها
قيام عبد العزيز بن أبي رواد : أبي عبد الرحمن العابد السجّاد :

كان رحمه الله يفرش له الفراش فيضع يده عليه ويقول : ما أليّنك ولكن فراش الجنة ألين منك ثم يقوم إلى صلاته^(٢)

محمد بن النضر الحارثي :

وكان من أعبد أهل زمانه وكان يقول : أكره أن أعطي عيني في الدنيا سؤلها

في النوم^(٣)

(١) الجرح والتعديل ٢٦٦/١ ، ٢٦٧

(٢) تنبيه المغترين ص ٣٤

(٣) الخلية ٢١٩/٨

• قيل له : أما تستوحش ؟ قال : كيف أستوحش وهو يقول : أنا جليس من ذكرني .

نعم أبا عبد الرحمن .. أيها الصالح بمولائك فافرح وبدكره فتنعم .

محمد بن يوسف الأصبهاني : « عروس العباد » :

• كما سماه بذلك ابن المبارك لم يكن رحمه الله يضع جنبه ، وفي ليالي الشتاء كان يتمدد من جلوس ثم يقوم ويتمسح إذا طلع الفجر^(١) .
قيام يوسف بن أسباط :

قال رحمه الله : عجبت كيف تنام عين مع المخافة^(٢) .
قيام أبي معاوية الأسود :

كان رحمه الله يقول في جوف الليل :

« من كانت الدنيا أكبر همه طال غداً في القبر غمته ، ومن خاف الوعيد لها في الدنيا عملاً يريد يا مسكين إن كنت تريد لنفسك فلا تنام الليل إلا القليل .
ثم بكى رحمه الله بكاءً شديداً ثم قال : أوه من يوم يتغير فيه لوني ويتلجلج فيه لساني ويقل فيه زادى^(٣) .

• وكان يقول إذا قام من الليل يستقي الماء : ما ضرهم ما أصابهم في الدنيا ،
جبر الله لهم كل مصيبة بالجنة^(٤) .

وقال رحمه الله : شمروا طلاباً وشمروا هداياً ، لم يضرهم ما أصابهم في

الدنيا ، جبر الله لهم كل مصيبة بالجنة^(٥) .

قيام علي بن الفضيل بن عياض :

قال الفضيل : أشرف ليلة عليّ وهو في صحن الدار وهو يقول : النار ،

(١) الخلية ٢٣٤/٨

(٢) الخلية ٢٣٨/٨ ومختصر قيام الليل ص ١٨

(٣) الخلية ٥٠٤، ٢٧٢/٨ ، ٢٧٣ .

ومتى الخلاص من النار .

وكان رحمه الله يصلي حتى يزحف إلى فراشه ثم يلتفت إلى أبيه فيقول :
يا أبت سبقني المتعبدون (١) .

قيام أبي نصر بشر بن الحارث الخافي :

قيل له مرة : ألا تستريح لك في الليل ساعة ؟ فقال إن رسول الله ﷺ قد
قام حتى تورمت قدماه وقطر منها الدم مع أن الله تعالى قد غفر له ماتقدم من
ذنبه وما تأخر فكيف أنام وأنا ولم أعلم أن الله غفر لي ذنباً واحداً (٢) .
كان رحمه الله لا ينام الليل ويقول أخاف أن يأتي أمر وأنا نائم .

رقد السَّمَّار وأزقه همَّ للبين يردده
فبكاه النجم ورقاً له مما يرعاه ويرصده
قيام وكيع بن الجراح :

- قال ابن حنبل : لو رأيت وكيعاً لعلمت أنك ما رأيت مثله .
- قال يحيى بن أكثم : صحبت وكيعاً في السفر والحضر وكان يصوم الدهر ويحتم
القرآن كل ليلة .
- وقال يحيى بن معين : ما رأيت أفضل من وكيع ، كان يستقبل القبلة ويحفظ
حديثه ويقوم الليل ويسرد الصوم .
- وقال عنه أصحابه الذين كانوا يلزمونه : كان وكيع لا ينام حتى يقرأ ثلث
القرآن ، ثم يقوم في آخر الليل فيقرأ المفصل ، ثم يجلس فيأخذ في الاستغفار حتى
يطلع الفجر فيصلّي ركعتين .
- وقال ابنه إبراهيم : كان أبي يصلي الليل فلا يبق في دارنا أحد إلا صلّى حتى

(١) الحلية ٢٩٨/٨ :

(٢) تنبيه المغترين ص ٣٤

إن جارية لنا سوداء تصلى .

● وقال الحسين بن أبي يزيد : صاحبت وكيع بن الجراح إلى مكة فما رأته متكتأً ، ولا رأته نائماً في محمله (١) .

قيام أمير المؤمنين في الحديث : شعبة الخير .. أنى بسطام .. شعبة بن الحجاج :

كان الثوري يقول : أستاذنا شعبة .

وكان يعقوب يقول : حدثني الضخم عن الضخام شعبة الخير أبو بسطام .

● قال عفان : كان شعبة من العباد (٢) .

● وقال عبد السلام بن مطهر : ما رأيت في الفقهاء مثل شعبة أبيس ولا أمعن في العبادة منه .

● قال أبو بجر البكراوي : ما رأيت أعبد من شعبة .. لقد عبد الله حتى جفَّ جلده على عظمه ليس بينها لحم .

● وقال عمر بن هارون : كان شعبة يصوم الدهر كله لا يرى عليه .

● وقال أبو قطن : ما رأيت شعبة ركع قطَّ إلا ظننت أنه قد نسي ولا قعد بين السجدين إلا ظننت أنه قد نسي .

● وقال أبو قطن أيضاً : كانت ثياب شعبة لونها لون التراب ، وكان كثير الصلاة ، كثير الصيام سخي النفس .

● وقال مسلم بن إبراهيم : ما دخلت على شعبة في وقت صلاة قطَّ إلا رأته يصلى (٣) .

قيام الإمام يحيى بن سعيد القطان :

قال الإمام أحمد لم تر عيني مثل يحيى بن سعيد .

(١) صفة الصفوة ٣/ ١٧٠ - ١٧٢

(٢) انظر الجرح والتعديل والحلية وصفة الصفوة

(٣) صفة الصفوة ٣/ ٣٤٩

قال علي : كان يحيى يختم القرآن في كل يوم وليلة .
وقال يحيى بن معين : أقام يحيى بن سعيد عشرين سنة يختم القرآن في كل ليلة^(١) .

قيام عبد الرحمن بن مهدي .. الإمام المبجل :

قال علي بن المديني : أعلم الناس بالحديث عبد الرحمن بن مهدي .
قال علي بن المديني : كان عبد الرحمن بن مهدي يختم في كل ليلتين ، كان ورده في كل ليلة نصف القرآن^(٢) .

قيام ناصر السنة الإمام المطلب الشافعي رحمه الله :

● قال الربيع بن سليمان : كان الشافعي جزأً ثلاثة أجزاء : الأول يكتب ، والثاني يصلي ، والثالث : ينام .

● وحدّث حسين الكرابيسي فقال : بت مع الشافعي ، فكان يصلي نحو ثلث الليل ، وما رأيته يزيد على خمسين آية ، فإذا أكثر فائة ، وكان لا يمر بآية رحمة إلا سأل الله لنفسه وللمؤمنين أجمعين ، ولا يمر بآية عذاب إلا تعوذ بالله منه ، وسأل النجاة لنفسه ولجميع المؤمنين فكأنما جمع له الرجاء والرغبة معاً^(٣) .

● وقال عنه الربيع بن سليمان : كان يحيى الليل إلى أن مات ، وكان يختم في كل ليلة ختمة^(٤) - يعني في الصلاة - فرحم الله أستاذ الأستاذين الإمام القرشي سيد الفقهاء والله در ابن حنبل حين يقول : :

« كان الشافعي كالشمس للدنيا وكالعافية للناس ، فانظر هل لهذين من

(١) الجرح والتعديل ، صفة الصفوة ، الحلية

(٢) تاريخ بغداد ج ٧ ص ٢٤٧

(٣) معرفة السنن والآثار للبيهقي ١٢١ ، ١٢٢ تحقيق السيد أحمد صقر طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية انظر تاريخ بغداد ٦٢/٢

(٤) تاريخ بغداد ٦٣/٢ ، ٦٤

خلف ، أو منها عوض .

● يقول الشافعي واصفاً المتجدد :

فله در العارف الندب إنه
يقيم إذا ما الليل مدّ ظلامه
فصار قرينهم طول نهاره
يقول حبيبي أنت سؤلي وبغيتي
أست الذي غديتني وهديتني
ففي يقظتي شوق وفي غفوتي مني
تفيض لفرط الوجد أجفانه دما
على نفسه من شدة الخوف مأتما
أخا السهد والنجوى إذا الليل أظلم
كفى بك للراجين سؤلا ومنعنا
ولا زلت مئانا على ومنعنا
تلاحق خطوى نشوة وترنما^(١)

قيام إمام أهل السنة معلم الخير أبي عبد الله أحمد بن حنبل :

● يقول إبراهيم بن شماس العابد الزاهد الذي مات في غزوة خرج لها من أقصى
نغور الإسلام في سمرقند سنة ٢٢١ هـ « كنت أرى أحمد بن حنبل يجي الليل وهو
غلام »^(٢) .

● وعن عبد الله بن أحمد قال : كان أبي يقرأ في كل يوم سبعاً ، يجتم في كل
سبعة أيام ، وكانت له ختمة في كل سبع ليال سوى صلاة النهار ، وكان ساعة
يصلي عشاء الآخرة ينام نومة خفيفة ثم يقوم إلى الصباح يصلّي ويدعو^(٣) .
وتعالى معي يا أخي لترى حال سيد من سادات المتقين الذي قال له عبد
الرزاق الصنعاني حافظ اليمن : جزاك الله عن نبيك خيراً^(٤) .

● قال أبو بكر المروزي : كنت مع أبي عبد الله نحواً من أربعة أشهر بالعسكر ،
ولا يدع قيام الليل وقرآن النهار ، فما علمت بختمة ختمها وكان يسردلك^(٥) .

(١) ديوان الشافعي ص ١١٥ تحقيق دكتور محمد عبد النعم خفاجة نشر مكتبة الكليات الأزهرية

(٢) أحمد بن حنبل إمام أهل السنة لعبد الحلیم الجندي ص ٤٠ طبعة دار المعارف

(٣) الحلية ١٨١/٩

(٤) طبقات الخنابلة ٢٠٩/١ للقااضي أبي يعلى - طبعة دار المعرفة ببيروت

(٥) مناقب الإمام أحمد بن حنبل لابن الجوزي ص ١٩٥ . طبعة دار الآفاق الجديدة ببيروت

رحمك الله أبا عبد الله فقد كنت آية في الإخلاص وستر التعبد والصدق
وكنت تقول : بهذا ارتفع القوم .

وكان رحمه الله يقول : يا نفس انصبي وإلا فستحزني .

وقال عبد الصمد بن سليمان بن أبي مطر : بت عند أحمد بن حنبل فوضع لي
ماء ، فلما أصبح وجدني لم أستعمله فقال : صاحب حديث لا يكون له ورد في الليل ؟
قال قلت : أنا مسافر قال : وإن كنت مسافراً !! حج مسروق فما نام إلا ساجداً (١) .

● وحدث أبو عصمة بن عصام البيهقي قال : بت ليلة عند أحمد بن حنبل فجاء
بالماء فوضعه ، فلما أصبح نظر إلى الماء فإذا هو كما كان فقال : سبحان الله !! رجل
يطلب العلم لا يكون له ورد من الليل (٢) .

● وقال محمد بن الإمام الشافعي : أبوك أحد الستة الذين أَدَعَوْهُمْ سَحْرًا .
● وقال هلال بن العلاء : خرج الشافعي ويحيى بن معين وأحمد بن حنبل إلى
مكة ، فلما أن صاروا بمكة نزلوا في موضع ، فأما الشافعي فإنه استلقى ، ويحيى بن معين
أيضاً استلقى ، وأحمد بن حنبل قائم يصلي ، فلما أصبحوا قال الشافعي : لقد عملت
للمسلمين مائتي مسألة ، وقيل ليحيى بن معين : أي شيء عملت : قال : نفيت عن
النبي ﷺ : مائتي كذاب ، وقيل لابن حنبل : فأنت ؟ قال : صليت ركعات
ختمت فيها القرآن (٣) .

● وقال القاضي أبو يعلى : ختم إمامنا أحمد القرآن في ليلة بمكة مصلياً به (٤) .
● وحدث عنه ابنه صالح : كانت لأبي قلنسوة قد خاطها بيده فيها قطن ، فإذا قام
من الليل لبسها ، وكنت أسمع أبي كثيراً يتلو سورة الكهف (٥) .

● يقول عنه إبراهيم بن هاني - وكان أبو عبد الله حيث توارى من السلطان - توارى
عنده : كان يصلي بعد العشاء الآخرة ركعات ثم ينام نومة خفيفة ، ثم يقوم فيتطهر

(١) مناقب الإمام أحمد بن حنبل ص ١٧٩ .

(٢) مناقب الإمام ص ٢٨٧ .

(٣) طبقات الخبابة ص ٩ .

(٤) مناقب الإمام ص ٢٨٧ .

ولا يزال يصلى حتى يطلع الفجر ثم يوتر بركة ، وكان هذا دأبه طول مقامه عندي ،
ما رأيته فتر ليلة واحدة ، وكنت لا أقوى معه على العبادة^(١) .

واسمع أخى إلى قولهم عن الإمام الشيباني وصديق الأمة الثاني فلا يعرف قدر
الرجال إلا الرجال .

يقول على بن المديني : قال لى سيدى أحمد بن حنبل : لا تحدث إلا من كتاب
ابن المديني يقول هذا وقد قال البخارى عن ابن المديني : ما استصغرت نفسى عند
أحد إلا عند على بن المديني ، وقيل للبخارى ما تشتهى : قال أن أدخل بغداد
فيحدثنى على وأحدثه .

رحمك الله يا ابن حنبل يا من قال عنك الذهبي أنك : شيخ الإسلام وسيد
المسلمين .

ولله در القائل :

أضحى ابن حنبل محنة مأمونة وبحب أحمد يعرف المتنسك
وإذا رأيت لأحمد متنقصاً فاعلم بأن ستوره ستهتك
قيام أمير المؤمنين في الحديث أبى عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى :

● كان يقرأ فى السحر ما بين النصف إلى الثلث من القرآن فيختم عند السحر فى كل
ثلاث ليال^(٢) .

● قال عنه محمد بن أبى حاتم الوراق : كان أبو عبد الله إذا كنت معه فى سفر يجتمعنا
بيت واحد إلا فى القيظ أحياناً ، فكنت أراه يقوم فى ليلة واحدة خمس عشرة مرة إلى
عشرين مرة فى كل ذلك يأخذ القداحة فيورى ناراً بيده ويسرج ، ثم يخرج أحاديث
فيعلم عليها ثم يضع رأسه ، وكان يصلى فى وقت السحر ثلاث عشرة ركعة يوتر منها
بواحدة ، وكان لا يوقظنى فى كل ما يقوم ، فقلت له : إنك تحمل على نفسك كل
هذا ولا توقظنى ؟ قال : أنت شاب فلا أحب أن أفسد عليك نومك .

(١) - مناقب الإمام ص ٢٨٨ .

(٢) تاريخ بغداد ١٢/١ ، هدى السارى لابن حجر ص ٤٨١ .

انظروا عباد الله وخبروني : كيف يكون ليل هذا الإمام العابد الذي لو كان في الصحابة لكان آية .. يقوم في الليلة الواحدة خمس عشرة مرة .

اللهم : إنا لسنا بأهل أن نكتب عن هؤلاء القمم فغفرانك :

ويرحم الله أهل بغداد حين كتبوا للبخارى :

المسلمون بخير ما بقيت لهم وليس بعدك خير حين تفتقد ليله عبادة ممزوجة بعلم ودعاء ، فلقد كتب « التاريخ الكبير » في الليالي القمرية عند قبر رسول الله ﷺ ، وما كتب ترجمة من تراجم الجامع الصحيح إلا تطهر وصلى ركعتين . انظروا إلى المهجد العابد مستجاب الدعوة الذي ضاق بتغير أخلاق الناس فيختار الدعاء في ليلة من الليالي بعد فراغه من صلاة الليل ويقول في دعائه : « اللهم إنه قد ضاقت على الأرض بما رحبت فاقبضني إليك فما أتم الشهر حتى قبضه الله إليه رحمه الله تعالى » (١) .

قيام الليل عند أبي سليمان الداراني رحمه الله :

● كان يقول لأحمد بن الحواري تلميذه : « جوع قليل ، وعرى قليل ، وسهر قليل ، وذل قليل ، ويرد قليل ، وصبر قليل يقطع عنك الدنيا » (٢) .

● وقال له ابن الحواري إن ابن داود قال : « ليت الليل أطول مما هو » قال « قد أحسن وقد أساء ، قد أحسن حين تمنى طول الليل للطاعة ، وأساء حين تمنى طول ما قصره الله ، إنه إن مضت عنا هذه فله في التي تأتي عوض » .

● وكان رحمه الله يقول لتلميذه ابن الحواري : يا أحمد كن كوكباً ، فإن لم تكن كوكباً فكن قرراً ، فإن لم تكن قرراً فكن شمساً فقال له ابن الحواري : يا أبا سليمان القمر أضوا من الكواكب ، والشمس أضوا من القمر . قال : يا أحمد كن مثل الكوكب طلع أول الليل إلى الفجر ، فقم أول الليل إلى آخره ، فإن لم تقو على قيام الليل فكن مثل الشمس تطلع أول النهار إلى آخره ، فإن لم تقدر على قيام الليل فلا تعص الله

(١) تاريخ بغداد ١٣/١ ، ٣٤ .

(٢) الخلية ٢٥٧/٩ .

بالنهار^(١) .

● وقال له ابن الحواري : تبيت عندنا ؟ قال : ما أحبكم تشغلوني بالنهار وتريدون أن تشغلوني بالليل^(٢) .

● وكان يقول لابن الحواري : لترك الشهوات ثواب ، وللمداومة ثواب ، وإنما أنا وأنت ممن يقوم ليلة وينام ليلتين ، ويصوم يوماً ويفطر يومين ، وليس تستنير القلوب على هذا^(٣) .

رحمك الله يا أبا سليمان : ونحن فما نفعل .. نحثو على وجوهنا التراب .
● وكان رحمه الله يقول : ربما أقوم خمس ليال متوالية بآية واحدة أرددها وأطالب نفسي بالعمل بما فيها ، ولولا أن الله تعالى يمين على الغفلة لما تعديت تلك الآية طول عمري لأن لي في كل تدبر علماً جديداً والقرآن لا تنقضي عجائبه^(٤) .
قيام الليل عند علي بن بكار : -

المرابط الصبار والمجاهد الكرار .. بكى حتى عمى . كانت الجارية تفرش له فراشه فيلمسه بيده ويقول : والله إنك لطيب ، والله إنك لبارد ، والله لا علوتك ليلتي ، ويصلي حتى الفجر^(٥) . قال موسى بن طريف : كان يصلي الحجر بوضوء العتمة^(٦) .

قيام أبي الفيض ذي النون المصري :

كان رحمه الله يردد :

لم تشتكى ألم البلاء وأنت تتحلل الحبه
إن الحب هو الصبـو ر على البلاء لمن أحبه
حب الإله هو السـرو ر مع الشفاء لكل كربه

(١) الحلية ٢٦١/٩ .

(٢) الحلية ٢٦٣/٩ .

(٣) الحلية ٢٧١/٩ .

(٤) تنبيه المغترين ١٢٠ .

(٥) الحلية ٣١٨/٩ .

(٦) تهذيب التهذيب ج ٧ ص ٣٨٦ .

قال رحمه الله : ثلاثة من أعلام العبادة : حب الليل للسهر بالتهجد والخلوة ،
وكرهة الصبح لرؤية الناس والغفلة ، والبدار بالصالحات مخافة الفتنة ^(١) .
وأنشد رحمه الله :

عجباً لقلبك كيف لا يتصدع ولركن جسمك كيف لا يتضععُ
فاكحل بلمول السهاد لدى الدجي إن كنت تفهم ماتقول وتسمع
منع القرآن بوعدده ووعيدده مقل العيون بليلها لا تهجع
فهموا عن الملك الكريم كلامه فهماً تذلل له الرقاب وتخضع ^(٢)
رحمك الله أبا الفيض فن ذاق عرف ، وهذا الكلام لا يصدر إلا عن
نفس أنتت بالله في ظلم الدياجي .

● كان رحمه الله مرة على ساحل البحر فلما جنّ الليل خرج فنظر إلى السماء
والماء فقال سبحان الله ما أعظم شأنكما ، بل شأن خالقكما أعظم منكما ومن
شأنكما . فلما تهوّر الليل لم يزل ينشد هذين البيتين :

اطلبوا لأنفسكم مثل ما وجدت أنا
قد وجدت لي سكناً ليس في هواه عتاً
إن بعدت قرّبي أو قربت منه دنا

إن لله تعالى عبادات على قلوبهم بالأذكار والترنم بالقرآن في الدياجي كما تعلق
الأطيار في الأوكار ، لو فتشت منهم القلوب لما وجدت فيها غير حب المحبوب .
انظر يرحمك الله إلى ذى النون وهو يقول :

وأذكر أصنافاً من الذكر حشوها وداد وشوق يبعثان على الذكر
فذكر أليف الحب ممتزج بها يحل محل الروح في طرفها يسرى
وذكر علا منى المفاروز والذرى يحل عن الأوصاف بالوهم والفكر
ومن كان هذا شأنه حق له أن يقول مناجياً مولاه :

(١) الخلية ٣١٨/٩ .

(٢) الخلية ٣٦٢/٩ .

موت وما ماتت إليك صبابتي ولا رويت من صدق حبك أوطاري
تحمل قلبي فيك مالا أبشه وإن طال سقمي فيك أوطال إضراري
وبين ضلوعي منك مالك قد بدا ولم يبدا باديه لأهل ولا جار

يحيى بن معاذ :

أما يحيى الذى استلذ السهاد تحرياً للوداد .. فقال : « طوبى لعبد أصبح
العبادة حرفته ، والفقر منيته والعزلة شهوته ، والآخرة همته ، وطلب العيش
بلغته ، وجعل الموت فكرته ، وشغل بالزهد نيته ، وأمات بالذل عزته ، وجعل
إلى الرب حاجته ، يذكرفى الخلوات خطيبته ، وأرسل على الوجنة عبرته ، وشكى
إلى الله غربته ، وسأله بالتوبة رحمته ، طوبى لمن كان ذلك صفة ، وعلن
الذنوب ندامته ، جآر الليل والنهار ، وبكائه إلى الله بالأسحار ، يناجى الرحمن
ويطلب الجنان ويخاف النيران (١) .

وأنشده رحمه الله :

نفس المحب إلى الحبيب تطلع وفؤاده من حبه يتقطع
عز الحبيب إذا خلا فى ليله بجيبه يشكو إليه ويضرع
ويقوم فى المحراب يشكو بثه والقلب منه إلى المحبة يتزع (١)

رحمك الله حين تقول : أبناء الآخرة يجدون لذة الكلام .

قيام السرى السقطى .. ذى القلب التقي .. الورع الخفى :

وهو خال الجنيد وأستاذه .

كان رحمه الله يقول :

من لم يبت والحب حشو فؤاده لم يدر كيف تفتت الأكباد (٢)
وكان يقول عن العباد : أكلهم أكل المرضى ونومهم نوم الغرقى .

(١) الخلية ١٠/٥٨ .

(٢) الخلية ١٠/١١٩ .

ويقول :

ما في النهار ولا في الليل لي فرح فما أبالي أطلال الليل أم قصرا
قال الجنيد : كان السرى يقول لنا ونحن حوله « أنا لكم عبرة ، يا معشر
الشباب اعملوا فإنما العمل في الشبوية » .

وكان إذا جنّ عليه الليل دافع أوله ثم دافع ثم دافع ، فإذا غلبه الأمر أخذ
في النحيب والبكاء^(١) .

كان إمام أهل السنة أحمد بن حنبل يقول عنه دائماً : الشيخ الذي يعرف
بطيب الغذاء .

قيام الحكم بن أبان « سيد أهل اليمن » .

كان يصلي الليل فإذا غلبه النوم ألقى بنفسه في البحر وقال : « أستبح الله مع
الحيتان »^(٢) .

سهل بن عبد الله رحمه الله :

قال أبو الحسن بن سالم : عرفت سهلاً سنين من عمره كان يقوم الليل حتى
يصبح يناجى ربه . كان رحمه الله يقول : « إذا جنك الليل فلا تأمل النهار حتى
تسلم ليلتك لك ، وتودى حق الله فيها »^(٣)

العباس بن مساحق :

قال رحمه الله في علامات المحبين : « جَفَّوْا والله مضاجعهم ، وخربوا من
العارة فروشهم ، وعملوا إلى الرحيل إلى سيدهم ، وعمرؤا بالأبدان محاريبهم ،
وبالقلوب درجاتهم »^(٤) .

الجنيد سيد الطائفة رحمه الله :

رأى محمد بن إبراهيم الجنيد سيد الطائفة فقال له : ما فعل الله بك ؟ قال :
طاحت تلك الإشارات وغابت تلك العبارات ، وفنيت تلك العلوم ، ونفدت

(١) الخلية ١٠/١٢٦ .

(٢) الخلية ١٠/١٤١ .

(٣) الخلية ١٠/١٩٥ .

(٤) الخلية ١٠/٢٢٦ .

تلك الرسوم ، وما نفعنا إلا ركيعات كنا نركعها في الأسحار^(١) .
وكان رحمه الله يقول : العباد على العارفين أحسن من التيجان على رؤوس
الملوك^(٢) .

سمنون بن حمزة رحمه الله :

كان رحمه الله يقول :

أحنّ بأطراف النهار صبابة وفي الليل يدعوني الهوى فأجيبُ
وأيامنا تفتني وشوق زائد كأن زمان الشوق ليس يغيب^(٣)

أبو عبد الله الجلاء :

سئل أبو عبد الله الجلاء : كيف تكون ليل الأحاب فأنشأ يقول :

من لم بيت والحب حشو فؤاده لم يدر كيف تفتت الأكباد
إبراهيم الخواص :

قال رحمه الله : « دواء القلب خمسة أشياء : قراءة القرآن بالتدبر ، وخلق

البطن وقيام الليل ، والتضرع عند السحر ، ومجالسة الصالحين »^(٤) .

قيام محمد بن جحادة الأودي مولى لبي أود :

عن سفیان قال :

كان محمد بن جحادة من العابدين وكان يقال إنه لا ينام من الليل إلا

أيسره . قال : فرأت امرأة من جيرانه كأن حلالاً فرقت على أهل مسجدهم ، فلما

انتهى الذي يفرقها إلى محمد بن جحادة دعا بسفط مختوم فأخرج منه حلة

صفراء . قالت : فلم يقم لها بصرى فكساه إياها وقال له : هذه لك بطول

السهر . قالت : تلك المرأة : فوالله لقد كنت أراه بعد ذلك فأخاها عليه^(٥) .

(١) الخلية ٢٥٧/١٠ . زآه : أى في المنام .

(٢) المصدر السابق ص ٢٥٧ .

(٣) الخلية ٣١١/١٠ .

(٤) الخلية ٣٢٧/١٠ .

(٥) سنة الصفوة ١١١/٣ .

قيام يزيد بن هارون :

- قال عنه علي بن المديني : ما رأيت رجلاً قط أحفظ من يزيد بن هارون .
- قال أحمد بن سنان : ما رأيت عالماً قط أحسن صلاة من يزيد بن هارون ، يقوم كأنه أسطوانة ، وكان يصلي بين المغرب والعشاء والظهر والعصر لم يكن يفتر من صلاة الليل والنهار ، هو وهشيم جميعاً معروفان بطول الصلاة بالليل والنهار .

• وقال عاصم بن علي : كان يزيد بن هارون إذا صلى العتمة لا يزال قائماً حتى يصلي الغداة بذلك الوضوء نيفاً وأربعين سنة .

- وقال له رجل : كم حزبك ، فقال : وأنا من الليل شيئاً ؟ إذاً لا أنا من الله عيني ، وظل يبكي حتى ذهبت عيناه وكان من أحسن الناس عينين^(١) .

قيام الإمام أبي زكريا محيي الدين النوى :

- قال في « البدر المسافر وكان كثير العبادة ، حكى لي البدر بن جماعة أنه سأله عن نومه فقال : إذا غلبني النوم استندت إلى الكتب لحظة وأنتبه . وذكر لي صاحبنا الفاضل أبو عبد الله محمد بن أبي الفتح البعلبي الحنبلي في حياة الشيخ قال : كنت ليلة في أواخر الليل بجامع دمشق والشيخ واقف يصلي إلى سارية في ظلمة وهو يردد قوله تعالى : ﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ ﴾ مراراً بخوف وخشوع حتى حصل عندي من ذلك أمر عظيم^(٢) .
- قسّر له أحد أصحابه خياره ليطعمه إياها فامتنع من أكلها وقال أخشى أن ترطب جسمي وتجلب النوم .

- وكان يجري دمعه في الليل ويقول :

لئن كان هذا الدمع يجري صباية
على غير ليلى فهو دمع مضيع

(١) صفة الصفوة ١٧/٣ ، ١٨ .

(٢) كتاب ترجمة شيخ الإسلام : أبي زكريا محيي الدين النوى للحافظ السخاوي ص ٣٦ مطبعة جمعية النشر والتأليف بالأزهر

• وقال عنه الحافظ الذهبي : « الشيخ الإمام القدوة الحافظ الزاهد العابد الفقيه المجتهد الرباني شيخ الإسلام حسنة الأنام محيي الدين صاحب التصانيف التي سارت بها الركبان .. إلى أن قال :

لازم الاشتغال والتصنيف محتسباً في ذلك مبتغياً وجه الله مع التعبد والصوم والتهجد والذكر والأوراد وحفظ الجوارح ودم النفس والصبر على العيش الحشن ملازمة كلية لا مزيد عليها » أ. هـ . وكان السبكي بعد تقلده مدرسة دار الحديث خلقاً للنووي يبرغ وجهه على البساط الذي كان يطاء عليه النووي ويقول :

وفي دار الحديث لطيف معنى على بسط منها أصبو وآوى
عسى أني أمس بحر وجهي مكاناً مسّه قدم النووى
قيام الليل عند شيخ الإسلام ابن تيمية :

قال الحافظ المزى : ما رأيت مثله ولا رأى هو مثل نفسه . وما رأيت أحد أعلم بكتاب الله وسنة رسوله ولا اتبع لها منه .
قال عنه الذهبي : « شيخنا الإمام العالم العلامة الأوحد شيخ الإسلام ، مفتى الفرق قدوة الأمة أعجوبة الزمان بحر العلوم حبر القرآن تقي الدين سيد العباد » .

• وقال قاضي القضاة كمال الدين بن الزمليكانى :

ماذا يقول الواصفون له وصفاته جلّت عن الحصر
هو حجة لله قاهرة هو بيننا أعجوبة الدهر
هو آية للخلق ظاهرة أنوارها أربت على الفجر
يقول الشيخ أبو الحسن الندوى عنه :

« لا يستطيع أى إنسان أن يتذوق العبادة وينهمك فيها مالم يشعر بلذتها
ويدوق طعمها ، ومالم تحتل العبادة محل الدواء والتزاع والقوة ، ويصل إلى

درجة تصبح الصلاة فيها لعينه قرّة ولروحه مسرة ، أما الشيخ ابن تيمية فيشهد معاصروه والمطلعون على أحواله بأنه كان له القدر المعلى في هذه الثروة الغالية ، وكان له ذوق خاص في العبادة والمناجاة والخلوة . وكان شديد الشغف بهذه الناحية ، عظيم الانهالك فيها جاء في « الكواكب الدرية » . وكان في ليله منفرداً عن الناس كلهم خالياً بربه ، ضارِعاً مواظباً على تلاوة القرآن العظيم ، مكرراً لأنواع التعبّدات الليلية والنهارية ، وكان إذا دخل في الصلاة ترتعد فرائضه وأعضاؤه حتى يميل يمينه ويسرة . ويقول العلامة الذهبي : « لم أر مثله في إبتهاله واستغاثته وكثرة توجهه » ويقول أيضاً « وله أوراد وأذكار يدمنها بكيفية وجمعية » أ. هـ .

• وقال عنه الذهبي « نشأ رحمه الله في تصون تام وعفاف وتألّه وتعبّد » . وقال بعض قدماء أصحابه : « براً بأمه ورعاً عفيفاً عابداً ناسكاً صواماً قواماً ، ذكر الله تعالى في كل أمر وعلى كل حال » . يقول عنه تلميذه الحافظ ابن عبد الهادي لما سجن وأخرج ما معه من

الكتب .

« ولما أخرج ما عنده من الكتب والأوراق ، حمل إلى القاضي علاء الدين القونوي وجعل تحت يده في المدرسة العادلية .

وأقبل الشيخ بعد إخراجها على العبادة والتلاوة والتذكر والتهجد حتى أتاه اليقين ، وختم القرآن مدة إقامته بالقلعة ثمانين أو إحدى وثمانين ختمة انتهى في آخر ختمة إلى آخر اقتربت الساعة ﴿ إن المتقين في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر ﴾ أ. هـ .

ولا غرو أن مدحه الشيخ مجير الدين أحمد بن الحسن بن محمد الخياط الجونخي فقال :

« كم له في حنادس الخطب والخلق نيام حتى الضحى من قيام »^(١)

(١) العقود الدرية ج ٣٦٨ للحافظ ابن عبد الهادي دار الكتب العلمية بيروت .

وقال بدر الدين حسن بن محمود النحوى الماردانى فى رثائه :

عجبت لقبر ضم جسمك تُربه
نقلت من الدنيا إلى ظل روضة
إذا قال فى عليك أمعن قائل
وماذا يقول المادحون بوصفه
وإن أودعوك السجن منهم جهالة
فما يحتفى إلا الجواهر فى الورى
سقاك حياً . ومن وابل الغيث سحرة
ونور نوار الربيع ربوعه
ويقول عنه أيضاً :

نثرت على فرق الزمان جواهرًا
بفضل صلاة مع صلاتك فى الدجى
متى صير المعراج للخلد فى الدجى
ويقول عنه شمس الدين الحنبلى :
لتبكيك دار كنت تسكنها
ويقول أيضاً :

ولم يزل فى قيام الدين مجتهدًا
رحمك الله أبا العباس ، حين تقول : « ماذا يصنع أعدائى بي .. أنا جنتى
وبستانى فى صدرى أينما رحمت فهى معى .. إن معى كتاب الله وسنة نبيه .. إن
قتلوني فقتلى شهادة .. وإن نفوني عن بلدى فنفى سياحة وإن سجنوني فأنا فى
خلوة مع ربى .. إن المحبوس من حبس عن ربه ، وإن الأسير من أسره هواه ..
نعم يا شيخ الإسلام ويا زين المهجدين .. كما يصفك ويرثيك الإمام زين الدين
عمر بن الحسام الشبلى :

(١ ، ٢ ، ٣) انظر العقود الدرية .. ما قبل من مرآتى فى شيخ الإسلام ابن تيمية .

يجفوا المضاجع راکعاً وساجداً أو ذاكراً لله في الظلماء
وكما يقول عنه الشيخ ابن الحضری الحنبلي :
متزهداً متعبداً متهجداً متخشعاً متورعاً متديبنا
ويقول الشيخ شهاب الدين التبريزي الحنفي في سجن شيخ الإسلام :

غار الإله عليه من أغياره فزواه عنهم والمحب غيور
فخلا به يتلو عليه كلامه وله الحبيب مؤانس وسمير
حتى إذا اشتد التشوق زفه زف العروس وذيلها مجرور
ولقد سرى فوق الرقاب سريره فعجبت كيف الراسيات تسير
ماكنت أعلم قبل يوم وفاته أن البحار الزاخرات تغور
ولقد سرت لسريه لما سرى سير لها حتى النشور نشور
وكذا جنازته تعالى الله لم ينظر لها في العالمين نظير
ومن العجائب أنها نطقت على صمت بما هو كامن مستور
نعم ... قولوا لأهل البدع .. بيننا وبينكم يوم الجناز ... نعم من غسله من
الحفاظ ، وكم شيعة من الناس .

يقول الشيخ تقي الدين الدقوقي البغدادي المحدث :
مضى الزاهد الندب ابن تيمية الذي أقر له بالعلم والفضل ضده
يحن إليه في النهار صيامه ويشتاقه في ظلمة الليل ورده^(١)

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية للملك الناصر الذي يقول له : أنت تفكر في
الحصول على الملك ، فيجيبه : « أنا أفعل ذلك ؟ والله إن منكك وملك المغول
لا يساوي عندي فلساً »^(٢)

قيام ابن قيم الجوزية :

لقد كان شيخ الإسلام ابن القيم والحافظ ابن عبد الهادي آية من آيات شيخ

(١) انظر العقود الدرية .

(٢) الكواكب الدرية ص ١٦٦

الإسلام ابن تيمية . وللشيخ شيخ الإسلام ابن القيم : روحانية لا تجارى وهو بحق حادى الأرواح إلى بلاد الأفراح
يقول عنه ابن رجب الحنبلى تلميذه :

« وكان ذا عبادة وتهجد وطول صلاة إلى الغاية القصوى ولم أشاهد مثله في عبادته وعلمه بالقرآن والحديث وحقائق الإيمان ، وليس هو بالمعصوم ولكن لم أر في معناه مثله ، وقد امتحن وأوذى مرات وحبس مع شيخه شيخ الإسلام تقي الدين في المرة الأخيرة بالقلعة منفرداً عنه ، ولم يفرج عنه إلا بعد موت الشيخ ، وكان في مدة حبسه مشتغلاً بتلاوة القرآن وبالتدبر والتفكير ففتح عليه من ذلك خير كثير وحصل له جانب عظيم من الأذواق والمواجيد الصحيحة وتسلط بسبب ذلك على الكلام في علوم أهل المعارف والخوض في غوامضهم وتصانيفه ممتلئة بذلك وحج مرات كثيرة وجاور بمكة وكان أهل مكة يتعجبون من كثرة طوافه وعبادته .. » أ . هـ ^(١)

قيام الإمام الصالح : ابن بطة الحنبلى صاحب كتاب « الإبانة » :
قال عنه الذهبي : صاحب أحوال وإجابة دعوة ، وقال ابن ماكولا : إنه أحد الزهاد العباد .

وقال ابن العماد : إنه « العبد الصالح » .
• ذكر ابن الجوزى بسنده أن أحمد بن محمد الدلوى قال : « لما رجع أبو عبد الله بن بطة من الرحلة لازم بيته أربعين سنة فلم يُرَ خارجاً في سوق ، ولا رؤى مفطراً إلا يومى الأضحى والفطر . وكان قيام الليل أمراً عادياً بالنسبة للشيخ فكانه جُبِلَ على ذلك ، فقد ذكر ابن العماد عنه ^(٢) » أنه كان يقوم الليل كله فكان يجعل عشاءه قبل الفجر يبسیر ولا ينام حتى يصبح » .

(١) المنتظم ١٩٤/٧ . انظر كتاب الشرح والإبانة والمقدمة للدكتور رضان بن نعيان معطى ص ٣٣ ،

قيام أحمد بن مهدي :

المحدث الأمين ، حليف العبادة والسهر ، أليف السنة والأثر ، كان رحمه الله ذا مال كثير فأنفقه كله على العلم ، نحو ثلاثمائة ألف درهم ، وذكر أنه لم يعرف له فراش أربعين سنة^(١) .

قيام عرفجة :

عن خلف بن تميم قال : كان فتي من أهل الكوفة متعبد يقال له عرفجة وكان يجي الليل صلاة ، فاستزاره بعض إخوانه ذات ليلة فاستأذن أمه في زيارته فأذنت له ، قالت العجوز : فلما كان من الليل وأنا في منامي فإذا أنا برجال قد وقفوا عليّ فقالوا يا أم عرفجة : لم أذنت لإماننا الليلة ؟^(٢) .

قيام شداد المجدوم :

قال محمد بن الحسين : كان بالبصرة رجل يقال له شداد أصابه الجذام فانقطع ، فدخل عليه عواده من أصحاب الحسن فقالوا كيف تجدك ؟ قال : بخير ، ما فاتني حزي من الليل منذ سقطت ، وما بي إلا أني لا أقدر على أن أحضر صلاة الجماعة^(٣) .

قيام عابد من عباد الكوفة ... واقتيل جهنمًا :

قال منصور بن عمار : نزلت سكة من سكك الكوفة فخرجت في ليلة مظلمة مستحلكة فإذا أنا بصوت شاب يدعو ويبكي وهو يقول : « إلهي وعزتك وجلالك ما أردت بمعصيتي مخالفتك ، ولقد عصيتك إذ عصيتك وما أنا بنكالك جاهل ، ولا لعقوبتك متعرض ولا بنظرك مستخف ولكن سؤلت لي نفسي فأعانتني عليها شقوتي ، وغرني سترك المرخي عليّ ، فقد عصيتك وخالفتك بجهلي ، فإلى من أحتسى ، ومن من عذابك يستنقذني ، ومن أيدى زبانيتك من

(١) حلية الأولياء ج ١٠ ص ٣٩٧ .

(٢) حلية الأولياء ج ١٠ ص ١٣٥ .

(٣) حلية الأولياء ج ١٠ ص ١٤٦ .

يخلصني ، وبجبل مَنْ اتصل إذا أنت قطعت جبلك عني ، واسوءتاه إذا قيل للمُخْفَيْن جوزوا وللمثقلين حطوا . فبالت شعري مع المثقلين نخط أم مع الخفَيْن نجوز وننجوا .. كلما طال عمري وكبر سني كثرت ذنوبي وكثرت خطاياي ، فيا ويلي كم أتوب وكم أعود ولا أستحي من ربي - واشباباه واشباباه - قال منصور فلما سمعتُ هذا الكلام وضعت في علي باب داره وقلت أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾ الآية . قال منصور ثم سمعت للصوت اضطراباً شديداً وسكن الصوت فقلت إن هناك بلية فعلمت على الباب علامة ومضيت لحاجتي فلما رجعت من الغد إذ أنا بجزاة منصوبة وأكفان تصلح وعجوز تدخل الدار وتخرج باكية ، فقلت يا أمة الله مَنْ هذا الميت منك ؟ قالت : إليك عني لا تجدد عليّ أحزاني ، قلت : إني رجل غريب أخبريني ، قالت والله لولا أنك غريب ما أخبرتك ، هذا ولدي ومن زلّ عن كبدي ومن كنت أظن به سيدعولي من بعدى .. كان ولدي إذا جن عليه الليل قام في محرابه يبكي على ذنوبه وكان يعمل هذا الخوص فيقسمُ كسبه أثلاثاً فثلث يطعمني وثلث للمساكين وثلث يفطر عليه فمرّ علينا البارحة رجل لا جزاه الله خيراً فقراً عند ولدي آية فيها ذكر النار فلم يزل يضطرب ويبكي حتى مات رحمه الله .. قال منصور : هذه صفة الخائفين إذا خافوا السطوة (١) .

قيام الأسود بن يزيد بن قيس « تابعي »

كان رحمه الله يختم القرآن في غير رمضان في ست ليال .

قال عماره : ما كان الأسود إلا راهباً من الرهبان .

وكان رحمه الله يجهد نفسه في الصوم والعبادة حتى يخضر جسده ويصفر ،

وكان علقمة يقول له : ويحك لِمَ تُعَذِّب هذا الجسد فيقول : إِنَّ الْأَمْرَ جَدٌّ ، إن

الأمر جد .

(١) حلية الأولياء ج ١٠ ص ١٨٨ ، ١٨٩ .

وقال علقمة بن مرثد : انتهى الزهد إلى ثمانية من التابعين منهم الأسود بن يزيد .

لَمَّا احْتَضَرَ بَكِي فَقِيلَ لَهُ مَا هَذَا الْجُرْعُ فَقَالَ : لَا أَجْزَعُ !! وَمَنْ أَحَقُّ بِذَلِكَ مِنِّي ، وَاللَّهِ لَوْ أُتَيْتُ بِالْمَغْفِرَةِ مِنْ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِأَهْمَّتَنِي الْحَيَاءُ مِنْهُ بِمَا قَدْ صَنَعْتُ ، إِنْ الرَّجُلُ لِيَكُونَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الرَّجُلِ الذَّنْبُ الصَّغِيرِ فَيَعْفُو عَنْهُ وَلَا يَزَالُ مُسْتَحْيَاً مِنْهُ (١)

قيام أبي إسحاق عمرو بن عبد الله السبيعي : « تابعي » :

عن مغيرة : كنت إذا رأيت أبا إسحاق ذكرتُ به الصدر الأول . قال أبو بكر بن عياش : سمعت أبا إسحاق السبيعي يقول : ذهب الصلاة مني ، وضعفتُ ورقَ عظمي ، إني اليوم أقوم في الصلاة فما أقرأ إلا البقرة وآل عمران .

وكان رحمه الله قد ضعف عن القيام فكان لا يقدر أن يقوم إلى الصلاة حتى يُقام ، فإذا أقاموه فاستمَّ قائمًا قرأ ألف آية وهو قائم . وقال سفيان : كان أبو إسحاق يقوم ليل الصيف كله وأما الشتاء فأوله وآخره . وبين ذلك هجعة .

وقال رحمه الله : ما أقلت عيني غمضًا منذ أربعين سنة ، إذا استيقظت لم أقلها . قال له عون بن عبد الله : ما بقي منك ؟ قال : أصلي فأقرأ البقرة في ركعة ، قال : ذهب شركُ وبقى خيرك (٢) .

قيام حجيرة بن الربيع العدوي « تابعي » :

قال هلال بن حق : كان حجيرة بن الربيع يصلي حتى ما يأتى فرشهُ إلا زحفًا وما يعدونه من أعبدهم .

(١) صفة الصفوة ج ٣ ص ٢٣ .

(٢) صفة الصفوة ج ٣ ص ١٠٤ ، تذكرة الحفاظ للذهبي ج ١ ص ١١٥ .

قيام رجال من بيت النبوة

قيام علي بن عبد الله بن عباس : السجاد... فمر قريش :

قال ابن سعد : كان من أجمل قريش على وجه الأرض .. وكان يدعى السجاد لكثرة صلواته .

قال مصعب الزبيري : سمعت رجلاً من أهل العلم يقول : إنما كان سبب عبادته أنه رأى عبد الرحمن بن أبان بن عثمان بن عفان وعبادته فقال لأنا أولى بهذا منه وأقرب إلى رسول الله ﷺ وآله وسلم رحماً فتجرد للعبادة .

قال علي بن أبي حملة : كان علي بن عبد الله يسجد كل يوم ألف سجدة .
وعن أبي سنان : كان علي بن عبد الله معنا بالشام وكان يصلي كل يوم ألف ركعة^(١) .

قيام موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين « موسى الكاظم » :
كان موسى بن جعفر يدعى العبد الصالح من عبادته واجتهاده وكان إماماً من أئمة المسلمين . قال الخطيب : « روى أصحابنا أنه دخل مسجد رسول الله ﷺ فسجد سجدة في أول الليل ، وسمع وهو يقول في سجوده : عظيم الذنب عندي فليحسن العفو عندك . يا أهل التقوى ويا أهل المغفرة ، فاجعل يرددها حتى أصبح .

• قال عمار بن أبان : حُبس أبو الحسن موسى بن جعفر عند السدي ، فسألته أخته أن تتولى حبسه - وكانت تتدين - ففعل ، فكانت تلى خدمته ، فحكى لنا أنها قالت : كان إذا صلى العتمة حمد الله ومجده ودعاه ، فلم يزل كذلك حتى يزول الليل ، فإذا زال الليل قام يصلي - حتى يصلي الصبح ، ثم يذكر قليلاً حتى تطلع الشمس ، ثم يقعد إلى ارتفاع الضحى ، ثم يتبها ويستاك ويأكل ، ثم يرقد إلى قبل الزوال ، ثم يتوضأ ويصلي حتى يصلي العصر ، ثم

(١) تهذيب التهذيب ج ٧ ص ٣٥٨ .

يذكر في القبله حتى يصلى المغرب ، ثم يضى ما بين المغرب والعتمة فكان هذا
دأبه ، فكانت أخت السندى إذا نظرت إليه قالت : خاب قوم تعرضوا لهذا
الرجل وكان عبداً صالحاً^(١) .

قيام المجاهدين

قيام القسيم .. الملك الشهيد

نور الدين محمود زنكى

الملك الشهيد .. قاهر الصليبيين :

قال ابن الأثير: لم يكن بعد عمر بن عبد العزيز مثل الملك نور الدين .
قال عنه الحافظ ابن كثير :

« كان كثير الصلاة بالليل من وقت السحر إلى أن يركب .

جمع الشجاعة والخشوع لديه ما أحسن الشجعان في المحراب

وكذلك كانت زوجته عصمت الدين خاتون بنت الأتابك معين الدين تكثر
القيام في الليل ، فنامت ذات ليلة عن وردها ، فأصبحت وهى غضبي فسألها
نور الدين عن أمرها فذكرت نومها الذى قوت عليها وردها ، فأمر نور الدين
عند ذلك بضرب طبلخانة فى القلعة وقت السحر لتوقظ النائم ذلك الوقت لقيام
الليل ، وأعطى الضارب على الطبلخانة أجراً جزيلاً وجراية كثيرة .

فألبس الله هاتيك العظام وإن بُلينَ تحت الثرى عفوفاً وغفرانا
سقى ثرى أودعوه رحمة ملأت مئوى قبورهم روحاً وربحانا^(٢)

وقال أيضاً الحافظ ابن كثير عن الملك الشهيد :

(١) تاريخ بغداد ج ١٣ ص ٣١ .

(٢) البداية والنهاية ٢٧٩/١٢ .

« وكان مدمنا لقيام الليل ، يصوم كثيرا ، مجاهدا في الفرنج صحيح الاعتقاد » .

وقال عنه أيضاً : « كان كثير الصلاة بالليل ، كثير الابتهاج في الدعاء والتضرع إلى الله عز وجل في أموره كلها .
قال الفقيه : أبو الفتح الأشرى معيد النظامية ببغداد وجامع المختصر في سيرة نور الدين :

« بلغنا عن جماعة من الصوفية ممن يعتمد على قولهم أنهم دخلوا بلاد القدس للزيارة أيام أخذ القدس الفرنج فسمعهم يقولون : إن القسيم بن القسيم - يعنون نور الدين - له مع الله سر ، فإنه لم يظفر وينصر علينا بكثرة جنده وجيشه وإنما يظفر علينا وينصر بالدعاء وصلاة الليل ، فإنه يصلى بالليل ويرفع يده إلى الله ويدعو فإنه يستجيب له ويعطيه سؤله فيظفر علينا - قال - فهذا كلام الكفار في حقه » (١) .

انظروا بربكم إلى كلام أعدائه .. « إنه يظفر علينا وينصر بالدعاء وصلاة الليل » .. فضل قيام الليل عرفه حتى الكفار وأقروا به لمن أراد النصر .

ويرحم الله من قال عن الملك الشهيد :
ومدرسة ستدرس كل شيء وتبقى في حمى علم ونسك
تضوع ذكرها شرقاً وغرباً بنور الدين محمود بن زنكي
كان رحمه الله يقول في سجوده : « اللهم ارحم المكاس العشار الظالم محمود » .

أما عن شجاعته فيقول ابن كثير : « إنه لم يُر على ظهر فارس قط أشجع ولا أثبت منه ، وكان شجاعاً صبوراً في الحرب ، يضرب المثل به في ذلك ، وكان يقول : « لقد تعرضت للشهادة غير مرة فلم يتفق لي ذلك ، ولو كان في خير ، ولى عند الله قيمة لرزقنيها والأعمال بالنية » .

(١) البداية والنهاية ٢٨٣/١٢ .

وقال له يوماً قطب الدين النيسابورى : بالله يا مولانا السلطان لا تخاطر بنفسك ، فإنك لو قتلت قتل جميع من معك ، وأخذت البلاد وفسد حال المسلمين ، فقال له : اسكت يا قطب الدين فإن قولك إساءة أدب على الله ، ومن هو محمود ؟ ومن كان يحفظ الدين والبلاد قبلى غير الذى لا إله إلا هو ؟ ومن هو محمود ؟ قال فبكى من كان حاضراً» (١) .

تلك المكارم لا تعبان من لبن وذلك السيف لاسيف بن ذى يزن أما عن زوجته عصمت الدين بنت معين الدولة كثيرة التهجذ ، وأحسن النساء فى عصرها وأعفهن وأكبرهن صدقة ، فقد تزوجت تلميذه صلاح الدين الأيوبي سنة ٥٧٢ هـ بعد موت أستاذه نور الدين .. وامرأة صالحة كهذه لا تكون تحت إلا من هو مثل ابن زنكى وصلاح الدين الأيوبي .

قيام الناصر صلاح الدين بطل حطين وقاهر الصليبيين :

قال القاضى بهاء الدين - المعروف بابن شداد الذى عاصر صلاح الدين -

عن بطلنا صلاح الدين :

« وأما الصلاة فإنه كان رحمه الله شديد المواظبة عليها حتى أنه ذكر يوماً أنه من سنين ما صلتى إلا جاعة ، وكان يواظب على السنن والرواتب ، وكان له صلوات يصلها إذا استيقظ من الليل ، وإلا أتى بها قبل قيام الفجر ، وكان رحمه الله يحب سماع القرآن العظيم ، وكان خاشع القلب غزير الدمعة ، إذا سمع القرآن يخشع قلبه وتدمع عينه فى معظم أوقاته» (٢) .

وإن تعجب فاسمع حديث البطل جملة :

قال صاحب كتاب طبقات الشافعية : « وسمع صلاح الدين الحديث من

الحافظ أبى طاهر السلفى ، وأبى الطاهر بن عوف ، والشيخ قطب الدين

(١) البداية والنهاية ٢٨٠/١٢ .

(٢) صلاح الدين الأيوبي بطل حطين للشيخ عبد الله ناصح علوان ص ١٤٠ ، ١٤١ . الناشر دار السلام للطباعة والنشر .

النيسابوري وعبد الله بن بري النحوي وجاعة .. وكان فقيهاً يقال : إنه يحفظ القرآن الكريم والتنيه في الفقه والحجاسة في الشعر» .

ألا تعجب يا أخى من رجل رقيق القلب سريع الدمعة عند سماع الحديث ، بل يواظب على سماع الحديث حتى أنه يسمع في بعض مصافه جزء وهو بين الصقيين فكان يتبجح بذلك ويقول : هذا موقف لم يسمع أحد في مثله حديثاً^(١) . رحيمك الله يا صلاح الدين .

أما عن غيرته وبطولته وجهاده للدفاع عن معاقل الإسلام فهيات أن تلد النساء مثله :

الجراحات تستغيث وتشكو ملء سمع الوجود قم يا صلاح فصلاح الدين لو كان في الرعيل الأول لكان آية ، فهم دينه كما فهمه السلف .

لم يعرفوا الدين أوراداً ومسبحه بل أشبعوا الدين محراباً وإيماناً يقول عنه القاضي بهاء الدين :

« كان رحمه الله عنده من القدس أمر عظيم لا تحمله الجبال ، وهو كالوالده الثكلي يحول بفرسه من طلب إلى طلب ، ويحث الناس على الجهاد ، ويطوف بين الأطلاب وينادى : يا للإسلام ! .. وعيناه تذرغان بالدموع ، وكلمة نظري عكا ، وما حل بها من البلاء ، وما يجرى على ساكنيها من المصاب العظيم ، اشتد في الزحف ، والحث على القتال ، ولم يطعم في ذلك اليوم طعاماً ألبته . وإنما شرب أقداح دواء كان يشير بها الطيب ، ولقد أخبرني بعض أطبائه أنه بقي من يوم الجمعة إلى يوم الأحد لم يتناول من الغذاء إلا شيئاً يسيراً لفرط اهتمامه^(٢) .

وكان إذا سمع أن العدو قد دهم المسلمين ، فكان يرى ساهراً مهتماً مغتماً ساجداً لله

(١) البداية والنهاية ٥/١٣ .

(٢) صلاح الدين الأيوبي ص ١٦٤ .

داعياً في سجوده بهذا الدعاء « إلهي قد انقطعت أسبابي الأرضية في نصره دينك ، ولم يبق إلا الإخلاق إليك ، والإعتصام بحبلك والإعتماد على فضلك أنت حسبي ونعم الوكيل » ويقول القاضي بهاء الدين : « ورأيتُه ساجداً ودموعه تتقاطر على شيبته ثم على سجداته ولا أسمع ما يقول ، ولم ينقض ذلك اليوم إلا وبأتية أخبار النصر على الأعداء » (١)

وقال مرة للقاضي ابن شداد وهو يركب البحر : « أما أحكى لك شيئاً في نفسي .. إنه متى يسّر الله تعالى فتح بقية الساحل قسّمتُ البلاد وأوصيت وودعت ، وركبت هذا البحر إلى جزائره ، واتبعتهم فيها حتى لا أبقى على وجه الأرض من يكفر بالله أو أموت .. ثم قلت - أي ابن شداد - :

ما هذه إلا نية جميلة ولكن المولى يسير في البحر العساكر وهو سور الإسلام ومنعته فلا ينبغي أن يخاطر بنفسه ، فقال : أنا أستفتيك ما أشرف الميتين ؟ فقلت : الموت في سبيل الله ، فقال : غاية ما في الباب أن أموت أشرف الميتين « فانظر إلى هذه الطوية ما أظهرها ، وإلى هذه النفس ما أشجعها ويرحم الله أبا الحسن بن الجويني حين يقول :

إذا طوى الله ديوان العباد فما يطوى لأجر صلاح الدين ديوان

ويرحم الله من قال :

فُتِحَ الشَّامُ وَطُهِرَ الْقُدْسُ الَّذِي هُوَ فِي الْقِيَامَةِ لِلْأَنَامِ الْمُحْشَرِ
يَا يُوسُفُ الصِّدِّيقُ أَنْتَ لِفَتْحِهَا فَارُوقُهَا عَمْرُ الْإِمَامِ الْأَطْهَرِ
وَلَأَنْتَ عِمَّانُ الشَّرِيعَةِ بَعْدَهُ وَأَنْتَ فِي نَصْرِ النُّبُوَّةِ حَيْدَرُ
وَيَرْحَمُ اللَّهُ مَنْ قَالَ :

ونور الدين في عكا ويافا له صول كزججة الرعود
ويرفع في روايبها « صلاح » بنود النصر تحفك بالنشيد

(١) صلاح الدين الأيوبي ص ١٤٢ .

فيا قدسائه .. يا جرحنا الدامي مَنْ من أحفاد الركع السجود الذين تهجدوا
وتبتلوا لربهم .. مَنْ من أحفاد التاصر وزنكى لك ، وتُرى يا قدس يرجع
الماضى .

صلاح الدين فى أعماق أعماق بنا دىنى
وراياتى التى طُوِيَتْ على ربوات حطين
وأطفالى هناك هناك فى عمر الرياحين
وآلاف من الأسرى وآلاف المساجين
وصوت مؤذن الأقصى يهيب بنا أغيثونى

رهبان الليل وفرسان النهار :

ما عرف الإسلام أبناءه إلا كذلك ... متهجين قادة .. سجلوا بأحرف من
نور فتوحات تضىء الدنيا من لألاء نورها ..

السلطان المجاهد محمد بن مراد الفاتح فاتح القسطنطينية :

ذلكم السلطان الذى دك صلبان، العالم وفتح القسطنطينية وحول كنيسة أيا
صوفيا إلى مسجد أيا صوفيا .. ذلكم السلطان تلميذ الشيخ آق شمس الدين ...
ذلكم السلطان الذى قاد بنفسه الهجوم على القسطنطينية وقال لجنوده :
يا أبناءى ، هاأنا ذا مستعد للموت فى سبيل الله فمن رغب فى الشهادة فيلحق بى .

وقبلها بيوم يسجل لك التاريخ أيها البطل أنك صمت اليوم السابق ليوم
الفتح ، وندبت جندك إلى الصيام .. وبعد العشاء الآخرة .. تمضى الساعات
يجنودك بين قائم يصلى أو متهجد يبتهل . وتتحدث كتب التاريخ بأنك كنت
صواماً قواماً :

« كان رضى الله عنه وأرضاه ، صواماً قواماً يجد الأُنس والسكينة فى طاعة
الله ، كلما حزبه أمر واشتد به عنت ، وكان يقدم بين يدي كل معركة يخوضها

بالإكثار من الطاعات صياماً وقياماً ودعاءً ومناجاةً»^(١) صدق الشيخ أبو الحسن الندوى حين يقول : على رأس كل حركة جهاد وكفاح شخصية روحية قوية ، وإن التضحية والإيثار والفداء من غير روحانية صافية مشرقة حلم لا يتحقق وغاية لا تنال .. وإليك المثال .

الأمير عبد القادر الجزائري :

هذا الأمير الذى رفع راية الجهاد فى الجزائر ضد الفرنسيين وأطلق الشرارة الأولى فيها ولم يهدأ له بال من عام ١٨٣٢ إلى ١٨٣٧ م حتى أقض مضاجع الفرنسيين وقد أثنى عليه مؤرخو الغرب وعلى شجاعته وعدله ورفقه وعلمه وفضله .

يقول عنه الأمير شكيب أرسلان فى كتابه « حاضر العالم الإسلامى » .. يتحدث عن أيامه فى دمشق :

« وكان كل يوم يقوم الفجر ويصلى الصبح فى مسجد قريب من داره فى محلة العمارة ، لا يتخلف عن ذلك إلا لمرض ، وكان يتعهد الليل »^(٢) .
أسد برقة .. ابن السنوسية .. الشيخ الشهيد عمر المختار :

ويذكر لنا التاريخ الزوايا السنوسية ومؤسسها الإمام السنوسى وطلابه وتلاميذه العبّاد المتجهدين المجاهدين ... بلغوا الذروة فى الروحانية والمثل فى التضحية والجهاد ويكفى أن نذكر أن أسد برقة - كما يسميه محمد أسد بكتابه « الطريق إلى الإسلام » - الشهيد عمر المختار الذى لم يستسلم قط بالرغم من ضراوة أعدائه الذين عرضوا عليه إنقاذ حياته بعد أن أسروه بشرط إعلانة التخلي عن كفاحه ، قال للقائد الإيطالى : « لن أتوقف عن قتالك وقومك حتى تغادروا بلادى أو أفارق حياتى ، وأقسم لك بالله الذى يعلم ما فى القلوب أنه لو لم تكن يداى مغلولتين فى هذه اللحظة بالذات ، إذن لقاتلتك بيدي الغزلاء أنا الشيخ

(١) السلطان المجاهد محمد الفاتح فاتح القسطنطينية ص ١٩٣ زياد أبو غنيمه - دار الفرقان .

(٢) « ربانية لا رهبانية » للشيخ أبى الحسن الندوى ص ١٢٠ .

رهبان فرسان مجهولون :

وكما يسطر لنا التاريخ ويروى عن القادة فهناك رجال الليل وفرسان النهار
المغمور ذكرهم ، العبق حديثهم منهم :
سعيد بن الحارث والخالدة :

عن رافع بن عبد الله قال قال لي هشام بن يحيى الكنانى : لأحدثك حديثاً
رأيتُه بعينى وشهدته بنفسى ونفعنى الله عز وجل به فعسى الله أن ينفعلك به كما
نعمنى ، قلت : حدثنى يا أبا الوليد قال : غزونا أرض الروم فى سنة ثمان وثلاثين
وعليها مسلمة بن عبد الملك وعبد الله بن الوليد بن عبد الملك وهى الغزوة التى
فتح الله عز وجل فيها الطوانة ، وكنا رفقة من أهل البصرة وأهل الجزيرة فى
موضع واحد وكنا نتناوب الخدمة والحراسة وطلب الزاد والعلوفات وكان معنا
رجل يقال له سعيد بن الحرث ذو حظ من عبادة يصوم النهار ويقوم الليل ، وكنا
نحرص أن نخفف عنه من نوبته ونتولى ذلك فإبى إلا أن يكون فى جميع الأمور
بحيث لا يخلى شيئاً من عبادته ، وما رأيتُه فى ليل ولا نهار إلا فى حال اجتهاد ،
فإن لم يكن وقت الصلاة أو كنا نسير لم يفتر عن ذكر الله تعالى ودراسة القرآن ،
قال هشام : فأدركنى وإياه النوبة ذات ليلة فى الحراسة ونحن محاصرون حصناً من
حصون الروم قد استصعب علينا أمره فرأيت من سعيد فى تلك الليلة فى شدة
الصبر على العبادة ما احتقرت معه نفسى وعجبت من قوة جسمه على ذلك ،
وعلمت أن الله يؤتى الفضل من يشاء . وأصبح كالألأ من التعب فقلت له :
يرحمك الله إن لنفسك عليك حقاً ولعينك عليك حقاً ولقد علمت أن رسول الله
ﷺ قال : « اكلفوا من العمل ما تطيقون » وذكرت له شبه هذا من الأحاديث
فقال لى : يا أخى إنما هى أنفاس تعدّ وعمر يفنى وأيام تنقضى ، وأنا رجل

(١) التصوف والاتجاه السلفى فى العصر الحديث للدكتور مصطفى حلمى ص ٢٣١ نقلا عن كتاب
« الطريق إلى الإسلام » لمحمد أسد .

أرتقب الموت وأبادر خروج نفسي ، فأبكاني جوابه ودعوت الله عز وجل له بالعون والتثبيت ، ثم قلت له : ثم قليلاً تستريح فإنك لا تدري ما يحدث من أمر العدو فإن حدث شيء كنت نشيطاً فنام إلى جانب الحباء ، وتفرق أصحابنا فمنهم من هو في القتال ، ومنهم من هو في غير ذلك ، وأقمت في موضعي أحرس رحالهم ، وأصلح لهم طعامهم فأنا كذلك إذ سمعت كلاماً في الحباء وعجبت مع أنه ليس فيه غير سعيد نائماً وظننت أن أحداً دخله ولم أره فدخلت فلم أجد أحداً غيره وهو نائم بحاله إلا أنه يتكلم وهو يضحك في نومه فأصغيت إليه وحفظت من كلامه ما أحب أن أرجع ، ثم مدّ يده اليمنى كأنه يأخذ شيئاً ثم ردها بلطف وهو يضحك ثم قال : فالليلة ثم وثب من نومه وثبة استيقظ لها وهو يرتعد فاحتضسته إلى صدرى مدة وهو يلتفت يميناً وشمالاً حتى سكن وعاد له فهمه وجعل يهلل ويكبر ويحمد الله تعالى فقلت له يا أخى : ما شأنك فقال : خير يا أبا الوليد ، قلت : إني قد رأيت منك شيئاً وسمعت منك كلاماً في نومك فحدثني بما رأيت . فقال : أوتعفيني من ذلك ، فذكرته حق الصحبة ، فقلت حدثني يرحمك الله فعسى الله أن يجعل لى في ذلك عظة وخبراً . فحدثته عما رأى في منامه من قول رجلين له لم يرقط مثل صورتها كمالاً وحسناً : يا أبا سعيد أبشر فقد غفر ذنبك وشكر سعيك وقبل عملك واستجيب دعاؤك وعجلت لك البشرى في حياتك فانطلق معنا حتى نريك ما أعد الله لك من النعيم .

وظل سعيد يسرد ما رأى من القصور والحدود وترجيبي به ، والجوارى ، حتى انتهى إلى سرير عليه واحدة من الحور العين كأنها اللؤلؤ المكنون فقالت له : قد طال انتظارنا إياك ، فقلت لها أين أنا ؟ قالت : في جنة المأوى . ومن أنت : قالت : أنا زوجتك الخالدة . قال : فمددت يدي إليها فردتها بلطف وقالت : أما اليوم فلا . إنك راجع إلى الدنيا ، فقلت ما أحب أن أرجع . فقالت : لا بد من ذلك وستقيم ثلاثاً ثم تفرط عندنا في الليلة الثالثة إن شاء الله تعالى . فقلت : فالليلة الليلة ، قالت : إنه كان أمراً مقضياً ، ثم نهضت عن مجلسها ووثبت

لقيامها فإذا أنا قد استيقظت ، قال هشام : فقلت يا أخى أحدث الله شكراً فقد كشف لك عن ثواب عملك ، فقال لى : هل رأى أحد غيرك مثل ما رأيت منى ، فقلت لا . فقال : أسألك بالله عزوجل إلا سترت على ما دمت حياً فقلت نعم . فقال : ما فعل أصحابنا فقلت : بعضهم فى القتال وبعضهم فى الحوائج فقام فطهر واغتسل ومسّ طيباً وأخذ سلاحه وسار إلى موضع القتال وهو صائم فلم يزل يقاتل حتى الليل ، وانصرف أصحابه وهو فيهم ، فقالوا لى : يا أبا الوليد لقد صنع هذا الرجل شيئاً ما رأيناه صنع مثله قط ولقد حرص على الشهادة وطرح نفسه تحت سهام العدو وحجارتهم وكل ذلك ينبو عنه ، فقلت فى نفسى لو تعلمون شأنه لتنافستم فى مثل صنيعه ، قال : وأفطر على شىء من الطعام وبات ليلته قائماً وأصبح صائماً فصنع كصنيعه بالأمس ، وانصرف من آخر النهار فذكر عنه أصحابه مثل ما ذكروه بالأمس ، حتى إذا كان اليوم الثالث وقد مضت ليلتان انطلقت معه وقلت لا بد أن أشهد أمره وما يكون منه ، فلم يزل يلقى نفسه تحت مكاييد العدو نهاره كله ولا يصل إليه شىء وهو يؤثر فيهم الآثار ، وأنا أراعه من بعيد لا أستطيع الدنو منه ، حتى إذا نزلت الشمس للغروب وهو أنشط ما كان فإذا برجل من فوق حائط الحصن قد تعمد به سهم فوق فى نحره فخر صريعاً وأنا أنظر إليه ، فصحت بالناس فابتدروه واجتذبه وبه رمق وجاءوا به يحملونه فلما رأته قلت له : هنيئاً لك بما تفطر عليه الليلة ياليتنى كنت معك . فعرض شفته السفلى ، وأوماً إلى بصره وهو يضحك يعنى اكنم أمرى حتى أموت .

ثم قال : الحمد لله الذى صدقنا وعده فوالله ما تكلم بشىء غيرها ، ثم قضى رحمه الله عليه قال هشام : فقلت بأعلى صوتى : يا عباد الله لمثل هذا فليعمل العاملون ، اسمعوا ما أخبركم به عن أخيكم هذا ، فاجتمع الناس إلى فحدثتهم بالحديث على وجهه فمأربيت قط أكثر من تلك الساعة باكباً ، ثم كبوا تكبيرة اضطرب لها العسكر ، وأقبلوا للصلاة عليه ، وبلغ ذلك مسلمة بن عبد الملك

فقال : يصلى صاحبه الذى عرف من أمره ما عرف قال هشام : فصليت عليه ودفناه فى موضعه ، وبات الناس يذكرون حديثه ويحرض بعضهم بعضاً ثم أصبحوا فنهضوا إلى الحصن بنيات مجددة وقلوب مشتاقة إلى لقاء الله عز وجل فما أضحى النهار حتى فتح الله الحصن ببركته رحمه الله تعالى (١) .

رحمة الله على تلك الأنفس المهجدة .. المشتاقة إلى الحور .. إن أحدهم يداعب جرحه الصغير فيقول : إنك لصغير وقد يبارك الله فى الصغير فيصبح كبيراً يتمنى أن يلقى ربه شهيداً وقد بات ليله متهجداً ..

كم شهيد مضى على خفقات من صلاة يجوف ليل قافى
كم شهيد مضى فنخفت له الحور ر بشرى عرائس وغوافى
صنعتهم من الكتاب تراتب ل قيام بدمع هتان
فضيتم معلماً فى طريق ومنازراً للتائه الحيران
الشجاعة تُسقى بدمع التهجذ :

انظر رحمك الله إلى عبّاد بن بشر وسيرته .

وإلى سالم مولى أبى حذيفة الذى مرّ تهجده - خشى الصحابة أن يهزموا لِمَا حمل لواء المهاجرين فقال : بشس حامل القرآن أنا إذاً فقطعت يمينه ، فأخذ اللواء بيساره فقطعت بيساره ، فاعتنق اللواء وهو يقول ﴿وما محمد إلا رسول﴾ (٢) ، ﴿وكأى من نبى قاتل معه ربيون كثير﴾ (٣) .

● وقد مرّ بك تهجد عمرو بن عتبة بن فرقد فانظر إلى طرف من شجاعته وجهاده .

(١) فضائل الجهاد اللسنى فكاهاة الأذواق من مشارع الأشواق اختصار الشيخ محمود العالم ص ٨٦ -

٩٠ طبع مكتبة القاهرة .

(٢) الآية ١٤٤ من آل عمران .

(٣) الآية ١٦٦ من آل عمران .

(٤) «كتاب الجهاد» للإمام عبد الله بن المبارك ص ١٠٢ - سلسلة البحوث الإسلامية .

خرج رحمه الله في غزاة كان فيها أبوه فلبس جبة بيضاء وهو يقول ما أحسن حمرة الدم على البياض ، فسمع أبوه ذلك ، فقال : أقسمت عليك لتتزلن . قال : فتزل ، ثم اعتزل عن الصف ، فقام يصلي ، فجعل يدعو ، فالتفت إليه عتبة فقال لمن معه : هذا عمرو يستشفع عليّ بربه ، اركب يا بني إن شئت فركب ... ومروا بمرج حسن فقال عمرو : ما أحسن هذا المرج ، وما أحسن هذا الآن لو أن منادياً نادى : يا خيل الله اركبي ، فما كان أسرع من أن نادى المنادى : يا خيل الله اركبي .. وأصيب عتبة بجرح صغير.. فقال : والله إنك لصغير ، وإن الله عز وجل ليبارك في الصغير ، دعوني في مكاني هذا حتى أمسى ، فإن أنا عشت فارفعوني ، فمات شهيداً في مكانه ذلك (١) .

• وصلة بن أشيم الذي أحبي ليلة بنائه إلى الصباح شهدته ساحات الوغى مجاهداً . خرج غازياً هو وابنه فقال صلة لابنه : يا بني إلى أمك . فقال ابنه : يا أبت ، أتريد الخير لنفسك ، وتأمرنى بالرجعة ، أنت والله كنت خيراً لأمي مني . قال : أمّا إذا قلت هذا فتقدم ، قال : فتقدم ، فقاتل حتى أصيب فرمى صلة عن جسده ، وكان رجلاً رامياً حتى تفرقوا عنه ، وأقبل يمشى حتى قام عليه ، فدعا له ، ثم قاتل حتى قتل (٢) .

قيام الصحابي الجليل أبي رفاعة العدوي نعيم بن أسد :

قال ابن عبد البر كان من فضلاء الصحابة بالبصرة قتل بكابل سنة أربع وأربعين (٣) .

كان أبو رفاعة إذا صلى وفرغ من صلاته ودعا ، كان في آخر ما يدعوه به : اللهم أحيني ما كانت الحياة خيراً لي ، وإذا كانت خيراً لي ، فتوفني وفاة طاهرة

(١) كتاب الجهاد للإمام عبد الله بن المبارك ص ١١٤ - ١١٧ .

(٢) كتاب الجهاد للإمام عبد الله بن المبارك ص ١٢٩ .

(٣) الإصابة ج ٤ ص ٧١ .

طيبة يغبطني بها من سمع بها من إخواني المسلمين من عفتها وطهارتها وطيبها .
 واجعله قتلاً في سبيلك ، واجدعني^(١) عن نفسي . قال : فخرج في جيش
 عليهم عبد الرحمن بن سمرة ، فخرجت من ذلك الجيش سرية ، عامتهم من بني
 حنيفة ، فقال : إني منطلق مع هذه السرية . قال أبو قتادة : ليس ههنا أحد
 من بني ... ، ليس في رحلك أحد . قال : إن هذا الشيء قد عزم لي عليه ، إني
 لمنطلق . فانطلق معهم ، فأطافت السرية بقلعة فيها العدو ليلاً ، وبات يصلي ،
 حتى إذا كان من آخر الليل توسد ترسه فنام فأصبح أصحابه ينظرون من أين
 يأتون ، من أين يأتونها ، ونسوه نائماً حيث كان ، فبصر به العدو وأنزلوا عليه
 ثلاثة أعلاج^(٢) منهم ، فأتوه فأخذوا سيفه ، فقال أصحابه : أبو رفاعة نسيناه
 حيث كان فرجعوا إليه ، فوجدوا الأعلاج يريدون أن يسلبوه فأزاحوهم عنه
 واجتروه ، فقال عبد الله بن سمرة ، ما شعر أخو بني عدى بالشهادة حتى
 أتته^(٣) .

وكان أبو رفاعة يقول : ما غزبت^(٤) عنى سورة البقرة منذ علمنيها الله عز
 وجل ، أخذت معها ما أخذت من القرآن ، وما رفعت ظهري من قيام ليلي
 قط ، وكان يسخن لأصحابه الماء في السفر فيقول : أحسنوا الوضوء من هذا ،
 وسأحسن أنا من هذا ، فيتوضأ البارد^(٥) . وصدق القائل إذا يقول :
 والليل يعرفهم عباد هجعتهم والحرب تعرفهم في الروع فرسانا

(١) أى اقطعني . (مقاييس اللغة ٤٣٢/١) .

(٢) جمع عالج وهو الرجل القوى الضخم ، وقد يراد بالعلج الرجل من كفار المعجم وغيرهم « النهاية
 ١٢١/٣ » .

(٣) كتاب الجهاد ص ١٣٢ .

(٤) ما غابت عن علمي . (لسان العرب ٥٩٦/١) .

(٥) كتاب الجهاد ص ١٣٣ ، ١٣٤ .

أئمة فقهاء ومحدثون متجددون

ابن قدامة صاحب المغنى شيخ الحنابلة :

قال عنه شيخ الإسلام ابن تيمية « ما دخل الشام بعد الأوزاعي أفقه من الشيخ الموفق » قال الحافظ عمر بن الحاجب في معجمه : كان مجلسه عامراً بالفقهاء والمحدثين وأهل الخير . وصار في آخر عمره يقصده كل أحد . وكان كثير العبادة دائم التهجّد لم ير مثله ولم يرهو مثل نفسه «^(١) .

قال عنه ابن بدران : كان متعبداً يغلب عليه الاشتغال بالعلم والفقه . وقال سبط ابن الجوزي : « من رآه كأنما رأى بعض الصحابة وكأن النور يخرج من وجهه . كثير العبادة يقرأ كل يوم وليلة سبعاً من القرآن ولا يصلى السنة إلا في بيته » .

الحافظ الذهبي :

« الحافظ الهمام مفيد الشام ومؤرخ الإسلام » كما يقول عنه ابن ناصر الدين .. سيد الحفاظ وإمام المحدثين ..
شرب العسقلاني من زمزم ودعا الله أن يرزقه منزلة الذهبي في الحديث وكفى في هذا مدحاً له وشرقاً .

مازلت بالسمع أهواكم وما ذكرت أخباركم قط إلا ملت من طرب
وليس من عجب إن ملت نحوكم فالناس بالطبع قد مالوا إلى الذهب

قال عنه تلميذه : تقي الدين ابن رافع السلامي : « كان خيراً صالحاً متواضعاً حسن الخلق حلواً محاضرة ، غالب أوقاته في الجمع والاختصار والاشتغال بالعبادة . له ورد بالليل وعنده مروءة وعصبية وكرم »^(٢) .

(١) ترجمة ابن قدامة للشيخ ابن بدران من مقدمة روضة الناظر وشرحها نزهة الخاطر العاشر ص ٥٢٤ طبع مكتبة المعارف .

(٢) انظر روثق الألفاظ الورقة ١٨٠ لسبط ابن حجر .. النقل من كتاب « الذهبي ومنهجه في كتابه تاريخ الإسلام للدكتور بشار عواد معروف ص ١٣٢ .

الحافظ العراقي شيخ ابن حجر العسقلاني : أستاذ الأئمة :

« كان لا يترك قيام الليل ، بل صار له كالمألوف ، وكان كثير التلاوة
إذ اركب » قال ابن حجر « وقد لازمته ، فلم أره ترك قيام الليل بل صار كالمألوف » .
إمام وجبل في الحفظ والحديث ولا يترك قيام الليل^(١) وهذا درس لطلبة العلم الذين
يهملون العبادة وليقرأوا عن عبادة الخطيب البغدادي أيضاً .

قيام الحافظ نور الدين الهيثمي صاحب « مجمع الزوائد » :

تلميذ الحافظ العراقي وزوج ابنته :

قال له ابن حجر العسقلاني : « وكان كثير الاستحضار للمتون ، يسرع الجوار
بحضرة الشيخ فيعجب الشيخ ذلك ، وكان تزوج ابنة الشيخ ورزق منها أولاده ، وقد
عاشرتها مدة فلم أرهما يتركان قيام الليل » .

طلاب الحديث : انظروا إلى حرص الحافظ ابن حجر في ترجمته لشيخه والهيثمي
على التنويه بعدم تركها لقيام الليل « واسمعي يا جارة »^(٢) .

قيام أستاذ الأستاذين الحافظ ابن حجر صاحب « فتح الباري شرح صحيح

البخاري » :

بفتح الباري انشرح صدر البخاري .

« كان ملازماً لقيام الليل وسنة الضحى ويسرد الصوم ، وواظب أخيراً على
صوم يوم وإفطار يوم ، وكان كثير البر الفقراء »^(٣) .

قيام الإمام الشيرازي أبي إسحاق المتوفى سنة ٤٧٦ هـ :

حبر المسلمين في زمانه .

غسله إمام الحنابلة ابن عقيل .

(١) مقدمة تعليق التعاليف دراسة وتحقيق سعيد بن عبد الرحمن موسى القزق ص ١٣٧ طبع المكتب الإسلامي .

(٢) مقدمة تعليق التعاليف ص ١٤٢ .

(٣) مقدمة تعليق التعاليف ص ٦٠ .

كان إذا جاءه الليل يقوم يناجى رب العالمين جل وعلا بالصلاة والقرآن
والذكر وبآيات رقيقة من نظمه فيقول :

ليست ثوب الرجا والناس قد رقدوا
وقت أشكو إلى مولاي ما أجد

وقلت يا عدتي في كل نائبة ومن عليه لكشف الضر أعتمد
أشكو إليك أمورا أنت تعلمها مالي على حملها صبر ولا جلد
وقد مدت يدي بالذل معترفا إليك يا خير من مدت إليه يد
فلا تردنها يارب خائبة فبحر جودك يروى كل من يرد
يردد هذا ويبكى عليه رحمه الله^(١)

عباد آخرون

رياح بن عمرو القيسي :^(٢)

قال محمد بن الحر بن عبد ربه القيسي وكان ذا قرابة لرياح :
« كنت أدخل عليه المسجد وهويبكي ، وأدخل عليه البيت وهويبكي وآتبه
في الجبان وهويبكي فقلت له يوما : أنت دهرك في ماتم فبكي ثم قال : يحق
لأهل المصائب والذنوب أن يكونوا هكذا » .
وكان يبكي ويقول ، إلى كم يا ليل يا نهار تحطآن من أجلى وأنا غافل عما يراد
بي .

قال محمد بن مسعر : كان لرياح القيسي غل من حديد قد اتخذه وكان إذا
جته الليل وضعه في عنقه وجعل يتضرع ويبكى حتى يصبح .

(١) شريط قيام الليل للشيخ الطحان .

(٢) رياح بن عمرو القيسي : تكلم فيه الحافظ ابن حجر العسقلاني ووصفه بأنه من زهاد المتدعة .
ولقد أثنى عليه الشيخ الطحان في شريط قيام الليل ، وأثنى كذلك على زوجته .

« وعن عثمان قال : أخبرني محبة وكانت إحدى العوايد قالت : رأيت رياح
بن عمرو القيسي ليلة خلف المقام فذهبت فقامت خلفه حتى أزحفت ، ثم
اضطجعت وهو قائم وأنا أنظر إليه فقلت بصوت حزين : سبقني العابدون
وبقيت وحدي والى نفساه ، فإذا رياح قد شهق وانكبَّ على وجهه مغشياً
عليه ، فامتلاً منه رملًا فما زال كذلك حتى أصبحنا ثم أفاق^(١) »

وبعد يا أخى فهذى قطرة من بحر .. وهذى نفحة من شذى سيرتهم .. كلهم
يصدق فيهم قول الشيخ صلاح الدين أبو عيسى المقدسي لما رثى الموفق ابن قدامة :
قد كنت عبدا طائعا لا تنثنى عن باب ربك فى العبادة توسع
كم ليلة أحبيتها وعمرتها والله ينظر والحلائق هجع
تلو كتاب الله فى جنح الدجى أكزيور داود النبي ترجع

(١) صفة الصفوة ٣/٣٦٧ - ٣٦٩ .

• قيام عثمان بن مظعون رضي الله عنه :

قال الذهبي : « من سادة المهاجرين ، ومن أولياء المتقين الذين فازوا بوفاتهم في حياة نبهم فصلى عليهم ، وكان أبو السائب رضي الله عنه أول من دفن بالبقيع »^(١).

عن أبي بردة : دخلت امرأة عثمان بن مظعون على نساء النبي ﷺ فرأيتها سيئة الهيئة ، فقلن لها : ما لك ؟ فما في قريش أغنى من بعلك ! قالت : أما ليله فقائم ، وأما نهاره فصائم ، فلقبه النبي ﷺ فقال : « أما لك بي أسوة » الحديث^(٢) قال : فأتتهن بعد ذلك عطرة كأنها عروس .

غلبت عليه العبادة من صيام وقيام حتى همّ أن يختصي .

قال سعيد بن المسيب : سمعت سعدًا يقول : « رد رسول الله ﷺ على عثمان بن مظعون التبتل ، ولو أذن له لاختصينا »^(٣).

وعن عائشة أن رسول الله ﷺ قبل عثمان بن مظعون وهو ميت ، ودموعه تسيل على خد عثمان بن مظعون^(٤).

عن أبي النضر قال : لما مرّ بجنّازة عثمان بن مظعون قال رسول الله ﷺ : « ذهب ولم تلبس منها بشيء »^(٥).

(١) « الاستيعاب » ٦٣/٨ و « الإصابة » ٣٩٥/٦ ، سير أعلام النبلاء ١٥٤/١ .

(٢) رجاله ثقات أخرجه ابن سعد وعبد الرزاق .

(٣) حديث صحيح أخرجه أحمد والبخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه والدارمي .

(٤) الحديث حسن بشواهد : أخرجه أحمد وأبو داود وابن ماجه وقال الترمذي : حديث صحيح ،

وصححه الحاكم وسكت عنه الذهبي ، وفيه « عاصم بن عبيد الله » وهو ضعيف ، لكن الحديث

حسن بشواهد عند البزار من حديث معاذ بن ربيعة .

(٥) أخرجه مالك في الجنائز مرسلًا . وقال الزرقاني : وصله ابن عبد البر من طريق يحيى بن سعيد ،

عن القاسم عن عائشة .

تيمم الداري :

عن المنكدر بن محمد عن أبيه : أن تيمما الداربي نام ليلة لم يقم يتهدج ،
فقام سنة لم ينم فيها ، عقوبة للذي صنع^(١) .

عبد الله بن رواحة :

قال عبد الله بن رواحة :

أفْلَحَ مَنْ يَعَالِجُ الْمَسَاجِدَ وَيَقْرَأُ الْقُرْآنَ قَائِمًا وَقَاعِدَ
وَلَا يَبِيتُ اللَّيْلَ عَنْهُ رَاقِدًا^(٢)

● قال سهل بن أساف في صفة الصحابة :

رجال من الأحباب تاهت نفوسهم ينادونه خوفاً ويدعونهم قصداً
وقاموا بليل والظلام مُعَلَّلُ إلى منزل الأحباب فاستعملوا الكدأ
يحثون حثَّ الشوق نحو مليكهم وقصدهم الفردوس كي يرزقوا الخلداً
أولئك قوم في العبادة أخلصوا فتأهوا به شوقاً وماتوا به وجداً

● قيام سهيل بن عمرو رضي الله عنه :

خطيب قريش ، وفصيحهم ، ومن أشرافهم .
تأخر إسلامه إلى يوم الفتح ، ثم حسن إسلامه . كان سمحاً جواداً
مفوهماً . وقد قام بمكة خطيباً عند وفاة رسول الله ﷺ ، بنحو من خطبة
الصديق بالمدينة ، فسكنهم وعظم الإسلام .

(١) سير أعلام النبلاء ٢/٤٤٥ ، تهذيب ابن عساكر ٣/٣٥٩ وابن أبي الدنيا في « محاسبة النفس » .

(٢) شعر الدعوة الإسلامية لعبد الله بن حامد الحامد - كلية اللغة العربية بالرياض .

قال الزبير بن بكار : كان سهيل بعدُ كثير الصلاة والصوم والصدقة ، خرج بجماعته إلى الشام مجاهدا ، ويُقال : إنه صام وتهجد حتى شحب لونه وتغيّر ، وكان كثير البكاء إذا سمع القرآن . وكان أميراً على كردوس يوم اليرموك .

قال المدائني وغيره : استشهد يوم اليرموك . وقال الشافعي : مات في طاعون عمواس^(١) .

• قيام أبي ثعلبة الحشني رضي الله عنه صاحب النبي ﷺ :

قال البخاري : اسمه جُرهم ويقال : جرثوم بن ناشم . وهو من أهل بيعة الرضوان . وأسهم له النبي ﷺ يوم خيبر ، وأرسله إلى قومه .

قال أبو الزاهرية : سمعت أبا ثعلبة يقول : إني لأرجو ألا يخنقني الله كما أراكم تخنقون . فبينما هو يصلي في جوف الليل ، قبض وهو ساجد فرأت بنته أن أباه قد مات ، فاستيقظت فزعة ، فنادت أمها أين أبي ؟ قالت : في مصلاه ، فنادته فلم يجيبها ، فأنبهته فوجدته ميتاً^(٢) .

• قيام راهب قريش « أبي بكر بن عبد الرحمن » :

ابن الحارث بن هشام بن المغيرة القرشي ، أحد الفقهاء السبعة . كان صالحاً عابداً متألماً ، وكان يقال له : راهب قريش^(٣) .

(١) انظر سير أعلام النبلاء ١/١٩٤ ، ١٩٥ .

(٢) انظر سير أعلام النبلاء ٢/٥٧٠ - ٥٧١ ، الإصابة .

(٣) تذكرة الحفاظ ١/٦٣ - ٦٤ .

• قيام عمرو بن ميمون الأودي :

كان إذا رُئى ذكر الله تعالى .

قال إبراهيم : كان عمرو بن ميمون لَمَّا كبر أوتد له في الحائط ، فإذا سئم من القيام لله تعالى ، استعان بالوتد^(١) .

• قيام يزيد بن الأسود الجرشى :

من سادة التابعين بالشام . أسلم في حياة النبي ﷺ . قيل : إنه قال : قلت لقومي : اكتبوني في الغزو . قالوا : قد كبرت . قال : سبحان الله ، اكتبوني فأين سوادي في المسلمين ؟ قالوا : أما إذ فعلت ، فأفطر وتقوّ على العدو ، قال : ما كنت أراى أبقى حتى أعاتب في نفسي . والله لا أشبعها من الطعام ، ولا أوطئها من منام حتى تلحق بالله^(٢) .

عن سليم بن عامر قال : خرج معاوية يستسقي ، فلما قعد على المنبر ، قال : أين يزيد بن الأسود ؟ فناداه الناس ، فأقبل يتخطأهم . فأمره معاوية ، فصعد المنبر ، فقال معاوية : اللهم إنا نستشفع إليك بخيرنا وأفضلنا يزيد بن الأسود ، يا يزيد ، ارفع يديك إلى الله . فرفع يده ورفع الناس فما كان بأوشك من أن ثارت سحابة كالترس ، وهبّت ريح فسُقينا حتى كاد الناس أن لا يبلغوا منازلهم .

عن عبد الله بن يزيد قال : حدثني بعض المشيخة أن يزيد بن الأسود كان يسير في أرض الروم هو ورجل ، فسمع هاتفا يقول : يا يزيد ، إنك لمن المقربين ، وإن صاحبك لمن العابدين ، وما نحن بكاذبين^(٣) .

(١) تذكرة الحفاظ ٦٥/١ .

(٢) سير أعلام النبلاء ٤/١٣٦ .

(٣) سير أعلام النبلاء ٤/١٣٧ .

• سعيد بن المسيب :

عن ابن حرملة ، قلت لبرد مولى ابن المسيب : ما صلاة ابن المسيب في بيته ؟ قال : ما أدري ، إنه ليصلي صلاة كثيرة ، إلا أنه يقرأ ب ﴿ ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ﴾ ^(١) .

قال عاصم بن العباس الأسدي : « وكان سعيد بن المسيب يُذَكِّر ويُخَوِّف . وسمعتة يقرأ في الليل على راحلته فيكثر ، وسمعتة يجهر بيسم الله الرحمن الرحيم ، وكان يجب أن يسمع الشعر ، وكان لا ينشده ، ورأيتة يمشی حافيا » ^(٢) .

• قيام أبي رجاء العطاردي :

الإمام الكبير ، شيخ الإسلام ، عمران بن ملحان التميمي ، من كبار المخضرمين ، أدرك الجاهلية ، وأسلم بعد فتح مكة ولم ير النبي ﷺ .

قال ابن الأعرابي : كان أبو رجاء عابدا ، كثير الصلاة وتلاوة القرآن ، كان يقول : ما آسى على شيء من الدنيا إلا أن أعفر في التراب وجهي كل يوم خمس مرات . وكان يختم بالناس في قيام رمضان لكل عشرة أيام ^(٣) .

• قيام أبي جعفر الباقر :

الإمام سيد بنى هاشم في وقته محمد الباقر بن علي بن الحسين شهر بالباقر من : بقر العلم ، أي شقّه فعرف أصله وخفيّه . ولقد كان أبو جعفر إماما مجتهدا تاليا لكتاب الله ، كبير الشأن .

(١) الطبقات ١٣٢/٥ .

(٢) يمشی حافيا أحيانا وهذا من هدي رسولنا ﷺ . سير أعلام النبلاء ٢٤٠/٤ .

(٣) سير أعلام النبلاء ٢٥٣/٤ - ٢٥٧ .

قال عبد الله بن يحيى : رأيت على أبي جعفر إزارا أصفر ، وكان يُصلي كل يوم وليلة خمسين ركعة بالمكتوبة .

وعن عبد الله بن محمد بن عقيل : بلغنا أن أبا جعفر كان يصلي في اليوم واللييلة مئة وخمسين ركعة .

قال فيه مالك بن أعين :

إذا طلب الناسُ علمَ القرآ
ن كانت قريش عليه عيالا
وإن قيل : أين ابن بنت الرسو
ل نلتَ بذلك قرعا طُوالا
نجوم تُهَلَّلُ للمُدْلِجِـنَ
جبالٌ تُورثُ علماً جبالاً^(١)

عنه قال : أتاني جابر بن عبد الله ، وأنا في الكتاب . فقال لي : اكشف عن بطنك ، فكشفت ، فألصق بطنه بيطني ، ثم قال : أمرني رسول الله أن أقرئك منه السلام .

• قيام عاصم بن سليمان الأحول :

الحافظ قاضي المدائن :

قال الثوري : حفاظ الناس أربعة : إسماعيل بن أبي خالد ، وعاصم الأحول ، ويحيى بن سعيد الأنصاري ، وعبد الملك بن سليمان ، وأبى أن يجعل الأعمش معهم .

قال محمد بن عباد : أنا أبى قال : ربما كان عاصم الأحول صائما فيفطر ، فإذا صلى العشاء تنحى يصلى فلا يزال يصلى حتى يطلع الفجر^(٢) .

(١) سير أعلام النبلاء ٤/٤٠١ - ٤٠٥ ، تذكرة الحفاظ ١/١٢٤ .

(٢) تذكرة الحفاظ ٤/١٤٩ - ١٥٠ .

• قيام الوليد بن عبد الملك :

الخليفة الأموي .

فتح بَوَّابة الأندلس ، وبلاد الترك ، وكان لُحْنَة ، وحرص على النحو أشهراً ، فما نفع ، وغزا الروم مرات في دولة أبيه ، وكان فيه عسف وجبروت وقيام بأمر الخلافة ، وقد فرض للفقهاء والأيتام والزمنى والضعفاء وضبط الأمور . فإله يسامحه .

قيل : كان يختم في كل ثلاث ، وختم في رمضان سبع عشرة ختمة وكان يقول : لولا أن الله ذكر قوم لوط ما شعرت أن أحداً يفعل ذلك^(١) .

• الضحَّاك بن مزاحم :

صاحب التفسير :

قال عنه الذهبي في سير أعلام النبلاء « كان من أوعية العلم ، وليس بالمجود لحديثه ، وهو صدوق في نفسه » .

عن قيس بن مسلم : كان الضحَّاك إذا أمسى بكى فيقال له ، فيقول : لا أدري ما صعد اليوم من عملي^(٢) .

• قيام طَلْق بن حبيب العَنَزِيِّ :

من العلماء العاملين .

قال ابن الأعرابي : كان يقال : فقه الحسن ، وورع ابن سيرين ، وحلم مسلم بن يسار ، وعبادة طلق .

(١) سير أعلام النبلاء ٤/٣٤٧ - ٣٤٨ .

(٢) سير أعلام النبلاء ٤/٥٩٩ - ٦٠٠ .

قال ابن عيينة : سمعت عبد الكريم يقول : كان طلق لا يركع إذا افتتح سورة « البقرة » ، حتى يبلغ « العنكبوت » ، وكان يقول : أشتى أن أقوم حتى يشتكى صليبي .

وعن أيوب : ما رأيت أحداً أعبد من طلق بن حبيب . وعن غندر قال : حدثنا عوف ، عن طلق بن حبيب أنه كان يقول في دعائه : « اللهم إني أسألك علم الخائفين منك ، وخوف العالمين بك ، ويقين المتوكلين عليك ، وتوكل الموقنين بك ، وإنابة المحبتين إليك ، وإخبات المنيين إليك ، وشكر الصابرين لك ، وصبر الشاكرين لك ، ولحاقا بالأحياء المرزوقين عندك » .
عن ابن أبي نجيح : لم يكن يبلدنا أحد أحسن مداراة لصلاته من طلق بن حبيب ^(١) .

• قيام وهب بن منبه :

الإمام العلامة الأخباري القصصي أخى همام بن منبه .
قال العجلي وأبو زرعة والنسائي : ثقة . له حديث واحد في الصحيحين .
عن كثير أنه سار مع وهب ، فباتوا بصعدة عند رجل ، فخرجت بنت الرجل فرأت مصباحا ، فاطلع صاحب المنزل فنظر إليه صافا قدميه في ضياء كأنه بياض الشمس ، فقال الرجل : رأيتك الليلة في هيئة ؛ وأخبره فقال : اكنم ما رأيت .

عن المثني بن الصباح قال : لبث وهب بن منبه أربعين سنة لم يسب شيئا فيه الروح ، ولبث عشرين سنة لم يجعل بين العشاء والصبح وضوءاً .

(١) سير أعلام النبلاء ٦٠١/٤ - ٦٠٣ ، حلية الأولياء ٦٣/٣ - ٦٤ .

وعن عبد الصمد بن معقل بن منبه قال : صحبت عمي وهبا أشهراً
يصلى الغداة بوضوء العشاء .

وعن مسلم الزنجي : لبث وهب بن منبه أربعين سنة لا يرقد على
فراش ، وعشرين سنة لم يجعل بين العتمة والصبح وضوءاً .

وعن عبد الرزاق بن همام عن أبيه ، قال : رأيت وهبا إذا قام في الوتر
قال : « لك الحمد السرمذ ، حمدا لا يحصيه العدد ، ولا يقطعه الأبد ، كما
ينبغي لك أن تحمد ، وكما أنت له أهل ، وكما هو لك علينا حق » .

وعن عبد الرزاق قال : سمعت أبي يقول : حجّ عامة الفقهاء سنة مئة ،
فحج وهب ، فلما صلوا العشاء ، أتاه نفر فيهم عطاء والحسن ، وهم يريدون
أن يذاكروه القدر ؛ قال : فافتنّ في باب من الحمد ، فما زال فيه حتى طلع
الفجر ، فافترقوا ولم يسألوه عن شيء^(١) .

رحمك الله يا وهب . تحمد مولاك من العشاء إلى الفجر .

• ثابت البناني :

قال حماد بن سلمة : قرأ ثابت : ﴿ أكفرت بالذي خلقك من تراب
ثم من نطفة ثم سواك رجلاً ﴾ [الكهف : ٣٧] وهو يصلي صلاة الليل
وينتحب ويردها .

قال بكر المزني : من أراد أن ينظر إلى أعبد أهل زمانه فلينظر إلى
ثابت البناني ، فما أدركنا الذي هو أعبد منه .

وقال حماد بن زيد : رأيت ثابتا يبكي حتى تختلف أضلعه^(٢) .

(١) سير أعلام النبلاء ٤/٥٤٤ - ٥٥٦ .

(٢) سير أعلام النبلاء ٥/٢٢٤ - ٢٢٥ .

• قيام أبي جعفر القارى :

يزيد بن القعقاع المدني أحد الأئمة العشرة في حروف القراءات .
قال نافع القارىء : كان أبو جعفر يقوم الليل ؛ فإذا قرأ يُنْعَس ،
فيقول لهم : ضعوا الحصى بين أصابعي وضموها ، فكانوا يفعلون ذلك ،
والنوم يغلبه فقال : إذا نمت ، فمدوا خصلة من لحيتي . قال : فمرّ به مولاة ،
فيرى ما يفعلون به . فيقول : أيها الشيخ ، ذهبت بك الغفلة ، فيقول
أبو جعفر : هذا في خلقه شيء ، دوروا بنا وراء القبر .

عن نافع ، قال : « لما غُسل أبو جعفر ، نظروا ما بين نحره إلى فؤاده
كورقة المصحف ، فما شك من حضره أنه نور القرآن »^(١) .
رحمك الله من صاحب قرآن وصاحب ليل .

• عابد وقصته مع ابن المنكدر :

قال محمد بن المنكدر : «إني لليلة مواجه هذا المنبر في جوف الليل
أدعو ، إذا إنسان عند اسطوانة مقنع رأسه ، فأسمعه يقول : أي رب إن القحط
قد اشتد على عبادك ، وإني مقسم عليك يا رب إلا سقيتهم ، قال : فما كان
إلا ساعة إذا سحابة قد أقبلت ، ثم أرسلها الله ، وكان عزيزا على ابن المنكدر
أن يخفى عليه أحد من أهل الخير ، فقال : هذا بالمدينة ولا أعرفه !! فلما سلم
الإمام تقنع وانصرف واتبعه ، ولم يجلس للقاص حتى أتى دار أنس ، فدخل
موضعا ، ففتح ودخل . قال : ورجعت ، فلما سبحت^(٢) ، أتيته ، فقلت :
أدخل ؟ قال : ادخل ، فإذا هو يُنَجِّرُ أقداحا ، فقلت : كيف أصبحت

(١) سير أعلام النبلاء ٢٨٥/٥ - ٢٨٦ .

(٢) في حلية الأولياء ١٥١/٣ - ١٥٢ ، وقوله : فلما سبحت أي : صليت الضحى .

أصلحك الله؟ قال : فاستشهرها وأعظمها مني ، فلما رأيت ذلك ، قلت :
إني سمعت إقسامك البارحة على الله ، يا أخى هل لك في نفقة تغنيك عن
هذا ، وتُفرِّغك لما تريد من الآخرة؟ قال : لا . ولكن غير ذلك ، لا تذكرني
لأحد ، ولا تذكر هذا لأحد حتى أموت ، ولا تأتني يا ابن المنكدر ، فإنك
إن تأتني شهرتني للناس ، فقلت : إني أحب أن ألقاك قال : القني في
المسجد ، قال : وكان فارسياً ، فما ذكر ذلك ابن المنكدر لأحد حتى
مات الرجل .

قال ابن وهب : بلغني أنه انتقل من تلك الدار ، فلم يُر ، ولم يُدر
أين ذهب . فقال أهل تلك الدار : الله بيننا وبين ابن المنكدر أخرج عنا الرجل
الصالح^(١) .

الأتقياء الأخفياء إذا طلبوا هربوا ... ماذا عليهم ألا يعرفهم أهل
الأرض ... وهم سادة عند أهل السماء .

• قيام كُرْز بن وبرة الحارثي :

الزاهد القدوة . كان له الصيت البالغ في النسك والتعبد .

عن محمد بن فضيل ، عن أبيه قال : دخلت على كرز بيته ، فإذا عند
مصلاه حفيرة قد ملأها تبناً وبسط عليها كساء من طول القيام ، فكان يقرأ
في اليوم والليلة القرآن ثلاث مرات .

وعن ابن فضيل عن أبيه : أن كرزاً كان له عود عند المحراب يعتمد
عليه إذا نعس .

وعن فضيل بن غزوان : كان كرز يصلي حتى ترم قدماه ، فيحفر
الحفيرة - يعني : تحت رجله .

(١) سير أعلام النبلاء ٣٥٦/٥ - ٣٥٧ .

وقال أبو سليمان المُكْتَب : صحبت كرزاً إلى مكة ، فاحتبس يوماً وقت الرحيل ، فانبثوا في طلبه ، فأصبته في وَهْدَة يُصلى في ساعة حارة ، وإذا سحابة تظله ، فقال لي : اكنم هذا واستحلفني .

وعن أبي حفص السائح عن أبي بشر قال : كان كرز بن وبرة من أعبد الناس ، وكان قد امتنع من الطعام ، حتى لم يوجد عليه من اللحم ، إلا بمقدار ما يوجد على العصفور ، وكان إذا دخل في الصلاة لا يرفع طرفه يمينا ولا شمالا ، وكان من المحبين المحبتين لله ، قد وله من ذلك ، فرمما كَلَّم فيجيب بعد مدة من شدة تعلق قلبه بالله واشتياقه إليه .

قال الذهبي في ترجمة كرز : « هكذا كان زهاد السلف وعبادهم ، أصحاب خوف وحشوع ، وتعبد وقنوع ، ولا يدخلون في الدنيا وشهواتها ، ولا في عبارات أحدثها المتأخرون من الفناء ، والحو ، والاصطلام ، والاتحاد ، وأشباه ذلك ، مما لا يسوغه كبار العلماء » .

أنشد ابن شبرمة :

لو شئت كنت ككرز في تعبه أو كابن طارق حول البيت في الحرم
قد حال دون لذيد العيش خوفهما وسارعا في طلاب الفوز والكرم^(١)

• قيام ربيعة بن أبي عبد الرحمن ... ربيعة الرأي :

الإمام مفتي المدينة ، وعالم الوقت . كان من أئمة الاجتهاد .

قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : مكث ربيعة دهرًا طويلًا عابداً ، يصلي الليل والنهار ، صاحب عبادة ، ثم نزع ذلك إلى أن جالس القوم ، قال : فجالس القاسم ، فنطق بلب وعقل .

(١) سير أعلام النبلاء ٦/٨٤ - ٨٦ .

قال مالك : ذهبت حلوة الفقه ، منذ مات ربيعة وكان يحيى بن سعيد يجالس ربيعة ، فإذا غاب ربيعة ، حدّثهم يحيى بن سعيد أحسن الحديث . وكان كثير الحديث ، فإذا حضر ربيعة ، كفّ يحيى إجلالاً لربيعة ، وليس ربيعة أسنّ منه ، وهو فيما هو فيه ، وكان كل واحد منهما مبجلاً لصاحبه^(١) .

• عطاء بن السائب :

حدث الكوفة . كان من كبار العلماء ، لكنه ساء حفظه قليلاً في أواخر عمره .

قال أبو بكر بن عياش : كنت إذا رأيت عطاء بن السائب وضرار بن مرة رأيت أثر البكاء على خدودهما^(٢) .

• شيخ الإسلام سليمان بن طرخان التيمي :

أبو المعتمر الإمام .

قال ابن سعد : « من العباد المجتهدين ، كثير الحديث ثقة ، يصلي الليل كله بوضوء عشاء الآخرة ، وكان هو وابنه يدوران بالليل في المساجد ، فيصليان في هذا المسجد مرة ، وفي هذا المسجد مرة ، حتى يصبحا » .

وعن محمد بن عبد الأعلى قال لي معتمر بن سليمان : لولا أنك من أهل ما حدثك بذنا عن أبي . مكث أبي أربعين سنة يصوم يوماً ، ويفطر يوماً ، ويصلي صلاة الفجر بوضوء عشاء الآخرة .

(١) سير أعلام النبلاء ٩٢/٦ ، تذكرة الحفاظ ١٥٧/١ .

(٢) سير أعلام النبلاء ١١٠/٦ - ١١٢ .

عن معاذ بن معاذ قال : كنتُ إذا رأيت التيمي كأنه غلام حدث ،
قد أخذ في العبادة . كانوا يرون أنه أخذ عبادته عن أبي عثمان النهدي .

عن مثنى بن معاذ عن أبيه قال : ما كنت أشبه عبادة سليمان التيمي
إلا بعبادة الشاب أول ما يدخل في تلك الشدة والجدة .

عن يحيى القطان قال : خرج سليمان التيمي إلى مكة ، فكان يصلي
الصبح بوضوء عشاء الآخرة .

روى المسيب بن واضح عن عبد الله بن المبارك أو غيره ، قال : أقام
سليمان التيمي أربعين سنة إمام الجامع بالبصرة يصلي العشاء والصبح
بوضوء واحد .

وعن حماد بن سلمة قال : لم يضع سليمان التيمي جنبه بالأرض
عشرين سنة^(١) .

• قيام عمران بن مسلم :

القصير الرباني ، العابد أبي بكر البصري .

يروى عنه أنه عاهد الله تعالى ألا ينام إلا عن غلبة^(٢) .

• قيام الحارث بن يعقوب بن عبد الله :

من فضلاء التابعين وعبادهم .

كان الحارث ربما أحى الليل صلاة . وكان أبوه يعقوب من العابدين
أيضا . وابنه عمرو بن الحارث عالم الديار المصرية ومفتيها .

(١) سير أعلام النبلاء ١٩٥/٦ - ٢٠٠ .

(٢) سير أعلام النبلاء ٢٢٥/٦ .

عن شعيب بن الليث عن أبيه قال : كان بين عمرو بن الحارث وبين أبيه الحارث بن يعقوب كما بين السماء والأرض في الفضل . فالحارث أفضل . وكان بينه وبين أبيه يعقوب في الفضل كما بين السماء والأرض^(١) .

• قيام أبي شجاع القتباني :

الإمام القدوة بركة الوقت سعيد بن يزيد الحميري الإسكندري . قال ليث بن عاصم : رأيته إذا أصبح عصب ساقه بمُشاقَّة^(٢) وبزركتان من طول التهجد رضي الله عنه : وقال الحافظ ابن يونس : كان من العباد المجتهدين^(٣) .

• قيام مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير :

الإمام القدوة أبي عبد الله الأسدي الزبيري المدني كان من أعبد أهل زمانه . صام هو وأخوه نافع من عمرهما خمسين سنة قالت عنه ابنته أسماء بنت مصعب : كان أبي يصلي في اليوم واللييلة ألف ركعة .

وقال يحيى بن مسكين : ما رأيت أحدا قط أكثر صلاة من مصعب ابن ثابت ، كان يصلي في كل يوم ولييلة ألف ركعة ، ويصوم الدهر .

وقال مصعب بن عثمان وخالد بن وضاح : كان مصعب بن ثابت يصوم الدهر ، ويصلي في اليوم واللييلة ألف ركعة ، ييس من العبادة ، وكان من أبلغ أهل زمانه^(٤) .

(١) سير أعلام النبلاء ٦/٣٤٩ - ٣٥٤ .

(٢) المشاققة من الكتان والقطن : ما خلص منه .

(٣) سير أعلام النبلاء ٦/٤١٠ - ٤١١ .

(٤) سير أعلام النبلاء ٧/٢٩ .

• قيام أبي بكر بن أبي مریم :

قال عنه الذهبي : « الإمام ، المحدث ، القدوة ، الرباني شيخ أهل حمص » ضعفه أحمد بن حنبل وغيره من قبل حفظه .

قال يزيد بن هارون : كان من العباد المجتهدين .

وقال بقرية : قال لنا رجل في قرية أبي بكر بن أبي مریم - وهي كثيرة الزيتون - ما في هذه القرية من شجرة إلا وقد قام أبو بكر إليها ليلته جمعاء .
وقيل : كان في خديه أثر من الدموع ، رحمة الله عليه ^(١) .

• الأوزاعي :

قال الوليد بن مزيّد : كان الأوزاعي من العبادة على شيء ما سمعنا بأحد قوى عليه .

وعن الوليد بن مسلم : ما رأيت أكثر اجتهادا في العبادة من الأوزاعي .
وعن سلمة بن سلام : نزل الأوزاعي على أبي ، ففرشنا له فراشا ، فأصبح على حاله ^(٢) .

• قيام فتح الموصلي الكبير :

زاهد زمانه : فتح بن محمد بن وشاح الأزدي الموصلي ، أحد الأولياء .
كانت له أحوال ومقامات وقدم راسخة في التقوى كان لا ينام إلا قاعدا .
وكان بكاءً ، خوفاً ، متهجداً ^(٣) .

(١) سير أعلام النبلاء ٦٥/٧ .

(٢) سير أعلام النبلاء ١١٩/٧ .

(٣) سير أعلام النبلاء ٣٤٩/٧ .

• قيام سعيد بن عبد العزيز :

الإمام القدوة مفتى دمشق :

قال الحاكم : سعيد بن عبد العزيز لأهل الشام ، كمالك لأهل المدينة في التقدم والفقہ والإمامة .

قال الوليد بن مسلم : كان سعيد بن عبد العزيز يحبى الليل ، فإذا طلع الفجر ، جدد وضوءه وخرج إلى المسجد .

قال أبو النضر إسحاق بن إبراهيم : كنت أسمع وقع دموع سعيد بن عبد العزيز على الحصى في الصلاة .

قال أبو عبد الرحمن الأسدي : « قلت لسعيد بن عبد العزيز : ما هذا البكاء الذي يعرض لك في الصلاة ؟ فقال : يا ابن أخي ، وما سؤالك عن ذلك ؟ قلت : عسى الله أن ينفعني به ، فقال : ما قمت إلى صلاة إلا مثلت لي جهنم . وكان رحمه الله إذا فاتته الجماعة بكى »^(١) .

رحمة الله عليك يا أبا محمد من أجل علمك وعبادتك كان الأوزاعي إذا سئل عن مسألة وأنت حاضر قال : سلوا أبا محمد . فلا يعرف الفضل لذوى الفضل إلا أهل الفضل .

• قيام هشيم :

الإمام شيخ الإسلام أبي معاوية السلمى .

قال عمرو بن عون : مكث هشيم يصلى الفجر بوضوء العشاء قبل أن يموت عشرين سنة .

(١) سير أعلام النبلاء ٣٢/٨ - ٣٥ .

قال ابن حنبل : لزمت هشيما أربع سنين ، أو خمسا ، ما سألته عن شيء ، إلا مرتين هيبة له ، وكان كثير التسبيح بين الحديث ، يقول بين ذلك : لا إله إلا الله ، بمد بها صوته^(١) .

• قيام إسماعيل بن عياش^(٢) :

محدث الشام . كان من بحور العلم صادق اللهجة ، متين الديانة صاحب سنة ، واتباع ، وجلالة ووقار .

عن أبي اليمان قال : « كان منزل إسماعيل إلى جانب منزلي ، فكان يحيي الليل ، وكان ربما قرأ ، ثم يقطع ، ثم يرجع ، فقرأ من الموضع الذي قطع منه ، فلقيته يوما ، فقلت : يا عم ، قد رأيت منك في القراءة كَيْثٌ وكَيْثٌ ، قال : يا بنى ، وما سؤالك ؟ قلت : أريد أن أعلم . قال : يا بنى ، إني أضل فأقرأ ، فأذكر الحديث في الباب من الأبواب التي أخرجتها ، فأقطع الصلاة ، فأكتبه فيه ، ثم أرجع إلى صلاتي ، فأبتدىء من الموضع الذي قطعت منه »^(٣) .

• ابن المبارك :

قال نعيم بن حماد : قال رجل لابن المبارك : قرأت البارحة القرآن في ركعة ، فقال : لكني أعرف رجلا لم يزل البارحة يكرر ﴿ أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ﴾ إلى الصبح ، ما قدر أن يتجاوزها - يعني نفسه^(٤) .

(١) سير أعلام النبلاء ٢٩٠/٨ .

(٢) قال الذهبي في سير أعلام النبلاء : ٣٢١/٨ : حديث إسماعيل عن الحجازيين والعراقيين لا يحتاج به . وحديثه عن الشاميين صالح من قبيل الحسن ، ويحتاج به إن لم يعارضه أقوى منه .

(٣) سير أعلام النبلاء ٣١٥/٨ .

(٤) سير أعلام النبلاء ٣٩٧/٨ .

• علي بن الفضيل بن عياض :

من كبار الأولياء . مات قبل أبيه ، كان قانتا لله ، خاشعا ، وجلا ربانيا ، كبير الشأن .

قال ابن المبارك لفضيل بن عياض : يا أبا علي ما أحسن حال من انقطع إلى الله ، فسمع ذلك عليّ ، فسقط مغشيا عليه .

وقال الفضيل : أشرفت ليلة على عليّ ، وهو في صحن الدار ، وهو يقول : النار النار ، ومتى الخلاص من النار ؟ وقال لي : يا أبة سل الذي وهبني لك في الدنيا أن يهبني لك في الآخرة . ثم قال : لم يزل منكسر القلب حزينا ، ثم بكى الفضيل ، ثم قال : كان يساعدي على الحزن ، يا ثمرة قلبي ، شكر الله لك ما قد علمه فيك .

قال ابن عيينة : ما رأيت أخوف من الفضيل وابنه وقال الفضيل : اللهم إني اجتهدت أن أؤدب عليا ، فلم أقدر على تأديبه ، فأدبه أنت لي .

قال أبو سليمان الداراني : كان علي بن الفضيل لا يستطيع أن يقرأ ﴿ القارعة ﴾ ولا تقرأ عليه .

قال الفضيل بن عياض : بكى عليّ ابني . فقلت : يا بني ما يبكيك ؟ قال : أخاف ألا تجمعنا القيامة .

وقد مات عليّ رحمه الله من جرّاء آية وهي قول الله تبارك وتعالى : ﴿ ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد ﴾ [الأنعام : ٢٧]^(١) .

(١) سير أعلام النبلاء ٨/٤٤٢ - ٤٤٦ .

• قيام أبي بكر بن عيَّاش :

شيخ الإسلام وبقية الأعلام :

عن أبي عبد الله النخعي قال : لم يُفَرَّش لأبي بكر بن عيَّاش فراش خمسين سنة .

وقال يزيد بن هارون : كان أبو بكر بن عيَّاش خَيْرًا فاضلاً ، لم يضع جنبه على الأرض أربعين سنة ، وكان رحمه الله يقول : الدخول في العلم سهل ، لكن الخروج منه إلى الله شديد . وكان يقول : يا مَلَكِي ادعوا الله لي ، فإنكما أطوع لله مني . وقد روى من وجوه متعددة ، أن أبا بكر مكث أربعين سنة يختم القرآن في كل يوم وليلة .

قال الذهبي : وهذه عبادة يُخضع لها ، ولكن متابعة السنة أولى^(١) .

• قيام القاضي أبي يوسف :

الإمام المجتهد تلميذ أبي حنيفة وصاحبه .

عن ابن سماعة قال : كان ورد أبي يوسف في اليوم مئتي ركعة^(٢) .

• قيام الرقاشي :

الإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد البصري حدَّث عن حماد بن زيد ومالك بن أنس .

(١) سير أعلام النبلاء ٤٩٥/٨ - ٥٠٣ .

(٢) سير أعلام النبلاء ٥٣٧/٨ .

قال العجلي : ثقة ، من عباد الله الصالحين . يقال : إنه كان يصلي في اليوم والليلة أربعمئة ركعة رحمه الله^(١) .

• قيام جرير بن عبد الحميد :

شيخ الإسلام الإمام الحافظ القاضي شيخ الري .

قال علي بن المديني : كان جرير بن عبد الحميد صاحب ليل ، وكان له رش ، يقولون : إذا أغمي ، تعلق به - يريد أنه كان يصلي^(٢) .

• قيام بشر بن المفضل :

الإمام الحافظ أبو إسماعيل الرقاشي .

قال ابن المديني : كان بشر يصلي كل يوم أربعمئة ركعة ويصوم يوماً ويفطر يوماً^(٣) .

• قيام إسماعيل بن عُلَيَّة :

الإمام الحافظ .

قال الذهبي : « كان موصوفاً بالدين والورع والتأله ، منظوراً إليه في الفضل والعلم ، وبدت منه هفوات خفيفة ، لم تغير رتبته إن شاء الله » .

وكان شعبة يسميه : ربحانة الفقهاء .

قال محمد بن المثني : بت ليلة عند ابن علي ، فقرأ ثلث القرآن^(٤) .

(١) تذكرة الحفاظ ٤٦٢/٢ .

(٢) سير أعلام النبلاء ١٤/٩ .

(٣) سير أعلام النبلاء ٣٧/٩ ، تذكرة الحفاظ ٣١٠/٢ .

(٤) سير أعلام النبلاء ١١٦/٩ .

• قيام عبد الرحمن بن القاسم :

عالم الديار المصرية ومفتيها صاحب الإمام مالك . له قدم في الورع والتأله، ذكر عند الإمام مالك فقال : مثله كمثل جراب مملوء مسكاً .

كان رحمه الله يقول : اللهم امنع الدنيا مني ، وامنعني منها .

عن أسد بن الفرات قال : كان ابن القاسم يختم كل يوم وليلة ختمتين . قال : فنزل بي حين جئت إليه عن ختمة رغبة في إحياء العلم . قال سحنون : كنت إذا سألت ابن القاسم عن المسائل ، يقول لي : يا سَحْنُونُ ، أنت فارغ ، إني لأحس . في رأسي دويا كدويّ النحل - يعني : من قيام الليل - قال : وكان قلما يعرض لنا إلا وهو يقول : اتقوا الله ، فإن قليل هذا الأمر مع تقوى الله كثير ، وكثيره مع غير تقوى الله قليل^(١) .

• قيام أبي عبيد القاسم بن سلام :

الإمام الحافظ . قال أبو بكر بن الأنباري : كان أبو عبيد رحمه الله يقسم الليل أثلاثاً ، فيصلّي ثلثه ، وينام ثلثه ، ويصنف الكتب ثلثه^(٢) .

• قيام أحمد بن حرب :

الإمام القدوة ، شيخ نيسابور ، كان من كبار الفقهاء والعبّاد . قال أبو عمرو محمد بن يحيى : مر أحمد بن حرب بصبيان يلعبون ، فقال أحدهم : أمسكوا ، فإن هذا أحمد بن حرب الذي لا ينام الليل ، فقبض على لحيته ، وقال : الصبيان يهابونك وأنت تنام ؟ فأحى الليل بعد ذلك حتى مات .

(١) سير أعلام النبلاء ٩/١٢١ - ١٢٣ .

(٢) سير أعلام النبلاء ١٠/٤٩٧ .

قال زكريا بن حرب : ابتداءً أخى بالصوم وهو في الكتاب ، فلما راهق ، حج مع أخيه الحسين بن حرب ، فأقاما بالكوفة للطلب ، وبالبصرة وبغداد . ثم أقبل على العبادة لا يفتر . وأخذ في الوعظ والتذكير ، وحث على العبادة ، وأقبلوا على مجلسه .

كان أحمد بن حرب إذا جلس بين يدي الحجاج ليحفي شاربه ، يسبح فيقول له الحجاج : اسكت ساعة ، فيقول : اعمل أنت عملك ، وربما قطع من شفته ، وهو لا يعلم .

قال أحمد بن حرب : عبت الله خمسين سنة ، فما وجدت حلاوة العبادة حتى تركت ثلاثة أشياء : تركت رضی الناس حتى قدرت أن أتكلم بالحق ، وتركت صحبة الفاسقين حتى وجدت صحبة الصالحين ، وتركت حلاوة الدنيا حتى وجدت حلاوة الآخرة^(١) .

• قيام داود بن رُشيد :

الإمام الحافظ الرحال الجوال :

عن إبراهيم الحربي :

قال داود بن رشيد : قمت ليلة أصلى ، فأخذني البرد لما أنا فيه من العرى ، فأخذني النوم ، فرأيت كأن قائلًا يقول : يا داود ، أمناهم وأقمنك فتبكي علينا؟ قال الحربي : فأظن داود ما نام بعدها ، يعني : ما ترك تهجد الليل^(٢) .

(١) سير أعلام النبلاء ١١/٣٢ - ٣٤ .

(٢) سير أعلام النبلاء ١٣/١٣٣ - ١٣٤ .

• قيام راهب الكوفة : هناد بن السري :

الإمام الحجة القدوة زين العابدين أبي السري .

قال أحمد بن سلمة النيسابوري الحافظ : كان هناد رحمه الله كثير البكاء ، فرغ يوماً من القراءة لنا ، فتوضأ ، وجاء إلى المسجد ، فصلى إلى الزوال ، وأنا معه في المسجد ، ثم رجع إلى منزله ، فتوضأ ، وجاء فصلى بنا الظهر ، ثم قام على رجله يصلى إلى العصر ، يرفع صوته بالقرآن ويكفي كثيراً . ثم إنه ضلى بنا العصر ، وأخذ يقرأ في المصحف ، حتى صلى المغرب . قال : فقلت لبعض جيرانه : ما أصبره على العبادة ، فقال : هذه عبادته بالنهار منذ سبعين سنة ، فكيف لو رأيت عبادته بالليل ، وكان يقال له : راهب الكوفة^(١) .

• أحمد بن أبي الحواري :

عن فياض بن زهير : سمعت يحيى بن معين ، وذكر أحمد بن أبي الحواري فقال : أظن أهل الشام يسقيمهم الله به الغيث .

وعن عبد الله بن أحمد بن أبي الحواري : كنا نسمع بكاء أبي بالليل حتى نقول : قد مات .

وعن محمد بن عوف الحمصي : رأيت أحمد بن أبي الحواري عندنا بأنطرسوس^(٢) فلما صلى العتمة قام يصلى فاستفتح بـ ﴿ الحمد لله ﴾ إلى ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ ، فطفت الحائط كله ، ثم رجعت فإذا هو لا يجاوزها ثم نمت ، ومررت في السحر وهو يقرأ ﴿ إياك نعبد ﴾ فلم يزل يرددتها إلى الصبح^(٣) .

(١) سير أعلام النبلاء ١١/٤٦٥ - ٤٦٦ ، تذكرة الحفاظ ٢/٥٠٧ - ٥٠٨ .

(٢) بلد من سواحل بحر الشام - نقلا عن معجم البلدان .

(٣) سير أعلام النبلاء ١٢/٨٧ - ٨٨ .

• السري السَّقَطِي :

الإمام القدوة شيخ الإسلام كما نعته الذهبي :

قال الجنيد : ما رأيت أعبد لله من السري ، أتت عليه ثمان وتسعون سنة ما ربي مضطجعا إلا في علة الموت^(١) .

• أبو أحمد القلانسي :

القدوة مصعب بن أحمد البغدادي .

قال ابن الأعرابي : حضرنا ليلة عرسه ومعنا الجنيد ، ورويم ومعنا قارىء يقول قصائد في الزهد ، فما زال أبو أحمد عامة ليله في النحيب^(٢) .

• أبو قلابة :

الحافظ القدوة العابد محدث البصرة عبد الملك بن محمد بن عبد الله الرقاشي قال أحمد بن كامل القاضي : قيل إن أبا قلابة كان يصلي في اليوم والليلة أربعمائة ركعة^(٣) .

قيل : إن أم أبي قلابة أُريت وهي حامل به كأنها ولدت هدهدا فقال لها عابر : إن صدقت رؤياك تلدين ولدا يكثر الصلاة .

• قيام المُسْتَمَلِي أَبِي عمرو « حكمويه » :

الحافظ الزاهد العابد المحاب الدعوة أحمد بن المبارك .
قال الحاكم : كان مجاب الدعوة وراهب عصره .

(١) سير أعلام النبلاء ١٢/١٨٦ .

(٢) سير أعلام النبلاء ١٣/١٧١ .

(٣) سير أعلام النبلاء ١٣/١٧٨ - ١٧٩ ، تاريخ بغداد ١٠/٤٢٦ .

وقال أيضا : سمعت أبا بكر الصبغي يقول : كان أبو عمرو يصوم النهار ويحیی الليل ، ثم قال : أخيرني غير واحد أن الليلة التي قتل فيها أحمد بن عبد الله - يعني : الظالم الذي استولى على نيسابور - صلى أبو عمرو العتمة ثم صلى طول ليلة وهو يدعو على أحمد بصوت عال : اللهم شق بطنه اللهم شق بطنه^(١) .

• قيام محمد بن عبد السلام الورّاق :

تلميذ يحيى بن يحيى التميمي النيسابوري .

قال ولده عبدان : كان أبي يقول : نحن في مرحلة . وكان يصوم النهار ويقوم الليل ، ويقول : هذا ما أوصانا به يحيى بن يحيى^(٢) .

• قيام علي بن حمّشاذ :

الإمام الحافظ شيخ نيسابور .

قال عبد الله ولده : ما أعلم أن أبي ترك قيام الليل . قال أبو بكر بن إسحاق : صحبت علي بن حمشاذ في الحضر والسفر ، فما أعلم أن الملائكة كتبت عليه خطيئة^(٣) .

• قيام ابن الحدّاد :

شيخ الإسلام أبو بكر محمد بن أحمد بن محمد الكتاني المصري الشافعي

صاحب « كتاب الفروع » في المذهب .

(١) سير أعلام النبلاء ١٣/٣٧٤ - ٣٧٥ .

(٢) سير أعلام النبلاء ١٣/٤٦٠ .

(٣) سير أعلام النبلاء ١٥/٣٩٨ - ٣٩٩ ، تذكرة الحفاظ ص ٨٥٥ .

قال عنه ابن زُولاق - وكان من أصحابه- : كان يختم القرآن في كل يوم ويصوم يوماً ويفطر يوماً وكان من محاسن مصر .

يقول ابن الحداد : أخذت نفسي بما رواه الربيع عن الشافعي ، أنه كان يختم في رمضان ستين ختمة ، سوى ما يقرأ في الصلاة ، فأكثر ما قدرت عليه تسعا وخمسين ختمة ، وأتيت في غير رمضان بثلاثين ختمة .

وقال المسبّحي : كان فقيها عالماً كثير الصلاة والصيام ، يصوم يوماً ، ويفطر يوماً ، ويختم القرآن في كل يوم وليلة قائماً مصلياً^(١) .

وفي ابن الحداد يقول أحمد بن محمد الكحلّال :

الشافعيّ تفقهاً والأصعميّ تقننا والتابعين تزهداً^(٢)

• قيام الصّبغي :

شيخ الإسلام أبي بكر أحمد بن إسحاق بن أيوب النيسابوري الشافعي .

قال الحاكم : سمعت محمد بن حَمْدُون ، يقول : صحبت أبا بكر بن إسحاق سنين ، فما رأيته ترك قيام الليل لا في سفر ولا حضر^(٣) .

• قيام العسّال :

الحافظ محمد بن أحمد بن إبراهيم الأصبهاني القاضي .

ذكر أبو غالب أنه كان مرة مع صهره فدخل مسجدًا ، وشرع في الصلاة فختم القرآن في ركعة .

(١) سير أعلام النبلاء ٤٤٥/١٥ - ٤٥٠ ، طبقات الشافعية ٨١/٣ .

(٢) سير أعلام النبلاء ٤٨٥/١٥ ، طبقات الشافعية ١٠/٣ .

قال ابنه إبراهيم : لما مات القاضي ، وجلس بنوه للتعزية ، فدخل رجلان في لباس سواد ، وأخذا يولولان ويقولان : وإسلاماه ، فسئلا عن حالهما ، فقالا : إنا وردنا من أغمات^(١) من المغرب ، لنا سنة ونصف في الطريق في الرحلة إلى هذا الإمام لنسمع منه ، فوافق ورودنا وفاته^(٢) .

• قيام الغطريفي :

الإمام الحافظ الرّحال أبي أحمد ، محمد بن أحمد بن حسين الغطريفي الجرجاني الرباطي الغازي :
كان مع علمه وحفظه صوّاما قوّاما متعبدا^(٣) .

• قيام حُسَيْنِكَ « ابن مُنِيَّة » :

الإمام الحافظ الأنبل القدوة أبي أحمد ، الحسين بن علي بن محمد النيسابوري .

قال الحاكم : هو شيخ العرب في بلدنا ، صحبته حضرا وسفرا ، فما رأيته ترك قيام الليل من نحو ثلاثين سنة ، فكان يقرأ سبعا كل ليلة ، وكانت صدقاته دائرة سرا وعلانية . أخرج مرة عشرة من الغزاة بآلتهم عوضا عن نفسه ، ورابط غير مرة . وكان ابن خزيمة يبعثه إذا تخلف عن مجلس السلطان ينوب عنه . وكان يعزه ويقدمه على أولاده ، وفي حجره تربّي^(٤) .

(١) أغمات : ناحية من بلاد المغرب قرب مراكش « معجم البلدان » .

(٢) سير أعلام النبلاء ١١/١٦ .

(٣) سير أعلام النبلاء ٣٥٤/١٦ - ٣٥٥ .

(٤) سير أعلام النبلاء ٤٠٧/١٦ - ٤٠٨ .

• قيام ابن حنّابة^(١) :

الإمام الحافظ الوزير الأكمل ، أبي الفضل ، جعفر بن الوزير الفضل بن جعفر كان متعبدا يصوم ثم يفطر ثم ينام ، ثم ينهض في الليل ، ويدخل بيت مصلاه ، فيصف قدميه إلى الفجر^(٢) .

• قيام عطية بن سعيد :

الإمام الحافظ القدوة الكبير ، شيخ الوقت ، أبي محمد الأندلسي القفصي . قال الخطيب : حدثنا عنه أبو الفضل عبد العزيز بن المهدي قال : وكان زاهدا لا يضع جنبه على الأرض ، إنما ينام محتبيا^(٣) .

• البُندار :

الشيخ الصالح القدوة ، أبو محمد ، عبد الخالق بن هبة الله بن القاسم الحريري . قال عنه ابن النجار : كان صالحا ، زاهدا ، كثير العبادة ، حسن السمات ، على منهاج السلف ، كأنَّ النور يلوح على وجهه ، ويجد الناظر إليه رَوْحا في نفسه^(٤) .

(١) حنّابة : جارية هي والدة الفضل الوزير ، وفي اللغة : هي القصيرة السميّة .

(٢) سير أعلام النبلاء ٤٨٥/١٦ - ٤٨٧ .

(٣) سير أعلام النبلاء ٤١٢/١٧ - ٤١٣ ، تاريخ بغداد ٣٠٣/١٠ - ٣٠٤ .

(٤) سير أعلام النبلاء ٣٢٨/٢١ - ٣٢٩ .

• قيام الإمام عبد الغني المقدسي :

العالم الحافظ الكبير الصادق القدوة العابد الأثري عالم الحفاظ تقي الدين أبي محمد عبد الغني بن عبد الواحد بن علي المقدسي .
كان يصلي ويلقن القرآن ، وربما أقرأ شيئاً من الحديث تلقيناً ، ثم يقوم فيتوضأ ، ويصلي ثلاثمائة ركعة بالفاتحة والمعوذتين إلى قبل الظهر ، وينام نومة ثم يصلي الظهر ، ويشغل إما بالتسميع أو بالنسخ إلى المغرب ، فإن كان صائماً أفطر ، وإلا صلى من المغرب إلى العشاء ، ويصلي العشاء ، وينام إلى نصف الليل أو بعده ، ثم يقوم كأن إنساناً يوقظه ، فيصلي لحظه ، ثم يتوضأ ويصلي إلى قرب الفجر ، وربما توضأ سبع مرات أو ثمانيا في الليل ، وقال : ما تطيب لي الصلاة إلا ما دامت أعضائي رطبة ، ثم ينام نومة يسيرة إلى الفجر ، وهذا دأبه .

وقال محمود بن سلامة التاجر الحرّاني : كان الحافظ عبد الغني نازلاً عندي بأصبهان ، وما كان ينام من الليل إلا قليلاً ، بل يصلي ويقرأ ويكفي وسمعت الحافظ يقول : أضافني رجل بأصبهان ، فلما تعشينا كان عنده رجل أكل معنا ، فلما قمنا إلى الصلاة لم يصل ، فقلت : ماله ؟ قالوا : هذا رجل شمسي^(١) ، فضاقت صدري ، وقلت للرجل : ما أضفتني إلا مع كافر ! ، قال : إنه كاتب ، ولنا عنده راحة ، ثم قمت بالليل أصلي وذاك يستمع ، فلما سمع القرآن تزفر ، ثم أسلم بعد أيام ، وقال : لما سمعتك تقرأ وقع الإسلام في قلبي .. الله الله يا لصدق الحافظ وأكرم بها من كرامة للشيخ الذي كان يملك العادل عنه : دخل عليّ فحِيلَ إلي أنه أسد^(٢) .

(١) يعبد الشمس .

(٢) سير أعلام النبلاء ٤٥٣/٢١ - ٤٥٥ ، ٤٦٣ - ٤٦٤ .

ذكر أبو المظفر الواعظ في « مرآة الزمان » عن الحافظ عبد الغني المقدسي أنه كان يصلي كل يوم وليلة ثلاثمائة ركعة ، ويقوم الليل ويحمل ما أمكنه إلى بيوت الأرامل واليتامى سرًا ، وضعف بصره من كثرة البكاء والمطالعة .

• قيام الإمام أبي عمر المقدسي :

المحدث البركة شيخ الإسلام محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي الحنبلي ، واقف المدرسة .

قال عنه الحافظ الضياء : كان لا يسمع دعاءً إلا حفظه في الغالب ، ودعا به ، ولا حديثاً إلا وعمل به ، ولا صلاة إلا صلاها ، كان يصلي بالناس في النصف^(١) مئة ركعة وهو مسنّ ، ولا يترك قيام الليل من وقت شُبُوبته ، وإذا رافق ناساً في السفر ناموا وحرّسهم يصلي .

قال الذهبي : كان قدوة صالحاً ، عابدا قانتاً لله ، ربانيا ، خاشعاً مخلصاً عديم النظير ، كبير القدر ، كثير الأوراد والذكر ، والمروءة والفتوة والصفات الحميدة ، قلّ أن ترى العيون مثله .

كان ربما تهجد فإن نعس ضرب على رجليه بقضيب حتى يطير النعاس . ويتلو كل ليلة سُبُعا مرتلاً في الصلاة ، وفي النهار سُبُعا بين الصلاتين ، ويصلي طويلاً بين العشاءين ، ويصلي صلاة التسبيح كل ليلة جمعة . كانت نوافله في كل يوم وليلة اثنتين وسبعين ركعة . يقول عنه الشيخ الموفق : ربانا أخرى وعلمنا ، وحرص علينا وكان للجماعة كالوالد يحرص عليهم ويقوم بمصالحهم وهو الذي هاجر بنا وهو سَفَرنا إلى بغداد ، وحين رجعنا زوجنا وبنى لنا دورا ، وكان قلما يتخلف عن غزاة^(٢) .

(١) يعني في نصف شعبان .

(٢) سير أعلام النبلاء ٦/٢٢ - ٧ .

• قيام الحافظ أحمد بن مهدي بن رسم :

الزاهد العابد أبي جعفر الأصهباني . سمع أبا نعيم وقبيصة وروى عنه محمد بن يحيى بن منده .

قال أبو نعيم : كان صاحب أموال أنفق على أهل العلم ثلاثمائة ألف درهم .

قال عنه محمد بن يحيى بن منده : لم يحدث ببلدنا منذ أربعين سنة أوثق منه ، صنف المسند ، ولم يعرف له فراش منذ أربعين سنة ، صاحب عبادة .

روى أبو الشيخ عن أبي علي أحمد بن محمد بن إبراهيم أن أحمد بن مهدي ذكر أنه جاءته امرأة ببغداد ليلة فذكرت أنها من بنات الناس وأنها امتحنت : فبالله استرني ، وقد أكرهت ، وأنا حبلي فلا تفضحني ، فقد قلت : إنك زوجي ، فسكت ، فبعد أيام جاءني إمام الحلة والجيران يهتفوني بالولد فشكرتهم ، ووزنت دينارين ليوصلها للمرأة نفقة ، وكنت أعطيها كل شهر دينارين إلى أن صار للولد ستان . فمات فجاءوا يعزونني فأظهرت التسليم لله ، ثم بعد أيام جاءت بالذهب وقالت : سترك الله خذ ذهبك ، فقلت : هذه الدنانير كانت صلة مني للصغير وأنت قد ورثتيه .

سترك الله يا إمام بما سترت على المسلمين وأورثك جنات النعيم .

• قيام شيخ الإسلام : بقى بن مخلد :

الإمام الحافظ أبي عبد الرحمن القرطبي صاحب المسند الكبير والتفسير الجليل الذي قال فيه ابن حزم : ما صنف تفسير مثله أصلا .

قال عنه الذهبي في تذكرة الحفاظ ٢ / ٦٣٠ - ٦٣١ « كان إماما عالما قدوة مجتهدا لا يقلد أحدا صالحا عابدا متهجدا أوأها عديم النظر في زمانه ،

ذكره أحمد بن أبي خيثمة فقال : ما كنا نسميه إلا المكنسة ، وهل يحتاج بلد فيه بقى أن يأتي منه إلينا أحد ؟ .

قال بقى عن نشره للحديث وإظهاره مذهب أهل الأثر : لقد غرست للمسلمين غرسا بالأندلس لا يقلع إلا بخروج الدجال .

وذكر عن بقى خير ونسك وإيثار حتى بثوبه ، وكان مجاب الدعوة وقيل : إنه كان يحتم القرآن كل ليلة في ثلاث عشرة ركعة ، ويسرد الصوم ، وحضر سبعين غزوة « . وهكذا أهل الله .

• قيام الحصري :

الحافظ الإمام أبي محمد جعفر بن أحمد النيسابوري .

سمع إسحاق بن راهويه . وهو أحد أئمة هذا الشأن .

قال الحاكم : قال لي سبطه محمد بن أحمد السكري : كان جدي قد جزأ الليل ، ثلثا يصلى ، وثلثا ينام ، وثلثا يصنف ، وكان مرضه ثلاثة أيام لا يفتر فيها من قراءة القرآن^(١) .

• قيام الجويني :

الحافظ أبي عمران موسى بن العباس صاحب المسند الصحيح على هيئة صحيح مسلم .

قال عنه الحسن بن أحمد : كان أبو عمران الجويني في دارنا وكان يقوم الليل ويصلي ويكفي طويلاً^(٢) .

(١) تذكرة الحفاظ للذهبي ٧٠٢/٢ - ٧٠٣ .

(٢) تذكرة الحفاظ ٨١٨/٣ .

• قيام ابن زياد :

الحافظ المجود العلامة أبي بكر عبد الله بن زياد بن واصل النيسابوري
الفقيه الشافعي .

قال يوسف القواس : سمعت أبا زكريا النيسابوري يقول : تعرف من
قام أربعين سنة لم ينم الليل ، ويتقوت كل يوم بخمس حبات ، يصلى الغداة
على طهارة العشاء الآخرة ؟ ثم قال : أنا هو ، وهذا كله قبل أن أعرف
أم عبد الرحمن ، أيش أقول لمن زوجني ؟ ثم قال : ما أراد إلا الخير^(١) .

• قيام أبي النضر شيخ الشافعية :

الإمام الحافظ شيخ الإسلام محمد بن محمد بن يوسف الطوسي .
قال عنه الحاكم : رحلت إليه مرتين ، وسألته متى يتفرغ للتصنيف مع
هذه الفتاوى ؟ فقال : جزأت الليل ، فثلثه أصنف ، وثلثه أقرأ القرآن ، وثلثه
لنوم . وما رأيت في مشايخنا أحسن صلاة منه ، وكان يصوم الدهر
ويقوم الليل^(٢) .

• قيام النرسي :

الحافظ محدث الكوفة أبي الغنائم محمد بن علي بن ميمون المقرئ .
قال عنه ابن ناصر : كان النرسي حافظاً ثقة متقناً ما رأينا مثله ، كان
يتهدد ويقوم الليل^(٣) .

(١) تذكرة الحفاظ ٣ / ٨٢٠ .

(٢) تذكرة الحفاظ ٣ / ٨٩٣ .

(٣) تذكرة الحفاظ ٤ / ١٢٦٠ - ١٢٦١ .

• قيام الإمام الحازمي :

الحافظ أبي بكر محمد بن موسى بن عثمان الهمداني :

قال ابن النجار : سمعت أبا القاسم المقرئ جارا يقول - وكان صالحًا - : كان الحازمي في رباط البديع ، وكان يدخل بيته في كل ليلة يطالع ويكتب إلى الفجر ، فقال البديع للخادم : لا تدفع إليه الليلة بزرا للسراج فلعله يستريح الليلة ، فلما جن الليل اعتذر إليه الخادم لانقطاع البز ، فدخل بيته وصف قدميه ، ولم يزل يصلى ويتلو إلى أن طلع الفجر ، وكان الشيخ خرج ليعلم خيره فوجده في الصلاة^(١) .

• قيام ابن الحصري :

الإمام الحافظ شيخ القراء برهان الدين أبي الفتوح نصر بن أبي الفرج نزيل مكة وإمام الحطيم .

قال عنه ابن النجار : كان حافظا حجة نبيلًا من أعلام الدين جم العلم كثير المحفوظ كثير التعبد والتهجد^(٢) .

• قيام ابن دقيق العيد :

الإمام الفقيه المجتهد الحافظ شيخ الإسلام أبي الفتح محمد بن علي بن وهب القشيري المنفلوطي الصعيدي المالكي الشافعي .

قال عنه الذهبي : كان من أذكىء زمانه واسع العلم كثير الكتب مديماً للسهر مكباً على الاشتغال ساكناً وقوراً ورعاً قل أن ترى العيون مثله .

(١) تذكرة الحفاظ ٤/١٣٦٣ - ١٣٦٤ .

(٢) تذكرة الحفاظ ٤/١٣٨٢ - ١٣٨٣ .

وقال عنه الحافظ قطب الدين الحلبي : كان الشيخ تقي الدين إمام أهل زمانه وممن فاق بالعلم والزهد على أقرانه ، عارفا بالمذهبيين ، إماما في الأصلين ، آية في الحفظ والإتقان والتحري شديد الخوف دائم الذكر لا ينام الليل إلا قليلا ويقطعه فيما بين مطالعة وتلاوة وذكر وتهجد حتى صار السهر له عادة ، أوقاته كلها معمورة لم ير في عصره مثله^(١) .

• قيام أسد الشام اليونيني :

الزاهد العابد .

قال عنه الحافظ الذهبي : كان شيخا طويلا مهيبا شجاعا حادّ الحال ، كان يقوم نصف الليل إلى الفقراء ، فمن رآه نائما وله عصا اسمها العافية ضربه بها ، ويحمل القوس والسلاح ، وكان أمارا بالمعروف لا يهاب الملوك حاضر القلب ، دائم الذكر ، بعيد الصّيت .

قال الشيخ على القصار : كنت أهابه كأنه أسد ، فإذا دنوت منه وددت أن أشق قلبي وأجعله فيه^(٢) .

• قيام أبي محمد الروابطي :

من كبار الزهاد بالأندلس .

أخذ عنه ابن مسدّي وقال : كان يسيح بثغور الأندلس ، يأوى في مساجد البر ، له كرامات ، أُسر إلى طرطوشة وقيدوه ، فقام النصراني ليلة

(١) تذكرة الحفاظ ٤/١٤٨١ - ١٤٨٢ .

(٢) سير أعلام النبلاء ٢٢/١٠١ - ١٠٢ ، انظر كتابنا « فرسان النهار » .

فراه يصلى ، وقَّيده إلى جنبه ، فتعجب ، فلما أصبح رآه في رجله ، فرقبه ثاني ليلة فكَذلك ، فذهب فأخبر القسس ، فقالوا : احضروه فجاء به ، وجرت بينه وبينهم محاوره ، ثم قالوا : لا يحل أن نأسرك فاذهب ، ولطرطوشة نهر تعمل فيه السفن ، فلقبه أسير فقال : بالله خذني فأخذ بيده وخاض إلى نصف الساق ، فتعجبت النصاري ، وشاعت القصة^(١) .

... أخى : ويمضى ركب المهجدين يخفى سرهم ظلام الليل وتباهى الأيام بما وصل إلينا من أريجهم الفواح ... وما أكثرهم وأطيبهم وأنداهم . والمجهولون الذين لا نعرفهم لا يضرهم ذلك ، فإن الذي أكرمهم بالقيام يعرفهم وإن جهلهم من شملتهم الغفلة مثلى وغاب عن دريهم ، ونأت به المعصية عن ركبهم .. فلعل صوت حاديهم أن يزعجنا يوما للسفر إلى دارهم

(١) سير أعلام النبلاء ٢٢/٣٢٩ - ٣٣٠ .

قيام الراكعات
الساجدات

أما لك بالرجال أسوة أتسبقك وأنت رجل نسوة

سنقص عليك طرفاً من ذكر العابدات المهجرات الراكعات الساجدات
اللاتي أضانهن طول القيام نَعَلَ عزانم الرجال تستيقظ فينا
كذاك الفخر يا همم الرجال تَعَالَى فانظري كيف التعالى
ويزين المقال ذكر أمهات المؤمنين زوجات رسول الله ﷺ ، فقد كان ﷺ
يوقظهن لصلاة الليل .

أم المؤمنين خديجة بنت خويلد رضی الله عنها :

في الصحيحين عن عائشة أن رسول الله ﷺ بشر خديجة ببيت في الجنة من
قصب لا صخب فيه ولا نصب . وعن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ :
« أتاني جبريل فقال يا رسول الله هذه خديجة أتتك ومعها إناء فيه طعام وشراب
فإذا هي أتتك فاقرأ عليها من ربها السلام ومنى » وهي رضی الله عنها أول من آمن
بالله من الرجال والنساء كما قال الزهري وقتادة عبد الله بن محمد بن عقيل
واسحاق وجماعة من العلماء .

نزلت على الرسول ﷺ وهي معه آيات سورة المزمل..... يأمر الله عز
وجل نبيه بقيام الليل فقام وقامت معه وقام الصحابة اثنا عشر شهراً حتى
انتفخت أرجلهم ثم نزل التخفيف في نهاية السورة .. آمنت برسالة زوجها ﷺ
حين كفر الناس وصدقته إذ كذبه الناس .. حتى يتوجهها ربها بنزول ملك الوحي
جبريل لرسول الله ﷺ قائلاً له « اقرأ خديجة من ربها السلام » قالت عائشة :
ماتت قبل أن تفرض الصلاة يعني قبل أن يعرج بالنبي ﷺ .

أم المؤمنين الصديقة بنت الصديق : عائشة بنت أبي بكر رضی الله عنها :

قال القاسم : « كانت عائشة تصوم الدهر »^(١)

وعنه قال : « كنت إذا غدوت أبدأ بيت عائشة رضی الله عنها ، فأسلم عليها ، فغدوت يوماً فإذا هي قائمة تسبح ، وتقرأ : ﴿ فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم ﴾ وتدعو وتبكي وتردها ، فقممت حتى مللت القيام ، فذهبت إلى السوق لحاجتي ، ثم رجعت ، فإذا هي قائمة كما هي تصلي وتبكي »^(٢) .. إذا كانت هذا نهارها فكيف تكون إذا جن الليل .. يكنى من قيامها ما قاله ابن عباس عنها وشهادته تاج فوق جبينها : « أعلم الناس بوتر رسول الله ﷺ » أعلم الناس بليل رسول الله ﷺ وقيامه .. تقصه وتوضحه لأهل الأرض جميعاً .. فهل يأتي علمها من نومها أم من يقظتها وقيامها رضی الله عنها . وإذا كان رسول الله ﷺ سيد العابدين فالصديقة العالمة بليله وقيامه ووتره سيدة المتبهجات .

أم المؤمنين حفصة بنت عمر بن الخطاب رضی الله عنها :

عن أنس رضی الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « قال جبريل : راجع حفصة فإنها صوامة قوامة »^(٣) .

• وعن نافع قال : ماتت حفصة حتى ماتت فطر^(٤) .

(١) « الإجابة » للزركشي ص ٦٧ .

(٢) « السمت الثمين » ص ٩٠ .

(٣) حسن : أخرجه الحاكم في المستدرک عن أنس وعن قيس بن زيد ، وأبو نعيم في الحلية عن عمار ابن ياسر ، وأبو نعيم في الحلية والحاكم في المستدرک عن قيس بن زيد مرسلًا ، وابن سعد عن قيس مرسلًا وحسنه الألباني في صحيح الجامع رقم « ٤٢٢٧ » .

(٤) أخرجه ابن سعد بسند صحيح كما قال ابن حجر في الإصابة ج ٤ ص ٢٧٣ .

وأى شهادة أعظم من شهادة المولى عز وجلّ وجبريل لابنة الفاروق بأنها
صوّامة قوّامة ..

انظر رحمك الله كيف كان تهجد حفصة رضى الله عنها وصيامها سبباً
لابقائها زوجاً لرسول ﷺ في الدنيا والآخرة . وكيف لا تكون قوّامة وهى بنت
أبيها والله در من قال :

وهل ينبت الخطى إلا وشيجهُ ويزرع إلا فى منابته النخلُ

قيام أم المؤمنين : زينب بنت جحش رضى الله عنها .

فى الإصابة قالت عنها عائشة عند موتها : لقد ذهبت حميدة متعبدة مفزع
اليتامى والأرامل . ومن حديث أم سلمة بسند موصول فى الواقدى أنها ذكرت
زينب فترحمت عليها وقالت : وكانت لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم معجبة
وكانت يستكثر منها^(١) . وكانت صالحة صوّامة قوّامة صناعاً تصدق بذلك كله
على المساكين . وعند البخارى : دخل النبي ﷺ فإذا جبل ممدود بين الساريتين
فقال ما هذا الجبل ؟ قالوا : هذا جبل لزينب فإذا فترت تعلقت فقال النبي
ﷺ : « لا حلّوه ، ليصل أحدكم نشاطه فإذا فتر فليقعده »^(٢) رضى الله عنك
أم المؤمنين يا من زوّجك الله من فوق سبع سماوات .

قيام أم الصهباء معاذة بنت عبد الله العدوية زوجة صلبة بن أشيم :

كانت رحمها الله تلميذة لعائشة رضى الله عنها فبوركت بصحبتها لأم
المؤمنين .

(١) الإصابة لابن حجر .

(٢) انظر فتح البارى شرح صحيح البخارى كتاب التهجد .

• كانت رحمها الله تصلى الليل الطويل ، فكانت تكلّ الرجال وهي لا تكلّ (١) .

• لما أهديت معاذة العدوية إلى زوجها صلة بن أشيم أدخله ابن أخيه الحمام ، ثم أدخله بيتاً مطيباً ، فقام يصلى حتى أصبح ، وفعلت معاذة كذلك ، فلما أصبح عاتبه ابن أخيه على فعله ، فقال له : إنك أدخلتني بيتاً أذكرتني به النار ، ثم أدخلتني بيتاً أذكرتني به الجنة فما زالت فكرتي فيهما حتى أصبحت (٢)

رحمكم الله أهل بيت علت بهم همهم .. أى كلام يترجم فعلهم .. امرأة تحي الليل كله ليلة بنائها .. فما بال النسوة في زماننا هذا جهلن ما علمته الأواهة التقية معاذة . بل ما بال الرجال في قرنا العشرين

أما الخيام فإنها كخيامهم وأرى نساء الحى غير نساءها

• كانت رحمها الله إذا جاء النهار قالت : هذا يومى الذى أموت فيه ، فما تنام حتى تمسى ، وإذا جاء الليل قالت : هذه ليلتى التى أموت فيها فلا تنام حتى تصبح ، وإذا جاء البرد لبست الثياب الرقاق حتى يمنعها البرد من النوم (٣)

وكانت رحمها الله تحي الليل صلاةً فإذا غلبها النوم قامت فجالت في الدار وهي تقول : « يا نفس ، النوم أمامك ، لو قدمت لطالت رقدتك في القبور على حسرة أو سرور » . وكانت تقول : « عجبت لعين تنام ، وقد عرفت طول الرقاد في ظلم القبور » .

• وقالت لابنة لها من الرضاع : « يا بنية كوني من لقاء الله على حذر ورجاء ، وإني رأيت الراجى له محفوفاً بحسن الزلفى لديه يوم يلقاه ، ورأيت

(١) تنبيه المغترين ص ١١٧ .

(٢) التخويف من النار لابن رجب الحنبلى ص ٢٣ .

(٣) صفة الصفوة ج ٤ ص ٢٢ ، مختصر قيام الليل ص ٢٦ .

الخائف له مؤملاً للأمان يوم يقوم الناس لرب العالمين» ثم بكت حتى غلبها البكاء .

● وإن تعجب من حالها وتقواها فما تقول في خبرها هذا الذى يرويه ثابت البنانى يوم أن بلغها نبأ استشهاد زوجها وابنها فأتت النساء يواسينها فى مصابها . «اجتمعت النساء عند معاذة العدوية فقالت : مرحباً ، إن كنتن جئن لتهنئنى فمرحباً بكن ، وإن كنتن جئن الغير ذلك فأرجعن» .

يا لجلال الموقف .. أى صنف من النساء أنت منهن أيتها التقية .. لا عجب يا أخى فقد بوركت عابدتنا بالسهر والتهجد ولقاء أم المؤمنين عائشة والرواية عنها فسمت إلى هذا الموقف الذى يعجز عنه الرجال .

● ولما مات زوجها شهيداً لم توسد فراشاً بعده كما قال الحسن وقالت لابنتها من الرضاعة : «والله يا بنية ما محبتي للبقاء فى الدنيا للذيذ عيش ، ولا لروح نسيم ، ولكن والله أحب البقاء لأنتقرب إلى ربى عز وجل بالوسائل لعله يجمع بينى وبين أبى الصهباء وولده فى الجنة» .

كفى حزنًا أن لا أعاين بقعة
من الأرض إلا ازددت شوقاً إليكم
وأنى مى ما طاب لى خفض عيشة
تذكرت أياماً مضت لى لديكم

● وقالت عفيرة العابدة عنها : « لما احتضرها الموت بكت ثم ضحكت ، فقيل لها مِمَّ بكيث ثم ضحكت ؟ فَمَ البكاء وَمِمَّ الضحك ؟ قالت : أما البكاء الذى رأيتم فإنى ذكرت مفارقة الصيام والصلاة والذكر فكان البكاء لذلك ، وأما الذى رأيتم من تبسّمى وضحكى فإنى نظرت إلى أبى الصهباء قد أقبل فى صحن الدار وعليه حُلُتان خضراوان فى نفر والله ما رأيت لهم فى الدنيا شيئاً ،

فضحكت إليه ولا أراى أدرك بعد ذلك فرضاً . قالت : فمات قبل أن يدخل وقت الصلاة^(١) .

حفصة بنت سيرين : أم الهذيل رحمها الله :

كانت رحمها الله تسرج سراجها من الليل ثم تقوم في مصلاها فربما طفئ السراج فيضىء لها البيت حتى تصبح ، ومكثت في مصلاها ثلاثين سنة لا تخرج إلا للحاجة أو قائلة ، وكانت تدخل مسجدها فتصلى فيه الظهر والعصر والمغرب والعشاء والصبح ، ولا تزال فيه حتى يرتفع النهار فتركع ثم تخرج فيكون عند ذلك وضوءها ونومها .

• وكانت رحمها الله تقول : يا معشر الشباب خذوا من أنفسكم وأنتم شباب فاني والله ما رأيت العمل إلا في الشباب .

وقرأت رحمها الله القرآن وهي بنت ثنتي عشرة سنة ، وكان ابن سيرين إذا أشكل عليه من القرآن شيء قال : اذهبوا فسلوا حفصة كيف تقرأه .

• كان الهذيل ابنها يجمع الحطب في الصيف فيكسره ويأخذ القصب فيقلقه ، فإذا وجدت حفصة أمه برداً في الشتاء جاء بالكانون فوضعه خلفها ، وهي في مصلاها ثم يقعد فيقعد بذلك الحطب والقصب وقوداً لا يؤذيها دخانه ويدفئها فكث كذلك ما شاء الله . قالت حفصة : وعنده ما يكفيه لو أراد ، قالت : فربما أردت أن أنصرف إليه فأقول : يا بني ارجع إلى أهلك ثم أذكر ما يريد فأدعه ، قالت : فلما مات رزقي الله عليه من الصبر ما شاء أن يرزقني ، غير أنى كنت أجد غصة^(٢) لا تذهب فينا أنا ذات ليلة أقرأ سورة النحل إذ أتيت على هذه الآية : ﴿ وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمناً قليلاً إنما عند الله هو خير لكم إن كنتم

(١) صفة الصفوة ج ٤ ص ٢٢ - ٢٤ .

(٢) حزن .

تعلمون ما عندكم يتفد وما عند الله باق ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ﴿ فآعدتها فأذهب الله عني ما أجد ﴾^(١)

• وعن هشام بن حسان قال : اشترت حفصة جارية سندية فقيل لها : كيف رأيت مولاتك ؟ فذكرت كلاماً بالفارسية معناها : إنها امرأة سالحة ، إلا أنها أذنت ذنباً عظيماً فهي الليل كله تبكي وتصلى .

• وقال عبد الكرم بن معاوية : ذكر لي عن حفصة أنها كانت تقرأ نصف القرآن في كل ليلة ، وكانت تصوم الدهر وتفطر أيام العيدين والتشريق^(٢) .

• عن عاصم بن الأحول : كنا ندخل على حفصة بنت سيرين ، وقد جعلت الجلباب هكذا وتقتب به فنقول لها : رحمك الله قال الله تعالى : ﴿ والقواعد من النساء اللاتي لا يرجون نكاحاً فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة ﴾ وهو الجلباب ، قال : فتقول لنا : أي شيء بعد ذلك ؟ فنقول : ﴿ وأن يستعففن خير لهن ﴾ فنقول : هو إثبات الجلباب^(٣) .

وكانت رحمها الله راوية للحديث .

قيام أم الدرداء (الصغرى) هُجِيمَة - جُهَيْمَة - بنت حَيْبِ الأوصابية
رحمها الله :

كانت رحمها الله إذا حدثت بحديث عن زوجها قالت : حدثني سيدي -
يعني أبا الدرداء- .

• عن يونس بن ميسرة قال : كنا نحضر أم الدرداء وتحضرها نساء متعبدات يقمن الليل كله حتى إن أقدامهن قد انتفخت من طول القيام^(٤)

(١) مختصر قيام الليل ص ١٩ ، صفة الصفوة ج ٤ ص ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ .

(٢) صفة الصفوة ج ٤ ص ٢٦ ،

(٣) صفة الصفوة ج ٤ ص ٢٤ .

(٤) صفة الصفوة ج ٤ ص ٢٩٦ ، ٢٩٧ .

• عن جبير بن نفير عن أم الدرداء أنها قالت لأبي الدرداء : إنك خطبتني إلى أبي في الدنيا فأنكحوني ، وإني أخطبك إلى نفسك في الآخرة ، قال : فلا تنكحى بعدى ، فخطبها معاوية فأخبرته بالذي كان - فقال عليك : بالصيام^(١) .

- وفي رواية أخرى - ولست أريد بأبي الدرداء بدلاً^(٢) .

قيام ابنة أم حسان الأسدية رحمها الله :

عن سفيان الثوري قال : دخلت على بنت أم حسان الأسدية وفي جيبها مثل ركة العز من أثر السجود ، وليس به خفاء .
قال سفيان : وكان إذا جنّ عليها الليل دخلت محراباً لها ، وأغلقت عليها ثم نادت : إلهي خلا كل حبيب بحبيبه ، وأنا خالية بك يا محبوب ، فما كان من سجن تسجن به من عصاك إلا جهنم ، ولا عذاب إلا النار^(٣) .

قيام رابعة العدوية رحمها الله :

ومن هؤلاء الناسكات رابعة العدوية البصرية ، وكانت مضرب المثل في تدلّه القلب واحتراق الكبد حباً لله وإيثاراً لرضاه ، وكانت تواصل صيامها وقيامها ، وتتابع زفراتها ، وتدفق عبراتها ، تستقل كل ذلك في جنب الله ، قال يوماً شيخ الزهاد سفيان الثوري وهو عندها : « واحزنه » فقالت : « لا تكذب ! بل قل : واقلة حزنه ، ولو كنت محزوناً لم يتهياً لك أن تتنفس » .
• قالت عنها أشبه الناس بها في نسكها وعبادتها خادمتها عبدة بنت أبي شوال - وكانت من خيار إماء الله : « كانت رابعة تصلي الليل كله ، فإذا طلع الفجر

(١) تهذيب التهذيب ج ٢ ص ٤٦٦ .

(٢) صفة الصفوة ج ٤ ص ٢٩٦ .

(٣) حلية الأولياء ج ٧ ص ٩ .

هجمت في مصلاها هجمة خفيفة حتى يسفر الفجر ، فكنت أسمعها تقول إذا وثبت من مرقدتها ذلك وهي فزعة : يا نفس كم تامين ، وإلى كم تقومين . يوشك أن تنامي نومة لا تقومين منها إلا لصرخة يوم النشور»^(١)

قالت عبدة : وكان هذا دأبها أمد دهرها حتى ماتت ، ولما حضرتها الوفاة دعنتي ، وقالت : « يا عبدة ! لا تؤذني بموتى أحداً ، وكفني في جتي هذه » - وهي جبة من شعر كانت تقوم فيها إذا هدأت العيون .

قال ابن كثير رحمه الله :

« وقد ذكروا لها أحوالاً وأعمالاً سالحة ، وصيام نهار ، وقيام ليل ، ورؤيت لها منامات سالحة ، فالله أعلم » ، وقال أيضاً : « وأثنى عليها أكثر الناس ، وتكلم فيها أبو داود السجستاني ، واتهمها بالزندقة ، فلعله بلغه عنها أمر»^(٢) .

قيام عجدة العمية رحمها الله :

قال رجاء بن مسلم العبدى : كنا نكون عند عجدة العمية في الدار فكانت تحيي الليل صلاة . وربما قال : تقوم من أول الليل إلى السحر ، فإذا كان السحر نادت بصوت لها محزون :

« إليك قطع العابدون دجى الليالى بتكبير الدليج إلى ظلم الأسحار ، يستبقون إلى رحمتك وفضل مغفرتك ، فبك إلهى لا بغيرك أسألك أن تجعلني في أول زمرة السابقين إليك ، وأن ترفعي إليك في درجة المقربين ، وأن تلحقني بعبادك الصالحين فأنت أكرم الكرماء ، وأرحم الرحماء ، وأعظم العظماء ، يا كرم » ثم نخر ساجدة فلا تزال تبكى وتدعو في سجودها حتى يطلع الفجر

(١) صفة الصفوة ج ٤ ص ٢٩ ، ٣٠ .

(٢) البداية والنهاية ١٠/١٨٦-١٨٧ وانظر عودة الحجاب للشيخ محمد بن إسماعيل ج-٢ ص ٣٠٢ ، ٣٠٣ .

فكان ذلك دأبها ثلاثين سنة .

● وحدثت آمنة بنت يعلى بن سهيل قالت : كانت عجدة العنية تغشانا فتظل عندنا اليوم واليومين ، قالت : فكانت إذا جاء الليل لبست ثيابها وتقنعت ثم قامت إلى المحراب فلا تزال تصلى إلى السحر ثم تجلس فتدعو حتى يطلع الفجر ، فقلت لها - أو قال لها بعض الدار لو نمت من الليل شيئاً ، فبكت وقالت : ذكر الموت لا يدعني أنام^(١)

قيام حبيبة العدوية رحمها الله :

● قال عبد الله المكي أبو محمد : كانت حبيبة العدوية إذا صلت العتمة قامت على سطح فشدت عليها درعها وخارها فقالت : « إلهي غارت النجوم ، ونامت العيون ، وغلقت الملوك أبوابها ، وبابك مفتوح ، وخلا كل حيب بحبيبه ، وهذا مقامي بين يديك » .

ثم تقبل على صلاتها ، فإذا كان السحر قالت : اللهم وهذا الليل قد أدبر ، وهذا النهار قد أسفر ، فليت شعري هل قبلت مني ليلتي فأهنتي ، أم رددتها علي فأعزيتي ، فوعزتك لهذا دأبي ودأبك أبداً ما أبقيتني ، وعزتك لو انتهرتني ما برحت عن بابك ، ولا وقع في قلبي غير جودك وكرمك^(٢) .
وكانت تقول : اللهم اغفر لي سوء أدبي في صلاتي^(٣) .

قيام عفيرة العابدة وليها :

قيل لها : إنك لا تنامين بالليل فبكت ثم قالت : ربما اشتبهت أن أنام فلا

(١) صفة الصفوة ج ٤ ص ٣١ .

(٢) صفة الصفوة ج ٤ ص ٣٢ .

(٣) تنبيه المغترين ص ١١٦ .

أقدر عليه ، وكيف ينام أو يقدر على النوم من لا ينام حافظاه عنه ليلاً ولا نهاراً^(١)

وكانت رحمها الله لا تضع جنبها إلى الأرض في ليل وتقول : أخاف أن أؤخذ على غرة وأنا نائمة ، وكانت لا تملّ من البكاء فقيل لها : أما تسأمين من كثرة البكاء فقالت : كيف يسأم إنسان من دوائه وشفائه^(٢) .

• وكانت تقول في مناجاتها « عصيتك بكل جارحة منى على حدثها ، والله لئن أعنت لأطيعنك ما استطعتُ بكل جارحة عصيتك بها »^(٣) .

• وقدم ابن أخ لها طالت غيبته فُبشّرت به ، فبكت ، فقيل لها : ما هذا البكاء ؟ اليوم يوم فرح وسرور ، فازدادت بكاءً ثم قالت : والله ما أجد للسرور في قلبي مسكناً مع ذكر الآخرة ، ولقد ذكرني قدومه يوم القدوم على الله فَمَين بين مسرور ومثبور^(٤) .

• ودخل عليها قوم فقالوا: ادعى الله لنا . فقالت : « لوخرس الخطّاءون ما تكلمت عجوزكم ، ولكن المحسن أمر المسيء بالدعاء ، جعل الله قراكم من نبق الجنة ، وجعل الموت منى ومنكم على بال ، وحفظ علينا الإيمان إلى المات وهو أرحم الراحمين »^(٤)

عمرة امرأة حبيب العجمي :

• انتهت ليلة وزوجها نائم فأنهته في السحر وقالت له : قم يا سيدي [رجل] فقد ذهب الليل وجاء النهار ، وبين يديك طريق بعيد ، وزاد قليل ،

(١) مختصر قيام الليل ص ٢٩ .

(٢) صفة الصفوة ج ٤ ص ٣٤ ، تنبيه المغترين ص ١١٦ .

(٣) صفة الصفوة ج ٤ ص ٣٤ .

(٤) صفة الصفوة ج ٤ ص ٣٣ ومختصر قيام الليل ص ٢٩ .

وقوافل الصالحين قد سارت قدامنا ونحن قد بقينا (١).

جارية خالد الوراق :

قال خالد الوراق : كانت لي جارية شديدة الإجتهد فدخلت عليها يوماً فأخبرتها برفق الله وقبوله يسير العمل ، فبكت ثم قالت : يا خالد إني لأؤمل من الله تعالى آمالاً لو حملتها الجبال لأشفقت من حملها كما ضعفت عن حمل الأمانة ، وإني لأعلم أن في كرم الله مستغاثاً لكل مذنب ، ولكن كيف لي بحسرة السباق ؟ قال : قلت : وما حسرة السباق ؟ قالت : «غداة الحشر إذا بعث ما في القبور ، وركب الأبرار نجائب الأعمال فاستبقوا إلى الصراط ، وعزة سيدي لا يسبق مقصر مجتهداً أبداً ، ولو حبا المجد حَبَواً ، أم كيف لي بموت الحزن والكمد إذا رأيت القوم يتراكمون ، وقد رفعت أعلام المحسنين ، وجاز الصراط المشتاقون ، ووصل إلى الله المحبون ، وخلفت مع المسيئين المذنبين ؟؟ ثم بكت

انظريا أخى : إن أريج العبادة ورائحة الظمأ والسهر لتبدو من هذا الكلام .

شعوانة رحمها الله :

كانت تترنم بهذين البيتين :

أذرى جفونك إماً كنت شاجية

إن النياحة قد تشفى الحزينينا

جدى وقومى وصومى الدهر دائبة

فإنما الدوب من فعل المطيعينا

(١) صفة الصفوة ج ٤ ص ٣٥ .

(٢) صفة الصفوة ج ٤ ص ٤٦ ، ٤٧ .

وكانت تقول : أنت ل لكل داء دواء في الجبال ، ودواء المحبين في الجبال لم
ينبت .

ولقد بكت حتى خافوا عليها العمى ، فقالوا لها في ذلك ، فقالت « أعمى
والله في الدنيا من البكاء أحب إليّ من أن أعمى في الآخرة من النار » .
وكانت تقول : من استطاع منكم أن يبكي ، وإلا فليرحم الباكي ، فإن
الباكي إنما يبكي لمعرفته بما أتى إلى نفسه .

وكانت تقول : وددت أني أبكي حتى تنفذ دموعي ، ثم أبكي الدماء حتى
لا تبقى في جسدي جارحة فيها قطرة من دم ، وأنني لي البكاء^(١) ، فلم تزل تردد
« وأنني لي البكاء » حتى غشى عليها .

ريحانة رحمها الله :

كانت تقوم أول الليل وتقول :

قام الحب إلى المؤمل قومة
كاد الفؤاد من السرور يطير

وفي جوف الليل تقول :

لأنسنّ بمن توحشك نظرتّه
فئمننّ من التذكار في الظلم
واجهد وكذّ وكن في الليل ذا شجن
سفيك كأس وداد العز والكريم

(١) صفة الصفوة ج ٤ ص ٥٥ ، ٥٦ .

ثم نادى : واحرباه وأسلباه . فقيل لها ممّ ذا ؟ قالت :
ذهب الظلام بأنسه وبألفه
ليت الظلام بأنسه يتجدد^(١)
منيفة بنت أبى طارق :

وكانت بالبحرين ، وكانت رحمها الله إذا هجم عليها الليل قالت : « بخ
بخ يا نفسُ قد جاء سرور المؤمن ، فتقوم في محرابها فكأنها الجذع القائم حتى
تصبح . وعن أم عمار بنت ملك البحرين قالت : بت ليلة عند منيفة ابنة أبى
طارق فما زادت على هذه الآية ترددها وتبكي ﴿ وكيف تكفرون وأنتم تتلى
عليكم آيات الله وفيكم رسوله ؟؟ ومن يعتصم بالله فقد هُدى إلى صراط
مستقيم ﴾^(٢) .

قيام بردة الصرعية ويكاؤها رحمها الله :

كانت بالبصرة ، وكانت تقوم الليل ، فإذا سكنت الحركات وهدأت العيون
نادت بصوت لها حزين : هدأت العيون ، وغارت النجوم ، وخلص كل حبيب
بجيبه ، وقد خلوت بك يا محبوبى ، أفتراك تعذبني وحبك فى قلبى ؟ لا تفعل
يا حبيباه^(٣) .

وكانت تقول : ربما سمعتُ القرآن فأرى مُلك بنى مروان قد حوى لى .
وكانت تبكى حتى يرحمها من رآها ، ولقد بكت حتى ذهب بصرها
فلاموها على ذلك فقالت : لو رأيتم بكاء العصاة يوم القيامة لقلتم إن هذا البكاء
كاللعب^(٤) .

(١) صفة الصفوة ج ٤ ص ٥٧ .

(٢) آل عمران الآية ١٠١ . انظر صفة الصفوة ج ٤ ص ٧٣ ، ٧٤ .

(٣) صفة الصفوة ج ٤ ص ٣٦ .

(٤) تنبيه المغترين ص ١١٦ .

وكانت تقول للحسن : يا أبا سعيد إن أكن من أهل الجنة فسيبدلني الله بصراً خيراً من بصرى ، وإن أكن من أهل النار فأبعده الله بصرى .
وكانت إذا قيل لها كيف أصبحت ؟ تقول : « أصبحنا أضيافاً مُتَّجِعَةً بأرض غربة نتظر إجابة الداعي » .

أم طلق رحمها الله :

أمّا أم طلق فكانت تكثر التهجد وتقول : ما ملكت نفسي ما تشتهي منذ جعل الله لى عليها سلطاناً وكانت تقول لابنها طلق : ما أحسن صوتك بالقرآن فليته لا يكون عليك وبالأ يوم القيامة ^(١) .

أم حيان السُّلَمِيَّة رحمها الله :

قال أبوخلدة : ما رأيت رجلاً قط ولا امرأة أقوى ولا أصبر على طول القيام من أم حيان السلمية ، إن كانت لتقوم في مسجد الحى كأنها نخلة تصفقها الرياح يميناً وشمالاً ^(٢) .
وكانت تقرأ القرآن في يوم وليلة .

حسنة العابدة :

كانت رحمها الله جميلة ، ولقد تركت نعيم الدنيا وأقبلت على العبادة فكانت تصوم النهار وتحيى الليل وليس في بيتها شيء .
قالت لها امرأة تزوجى فقالت : هات رجلاً زاهداً لا يكلفنى من أمر الدنيا شيئاً ولا أظنك تقدرين عليه ، فوالله ما فى نفسى أن أعبد الدنيا ولا أتعم مع رجال الدنيا ، فإن وجدت رجلاً يبكى ويُبكىنى ، ويصوم ويأمرنى ، ويتصدق

(١) صفة الصفوة ج ٤ ص ٣٧ .

(٢) صفة الصفوة ج ٤ ص ٣٨ .

وبعضني عليها فيها ونعمت ، وإلا فعلى الرجال السلام^(١) ، رحمها الله أى أنها لا ترغب إلا فى الزواج بمنَّ يَمَمَ وجهه صوب الدار الآخرة .

زجلة العابدة مولاة معاوية رحمها الله :

عن سعيد بن عبد العزيز قال : ما بالشام ولا بالعراق أفضل من زجلة . دخل عليها نقر من القراء فكلموها فى الرفق بنفسها فقالت : ماى وللرفق بها ؟ فإنما هى أيامُ مبادرة . فن فاته اليوم شىء لم يدركه غداً . والله يا إخواناه لأصلين ما أفلتني جوارحى ، ولأصومن له أيام حياتى ، ولأبكين له ما حملت الماء عيناي . ثم قالت : أياكم يأمر عبده بأمرٍ فيحب أن يقصر فيه ؟ ولقد قامت رحمها الله حتى أقعدت ، وصامت رحمها الله حتى اسودت ، وركت حتى عمشت ، وكانت تقول : « علمى بنفسى قرح فوادى ، وكلم قلبى ، والله لوددت أن الله لم يخلقنى ولم أك شيئاً مذكوراً »^(٢) وكانت رحمها الله تخرج إلى الساحل فتغسل ثياب المرابطين فى سبيل الله .

غصنة وعالية رحمها الله :

وكانتا من عابدات البصرة .

قال أبو الوليد العبدى : ربما رأيت غصنة وعالية تقوم إحداهما من الليل فتقرأ البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف فى ركعة^(٣) .

غضكة رحمها الله :

وهى من عابدات البصرة : وكانت تصلى عامة الليل ، ثم تقول : « أعوذ

(١) صفة الصفوة ج ٤ ص ٣٩ ، ٤٠ .

(٢) صفة الصفوة ج ٤ ص ٤٠ ، ٤١ .

(٣) صفة الصفوة ج ٤ ص ٤١ .

بالله من ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون » فإذا قضت صلاتها قالت : هذا الجهد منى وعليك التكلان (١) .

إمراة أنى عمران الجونى رحمها الله :

من عابدات البصرة ، كانت رحمها الله تقوم من الليل تصلى حتى تعصب سابقها بالخرق ، فيقول لها أبو عمران الجونى : دون هذا يا هذه . فتقول : « هذا عند طول القيام فى الموقف قليل » فيسكت عنها (٢) .

جارية عبيد الله بن الحسن العنبرى قاضى البصرة رحمها الله :

قال عبيد الله بن الحسن العنبرى : كانت عندى جارية أعجمية وضيئة وكنتُ بها معجباً ، فكانت ذات ليلة نائمة إلى جنبى ، فانتبهت فلم أجدها ، فالتفتها فإذا هى ساجدة تقول : بجزبك لى اغفر لى ، فقلت : يا جارية لا تقولى بجزبك لى ، قولى : بجزبى لك اغفر لى (٣) ، فقالت : يا بطل ، جزب لى أخرجنى من الشرك إلى الإسلام ، فأيقظ عينى وأنام عينك . فقلت اذهبي فانت حرة لوجه الله . فقالت : يا مولاي أسأت إلى ، كان لى أجزان فصار لى أجز واحد (٤) .

الماوردية رحمها الله :

من عابدات البصرة ، كانت عجوزاً صالحة تكتب وتقرأ وتعظ النسوان ، ولم تأكل خبزاً ولا رطباً ولا تمرأ ، وإنما تطحن لها باقلاً وتخبز لها خبزاً تقتات به ،

(١) صفة الصفوة ج ٤ ص ٤٣ .

(٢) صفة الصفوة ج ٤ ص ٤٣ .

(٣) دلها على التوسل المشروع وهو التوسل بالعمل الصالح وترك غيره .

(٤) صفة الصفوة ج ٤ ص ٤٦ .

وتأكل التين اليابس دون الرطب ، وتناول من الزيت والعنب واللحم الشيء اليسير ، وظلت خمسين سنة لا تنام من ليها .

عابدة وأيتامها :

وانظر أخى إلى أثر التهجذ والعبادة وكيف أنها تورث الزهد فى الدنيا والقناعة والرضا عن الله عزوجل . قال حماد بن سلمة : « ألحَّ المطر علينا سنة من السنين ، وفى جوارى امرأة من المتعبدات ، لها بنات أيتام فوكف السقف عليهن فسمعتها تقول : يارفيق ارفق بى ، فسكن المطر ، فأخذت صرة فيها عشرة دنانير وقرعت بابها ، فقالت : اجعله حماد بن سلمة . فقلت : أنا حماد ، سمعتك وقد تأذيت بالمطر فقلت يارفيق ارفق بنا ، فما بلغ من رفقك ؟ قالت : سكن المطر ، وأدفا الصبيان ، وجفَّ البيت ، قال : فأخرجت الدنانير وقلت انتفعي بها ، فخرجت صبية عليها مدرعة من صوف تستبين خرقوها وقالت : ألا تسكت يا حماد ، تعترض بيننا وبين ربنا ومولانا ؟ ثم قالت : يا أماء قد علمنا أنا لما شكونا مولانا أنه سيبعث إلينا بالدنيا ليطردنا عن بابك ، ثم ألصقت خدها بالتراب ثم قالت : أما أنا ، وعزتك لا زابلت بابك وإن طردتنى .

ثم قالت : يا حماد رُدَّ عافاك الله دنانيرك إلى الموضع الذى أخرجتها منه ، فإننا رفعنا حوائجنا إلى مَنْ يقبل الودائع ولا يبخس المعاملين » (١) .

عابدة من البصرة :

كانت تقول :

زهد الزاهدونا والعايدونا إذ لمولاهم أجاجوا البطونا

(١) صفة الصفوة ج٤ ص ٥٠ .

أسهروا الأعين القرحة فيه فضى ليلهم وهم ساهرونا
حيرتهم محبة الله حتى علم الناس أن فيهم جنونا
هم ألبا ذور عقول ولكن قد شجاهم جميع ما يعرفونا^(١)

ماجدة القرشية :

وهي عابدة من قريش وكانت تسكن البحرين . وكانت تقول رحمها الله :
لم ينل المطيعون ما نالوا من حلول الجنان ورضا الرحمن إلا بتعب الأبدان لله .
والقيام لله بحقه في المنشط والمكروه .

وكانت تقول : كفى المؤمنين طول اهتمامهم بالمعاد شغلاً .
وتقول : طوى أملى طلوع الشمس وغروبها ، فما من حركة تُسمع ولا من
قدم توضع إلا ظننت أن الموت في أثرها .

وكانت تقول : « سكان دار أودنوا بالنقلة ، وهم حيارى يركضون في المهلة
كأن المراد غيرهم ، أو التأذين ليس لهم والمعنى بالأمر سواهم . آه من عقول
ما أنقصها ، ومن جهالة ما أتمها ، بؤساً لأهل المعاصي .. ماذا غُرِّوا به من
الإمهال والاستدراج .

وتقول : بسطوا آمالهم فأضاعوا أعمالهم ، ولو نصبوا الآجال وطَّروا الآمال
نخفت عليهم الأعمال »^(٢) .

لبابة العابدة ببيت المقدس رحمها الله :

قالت رحمها الله : ما زلت مجتهدة في العبادة حتى صرت أستروح بها ، وإذا

(١) صفة الصفوة ج٤ ص ٥١ .

(٢) صفة الصفوة ج٤ ص ٧٤ .

تعبت من لقاء الخلق آنسى بذكره ، وإذا أعيانى الخلق رَوَحنى التفرغ لعبادة الله عز وجل والقيام إلى خدمته^(١)

فاطمة بنت عبد الرحمن بن عبد الغفار الحراني رحمها الله :

• وكانت من المصطفيات العابدات في مصر ، وما كانت تنام إلا في مصلاها فوق ستين سنة^(٢) .

منيرة السدوسية :

وكانت من عابدات العرب وأهل البادية . وكانت تقول إذا جاء الليل : قد جاء الهول قد جاءت الظلمة ، قد جاء الخوف ، ما أشبه هذا بيوم القيامة ثم تقوم فلا تزال تصلى حتى تصبح^(٣) .

هنييدة رحمها الله :

• وكانت عابدة من أهل البادية ، كانت تقوم إذا مضى من الليل ثلثه أو نصفه فتوقظ ولداها وزوجها وخدمها فتقول لهم : قوموا فتوضؤوا وصلوا ، فستغبتون بكلامي هذا ، فكان هذا دأبها حتى ماتت ، فرأى زوجها في منامه : إن كنت تحب أن تزوجها هناك فاخلفها في أهلها بمثل فعلها ، فلم يزل دأب الشيخ حتى مات فأتى أكبر ولده في منامه فقيل له : إن كنت تحب أن تجاور أبويك في درجتها من الجنة فاخلفها في أهلها بمثل عملها ، قال : فلم يزل دأبه حتى مات ، فكانوا يُدعون « القوامين »^(٤) .

(١) صفة الصفوة ج ٤ ص ٢٥١ .

(٢) صفة الصفوة ج ٤ ص ٣٣١ .

(٣) صفة الصفوة ج ٤ ص ٣٨٨ .

(٤) صفة الصفوة ج ٤ ص ٣٩١ .

عابدات الشام

اليضاء بنت المفضل :

سألته أسماء الرميلة وكانت عابدة : يا أختي : هل للمحب لله دلائل يعرف بها ؟ قالت : يا أختي ، والمحبة للسيد يخفى !! ، لو جهد المحب للسيد أن يخفى ماخفى ، قالت : صفة لى . قالت : « لو رأيت المحب لله عز وجل لرأيت عجباً عجيباً من واله ما يقرّ على الأرض ، طائر مستوحش ، أنسه فى الوحدة ، قد مُنع الراحة طعامه الحب عند الجوع ، وشربه الحب عند الظمأ ؟ لا يملّ من طول الخدمة لله تعالى (١) .

أم هارون :

قالت رحمها الله : قد أنزلت الدنيا منزلتها ، وكانت تقول : بأبى الليل ما أطيه ، إني لأغتمّ بالنهار حتى يحى الليل ، فإذا جاء الليل قت أوله ، فإذا جاء السحر دخل الروح قلبى (٢) .

رابعة زوجة أحمد بن أبى الخوارى رحمها الله :

قال أحمد : قلت لرابعة وقد قامت بليل : قد رأينا أبا سليمان وتعبنا معه ، ما رأينا من يقوم من أول الليل . فقالت : سبحان الله مثلك يتكلم بهذا ؟ إنما أقوم إذا نوديت قال : وجلست آكل وجعلت تذكرنى ، فقلت لها : دَعِينَا يَهْنِئَا طَعَامُنَا . قالت : ليس أنا وأنتِ مِمَّنْ يَتَغَنَّصُ عَلَيْهِ الطَّعَامُ عند ذكر الآخرة .

قال زوجها ربحانة الشام : ربما نظرت إلى وجهها ورقبتها فيتحرك قلبى على رؤيتها مالا يتحرك مع مذاكرتى أصحابنا من أثر العبادة .

(١) صفة الصفوة ج ٤ ص ٣٥٠ .

(٢) صفة الصفوة ج ٤ ص ٣٠٣ .

وقالت لى : لست أحبك حب الأزواج .. إنما أحبك حب الإخوان ،
وإنما رغبت فيك رغبة في خدمتك ، وإنما كنت أحب وأتمنى أن يأكل ملكي
ومالي مثلك ومثل إخوانك . قال أحمد : وكان لها سبعة آلاف درهم فأنفقتها

على ، فكانت إذا طبخت قدراً قالت : كلها يا سيدي فما نضجت إلا
بالتسييح ، وقالت لى : لست أستحل أن أمتنع نفسي^(١) وغيرى ، اذهب
فتزوج ، قال : فتزوجت ثلاثاً ، وكانت تطعمنى اللحم وتقول : اذهب
بقوتك إلى أهلك .

وكانت رحمها الله تقول : « ماسمت الأذان إلا ذكرت منادى القيامة ،
ولا رأيت الثلج إلا رأيت تطاير الصحف ، ولا رأيت جراداً إلا ذكرت
الحشر^(٢) » يا سبحان الله : امرأة تزوج زوجها من مالها ثلاث من النسوة ..
ولا تقوم إلا إذا توديت .

لاتقعدان لذكرنا في ذكرهم ليس الصحيح إذا مشى كالمقعد

امراة الهيثم بن جراز :

قال الهيثم : « كانت لى امرأة لاتنام الليل ، وكنت لا أصبر معها على
السهر ، فكنت إذا نعست ترشّ علىّ الماء في أثقل ما أكون من النوم وتنبهنى
برجلها وتقول : « أما تستحي من الله . إلى كم هذا الغطيط » فوالله إن كنت
لأستحي مما تصنع .

(١) لا يفهم من هذا الكلام .. عصيانها لزوجها فهذا ليس من حسن الظن بزوجة تلميذ أحمد بن
حنبل ومعنى كلامها والله أعلم « شعورها بتقصيرها في حق زوجها أو خوفها من أن تكون مقصرة
في حقه ، فزوجته عليها ما مالها ثلاث من النسوة .. والله أعلم » .

(٢) صفة الصفوة ج ٤ ص ٣٠٢ .

جوهرة العابدة البرائية زوج أبي عبدالله البرائى رحمها الله :

قال زوجها : كانت جوهرة تنهى من الليل وتقول : يا أبا عبدالله قد سارت القافلة .

ورأت في منامها خياماً مضروبة فقالت : لمن ضُربت هذه الخيام ؟ فقيل للمتجهدين بالقرآن . فكانت بعد ذلك لا تنام^(١)

فاطمة بنت بزيع امرأة أبي عثمان :

عن رباح بن الجراح قال : رأيت فاطمة بنت بزيع امرأة أبي عثمان وكانت من العابدات وكانت تصلى أكثر الليل ، ماكنت أنتبه من الليل فأفقد صوتها في القراءة والصلاة حتى تصلى الصبح بوضوء العتمة^(٢) .

عابدة : تزوجت عابدة من العبادات رجلاً فرأته نائماً طوال الليل ، توقظه عدة مرات في الليل فیتناعس هوليرى عبادتها فقالت له : « مضى الليل وعسكر المحسنون وأنت نائم » ليت شعرى مَنْ غرّنى بك ؟

[قال أبو يوسف البزاز : تزوج رباح القيسى امرأة فبنى بها ، فلما أصبحت قامت إلى عجبها فقال : لو نظرت إلى امرأة تكفيك هذا فقالت : إنما تزوجت رباحاً القيسى ، ولم أرنى تزوجت جباراً عنيداً ، فلما كان الليل نام ليختبرها فقامت ربع الليل ، ثم نادته ، قم يارباح فقال : أقوم ، فقامت الربع الآخر ثم نادته فقالت : قم يارباح ، فقال أقوم ، فلم يقم فقامت الربع الآخر ، ثم نادته فقالت :

قم يارباح فقال أقوم ، فقالت : مضى الليل وعسكر المحسنون وأنت نائم !! ليت شعرى مَنْ غرّنى بك يا رباح .

(١) صفة الصفوة ج ٢ ص ٥٢١ .

(٢) الزهد الكبير للبيهقي ص ٣١٨ .

قال : وقامت الربع الباقي .

قال رياح : ذكرت لى امرأة فتزوجتها فكانت إذا صلت العشاء الآخرة تطيب وتدخن ولبست ثيابها ثم تأتي فتقول ألك حاجة ؟ فإن قلت نعم ، كانت معى ، وإن قلت لا ، قامت فتزعت ثيابها ثم صفت بين قدميها حتى تصبح ^(١) .

رياح بن عمرو القيسي وهو من العباد يستصغر نفسه أمام زوجه الصالحة « ذؤابة » .. يتناعس حتى يرى قيامها « يا عبد الله إن الجنس يألفه الجنس إذا كنت طيباً فلن يقرنك الله إلا بطيب فاطمن » ، وتأتى نتيجة الامتحان : امتحان ذؤابة من زوجها المبارك رياح « ياليت شعرى من غرتى بك يا رياح ؟ » .
فيا ليت نساءنا يسلكن هذا المسلك فيقلن للرجال : ياليت شعرنا من غرنا بكم ، من غرنا بك عندما أفسدتنا وما اتقيت الله فينا ، وجعلت بيتنا قطعة من باريس ^(٢) .

عابدة من بنى عبد القيس :

كانت إذا جاء الليل تحمرت ثم قامت إلى المحراب ، وكانت تقول : « المحب لا يسأم من خدمة حبيبه ، وكانت تقول : « عاملوا الله على قدر نعمه عليكم وإحسانه إليكم ، فإن لم تطيقوا فعلى قدر ستره ، فإن لم تطيقوا فعلى الحياء منه ، فإن لم تطيقوا فعلى الرجاء لثوابه ، فإن لم تطيقوا فعلى خوف عقابه » ^(٣) .

عابدة :

نظرت عابدة أعرابية إلى فتي حسن الوجه بضه فقالت : إنى لأرى وجهاً

(١) صفة الصفوة ٤٣/٤ - ٤٤ .

(٢) انظر إلى شريط قيام الليل للشيخ الطحان وثناؤه على ذؤابة وزوجها رياح .

(٣) صفة الصفوة ج ٤ ص ٣٩١ .

ما غَضَّنه (١) يَدِد وضوء البسحر (٢) .

عابدة : قال السرى : بلغنى أن امرأة كانت إذا قامت من الليل قالت :
« اللهم إن إبليس عبد من عبيدك ، ناصيته بيدك ، يرانى من حيث لا أراه ،
وأنت تراه من حيث لا يراك ، اللهم إنك تقدر على أمره كله ، وهو لا يقدر من
أمرك على شيء ، اللهم إن أرادنى بشرًا فأرذه ، وإن كادنى فكدّه ، أدراً بك فى
نحره ، وأعوذ بك من شره (٣) » .

عابدة : كانت تصلى بالليل لا تستريح وكانت تقول لزوجها : قُمْ وبحك
إلى متى تنام ؟ قم يا غافل قم يا بطل ، إلى متى أنت فى غفلتك ، أقسمت
عليك ألا تكسب معيشتك إلا من حلال ، أقسمت عليك أن لا تدخل النار من
أجلى ، برّ أمك ، صل رحمك ، لا تقطعهم فيقطع الله بك (٤) .

عابدة : كانت لا تنام من الليل إلا يسيراً ، فعوتبت فى ذلك فقالت :
« كفى بالموت وطول الرقدة فى القبور للمؤمنين رقاداً » . وكانت تصوم حتى يسودّ
وجهها وتقول : « إنما أدور على طول الرى والشعب فى الآخرة » (٥) .

عابدة : قالت عابدة لذى النون المصرى : أول المحبة يبعث على الكد
الدائم حتى إذا وصلت أرواحهم إلى أعلى الصفا جرّعهم من محبته لذيذ
الكؤوس (٦) .

(١) أى : جعده .

(٢) صفة الصفوة ج ٤ ص ٣٩٥ .

(٣) صفة الصفوة ج ٤ ص ٤٤٠ .

(٤) صفة الصفوة ج ٤ ص ٤٣٧ .

(٥) صفة الصفوة ج ٣ ص ١٩٥ .

(٦) صفة الصفوة ج ٤ ص ٤٢٩ .

عابدة : قال ذو النون المصري : خرجت ليلة من وادي كنعان ، فلما علوت الوادي إذا سواد مقبل عليّ وهو يقول ﴿ وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون ﴾ ويبكي ، فلما قرب مني السواد إذا هي امرأة عليها حبة صوف . وببدها ركوة ، فقالت : من أنت ؟ غير فرزة مني ، فقلت : رجل غريب . فقالت : يا هذا ! وهل يوجد مع الله غربة ؟ قال : فبكيت لقولها فقالت لي : ما الذي أبكاك ؟ فقلت : « قد وقع الدواء على داء قد قرح ، فأحسن في نجاحه » ، قالت « فإن كنت صادقاً فلم بكيت ؟ » قلت : « يرحمك الله والصادق لا يبكي ؟ » ، قالت : « لا .. إن الصادق لا يبكي لأن البكاء راحة القلب وملجأ يلجأ إليه ، وماكم القلب شيئاً أحق من الشهيق والزفير ، فإذا أسبلت الدمعة استراح القلب ، وهذا نقص » فسكت متعجباً من قولها . ثم قالت : اخدم مولاك شوقاً إلى لقائه ، فإن له يوماً يتجلى فيه لأوليائه ، وإنه تعالى سقاها في الدنيا من محبته كأساً لا يظمؤون بعدها أبداً ثم قالت :

إذا كان داء العبد حب مليكه

فمن دونه يرجو طبيباً مداوياً؟^(١)

سرية العابدة :

قال أبو هاشم القرشي : « قدمت علينا امرأة من أهل اليمن يقال لها : « سرية » فترلت في بعض ديارنا ، قال : فكنت أسمع لها من الليل أنيناً وشهيقاً ، فقلت يوماً لخادم لي : « أشرف على هذه المرأة ، ماذا تصنع ؟ » ، قال : فأشرف عليها ، فما رآها تصنع شيئاً غير أنها لا ترد طرفها عن السماء وهي مستقبلة القبلة ، تقول : « خلقت سرية ، ثم غديتها بنعمتك من حال إلى حال ، وكل أحوالك لها حسنة ، وكل بلائك عندها جميل ، وهي مع ذلك

(١) صفة الصفوة ج ٤ ص ٤٢٧ ، ٤٢٨ ، عودة الحجاب ج ٢ ص ٣٠٠ ، نبيه المغتربين ص ٣٥ .

متعرضة لسخطك بالتوثب على معاصيك فلتة بعد فلتة ، أتراها تظن أنك لا ترى
سوء فعلها وأنت عليم خبير ، وأنت على كل شيء قدير» (١) .

فخرية بنت عثمان البصرية :

« كانت من أسرة عريضة الجاه موفورة الغنى ، ولكن ذلك كله لم يطب
لها ، فخرجت وتزهدت وتنسكت ، وهجرت الراحة والمنام إلى الصلاة
والقيام ، وقنعت من العيش برغيف وقدر ماء فذلك قوتها كل يوم .
وكانت أشبه الناس برابعة في الوحشة من الدنيا والتدله . هاجرت إلى بيت
المقدس وأقامت أربعين عاماً تقف الليل كله بباب المسجد الأقصى تصلى حتى
يفتح الباب فتكون أول داخل وآخر خارج» (٢) .

عبدة البصرية :

وهي امرأة عكفت على العبادة وأفرطت في السهر وأسرفت في البكاء حتى
كف بصرها .

سمعت قائلاً يقول : « ما أشد العمى على من كان بصيراً » ! فقالت :
« يا عبد الله ، عمى القلب عن الله أشد من عمى العين ، ووددت أن الله وهب
لي كنه محبته ، وأن لم يبق مني جارحة إلا أخذها» (٣)

فلو كان النساء كما ذكرنا لفضلت النساء على الرجال

جارية الحسن بن صالح :

كان الحسن بن صالح يقوم الليل هو وجاريتيه فباعها لقوم فلما صلّت العشاء

(١) عودة الحجاب ج ٢ ص ٢٩٩ ، ٣٠٠ .

(٢) عودة الحجاب ج ٢ ص ٣٠٤ نقلًا عن المرأة العربية ٩٨/٣ .

(٣) عودة الحجاب ج ٢ ص ٣٠٣ نقلًا عن المرأة العربية ٩٧/٣ .

افتتحت الصلاة فما زالت تصلى إلى الفجر ، وكانت تقول لأهل الدار كل ساعة
تمضى من الليل : يا أهل الدار قوموا يا أهل الدار صلوا ، فقالوا لها : « نحن
لا نقوم إلى الفجر ، فجاءت إلى الحسن بن صالح وقالت : بعنى لقوم ينامون
الليل كله وأخاف أن أكسل من شهود نومهم .. فردها الحسن إليه رحمة بها
ووفاء بحقها »^(١) البدار البدار يا أخى وليكن لك فى ذلك أسوة .. أتسبقك وأنت
رجل نسوة .

(١) صفة الصفوة ج ٣ ص ١٩٥ .

عَمِير

مِنْ مَوَاعِظِ الْمُتَهَجِّدِينَ

«ليست الناحية الشكلية كالمستعمارة»
«لا يعرف الشوق إلا من يكابده»
«ولا الصبابة إلا من يعانيتها»

ولأن الثكلي ليست كالناحة المستعارة ، وكما يقول القائل :

مَنْ لَمْ يَسْبِتْ وَالْحُبَّ حَشْوُ فَوَّادِهِ
لَمْ يَدْرِ كَيْفَ تَفَتَّتِ الْأَكْبَادُ

فلقد تركنا المجال لهم حتى يصلك عبر وأريج من كلام القانتين المتجهدين
الركع السجود فانظر مقالهم ، وإليك شذى من كلامهم :

• قال أبو سليمان الداراني رحمه الله : « لولا الليل ما أحببت البقاء في الدنيا » .

وكان رحمه الله يقول : لأهل الطاعة في ليهم ألدّ من أهل اللهو بلهوهم .
ودخل عليه ابن أبي الخوارى فوجده باكياً فقال له ابن أبي الخوارى :
ما يبكيك ، فقال أبو سليمان : « ويحك يا أحمد ، كيف لا أبكى وقد بلغني أنه
إذا جنّ الليل وهدأت العيون ، وخلا كل خليل بخليله ، واستنارت قلوب
العارفين ، وتلذذت بذكر ربهم ، وارتفعت همهم إلى ذى العرش وافترش أهل
الحبة أقدامهم بين يدي ملكهم في مناجاته ، وردّدوا كلامه بأصوات محزونة
جرت دموعهم على خدودهم ، وتقطرت في محاريبهم خوفاً واشتياقاً ، فأشرف
عليهم الجليل جل جلاله ، فنظر إليهم فأمدّهم بحبّة وسروراً ، فقال لهم :
أحبّابى والعارفين بي ، اشتغلوا بي ، وألقوا عن قلوبكم ذكر غيرى ، أبشروا فإن
لكم عندى الكرامة والقربى يوم تلقوني ، فينادى الله جبريل : يا جبريل بعينى
من تلذذ بكلامى واستراح إلىّ ، وأناخ بفنائى ، وإنى لمطلع عليهم فى خلواتهم ،
أسمع أنينهم وبكاءهم ، وأرى تقلبيهم واجتهادهم ، فناد فيهم يا جبريل :
ما هذا البكاء الذى أسمع ، وما هذا التضرع الذى أرى منكم ؟ هل سمعتم أو
أخبركم عنى أحد أن حبيباً يعذب أحباءه ؟ أو ما علمتم أنى كرم فكيف
لا أرضى ؟ أشبه كرمى أن أردّ قوماً قصدوني ؟ ، أم كيف أذل قوماً تعزّزوا بي ؟
أم كيف أحجب غداً أقواماً آثرونى على جميع خلقى وعلى أنفسهم وتنعموا

بذكرى؟ أم كيف يشبه رحمتي؟ أو كيف يمكن أن أبيت أقواماً تملقوا إليّ وقوفاً على أقدامهم^(١) وعند البيات أخزؤهم ، أم كيف يحمل بي أن أعذب قوماً إذا جنّهم الليل تملقوني وانقطعوا إليّ واستراحوا إلى ذكرى ، وخافوا عذابي ، وطلبوا القرية عندي ، في حلفت لأرفعن الوحشة عن قلوبهم ، ولأكونن أنيسهم إلى أن يلقوني ، فإذا قدموا عليّ يوم القيامة فإن أول هديتي إليهم أن أكشف لهم عن وجهي حتى ينظروا إليّ وأنظر إليهم ، ثم لهم عندي ما لا يعلمه غيري ، يا أحمد إن فاتني ما ذكرت لك فيحق لي أن أبكي دماً بعد الدموع . قال أحمد : فأخذت معه في البكاء ، وكنت أرى أثر ذلك عليه حتى المات ، وكنت إذا سألته عن شيء من الحديث يقول : ما كفك الذي سمعت .

ثم بكى ابن الحواري وقال : وآحرماناه ، وآشؤم خطيئناه ، مضى القوم وبقينا بعد حين قد أمضيناه ، فالناس ظفروا بما طلبوا ولا ندرى ما يتزل بنا ، فواخطراه وجعل يبكي .

• وقال عمر بن ذرّ : « لما رأى العابدون الليل قد هجم عليهم ، ونظروا إلى أهل الغفلة قد سكنوا إلى قُرُشهم ورجعوا إلى ملاذهم من النوم ، قاموا إلى الله فرحين مستبشرين بما قد وهب لهم من حُسن عادة السهر وطول التهجد ، فاستقبلوا الليل بأبدانهم وباشروا الأرض بصفاح وجوههم ، فانقضى عنهم الليل وما انقضت لذتهم من التلاوة ، ولا ملّت أبدانهم من طول العبادة ، فأصبح الفريقان وقد وليّ عنهم الليل بريح وغبن ، أصبح هؤلاء قد ملّوا النوم والراحة ، وأصبح هؤلاء متطلعين إلى مجيء الليل للعادة ، شتان ما بين الفريقين ، فاعملوا لأنفسكم رحمكم الله في هذا الليل وسواده ، فإن المغبون من غبن خير النهار والليل ، والمحروم من حُرْم خيرهما ، إنما جعلاً سبيلاً للمؤمنين إلى طاعة ربهم ، ووبالاً على الآخرين للغفلة عن أنفسهم فأحيوا أنفسكم بذكر الله ، فإنما تحيي

(١) حلية الأولياء ج ١٠ ص ١٦ ، ١٧ .

القلوب بذكر الله ، كم من قائم لله في هذا الليل قد اغتبط بقيامه في ظلمة
حضرته ، وكم من نائم في هذا الليل قد ندم على طول نومه عندما يرى من كرامة
الله للعابدين غداً ، فاعتنوا ممر الساعات والأيام رحمكم الله» (١)

وقال الربيع بن عبد الرحمن : « إن لله عبادةً أخصوا له البطون عن مطاعم
الحرام ، وغضوا له الجفون عن مناظر الآثام ، وأهملوا له العيون لما اختلط عليهم
الظلام ، رجاء أن ينير لهم ذلك ظلمة قبورهم إذا تضمنتهم الأرض بين
أطباقها ، فهم في الدنيا مكتوبون ، وإلى الآخرة متطلعون ، نفذت أبصار قلوبهم
بالغيب إلى المكتوب ، فرأت فيه ما رجحت من عظيم ثواب الله فازدادوا بذلك لله
جداً واجتهاداً عند معاينة أبصار قلوبهم ما انطوت عليه آمالهم ، فهم الذين
لا راحة لهم في الدنيا ، وهم الذين تقرأ أعينهم غداً بطلعة ملك الموت عليهم » ثم
بكى حتى بلّ لحيته بالدموع» (٢)

قطع الليل رجال ورجال وصلوه

رقدوا فيه أناس وأناس وصلوه

لا يميلون إلى النوم ولا يستعذبوه
فكان النوم شيء لم يكونوا يعرفوه
لبسوا ثوباً من الخدمة حتى خلعوه
مع جلياب من الحزن فما إن نزعوه

● قيل للحسن البصري : ما بال المتهجدين بالليل من أحسن الناس وجوهاً ؟
قال : « لأنهم خلّوا بالرحمن فألبسهم نوراً من نوره » .

● وقال سفيان : « شرحالات المؤمن أن يكون نائماً ، وخير حالات الفاجر
أن يكون نائماً ، لأن المؤمن إذا كان مستيقظاً فهو متحل بطاعة الله فهو خير له من

(١) مختصر قيام الليل ص ١٧ .

(٢) مختصر قيام الليل ص ٢٩ .

نومه ، والفاجر إذا كان مستيقظاً فهو متحل بمعاصي الله فنومه خير من يقظته .
وقال سفيان رحمه الله عَمَّنْ نام الليل وَمَنْ قامه : تراه كسلان ضجراً قد
بات جيفة على فراشه ، وأصبح نهاره يجتطب على نفسه لعباً ولهوياً ، وترى
صاحب الليل منكسر الطرف ، فرح القلب .

مواعظ لذي النون المصري تدمى القلوب والأجفان :

قال رحمه الله : « إن لله عباداً ملأ قلوبهم من صفاء محض محبته ، وهيج
أرواحهم بالشوق إلى رؤيته ، فسبحان من شوق إليه أنفسهم ، وأدنى منه
همهم ، وَصَفَتْ له صدورهم ، سبحان موفقهم ومؤنس وحشتم وطيب
أسقامهم ، إلهي لك تواضعت أبدانهم منك إلى الزيادة ، وانبسطت أيديهم
ما طيبت به عيشهم ، وأدمت به نعيمهم ، فأذقتهم من حلاوة الفهم عنك ،
ففتحت لهم أبواب سماواتك ، وأنتح لهم الجواز في ملكوتك ، بك أنست محبة
الحبين ، وعليك معول وشوق المشتاقين ، وإليك حنّت قلوب العارفين ، وبك
أنست قلوب الصادقين ، وعليك عكفت رهبة الخائفين ، وبك استجارت أفئدة
المقصرين ، قد بسطت الراحة من فتورهم ، وقلّ طمع الغفلة فيهم ،
لا يسكنون إلى محادثة الفكرة فيما لا يعينهم ، ولا يفتروا عن التعب والسهو
يناجونه بالسننهم ، ويتضرعون إليه بمسكنتهم ، يسألونه العفو عن زلاتهم ،
والصفح عما وقع الخطأ به في أعمالهم ، فهم الذين أذابت قلوبهم الأحزان ،
وخدموه خدمة الأبرار الذين تدفقت قلوبهم بيره ، وعاملوه بخالص من سره
كنت لهم سيدي مؤيداً ولعقولهم مؤدياً ، ذهبت الآلام عن أبدانهم لما أذاقهم من
حلاوة مناجاته ، ولما أفادهم من ظرائف الفوائد من عنده .

فيا حسنهم والليل قد أقبل بجناس ظلمته ، وهدأت عنهم أصوات
خليقته ، وقدموا إلى سيدهم الذين له يأملون ، فلورأيت أيها البطال أحدهم ،
وقد قام إلى صلاته وقراءته ، فلما وقف في محرابه واستفتح كلام سيده ، خطر

على قلبه أن ذلك المقام هو المقام الذى يقوم فيه الناس لرب العالمين ، فانخلع قلبه ، وذهل عقله ، فقلوبهم فى ملكوت السموات معلقة ، وهمومهم بالفكر دائمة ، فما ظنك بقوم خيار أبرار وقد خرجوا من رق الغفلة ، واستراحوا من وثائق الفترة ، وأنسوا بيقين المعرفة ، وسكنوا إلى روح الجهاد والمراقبة ، بلغنا الله وإياكم هذه الدرجة» (١) .

● وقال رحمه الله عن المهجدين : « عبوده سرّاً فأوصل إلى قلوبهم طرائف البر ، عملوا ببعض ما علموا ، فلما وقفوا فى الظلام بين يديه ، هدّى قلوبهم إلى ما لا يعلمون فحسرت ألبابهم لمعرفة الوقوف بين يديه» (٢)

يامؤنس الأبرار فى خلواتهم ياخير من حطت به التزأ
وانظر إليه كيف يستمطر الدمع حين يصف المهجدين فيقول :

« قد هدّ أجسامهم الوعيد ، وغير ألوانهم السهر الشديد ، يتلذدون بكلام الرحمن ، ينوحون به على أنفسهم نوح الحمام ، فرحين فى خلواتهم ، لا يفتربهم جارحة فى الخلوات ، ولا تستريح لهم قدم تحت سطور الظلمات ، فيالها نفوس طاشت بهممها ، والمسارة إلى محبتها لما أملت من اتصال النظر إلى ربها .

رجال أطاعوا الله فى السهر والجهر
فما باشروا اللذات حيناً من الدهر
يراعون نجم الليل ما يرقدونه
فباتوا بإدمان التجد والصبر
فداخل هموم القوم للخلق وحشة
فصاح بهم أنس الجليل إلى الذكر» (٣)

(١) الخلية ج ٩ ص ٣٣٩ ، ٣٤٠ .

(٢) الخلية ج ٩ ص ٣٥٥ .

(٣) الخلية ج ٩ ص ٣٨٥ ، ٣٨٦ .

فأجسادهم في الأرض هوناً مقيمة
وأرواحهم تسرى إلى معدن الفخر
فهذا نعيم القوم إن كنت تبتغي
وتعقل عن مولاك آداب ذوى القدر

انظر رحمك الله إلى طيب القلوب ذى النون وهو يصف نفساً عليّة فيقول :
« نفس على الجوع صبرت ، وفي سربال الظلام خطرت . نفس تدرّعت رهبانية
القلق ، ورعت الدجا إلى واضح القلق ، فما ظنك بنفس في وادى الخنادس
سلكت ، وهجرت اللذات فلكت ، وإلى الآخرة نظرت ، وإلى العيناء أبصرت
وعن الذنوب أقصرت ، وعلى الذر من القوت اقتصرت ، ولجيش الهوى
قهرت ، وفي ظلم الدياجى سهرت ، فهى بقناع الشوق مختمة ، وإلى عزيزها في
ظلم الدجا مشتمرة . قد نبذت المعاش . هذه نفس خدوم ، عملت ليوم
القدوم ، وكل ذلك بتوفيق الحى القيوم »^(١) .

• - ويقول رحمه الله :

« إن لله عبداً أسكنهم دار السلام ، فأخمصوا البطون عن مطاعم الحرام
وأغمضوا الجفون عن مناظر الآثام ، وقيدوا الجوارح عن فضول الكلام ،
وطووا الفرش وقاموا في جوف الظلام ، وطلبوا الحور الحسان من الحى الذى
لا ينام ، فلم يزالوا في نهارهم صياماً ، وفى ليلهم قياماً حتى أتاهم ملك الموت
عليه السلام »^(٢) .

« إن لله عبداً علموا الطريق إليه ، والوقوف غداً بين يديه ، فثارت القلوب
إلى محجوب الغيوب ، فجرعوا مرارة مذاق خوف ، واستعملوا الظلام فى رضى

(١) الخلية ج ٩ ص ٣٥٦ ، ٣٥٧ .

(٢) الخلية ج ٩ ص ٣٦٠ .

صاحب السموات ، فسقاهم من أعين العلم والزيادات ، وغوّصهم في بحار
السلامات ، فهم غداً يسلمون من هؤلاء الزلازل والسطوات ويسكنون
الغرفات^(١) .

• أخى :

كن كالطير الوجداني يأكل من رؤوس الأشجار ويشرب من ماء القراح ،
إذا جته الليل أوى إلى كهف من الكهوف استثناساً بمولاه ، واستيحاشاً ممّن
عصاه وكن مع قوم - إن عجزت أن تكون منهم - وصفهم أبو الفيض ذو النون
فقال : « هم يا أخى قوم قد ذوّب الحزن أكبادهم ، وأنحل الخوف أجسامهم ،
وغير السهر ألوانهم ، وأقلق خوف البعث قلوبهم ، قد سكنت أسرارهم إليه ،
وتذللّت قلوبهم عليه ، فنفوسهم عن الطاعات لا تسلو ، وقلوبهم عن ذكره
لا تخلو ، وأسرارهم في الملكوت تعلقو ، الخشوع يخشع لهم إذا سكنوا ، والدموع
تخبر عن خفي حرقتهم إذا كمدوا ، قد نسّوا فرج الشهوات بجلاوة المناجاة ،
فليس للغفلة عليهم مدخل ، ولا للهو فيهم مطمع ، قد حجب التوفيق بينهم
وبين الآفات ، وحالت العصمة بينهم وبين اللذات ، فهم على بابه ليكون وإليه
يكون ومنه يكون فطوبى للعارفين ما أغنى عيشهم وما ألدّ شرهم وما أجلّ
حبيبهم »^(٢) .

رحمك الله أبا الفيض صاحب العبارات الوثيقة ، والإشارات الدقيقة فهذا
الكلام لا يصدر إلا عن سيد حطّ همة قلبه في عاريات التقى حتى أناخت في
رياض النعيم ، وسرحت روحه في العلا ، وشرب من الحكمة وطارت همته في
ملكوت السموات فعادت بظرائف الفوائد ، ولكم عزفت على أوتار القلوب

(١) الخلية ج ٩ ص ٣٧٠ .

(٢) الخلية ج ٩ ص ٣٨٠ .

وجعلت القلوب تحن إلى مولاهما وتشتاق للسهر ، فطيب الله قبرك وسقاك من
أنهار الجنة .

• قال الأوزاعي رحمه الله : « كان السلف إذا صدع الفجر أو قبله بشيء
كأنما على رؤوسهم الطير مقبلين على أنفسهم حتى لو أن حمياً لأحدهم قد غاب
عنه حيناً ثم قدم ما التفت إليه » .

• وكان أحد الصالحين في بعض المغازي يجي الليل حيث كان على ظهر
دايته ، أو على الأرض وكان إذا نظر إلى الفجر يلمع ضوءه قال : « يا إخوتاه
عند بلوغ الماء يفرح الواردون بتعجيل الرواح » .

• وقال شيخ من بني تيم الله لفتيان الحى ونسآكه : « يا إخوتاه قوموا قيام قوم
قد يسوا من المعاودة لمجلسهم خوفاً من خطفات الموكل بالنفوس فيبكي
ويبكي ..

• وعن عاصم بن أبي النجود قال : أدركت أقواماً كانوا يتخذون هذا الليل
جمالاً .

• أما علي بن بكار فيقول : منذ أربعين سنة ما أحرزني إلا طلوع الفجر .

• وقال السرى : رأيت الفوائد تَرْدُ في ظلم الليل .

• عن طلحة بن مصرف قال : بلغني أن العبد إذا قام من الليل للتهجد ناداه
ملكاً : طوباك سلكت منهاج العابدين قبلك » .

• وقال محمد بن قيس : « بلغني أن العبد إذا قام من الليل للصلاة تناثر عليه
البر من عنان السماء إلى مفرق رأسه ، وهبطت عليه الملائكة لتستمع إلى
قراءته ، واستمع له عمارة داره ، وسكان الهواء ، فإذا فرغ من صلاته ، وجلس
للدعاء أحاطت به الملائكة تؤمن على دعائه فإن هو اضطجع بعد ذلك
نودي : تم قوير العين مسروراً .. تم خير نائم على خير عمل .

• وقال وهب بن منبه : « لن يبرح المهجدون من عرصة القيامة حتى يؤتى بنجائب من اللؤلؤ قد نفخ فيها الروح ، فيقال لهم : انطلقوا إلى منازلكم من الجنة ركبانياً ، فيركبونها فتطير بهم متعالية ، والناس ينظرون إليهم . يقول بعضهم لبعض : من هؤلاء الذين قد من الله عليهم من بيننا ، فلا يزالون كذلك حتى ينتهى بهم إلى مساكنهم من الجنة .

• وعن إسحاق بن سويد : « كانوا يرؤن السباحة : صيام النهار وقيام الليل .

• وقال يزيد الرقاشي لحبيب العجمي : ما أعلم شيئاً أقر لعيون العابدين في الدنيا من التهجّد في ظلمة الليل ، وما أعلم شيئاً من نعم الجنة وسرورها إلّا عند العابدين ولا أقرّ لعيونهم من النظر إلى ذى الكبرياء العظيم إذا رفعت تلك الحجب وتجلّى لهم الكرم . فصاح حبيب عند ذلك ، وخرّ مغشياً عليه .

بكى الباكون للرحمن ليلاً وباتوا دمعهم لا يسأمونا بقاء الأرض من شوق إليهم تحن متى عليا يسجدونا

• قال كرز بن وبرة : بلغني أن كعباً قال : إن الملائكة ينظرون من السماء إلى الذين يتهجّدون بالليل كما تنظرون أنتم إلى نجوم السماء^(١) .

• وفي بعض الآثار يقول الله عز وجل في كل ليلة : يا جبريل أقم فلاناً ، وأنم فلاناً .

• قيل لبعضهم كيف الليل عليك ؟ قال : هو ساعة أنا فيها بين حالين ، أفرح بظلمته إذا جاء ، وأعتّمُ بفجره إذا طلع ، ما تمّ فرحى به قط ولا اشتفيت منه قط .

• قال بعض الصالحين : ليس في الدنيا وقت يشبه نعم أهل الجنة إلّا ما يجده أهل التملق في قلوبهم الليل من حلاوة المناجاة .

(١) صفة الصفوة ج ٤ ص ٢٠٥ .

• وقال بعضهم : قيام الليل والتعلق للحبيب والمناجاة للقريب في الدنيا ، ليس من الدنيا ، هو من الجنة ، أُظهِر لأهل الله تعالى في الدنيا لا يعرفه إلا هم ، ولا يجده سواهم رَوْحًا لقلوبهم .

• « أبى وأمى قوم يراعون الظلام بالنهار ، كما يراعى الراعى الشفيق غنمه ، ويحنون إلى غروب الشمس كما تحنّ الطير إلى أوكارها بعد الغروب ، فإذا جنّهم الليل ، واختلط الظلام ، وفرشت الفرش ، ونصبت الأسيّرة ، وخلا كل حبيب بحبيبه ، نصبوا لله أقدامهم ، وافترشوا له وجوههم ، وناجوه بكلامه ، وتملقوا له بإنعامه ، فكَيّن صارخ وباك ، ومتأوه وشاكي ، وبين قائم وقاعد ، وبين راعع وساجد ، بعيني مولاهم ما يتحملون لأجله ، وبسمعه ما يشتكون من حبه » .

• نعم يا أخى هم قوم أكلهم أكل المرضى ونومهم نوم الغرقى .
• كان عمير بن حبيب يقول لأهله : « يا أهلاه الدُّلجة الدُّلجة .. إنه مَنْ يُسَبِّقُ إلى الماء يظمأ .. يا أهلاه الدُّلجة الدُّلجة .. إنه مَنْ يُسَبِّقُ إلى الظلّ يضحى ..

الله درك ما أجمل هذا الكلام يا عمير .

• قال المسيح عليه السلام للحواريين وقد رأى النور على وجوههم : يا أبناء الآخرة ما تنعم المتنعمون إلا بفضل نعيمكم .

• وكان الفضيل رحمه الله يقول : « أفرح بالليل لمناجاة ربي وأكره النهار للقاء الخلق ..

• قالت أم غزوان له : أمّا لفراشك عليك حق .. أما لنفسك عليك حق ؟
قال : يا أماه إنما أطلب راحتها .. أبادر طى صحيفتى^(١) .

(١) مختصر قيام الليل ص ٢٧ .

• يا أخى : اصرف أربعة أشياء إلى أربعة مواضع وخذ الجنة : النوم إلى القبر ، والراحة إلى الصراط ، والفخر إلى الميزان ، والشهوات إلى الجنة (١) .

• قال إبراهيم الهروى :

« من أراد أن لا يُحجب دعاؤه من السماء فليتعاهد من نفسه خمسة أشياء :

أولاً : أن يكون أكلة غلبة ، لا يأكل إلا ما لا بد منه . ولباسه غلبة ، لا يلبس إلا ما لا بد منه ، ونومه غلبة لا ينام إلا ما لا بد منه ، وكلامه غلبة لا يتكلم إلا ما لا بد منه ، والخامس : أن يكون متضرعاً حافظاً لإرادته دائماً حافظاً لأعضائه كلها » (٢) .

• ووصف عابد جاعة من المتجدين فقال :

« قد يشوا من الدنيا ويشت الدنيا منهم ، قد لصقوا بمقام الأرض ، وتلفقوا بالخرق ، فلو رأيتهم لرأيت رجالاً إذا جنّهم الليل بسكاكين السهران القوم أعطوا المجهود من أنفسهم ، فلما دبّت المفاصل من الركوع ، وقرحت الجباه من السجود ، وتغيرت الألوان من السهر ، ضجّوا إلى الله بالإستغاثة ، فهم أحلاف اجتهاد ، لا يسكنون إلى غير الرحمن ، فعليك بمنابذة نفسك إذا «عتك إلى الفترة فإن لها مكرًا وخداعاً» (٣) .

• نعم يا أخى .. لو رأيت المتجدين لرأيت قوماً ذبلاً شفاهم ، خمصاً بطونهم ، حزينة قلوبهم ، ناحلة أجسامهم ، باكية أعينهم ، ذبحهم الليل

(١) الخلية ج ١٠ ص ٥٠ .

(٢) الخلية ج ١٠ ص ٤٣ .

(٣) الخلية ج ٩ ص ٣٨١ .

بسكاكين السهر ، وفصل الأعضاء منهم بخناجر التعب ، خمص لطول
السرى ، شعث لفقد الكرى ، قد وصلوا الكلال بالكلال للنفقة والارتحال (١) .

• ومما جاء في وصف المنهجد

توجع بأمراض وخوف مطالب
ولوعة مشتاق وزفرة واله
وفطنة جوال ، وبطأة غائص
ألت بقلب حيرته طوارق
يكاتم لى وجدداً ، ويخفى حمية
يقول إذا ما شفه الشوق وآجدى
فهذا لعمرى عبد صدق مهذب

وإشفاق محزون وحزن كثيب
وسقطة مسقام بغير طبيب
ليأخذ من طيب الصفا بنصيب
من الشوق حتى ذلّ ذلّ غريب
شوق فاستكنت في قرار ليب
بك العيش يا أنس المحب يطيب
صنى فاصطفى فالرب منه قريب

• ويقول آخر عن حاله وتهجده

أراعى النجوم ولا علم لى
وكيف ينام فتى لا ينام
أسير يسير إليسه هواه
فلم يبق منه سوى اسمه
بفرط النحول وحب القليل

بعد النجوم بحيث الظلام
إذا نام عنه عيون الحمام
فيضحى الأسير قتيل الغرام
يقال له « عابد » والسلام
وحزن مذيب بطول السقام (٢)

(١) الخلية ج ٩ ص ٣٤٦ .

(٢) الخلية ج ١٠ ص ٣١٨ .

وأنشد سمنون البصرى :

أحنّ بأطراف النهار صباية وبالليل يدعوني الهوى فأجيبُ
وأبامنا تفضى وشوقى زائد كأنّ زمان الشوق ليس يغيب^(١)

• قال يحيى بن معاذ : « دواء القلب خمسة أشياء : قراءة القرآن بالتفكر ،
وخلاء البطن ، وقيام الليل ، والتضرع عند السحر ، ومجالسة الصالحين^(٢) .
وسئل رحمه الله : ما العبادة ؟ قال : حرفة حانوتها الحلوة وربحها الجنة^(٣) .

• قال أحمد الموصلى لأحمد الميمونى - من ولد ميمون بن مهران - :
« يا أحمد إن تعملْ فقد عمل العاملون قبلك ، وإن تعبد فقد تعبد
المتعبدون قبلك ، أولئك الذين قَرَبوا الآخرة ، وابعدوا الدنيا ، أولئك الذين
وَلَّى الله إقامتهم على الطريق ، فلم يأخذوا يميناً ولا شمالاً ، فلو سمعت نعمة من
نعماتهم المحتمرة فى صدورهم ، المتفرغة فى حلوقهم لغيّبت عليك عيشك ،
ولطردت عنك البطالة أيام حياتك^(٤) .

• والمتهجدون يا أخى كما قال عبد العزيز بن عمير : « ترى نور الجلال
عليهم ، وأثر الخدمة بين أعينهم . إن الرجل لينقطع إلى بعض ملوك أهل الدنيا
فيرى أثره عليه ، فكيف بمن ينقطع إلى الله عز وجل كيف لا يرى أثره
عليه !!^(٥) .

(١) الخلية ج ١٠ ص ٣١١ .

(٢) صفة الصفوة ج ٤ ص ٩٢ .

(٣) صفة الصفوة ج ٤ ص ٩٧ .

(٤) صفة الصفوة ج ٤ ص ١٨٩ .

(٥) صفة النوة ج ٤ ص ٢٣٤ .

• قال بشر بن الحارث : يا أخى بادر بادر ، فإن ساعات الليل والنهار تذهب بالأعمار^(١) .

• وقال القاسم بن عثمان الجوعى : « أصل الدين الورع ، وأفضل العبادة مكابدة الليل ، وأفضل طرق الجنة سلامة الصدر »^(٢)

• قيل لرجل من عباد بيت المقدس وكان يبيت ليله يصلى فإذا طلع الفجر مدّ بصوت له : « عند الصباح يغبط القوم السرى - : « ألا ترفق بنفسك » ؟ فقال : « إنما هى نفسى أبادرها أن تخرج .

هجرت الورى فى حُبّ من جاد بالنعم
فلما رأيت الشوق والحب بائحاً
فإن قيل مجنون فقد جئنى الجوى
فقد لامنى الواشون فيك جهالة
فمعاتيهم طرفى بغير تكلم
وأخبرهم أن الجوى يورث السقم^(٣)
وعفت الكرى شوقاً إليه فلم أنم
كشفت قناعى ثم قلت : نعم نعم
وإن قيل مسقامٌ فما فى من سقم
فقلت لطرقى : أفصح العذر فاحتشم
فاركض يا أخى فى ميدان السباق ، وشمّرّ تشمير الحدّاق .

• قال يوسف بن أسباط : « عجبت كيف تنام عين مع المخافة !! أو يغفل قلب مع اليقين بالمحاسبة !! . من عرف وجوب حق الله عز وجل على عباده لم تستحل عيناه أبداً إلا بإعطاء المجهود من نفسه ، خلق الله تعالى القلوب مساكن الذكر فصارت مساكن للشهوات . والشهوات مفسدة للقلوب وتلف للأموال ،

(١) صفة الصفوة ج ٢ ص ٣٢٦ .

(٢) صفة الصفوة ج ٤ ص ٢٣٦ .

(٣) صفة الصفوة ج ٤ ص ٢٤٩ .

وإخلاق للوجوه ، ولا يمحو الشهوات من القلوب إلا خوف مزعج أو شوق مقلق» (١) .

وكتب إلى حذيفة المرعشي : « اجسر عن رأسك قناع الغافلين ، واتبه من رقدة الموتى ، وشمر للسباق غداً فإن الدنيا ميدان المتسابقين » .

• وقال عابد يجبال بيت المقدس : « ذهبت الآلام عن أبدان الخُدَّام ، ووهت بالطاعة عن الشراب والطعام ، وألفت أبدانهم طول القيام بين يدي الملك العلام (٢) .

• أسلم رجل كان عابداً للصنم ، فقال لمن أسلم على أيديهم حين رأهم بعد أن جنّ عليهم الليل وصلوا العشاء أخذوا مضاجعهم - قال : هذا الإله الذي دللتموني عليه إذا جنّ عليه الليل ينام؟ فقالوا : هو عظيم قيوم لا ينام . قال : بش العبيد . أنتم تنامون ومولاكم لا ينام (٣) .

ومشتاق وليس له قرار
ومؤنس قلبه ليل طويل
قضى وطراً به فأفاد علماً
ألا صبراً على دنياك صبراً
نفور ليس يملكه العذارُ
يلدّ به ويوحشه النهار
فهمتته التعب والفرار
فكل أمورها فيها اعتبار (٤)

(١) صفة الصفوة ج ٤ ص ٣٦١ - ٣٦٣ .

(٢) صفة الصفوة ج ٤ ص ٣٥١ .

(٣) صفة الصفوة ج ٤ ص ٣٦١ .

(٤) صفة الصفوة ج ٤ ص ٣٧٣ .

وصف المهجدين وليلهم

بقلم ابن القيم

إذا أردت أن تعرف قدر سلفنا وقدر شيخ الإبتلام ابن قيم الجوزية فهذا كلامهم .. فنظر فيه وفي سيرهم عرف تقصيره وتحلفه عن درجات الرجال . كانوا والله كهيئة الروحانيين ، تجدد الرجل منهم معلق القلب بما هناك ، ليست له في الدنيا راحة ، ولكلماتهم مذاق خاص لأنهم أرادوا بها عز الآخرة ورضا الرحمن .. فاسمع رحمك الله مواعظهم التي تدمى القلوب قبل الأجفان استمع إلى حالهم بقلم يشع منه النور ويفيض روحانية وهو يصف المهجدين . يقول طبيب القلوب وحادي الأرواح إلى بلاد الأفراح :

« أما السابقون المقربون فنستغفر الله الذي لا إله إلا هو ، أولاً من وصف حالهم وعدم الاتصاف به ، بل ما شئنا له راحة ، ولكن محبة القوم تحمل على تعرف منزلتهم والعلم بها ، وإن كانت النفوس متخلفة منقطعة عن اللحاق بهم . فاسمع الآن وصف القوم واحضر ذهنك لشأنهم العجيب وخطرهم الجليل فإن وجدت من نفسك حركة وهمة إلى التشبه بهم فاحمد الله وادخل فالطريق واضح والباب مفتوح :

إذا أعجبتك خصال امرئ فكنته تكن مثل ما يعجبك
فليس على الجود والمكرما ت إذا جثتها حاجب يحجبك
فنبأ القوم عجيب ، وأمرهم خفي إلا على من له مشاركة مع القوم ، فإنه يطلع على ما يريه إياه القدر المشترك . وجملة أمرهم أنهم قوم قد امتلأت قلوبهم من معرفة الله ، وغمرت بمحبته وخشيته وإجلاله ومراقبته ، فسرت المحبة في أجزائهم فلم يبق فيها عرق ولا مفصل إلا وقد دخله الحب .
فإذا وضع أحدهم جنبه على مضجعه صعدت أنفاسه إلى إلهه ومولاه ،

واجتمع همه عليه ، متذكراً صفاته العلى وأسمائه الحسنى ، مشاهداً له فى أسمائه ، قد تجلت على قلبه أنوارها ، فانصغ قلبه بمعرفته ومحبتة ، فبات جسمه على فراشه يتجافى عن مضجعه : وقلبه قد آوى إلى مولاه وحبيبه فأواه إليه : وأسجده بين يديه خاضعاً خاشعاً ذليلاً منكسراً من كل جهة من جهاته ، فياها سجدة ما أشرفها من سجدة ، لا يرفع رأسه منها إلى يوم اللقاء . وقيل لبعض العارفين : أسجد القلب بين يدي ربه ؟ قال : أى والله ، بسجدة لا يرفع رأسه منها إلى يوم القيامة ، فستان بين قلب يبيت عند ربه قد قطع فى سفره إليه ببداء الأكوان ، وخرق حجب الطبيعة ، ولم يقف عند رسم ، ولا سكن إلى علم ، حتى دخل على ربه فى داره ، فشاهد عز سلطانه وعظمة جلاله وعلو شأنه وبهاء كماله . فإذا صارت صفات ربه وأسمائه مشهداً لقلبه أنستهُ ذكر غيره ، وشغلته عن حب من سواه ، وبالجملة فيبقى قلب العبد - الذى هذا شأنه - عرشاً للمثل الأعلى - أى عرشاً لمعرفة محبوبه ومحبتة . وناهيك بقلب هذا شأنه فياله من قلب من ربه ما أدناه !!

فهؤلاء قلوبهم قد قطعت الأكوان وسجدت تحت العرش وأبدانهم فى فرشهم كما قال أبو الدرداء : « إذا نام العبد المؤمن عرج بروحه حتى تسجدت تحت العرش ، فإن كان طاهراً أذن لها فى السجود ، وإن كان جنباً لم يؤذن لها بالسجود » وهذا - والله أعلم - هو السر الذى لأجله أمر النبي ﷺ الجنب إذا أراد النوم أن يتوضأ .

فإذا استيقظ هذا القلب من منامه ، صعد إلى الله بهمه ووجه وأشواقه ، مشتاقاً إليه . طالباً له محتاجاً إليه عاكفاً عليه ، فحاله كحال الحب الذى غاب عنه محبوبه الذى لا غنى له عنه . ولا بد له منه ، وضرورته إليه أعظم من ضرورته إلى النفس والطعام والشراب . فإذا نام غاب عنه ، فإذا استيقظ عاد إلى الحنين إليه وإلى الشوق الشديد والحب المقلق ، فحبيبه آخر خطراته عند منامه

وأولها عند استيقاظه كما قال بعض المحبين لمحجوبه
وآخر شيء أنت في كل هجعة وأول شيء أنت عند هبوني
فأفُّ لقلب لا يصلح لهذا ولا يصدق به ، لقد صُرف عنه خير الدنيا
والآخرة .

● فإذا استيقظ أحدهم ، وقد بدر إلى قلبه هذا الشآن ، فأول ما يجرى على
لسانه ذكر محجوبه والتوجه إليه ، واستعطافه والتلق بين يديه ، والاستعانة به أن
لا يخلى بينه وبين نفسه وألا يكله إليها فيكله إلى ضعة وعجز وذنب وخطيئة ، بل
يكلأه كلاءة الوليد الذي لا يملك ضرراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً .
فأول ما يبدأ به « الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور » متدبراً
لمعناها من ذكر نعمة الله عليه بأن أحياه بعد نومه الذي هو أخو الموت وأعاده إلى
حاله سوياً سليماً محفوظاً مما لا يعلمه ولا يخطر بباله من المؤذيات والمهلكات التي
هو عرض وهدف لسهامها كلها ، التي تقصده بالهلاك أو الأذى ، والتي من
بعضها شياطين الإنس والجن . فمن الذي كلاًه وحرسه وقد غاب عنه حسه
وعلمه وسمعه وبصره ، فإذا تصور العبد ذلك فقال « الحمد لله » كان حمده أبلغ
وأكمل من حمد الغافل عن ذلك ، ثم تفكر في أن الذي أعاده بعد هذه الإمامة
قادراً على أن يعيده بعد موته الكبرى ثم يقول : « لا إله إلا الله وحده . لا شريك
له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا
الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله » ثم يدعو ويتضرع ثم يقوم إلى الوضوء
بقلب حاضر مستصحب لما فيه ، ثم يصلى ما كتب الله له صلاة محب ناصح
لمحجوبه ، متذلل منكسر بين يديه ، لا صلاة مُدِلَّ بها عليه ، يرى من أعظم نعم
محجوبه عليه أن أقامه وأنام غيره ، واستزاره وطرد غيره ، وأهله وحرم غيره ، فهو
يزداد بذلك محبة إلى محبته ، ويرى أن قره عينه وحياة قلبه وجنة روحه ونعيمه
ولذته وسروره في تلك الصلاة فهو يتمنى طول ليله ، ويهم بطلوع الفجر كما يتمنى

الحب الفائز بوصل محبوبه ذلك فهو كما قيل :

يود أن يظلم الليل دام له وزيد فيه سواد القلب والبصر
فهو يتملق فيها مولاه تملق الحب محبوبه العزيز الرحيم ، ويناجيه بكلامه
معطياً لكل آية حظها من العبودية ، فتجذب قلبه وروحه إليه آيات المحبة
والوُداد ، والآيات التي فيها الأسماء والصفات ، والآيات التي تعرّف بها إلى
عباده بآلائه وإنعامه عليهم ، وإحسانه إليهم ، وتطيب له السير آيات الرجاء
والرحمة وسعة البر والمغفرة فتكون له بمنزلة الحادى الذى يطيب له السير ويهونه ،
وتقلقه آيات الخوف والعدل والانتقام وإحلال غضبه بالمعرضين عنه العادلين به
غيره ، المائلين إلى سواه ، فيجمعه عليه ويمنعه أن يشرذ قلبه عنه ، فتأمل هذه
الثلاثة وتفقه فيها ، والله المستعان ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وبالجملة فيشاهد المتكلم سبحانه وقد تجلّى في كلامه ، ويعطى كل آية حظها
من عبودية قلبه الخاصة الزائدة على مجرد تلاوتها والتصديق بأنها كلام الله ، بل
الزائدة على نفس فهمها ومعرفه المراد منها . ثم شأن آخر لو فطن له العبد لعلم أنه
كان قبل يلعب ، كما قيل :

وكنت أرى أن قد تناهى به الهوى إلى غاية ما بعدها لى مذهب
فلما تلاقينا وعاينت حسنها تيقنت أنى إنما كنت ألعب

فوأأسفاه وواحسرتاه كيف ينقضى الزمان وينفذ العمر والقلب محبوب ما شم
لهذا رائحة ، وخرج من الدنيا كما دخل إليها وما ذاق أطيّب ما فيها ، بل عاش -
فيها عيش البهائم ، وانتقل منها انتقال المفاليس ، فكانت حياته عجزاً وموته
كمدماً ومعاده حسرة وأسفاً ، فإذا صلى ما كتب الله له جلس مطرّقاً بين يدي ربه
هيبة له وإجلالاً ، واستغفره استغفار من قد تيقن أنه هالك إن لم يغفر له
ويرحمه ، فإذا قضى من الاستغفار وطراً وكان عليه بعد ليل اضطجع على شقه

الأيمن مجاً لنفسه مريحاً لها مقويّاً لها على أداء وظيفة الفرض فيستقبله نشيطاً يجده
وهتمته كأنه لم يزل نائماً طول ليلته لم يعمل شيئاً» (١) أ. هـ . انتهى كلام طبيب
القلوب وريحانة المهجدين ابن القيم رحمه الله .

• روى عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه أنه قال :-

« وأيم الله - يميناً أستثنى فيها بمشيئة الله - لأروضن نفسى رياضة تهش معها
إلى القُرص (٢) إذا قدرت عليه مطموماً ، وتقنع بالملح مأدوماً (٣) ، ولأدعن
مُقلتي كعين ماء نضب معينها ، مستفرغة دموعها . أتمتلى السائمة من رعيا (٤)
فتبرك ، وتشيع الربيضة (٥) من عشبا فتريض ؟ ويأكل على من زاده فيهجع ؟ !
قوت إذا عينه (٦) إذا اقتدى بعد السنين المتطاولة بالبييمة الهاملة (٧) والسائمة
المرعية !! »

طوبى لنفس أدت إلى ربها فرضها ، وعركت يحنها بؤسها (٨) ، وهجرت في
الليل غمضها ، حتى إذا غلب الكرى عليها افترشت أرضها ، وتوسدت كفها ،
في معشر أسهر عيونهم خوف معادهم ، وتجاقت عن مضاجعها جنوبهم ،
وههمت (٩) بذكر ربهم شفاهم ، وتقشعت بطول استغفارهم ذنوبهم

-
- (١) طريق المهجرتين من ص ٢٠٥ - ٢١١ طبعة السلفية .
 - (٢) أى تنبسط إلى الرغيف وتفرح به من شدة ما حرمها .
 - (٣) أى مأدوماً به الطعام .
 - (٤) الرعى : ما ترعاه الماشية .
 - (٥) الربيضة : الغنم مع رعاتها إذا كانت في مرايضها ، والريوض للغم كالبروك للإبل ، يقال ربيضت
الغنم : طوت قوائمها ولصقت بالأرض .
 - (٦) دعاء على نفسه ببرود العين أى جمودها من فقد الحياة .
 - (٧) الهاملة : المرسله ، والهمل من الغنم ترعى نهاراً بلا راع .
 - (٨) البؤس : الضر ، وعركه بالجنب : الصبر عليه كأنه شوك فيسحقه يحنه ، ويقال : فلان يعرك
الأذى إذا كان صباراً .
 - (٩) الهممة : الصوت يردد في الصدر ، وأراد منه الأعم ، انقشع الغمام : انجلى .

﴿ أولئك حزب الله ، ألا إن حزب الله هم المفلحون ﴾ (١) أ. هـ .

• وروى عنه أنه كتب إلى الأشتر النخعي فقال له :

« اعط الله من بدنك في ليلك ونهارك . ووف ما تقربت به إلى الله من ذلك

كاملاً غير مثلوم ولا منقوص بالغاً من بدنك ما بلغ » (٢)

قال يحيى بن معاذ :

وهموم وغموم وأسف	كل محبوب سوى الله سرف
ما خلا الرحمن مامنه خلف	كل محبوب فنه لى خلف
ظهرت من صاحب الحب عُرف	إن للحب دلالات إذا
دائم الغصة مغموم دنف	صاحب الحب حزين قلبه
ذاهب العقل وبالله كلف	همه في الله لا في غيره
أصفر الوجه وفي الطرف ذرف	أشعث الرأس خميص بطنه
حبه غاية غايات الشرف	دائم التذكار من حب الذي
وعلاه الشوق مما قند كشف	فإذا أمعن في الحب له
وأمام الله مولاة وقف	باشرا الحراب يشكو بثه
لهجاً يتلو بآيات الصحف	قائم قدامه منتصباً
باكياً والدمع في الأرض يكف	راكعاً طوراً وطوراً ساجداً
فيه حب الله حقاً فعرف	أورد القلب على حب الذي
ينبت الحب فسمى واقتطف	ثم جالت كفه في شجر
لا بدار ذات هو وطرف	إن ذا الحب لمن يعنى به

(١) نهج البلاغة ص ٣٢٨ ، ٣٢٩ .

(٢) نهج البلاغة ص ٣٤٤ .

وقال آخر :

وقوم تخلوا لمولاهم
وعن سائر الخلق أغناهم
وطاعته طول محياهم
وعين المهيمن ترعاهم
ويبكون طورا خطاياهم
أذاب القلوب وأبكاهم
ويأحوا إليه بشكواهم
تبارك من هو قواهم
ك صدق القلوب فوالاهم
أرادوا رضاه فأعطاهم
وأعلا المنازل بواهم
فطوبى لهم ثم طوباهم

تشاغل قوم بدنياهم
فألزمهم باب مرضاته
فما يعرفون سوى حبه
يصفون بالليل أقدامهم
فطورا يسناجونه سجدا
إذا فكروا في الذى أسلفوا
وإن يسكن الخوف لاذوا به
وأصبحوا صياما على جهدهم
هم القوم أعطوا ملك الملو
هم المحتسبون بنيةاتهم
وأسكنهم في فراديسه
فنالوا المراد وفازوا به
وقال آخر :

طويل النحيب على ما اجترم
فصار البكاء بدمع ودم
وفقد الحياة بضر السقم
فتظهر أنفاسه ما اكتتم
على الصحن من خده فانسجم
ولما تنزل قدم عن قدم
من الشوق رقا عليه الألم
فصاح به حبه لانه
أطال النحول به فانهدم
فصار له من أعز الخدم^(١)

قليل العزاء كثير الندم
جرى دمعه فيكى جفنه
يخاف البيات بهجم المات
ويخفى محبة رب العلى
وأسبل من طرفه عبرة
وبيات محارب محرابه
فلما تفتت أحشاؤه
وكم ليلة رام فيها المنام
وناح على جسد ناحل
أناب إلى الله مستغفرا

(١) « استشاق نسيم الأنس من نفحات رياض القدس » للحافظ ابن رجب ص ٨ طبع دار الفتح .

دُمُوعِ الْمُتَهَجِّدِينَ وَمُنَاجَاتِهِمْ

سبحانك سبحانك .. لك الجلال والجمال ولك الكمال ... أنت أنت ..
سبحانك قدستك ألسن الحماديح وأفواه التسابيح
فما الحب حتى يلصق القلب بالحشا
وتذبل حتى ما تجيب المناديا
وتنحل حتى ما يُبقي لك الهوى
سوى مقلدة تبكى بها وتناجيا

* * *

نزف البكاء دموع عينك فاستعر
عيناً لغيرك دمعها مدرار
من ذا يُعيرك عينه تبكى بها
أرأيت عيناً للدموع تعار!!

اعلم رحمك الله أن البكاء هو من أعظم ما تقرب به العابدون ، واسترحم به الخائفون ، ولا يذكر التهجد إلا ويذكر البكاء ، ولا يذكر الليل إلا وقارنه ذكر الدموع . وَمَنْ أَرَقَّ مِنَ الْمُتَهَجِّدِينَ أَفْثَدَهُ حِينَ اتَّخَذُوا مِنَ الدَّمْعِ رَسُولَهُمْ لِرَبِّهِمْ . فالدمع ألح شفعايمهم : وهم كاتبوا الله بدموعهم وهم ينتظرون الجواب صحائفنا إشارتنا وأكثر رسلنا الحرق لأن الكتب قد تُقرأ بغير الدمع لانثق

قال صلى الله عليه وسلم :

« عينان لا تمسها النار أبدا : عين بكت من خشية الله ، وعين باتت تحرس في سبيل الله »^(١)

• ضرب غامر بن عبد قيس بيده على عينه فقال : جامدة شاخصة لاتندى^(٢) .

• وقيل لصفوان بن محرز عند طول بكائه وتذكر أحزانه : إن ذلك يورث العمى ، فقال : ذلك لها شهادة فبكى حتى عمى^(٣) .

ولكم تحلو مناجاة المتهجدين لمولاهم وقد خالطها الدموع .. لكم يحلو البكاء وتحلو المناجاة وقد أرخى الليل سدوله ، وكأن القوم جعلوا شعارهم قول يحيى بن معاذ :

« ليكن بيتك الخلوة ، وطعامك الجوع ، وحديثك المناجاة ، فإما أن تموت بدائك ، وإما أن تصل إلى دوائك »^(٣) .

• عن ثور بن زيد قال : قرأت في التوراة أن عيسى عليه السلام قال :

(١) صحيح : رواه الضياء عن أنس وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم ٣٩٩٢ .
 (٢) البغلاء للجاحظ ص ٦ طبع دار المعارف تحقيق طه الحاجري الطبعة السادسة .
 (٣) صفة الصفوة ج ٤ ص ٩١ .

« يا معشر الحوارين كلّموا الله كثيرًا ، وكلّموا الناس قليلاً . قالوا : كيف نكلّم الله كثيرًا ؟ قال : « اخلوا بمناجاته اخلوا بدعائه » (١) .

• وقال أحد الصالحين في مناجاته لربه :

« إذا سئم البطالون من بطالتهم فلن يسأم محبوك من مناجاتك وذكرك » (٢) .

• قال عابد باليمن : « سرور المؤمن ولذته في الخلوة بمناجاة سيده » (٣) .

• وعن عبد العزيز بن سليمان الراسبي - وكانت رابعة تسميه سيد العابدين - أنه قيل له : « ما بقى مما يتلذذ به ؟ قال : سرداب أخلو برى فيه » (٤) .

• وعن مسلم العابد قال : ما يجد المطيعون لله لذة في الدنيا أحلى من الخلوة بمناجاة سيدهم ، ولا أحب لهم في الآخرة من عظيم الثواب أكبر في صدورهم وألذ في قلوبهم من النظر إلى الله عز وجل ثم غشى عليه » (٥) .

• وقال بكر المزني : « مَنْ مثلك يا ابن آدم ، حُلِّيَ بينك وبين المحراب والماء ، كلما شئت دخلت على الله عز وجل ليس بينك وبينه ترجان » (٦) .

• قال نصر : اجتمعنا ليلة على الساحل ومعنا مسلم أبو عبد الله فقال رجل من الأزد :

ماللمحب سوى إرادة حبه إن المحب بكل بر يضرع

قال : فبكى مسلم حتى خشيت والله أن يموت (٦) .

(١) استنشق نسيم الأنس من نفحات رياض القدس لابن رجب ص ٤٥ .

(٢) استنشق نسيم الأنس ص ٣٧ .

(٣) استنشق نسيم الأنس ص ٤٦ .

(٤) استنشق نسيم الأنس ص ٤٧ .

(٥) استنشق نسيم الأنس ص ٤٦ .

(٦) استنشق نسيم الأنس ص ٣٩ .

وعن حبيب أبي محمد أنه كان يخلو في بيته ثم يقول :

« من لم تفر عينه بك فلا قرت ، ومن لم يأنس بك فلا أنس »^(١) .

انظر أخى إلى دموع البكائين ومناجاة قلوبهم تجد لسان حالهم يقول :

نزف البكاء دموع عينك فاستعر

عيناً لغيرك دمعها مدرار

من ذا يعيرك عينه تيكى بها

أرأيت عيناً للدموع تعار

حتى نصيح بأعيننا الجامدة ... « لماذا الجفاف يا عين » .

• كان داود الطائي يقول في جوف الليل : « اللهم همك عطل على المهموم ، وحالف بينى وبين السهاد ، وشوقى إلى النظر إليك أوثق منى ، وحال بينى وبين اللذات ، فأنا فى سجنك أيها الكريم مطلوب » .

قالوا تشاغل عنا واصطفى بدلاً

مِنَّا وذلك فِعْلُ الخائن السالى

وكيف أشغل قلبى عن محبتكم

بغير ذكركم ياكل أشغالى

• قال عبد الرحمن بن مهدي : « ما عاشرت فى الناس رجلاً أرق من سفيان الثورى ، وكنت أرمقه الليلة بعد الليلة ، فما كان ينام إلا أول الليل ثم ينتفض فزعاً مرعوباً ينادى : النار النار شغلنى ذكر النار عن النوم والشهوات ، ثم يتوضأ ويقول على أثر وضوئه : « اللهم إنك عالمٌ بجأجتى غير معلم ، وما أطلب إلا فكاك رقبتي من النار ، إلهى إن الجزع قد أرقى ، وذلك من نعمك

(١) استنشاق نسيم الأنس ص ٤٦ .

السابعة على : إلهى لو كان لى عذر فى التخلى ما أقمت مع الناس طرفة عين « ثم يقبل على صلته وكان البكاء يمنعه من القراءة حتى إن كنت لا أستطيع سماع قراءته من كثرة بكائه » (١)

● - وكانت خنساء بنت خدام : إذا جنّ عليها الليل وهدأت العيون وسكنت الحركات تقول : « يا حبيب المطيعين ، إلى كم تحبس حدود المطيعين فى التراب ؟ ابعثهم حتى ينجزوا موعدك الصادق الذى أتعبوا له أنفسهم ثم نصبوا » فبكى الدور التى حولها .

● قال الحسن البصرى : يا حُسنَ عين بكت فى جوف الليل من خشية الله عز وجل (٢)

● كانت مع هشام بن عطية جارية فى الدار فكانت تقول : أى ذنب عمل هذا ؟ مَنْ قتلَ هذا ؟ فتراه الليل كله يبكى .

وكيف تنام العين وهى قسيرة

ولم تدر فى أىّ المحلين تسنزل

● قال الحسن بن عرفة ليزيد بن هارون : يا أبا خالد : ما فعلت العينان الجميلتان ؟ قال : « ذهب بهما بكاء الأسحار » وحين سئل عن حزنه قال : وأنا من الليل شيئاً !! إذا لا أنام الله عيني .

● وكان حبيب العجمى أبو محمد رقيقاً ، من أكثر الناس بكاءً ، فبكى ذات ليلة بكاءً كثيراً ، فقالت عمرة - زوجته - لم تبكى يا أبا محمد ؟ فقال لها : دعيني فأنى أريد أن أسلك طريقاً لم أسلكه من قبل (٣)

(١) الحلية ج ٧ ص ٦٠ .

(٢) الزهد لابن حنبل ص ٢٨٢ .

(٣) الحلية ج ٦ ص ١٥٤ .

وكان عمر بن المنكدر لا ينام الليل يكثر البكاء على نفسه ، فشق ذلك على أمه فقالت لأخيه محمد بن المنكدر : إن الذي يصنع عمر يشقّ عليّ فلَو كَلَّمْتَهُ فِي ذَلِكَ ، فاستعان عليه بأبي حازم ، فقالا له : إن الذي تصنع يشق على أمك . فقال : فكيف أصنع ؟ إن الليل إذا دخل عليّ هالني فأستفتح بالقرآن ، وما تنقضي نهمتي فيه . قالوا : فالبكاء ؟ قال : آية من كتاب الله أبكتني . قالوا : وما هي ؟ قال : قوله عز وجل ﴿ وابدأ لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون ﴾ .

● - وكان عتبة الغلام يقول في ليله على ساحل البحر : « إن تعذبني فأني لك محب ، وإن ترحنني فأني لك محب » فلم يزل يرددّها ويبكي حتى مطلع الفجر . وكان رحمه الله يبكي من السحر بكاءً شديداً ويقول لما يُسأل في ذلك : « إني والله ذكرت يوم العرض على الله ، ثم يقول وقد غشي عليه : « قطع ذكر يوم العرض على الله أوصال المحبين » ، ويقول تراك مولاي تعذب محبيك وأنت الحى الكريم .

ويقول عنه عبد الواحد بن زيد : ربما سهرت مفكراً في طول حزن عتبة ، وقد كَلَّمْتَهُ ليرفق بنفسه فقال : « إنما أبكي على تقصيري » ، وكان لا ينقطع بكاءؤه في مجلس عبد الواحد فكلّموا عبد الواحد وقالوا : إنا لا نفهم كلامك من بكاء عتبة . فقال : فأصنع ماذا ؟ يبكي عتبة على نفسه وأنهاه أنا لبسنا واعتد قوم أنا !! (١) .

● لما رأت أم الربيع بن خيثم ما يلقى الربيع من البكاء والسهر نادته فقالت : « يا بني لعلك قتلت قتيلاً ؟ فقال : نعم يا والدة ، قتلت قتيلاً . فقالت : ومن هذا القتيل يا بني نتحمل على أهله فيعفوك ، والله لو علموا ما تلقى من البكاء والسهر لقد رحموك ، فيقول : يا والدتي هي نفسي » .

(١) صفة الصفوة ج ١ ص ٣٧٠ ، ٣٧١ .

• أما منصور بن المعتمر فقد قَسَمَ الليل ثلاثاً : فكان ثلث الليل يقرأ ، وثلثه يبكي ، وثلثه يدعو .

• بكى مسعر بن كدام فبكت أمه فقال لها مسعر : ما أبكاك يا أماه ؟ فقالت : يا بني رأيتك تبكي فبكيت . فقال : يا أماه لمثل ما نهجتم عليه غداً فلنظل البكاء . قالت : وما ذاك فانتحب فقال : القيامة وما فيها . قال ثم غلبه البكاء فبكى (١) .

رحمك الله يا مسعر ، والله در سفيان بن عيينة حين يفتخر بك وبالصالحين من أحبابه فيقول :

أجاعتهم الدنيا فخافوا ولم يزل
أخوطيء داود منهم ومسعر
وحسبك منهم بالفضل مع ابنه
وفي ابن سعيد قدوة البر والنهي
أولئك أصحابي وأهل مودتي
فما ضرَّ ذو التقوى نصال أسنة
كذلك ذو التقوى عن العيش ملجأ
ومنهم وهيب والعريب ابن أدهما
ويوسف إن لم يأل أن يتسلى
وفي الوارث الفاروق صدقاً مقدما
فصلى عليهم ذو الجلال وسلماً
وما زال ذو التقوى أعز وأكرماً (٢)

• كان أنس بن مالك يقول لثابت البناني : ما أشبه عينك بعيني رسول الله ﷺ ، ولما كان كثير البكاء اشتكى عينه فقال له الطبيب : اضمن لي نخصلة تبرأ عينك . قال : وما هي ؟ قال : لا تبك . قال : وما خير عين لا تبكي (٣) .

(١) صفة الصفوة ج ٣ ص ١٣٠ .

(٢) التيار الإسلامي في شعر العصر العباسي الأول ص ٤٩٨ للدكتور مجاهد مصطفى - منشورات وزارة الأوقاف بالعراق .

(٣) صفة الصفوة ج ٣ ص ٢٦٢ .

ولقد بكى ورّاد العجلي في مجلس وعظ ابن ذر فقال ابن ذر : ما الذي قصر بنا وكلم قلبه حتى أبكاه ؟ والله إن هذا يا أبا بني عجل إلا من صفاء قلبك وتراكم الذنوب على قلوبنا .

ولما سُئِلت أخته وكانت أصغر منه عن ليله قالت : كان يبكي عامة الليل ، فقالوا لها : فتحفظين من دعائه شيئاً . قالت : نعم . كان إذا كان السحر أو قريب من طلوع الفجر سجد ثم بكى ثم قال : « مولاي . عبدك يجب اجتناب سخطك فأعنه على ذلك بمنك أيها المنان . مولاي . عبدك يجب الإلتصال بطاعتك ، فأعنه عليها بتوفيقك يا أيها المنان ، مولاي ، عبدك عظيم الرجاء لخيرك فلا تقطع رجاءه يوم يفرح الفائزون ، فلا يزال كذلك حتى يصبح » (١) .

• وبكى أسيد الضبي حتى عمى ، وكان إذا عوتب على البكاء قال : الآن حين لا أهدأ ، وأنا أموت غداً ، والله لأبكين ثم لأبكين ، فإن أدركت بالبكاء خيراً فمن الله وفضله عليّ ، وإن تكن الأخرى فما بكائي في جنب ما ألقى غداً (٢) .

• ولقد بكى بديل بن ميسرة العقيلي حتى قرحت مآقيه ولما عوتب قال : إنما أبكي خوفاً من طول العطش يوم القيامة (٣) .

• وقالت جارية محمد بن واسع في بكائه : هذا رجل إذا جاء الليل لو كان قتل أهل الدنيا مازاد (٤) .

• ولما عوتب عطاء السليمي في كثرة البكاء قال :

إني إذا ذكرت أهل النار وما ينزل بهم من عذاب الله وعقابه تمثلت لي نفسي بهم ، فكيف لنفسي تُعَلَّ يدها إلى عنقها وتُسحب في النار ؟ ألا تصيح فتبكي ؟

(١) صفة الصفوة ج ٣ ص ١٦٢ .

(٢) صفة الصفوة ج ٣ ص ١٦٣ .

(٣) صفة الصفوة ج ٣ ص ٢٦٥ .

(٤) صفة الصفوة ج ٣ ص ٢٦٧ .

وكيف لنفس تعذب ؟ ألا تبكى ؟ وبحك وما أقل غناء البكاء عن أهله إن لم يرحمهم الله .

وكان رحمه الله يقول : الموت فى عنق ، والقبر بيتى ، وفى القيامة موقفى ، وعلى جسر جهنم طريق ، وربى لا أدرى ما يصنع بى .
وكان يقول أشتهى أن أبكى حتى لا أقدر أن أبكى (١) .

• أخى حتى متى نسهو ونلعب وليلنا ليل البطالين وملك الموت فى طلبنا لا يكف .

• وبكى يزيد بن مرثد .. يسأله عبد الرحمن بن يزيد بن جابر : مالى أرى عينك لا تجف ؟ قال : وما مسألتك عنه ؟ قلت : عسى الله أن ينفعنى به . قال : يا أخى : إن الله توعدنى إن عصيته أن يسجننى فى النار ، والله لو لم يوعدنى أن يسجننى إلا فى الحمام لكنت حرياً أن لا تجف لى عين ، قلت له : فهكذا أنت فى صلاتك ؟ قال : وما مسألتك عنه ؟ قلت : عسى الله أن ينفعنى به . قال : والله إن ذلك ليعرض لى حين أسكن إلى أهلى فيحول بينى وبين ما أريد ، وإنه ليوضع الطعام بين يدى فيعرض لى ، فيحول بينى وبين أكله حتى تبكى امرأتى وتبكى صبياننا ما يدرون ما أبكانا ، وربما أضجر ذلك امرأتى فتقول : يا وبجها ما خصت به من طول الحزن معك فى الحياة الدنيا ، ما يقر لى معك عين (٢) .

قال مسمع بن عاصم : « بت أنا وعبد العزيز بن سليمان وكلاب بن جرى وسلمان الأعرج على ساحل من بعض السواحل فبكى كلاب حتى خشيت أن يموت ، ثم بكى عبد العزيز لبكائه ثم بكى سلمان لبكائهما ، وبكىتُ والله

(١) صفة الصفوة ج ٣ ص ٣٢٧ .

(٢) التخويف من النار ص ١٩ ، ٢٠ ، انظر الزهد لابن حنبل وابن المبارك .

لبكائهم لا أدري ما أبكاهم ، فلمّا كان بعد سألتُ عبد العزيز فقلت : يا أبا محمد ما الذى أبكاك ليلتئذ ؟ قال : إني والله نظرت إلى أمواج البحر تموج وتجميل فذكرت أطباق النيران وزفراتها فذلك الذى أبكاني ، ثم سألت كلاباً أيضاً نحواً مما سألت عبد العزيز فوالله لكأنما سمع قصته فقال لي مثل ذلك .

ثم سألت سلمان الأعرج نحواً مما سألتها فقال : ما كان في القوم شرّ مني ، ما كان بكائي إلا لبكائهم رحمة لهم مما كانوا يصنعون بأنفسهم رحمهم الله تعالى» (١)

• أمّا الحسن البصرى شيخ البكّائين الذى وصفوه بأنه إذا بكى فكأنّ النار لم تخلق إلا له ، لما قيل له ما يبكيك ؟ قال : أخاف أن يطرحني غداً في النار ولا يبالي (٢) . وفي رواية « وما يؤمنني أن يكون اطلع على فيّ بعض زلاتي فقال : اذهب فلا غفرت لك .

لعلك غضبان وقلبي غافل سلام على الدارين إن كنت راضياً
رحمك الله يا أبا سعيد يا من يصدق فيك قولهم « أهل مكة أعلم بشعابها »
حين تقول : « إن المؤمنين قوم ذلت والله منهم الأسماع والأبصار والأبدان حتى
حسبهم الجاهل مرضى ، وهم والله أصحاب القلوب ، ألا تراه يقول ﴿ وقالوا
الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن ﴾ والله لقد كابدوا في الدنيا حزناً شديداً وجرى
عليهم ما جرى على من كان قبلهم ، والله ما أحزنهم ما أحزن الناس ، ولكن
أبكاهم وأحزنهم الخوف من النار» (٣)

نعم يا سيدى .. أبكاهم ما أبكى العابدين قبلهم .
وإذا أردت أن تعلم حزن الحسن فانظر إلى قول أم ضيغم بن مالك :

(١) التخويف من النار لابن رجب ص ٨٣ ، ٨٤ .

(٢) التخويف من النار لابن رجب ص ٢١ .

(٣) التخويف من النار لابن رجب ص ٢٣ .

● خذ يا أخى حديث واحد من البكائين وهو ضيغم بن مالك رحمه الله : كان يقول : لو أعلم أن رضاه أن أقرض لحمى لدعوتُ بالمقراض فقرضته . قال عنه سيار : رأيت ضيغمًا صلى نهاره وليله أجمع حتى بقي راكمًا لا يقدر أن يسجد ، وكان يرفع رأسه إلى السماء ويقول : « قرة عيني » ، وكان رحمه الله إذا سجد يقول : إلهي كيف عزفت قلوب الخليفة عنك !! ، وكان ، بما أصابته الفترة . فإذا وجد ذلك اغتسل ثم دخل بيتًا فأغلق بابه وقال : إلهي إليك جئت .

وقال رجل لأم ضيغم : ما أطول حزن ضيغم ، فبكت وقالت : لمثل ما نؤدب إليه فليحزن ، ذهب الحسن وأصحابه بالحزن وهل رأيت يا بنى محزونًا . وكانت أم ضيغم تقول له تحب الموت ؟ قال : لا يا أماه . قالت : لم يا بنى ؟ قال : لكثرة تفريطي وغفلي عن نفسي فتبكي أمه ويبكي هو .

● وبكى ليلة من أول الليل إلى آخره لم يسجد فيها سجدة ولم يركع فيها ركعة ، ولما سُئل عن ذلك بكى وقال : « لو يعلم الخلائق ما يستقبلون غدًا مالذوا بعيش أبدًا . والله إني لما رأيت الليل وهوله وشدة سواده ، ذكرت به الموقف وشدة الأمر هناك ، وكل أمرى يومئذ تهمة نفسه ﴿ لا يجزى والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئًا ﴾ ثم يشهق رحمه الله ويضطرب .

● وكان رحمه الله يقول : احذر نفسك على نفسك ، فإني رأيت هموم المؤمنين في الدنيا لا تنقضي ، وأيم الله لنن لم تأت الآخرة المؤمن بالسرور لقد اجتمع عليه الأمران : هم الدنيا وشقاء الآخرة . فقال له مولاة أبو أيوب : بأبي أنت ، وكيف لا تأتية الآخرة بالسرور ، وهو ينصب لله في دار الدنيا ويدأب ؟ فقال : يا أبا أيوب : فكيف القبول ؟ وكيف السلامة ؟ كم من رجل يرى أنه

قد أصلح شأنه قد أصلح قربانه ، قد أصلح همته ، قد أصلح عمله ، يُجمع ذلك يوم القيامة ، ثم يضرب به وجهه^(١) .

رحمك الله يا ضيعم وأجزل لك المثوبة وأمنك يوم الفزع الأكبر .

● تعبد رحمه الله قائماً حتى أقعد ، وقاعداً حتى استلقى ، ومستلقياً حتى أفحم ، فلما جهد رفع بصره إلى السماء وقال : سبحانك ، عجباً للخليقة كيف أرادت بك بدلاً ، سبحانك عجباً للخليقة كيف استنارت قلوبها بذكر غيرك ، وعجباً للخليقة كيف أنست بسواك^(٢) .

قال الربيع بن أبي راشد - الذي قال عنه عمر بن ذر : كنت إذا رأيت الربيع بن أبي راشد كأنه مخمار من غير شراب^(٣) - : « فلولا ما يأمل المؤمنون من كرامة الله عز وجل لهم بعد الموت لانشقت في الدنيا مراثيمهم ولتقطعت أجوافهم » .

● أخى : لقد وعى المهجدون قول مولاهم ﴿ أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتاً وهم نائمون ﴾^(٤) فبكت عيونهم دواماً .

قال عبد الله بن المبارك :

إذا ما الليل أظلم كابدوه فيسفر عنهم وهم ركوعُ
أطار الخوف نومهم فقاموا وأهل الأمن في الدنيا هجوعُ
لهم تحت الظلام وهم سجود أنين منه تنفرج الضلوع
وخرسٌ بالنهار لطول صمت عليهم من سكينتهم خشوع^(٥)

(١) صفة الصفوة ج ٣ ص ٣٥٧ ، ٣٥٨ ، ٣٥٩ .

(٢) عيون الأخبار لابن قتيبة الدينوري .

(٣) صفة الصفوة ج ٣ ص ١٠٩ ، ١١٠ .

(٤) الأعراف آية ٩٦ .

(٥) التيار الإسلامي في شعر العصر العباسي ص ٤٩٣ .

● - كانت آمنة بنت أبي الورع من العابدات الخائفات ، وكانت إذا ذكرت النار قالت : أدخلوا النار ، وشربوا من النار وعاشوا ، ثم تبكى وكأنها حبة على مقلى (١) .

● ويبكي أحد العباد بالليل ويقول : « إن أقل ما ينبغي أن يكون لنفسى عندى أن أبكيها وأبكي عليها أيام الدنيا لعلمى بما يمر عليها غداً » (٢) .

● كان فضالة بن صيفي كثير البكاء ، فدخل عليه رجل وهو يبكي فقال لزوجته : ما شأنه ؟ قالت : « زعم أنه يريد سفرًا بعيدًا وماله زاد » (٣) .

● وكانت عابدة من أحسن الناس عينًا ، فأخذت في البكاء فقبل لها : تذهب عينك . فقالت : إن يكن لى عند الله خير فسيبدلنى خيرًا منها ، وإن تكن الأخرى فوالله لا أحزن عليهما

قد كنت أشفق من دمعى على بصرى
فاليوم كل عزيز بعدكم هانا

بكاء المهجدين وسهرهم خوفًا من النار :

ومن المهجدين من منعه خوف جهنم من النوم :
منهم شداد بن أوس وقد مضى ذكره ، وطاوس والريبع بن خيثم وعامر بن عبد الله والثورى ومالك بن دينار :

● كان صفوان بن محرز إذا جنّه الليل يخور كما يخور الثور ويقول منع خوف النار منى الرقاد .

(١) التخويف من النار ص ٢٠ .
(٢) صفة الصفوة ج ٤ ص ٣٨١ .
(٣) المدمش لابن الجوزى ص ٢٠٥ .

• وكان رجل من الموالي يقال له صهيب يسهر الليل ويبكى . فعوتب على ذلك ، وقالت له مولاته : أفسدت على نفسك ، فقال : إن صهيياً إذا ذكر الجنة طال شوقه وإذا ذكر النار طار نومه .

• قال ابن المبارك يصف انتظار المهجدين وتأهبهم للانتقال وخوفهم :

مستوفدين على رحل كأنهم
ركب يريدون أن يمضوا وينتقلوا

عفت جوارحهم عن كل فاحشة

فالصدق مذهبهم والخوف والوجل^(١)

يقول ابن المبارك عن منع خوف جهنم نوم المهجدين :

وما فرشهم إلا أيا من أزرهم وما وسدهم إلا ملاء وأذرع
وما ليلهم فيهن إلا تخوف وما نومهم إلا عشاش مروع
وألوانهم صفر كأن وجوههم عليها جساد وهي بالورس مشبع
نواحل قد أذرى بها الجهد والسرى إلى الله في الظلماء والناس هجع
ويبكون أحياناً كأن عجيجهم إذا نوم الناس الحنين المرجع
ومجلس ذكر فيهم قد شهدته وأعينهم من رهبة الله تدمع^(٢)

رحمك الله يا ابن المبارك فهذا الكلام لا يخرج إلا من فك الطاهر الذي
أدمن التلاوة ، ومن روحك التي أقلقها الخوف من القيامة ، فجزاك الله خيراً عن
نبيك .

(١) التيار الإسلامي في شعر العصر العباسي ص ٤٩٣ .

(٢) التحويف من النار والتعريف بحال أهل البوار لابن رجب ص ٢٦ ، ٢٧ . الناشر مكتبة الإيمان -
عابدين .

• عن القاسم بن محمد قال : كنا نسا فر مع ابن المبارك ، فكثيراً ما كان يخطر ببالي فأقول في نفسي : بأى شيء فُضِّلَ هذا الرجل علينا حتى اشتهر في الناس هذه الشهرة ؟ إن كان يصلى إنا نصلى ، ولئن كان يصوم إنا نصوم ، وإن كان يغزو فإنا لنغزو ، وإن كان يحج إنا لنحج ، قال : فكنا في بعض مسيرنا في طريق الشام ليلة نتعشى في بيت إذ طفئ السراج فقام بعضنا فأخذ السراج وخرج يستصبح فكث هنيهة ثم جاء بالسراج فنظرت إلى وجه ابن المبارك ولحيته قد ابتلت من الدموع فقلت في نفسي : بهذه الخشية فُضِّلَ هذا الرجل علينا ، ولعله حين فقد السراج ، فصار إلى الظلمة ذكر القيامة (١).

• وعوتب يزيد الرقاشي على كثرة بكائه وقيل له : لو كانت النار خُلِقَتْ لك ما زدت على هذا فقال : وهل خُلِقَتْ النار إلا لي ولأصحابي ولإخواننا من الجن والإنس ، أما تقرأ ﴿ سنفرغ لكم أيها الثقلان ﴾ (٢) ، أما تقرأ ﴿ يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران ﴾ (٣) ، فقرأ حتى بلغ ﴿ يطوفون بينها وبين حميم آن ﴾ فجعل يحول في الدار ويبكى (٤).

• أما منصور بن المعتمر وهو سيد من سادات المتبحرين فإنه لما مات صاحته أمه : واقتيل جهنم ما قتل ابني إلا خوف جهنم (٥).

• قال أبو عاصم العباداني عن عابد من بني سعد : كان يصلى الليل والنهار لا يكاد يفتر ، فإذا كان السحر احتبى ، واستقبل البحر فجعل يبكي وينوح على

(١) صفة الصفوة ج ٤ ص ١٤٥ .

(٢) الرحمن آية رقم ٣١ .

(٣) الرحمن آية رقم ٣٥ .

(٤) التخويف من النار ص ٢٣ .

(٥) التخويف من النار ص ٣١ .

نفسه ، قال : فإذا أحس بإنسان أمسك ، قال : فخرجت ذات ليلة إلى الساحل فإذا أنا بصوته وإذا هو يبكي ويقول في بكائه :

ألا يا عين وبحك أسعديني بطول الدَّمع . في ظلم الليالي
لعلك في القيامة أن تفوزي بخير الدهر في تلك العلالى^(١)

• وقال عباد بن زياد يرثي إخوة له متعبدون :

فتية يعرف التخشع فيهم كلهم أحكم القرآن غلاما
قد برى جلده التهجد حتى عاد جلدًا مصفرًا وعظاما
تتجأف عن الفراش من الخوف إذا الجاهلون باتوا نياما
بأنين وعبرة ونحيب ويظلمون بالنهار ضياما
يقرأون القرآن لاريب فيه ويسبتون سجداً وقياماً^(٢)

• كان يحيى بن معاذ رحمه الله يقول في مناجاته في الليل : « اللهم إن خطيئتي تعذبتني ، وتوبتي تذبوني فعيشتي طول دهري بين تعذيب وتذويب »^(٣) .

• إلهي وسيدي مولاي :

سهر العيون لغير وجهك باطل وبكأوهن لغير فقدك ضائع

• بكى أحد العباد من أهل البحرين في جوف الليل وهو على ساحل البحر وقال : قرة عيني وسرور قلبي ، ما الذي أسقطني من عينك يا مانح العصم ، ثم يبكي ويقول :

(١) صفة الصفوة ج ٤ ص ٥٩ .

(٢) التخويف من النار ص ٢٨ .

(٣) تنبيه المغترين للشعراني ص ١٠٦ .

« طوبى لقلوب ملأتها خشيتك ، واستولت عليها محبتك ، فحبتك مانعة لها من كل لذة غير مناجاتك ، والإجتهاد فى خدمتك ، وخشيتك قاطعة لها عن كل معصية خوفاً لحلول سخطك ثم بكى وقال : يا إخوتاه ابكوا على خوف فوات الآخرة حيث لا رجعة ولا حيلة » (١) .

بكى الباكون للرحمن ليلاً وياتوا دمعهم لا يسأمونا
بقاع الأرض من شوق إليهم تحن متى عليها يسجدونا

• وكانت شعوانة تقول فى مناجاتها :

« إلهى ما أشوقنى إلى لقائك ، وأعظم جزائى لجزائك ، وأنت الكرم الذى لا يخبى لديك أمل الآملين ، ولا يبطل عندك شوق المشتاقين ، إلهى إن كان دنا أجلى ، ولم يقربنى منك عملى ، فقد جعلت الاعتراف بالذنب وسائل على ، فإن عفوت فمن أولى منك بذلك ؟ وإن عدلت فمن أعدل منك هنالك ! إلهى قد جرت على نفسى فى النظر لها ، وبقى لها حسن نظرك ، فالويل لها إن لم تسعدها ، إلهى إنك لم تزل بى براً أيام حياتى ، فلا تقطع عنى برك بعد مماتى ، ولقد رجوت ممن تولانى فى حياتى بإحسانه ، أن يسعفى عندي مماتى بغفرانه ، إلهى كيف أبأس من حسن نظرك بعد مماتى ، ولم تولنى إلا الجميل فى حياتى ، إلهى إن كانت ذنوبى قد أخافتنى ، فإن محبتى لك قد أجاتنى ، فتول من أمرى ما أنت أهله ، وعد بفضلك على من غره جهله ، إلهى لو أردت إهانتى لما هديتنى ، ولو أردت فضيحتى لم تسترنى ، ففتعنى بما له هديتنى ، وأدم لى مابه سترتى ... » (٢) .

واسمع يا أخى إلى مناجاة غريبة فى جوف الليل لأحد المتبهجين وهو أبو

(١) صفة الصفة ج ٤ ص ٧٣ .

(٢) عودة الحجاب القسم الثانى للشيخ محمد بن أحمد بن إسماعيل ص ٣٠١ .

محمد فتح بن محمد الموصلي : كان رحمه الله يجمع عياله في ليالي الشتاء ويقول بكسائه عليهم ثم يقول : « اللهم أفقرتني وأفقرت عيالي ، وجوعتني وجوعت عيالي ، وأعريتني وأعريت عيالي ، بأى وسيلة توصلتها إليك ، وإنما تفعل هذا بأوليائك وأحبائك فهل أنا منهم حتى أفرح ؟

ودخل ليلة إلى أهله وهو صائم فلم يجد عندهم شيئاً ولا ما يسرجون به فجلس يبكي من الفرح ويقول : إلهي مثلئ يُترك بلا عشاء ولا سراج ، بأى يدٍ كانت مني ، فما زال يبكي إلى الصباح^(١)

رحمك الله يا موصلي تدعو بهذا الدعاء الجميل ، أنت من قوم علموا أن لطف اللطيف لا ينفك عنه أبداً ، وأن الرحمن رحمان على الدوام فصار المنع عندهم عين العطاء ، ورضوا من مولاهم أن يكون جزاؤهم على الطاعة الابتلاء ، بل صار نعمتهم الصبر عند السراء والشكر عند الضراء ، فرمما كان الرخاء استدراجاً من الله عز وجل ولله در أبي تراب النخشي :

لا تخدعن فللمحب دلائل ولديه من تحف الحبيب وسائل
منها تنعمه بمر بلائه وسروره في كل ما هو فاعل

فالمنع منه عطية مقبولة والفقير إكرام وبر عاجل^(٢)

معشر المتوجهين إليه ما ضرّكم ما فاتكم من الدنيا إذا كان الله لكم حظاً ،
وما ضرّكم من عاداتكم إذا كان الله لكم مسلماً : ولله در القائل :

هنئياً لمن أضحى وأنت حبيبه ولو أن لوعات الغرام تذيبه
وظنوي لصب أنت ساكن سرّه ولو بان عنه إلفه وقريبه

(١) استنشاق نسيم الأنس ص ٧٦ ، ٧٧ .

(٢) استنشاق نسيم الأنس ص ٧٦ .

وماضراً صبأ أن يبببب وماله
ومن تك راض عنه في طي غيبه
فياعلة في الصدر أنت شفاؤها
عبيدك في باب الرجا متضرع
بعيد عن الأوطان يبكي بذلة
تصدق على من ضاع منه زمانه
غدا خاسراً فالعار يكفيه والعنا
وتتعدد ألوان مناجاتهم :

• فهذا عابد آخر « عتبة الغلام » إذا جته الليل لبس المسح ، وغل نفسه
وناجى مولاه قائلاً : احشرنى من حواصل الطيور . فاستجاب الله دعاءه ، ولقى
ربه شهيداً وأكلت الطيور لحمه (٢) .

• أما أبو صخر يزيد بن أبى سمية الأيلي : فكان يصلى ليله ويبكى وكانت
معه في الدار امرأة يهودية ساكنة فكانت تبكى رحمة له ، فقال ليلة في دعائه :
« اللهم إن هذه اليهودية قد بكت رحمة لى ودينها مخالف لدينى ، فأنت أولى
برحمتى (٣) .

• وكان أحد العباد يناجى مولاه في جوف الليل ويقول : « ياسيدى وأملى ،
ومؤملى ومن به تم عملى ، أعود بك من بدن لا ينتصب بين يديك ، وأعود بك
من قلب لا يشتاق إليك وأعود بك من دعاء لا يصل إليك ، وأعود بك من
عين لا تبكى عليك » .

(١) استنشق نسيم الأنس ص ١٠٤ .

(٢) صفة الصفوة ج ٤ ص ٢٠٠ ، ٢٠١ .

(٣) صفة الصفوة ج ٤ ص ٣٣٥ .

وآخر يدعو ويناجي مولاه فيقول : « سبحان من أخرج قلوب المشتاقين في رياض الطاعة بين يديه ، سبحان من أوصل الفهم إلى عقول ذوى البصائر فهي لا تعتمد إلا عليه ، سبحان من أورد حياض المودّة نفوس أهل المحبة فهي لا تحنّ إلا إليه » ثم يقول : « إن لله عز وجل عبادةً قدح في قلوبهم زند الشغف ونار الومق ، فأرواحهم لشدة الاشتياق تسرح في الملكوت ، وتنظر إلى ما دُخر لها في حجب الجبروت » (١) .

• بربك يا أخى خبرنى عن هذه المناجاة ألا تهطل المدامع وتهبج بلابل الشوق إلى المولى عز وجل

أبدا نفوس الطالبين من إلى رياضكم تحنّ
وكذا القلوب بذكركم بعد المخافة تطمئن
حتت بجزكم ومنّ ناجى الحبيب ولا يحنّ؟ (٢)
• وعابد آخر يناجى في جوف الليل بصوت محزون :

« يا منّ آسنى بقربه ، وأوحشنى من خلقه ، وكان عند مسرّقى ارحم اليوم عبرتى (٣) »

• وآخر يناجى فيقول : « شهد لك قلبى فى النوازل بمعرفة الفضل لك ، وكيف لا يشهد لك قلبى بذلك ، ولا يحسن بقلبى أن يألف غيرك ، هيهات ، لقد خاب لديك المقصرون عنك » (٣) .

• فانظريا أخى إلى هذه الأنفس الطاهرة ، صافوا مولاهم بالعقول ، ودققوا له الفطن ، فسقاهم من كأس حبه شرية فظلوا في عطشهم أروياء ، وفي ريّهم عطاشاً .

(١) صفة الصفوة ج ٤ ص ٣٤١ .

(٢) جامع العلوم والحكم لابن رجب ص ٤١٩ .

(٣) صفة الصفوة ج ٤ ص ٣٤٧ .

أما أهل زماننا فقد توعدت الطريق ، وقلّ السالكون وهُجرت الأعمال ،
وَقَلَّ الراغبون فيها ، وقلّ الحق ودرس هذا الأمر فلا نراه إلا في لسان كل بطال
ينطق بالحكمة ويفارق الأعمال ، قد افترش الرخصة وتمهد للتأويل ، واعتل بزلل
العاصين ، وسكنت القلوب إلى روح الدنيا وانقطعت عن روح ملكوت
السموات وإنا لله وإنا إليه راجعون .

• وعابد آخر يبكي بالليل ويقول في بكائه :

« أترى بكائي نافعى عندك ، ومنقذ رقبتي من حكمك ، أتراك آخذاً من
نفسى بحقك وموتخها على رؤوس الأشهاد بما ضيعت من أمرك . آوه لكشف
سرك عني ، آوه لوقوفى بين يديك »^(١) .

• وآخر يناجى ويبكى على الساحل بالليل : « جرمي عظيم وعفوك كثير
فاجمع بين جرمي وعفوك يا كريم »^(٢) .

• وآخر يقول في مناجاته : « ياسيدي بك تفرد المتفردون في الخلوات ،
ولعظمتك سبحت الحيتان في البحار الزاخرات ، ولجلال قدسك اصطفت
الأمواج المتلاطحات أنت الذي سجد لك سواد الليل وضوء النهار ، والفلك
الدوّار ، والبحر الزخّار ، والقمر النّوار ، وكل شيء عندك بمقدار
يا مؤنس الأبرار في خلواتهم ياخير من حطت به النّزال^(٣)
وآخر يقول :

ألوذ بباب من أدعوه فرداً
إذا نامت عيون الناس طرّاً
وآمل أن أقرب من حبيبي
قرعت الباب بالقلب الكئيب

(١) صفة الصفوة ج ٤ ص ٣٦٥ .

(٢) صفة الصفوة ج ٤ ص ٣٧٠ .

(٣) صفة الصفوة ج ٤ ص ٣٧٤ .

وآخر يناجي فيقول :

« عجبت للخليفة كيف أنست بسواك ، بل عجبت للخليفة كيف استنارت
قلوبهم بذكر سواك .

● قال ابن قتيبة : بلغني عن الوليد بن مسلم عن عثمان بن أبي العاتكة قال :
كان داود النبي عليه السلام يقول في مناجاته :

« سبحانك إلهي ، إذا ذكرت خطيئتي ضاقت عليّ الأرضُ برحبها ، وإذا
ذكرت رحمتك ارتد إليّ روحي ، سبحانك إلهي أتيتُ أطباءَ عبادك ليداووا لي
خطيئتي فكلهم عليك يدلّني »^(١) .

● « سبحانك .. ما أضيق الطريق على مَنْ لم تكن دليله ، سبحانك ..
ما أوحش الطريق على مَنْ لم تكن أنيسه . »

سبحانك سبحانك ، لك الجلال والجلال ولك الكمال .. سبحانك أنت
أنت سبحانك قدستك ألسن التاديع وأفواه التساييح .

● كان علي بن سهل المدائني رحمه الله يقوم إذا هدأت العيون فينادي
بصوت له محزون « يا من اشتغلت قلوب خلقه عنه بما يعقبهم عند لقائه ندماً ،
ويا مَنْ سَهَتْ قلوب عباده عن الاشتياق إليه إذ كانت أياديه إليهم قبل معرفتهم
به » ثم يبكي حتى تبكي لبكائه جيرته ، ثم ينادي : « ليت شعري سيدي ، إلى
متى تجبسي ؟ ابعثنى سيدي إلى حسن وعدك ، وأنت العليم أن الشوق قد برّح
ني ، وطال عليّ الانتظار » ثم يخر مغشياً عليه فلا يزال كذلك حتى يحرك لصلاة
الصبح^(٢) .

(١) عيون الأخبار لابن قتيبة الدينوري .

(٢) الطريق إلى الله و الصدق و لأبي سعيد الخزاز تحقيق دكتور عبد الحليم محمود ص ١١٨ الناشر دار
الإنسان .

• وكان الحارث بن عمير رحمه الله يقول إذا أصبح : « أصبحت ونفسي
وقلبي مصر على حبك سيدي ، ومشتاق إلى لقاءك فعجلّ بذلك قبل أن يأتيني
سواد الليل » ، فإذا أمسى قال مثل ذلك ، فلم يزل على مثل هذه الحال ستين
سنة (١)

• وكان أحد العبّاد يقوم الليل حتى إذا برق عمود الصبح وثب قائماً على
قدميه ونادى بأعلى صوته : ذهب الليل بما فيه ، وأقبل النهار بدواهيه ، ولم
أقض من خدمتك وطراً ، آخر خسر من أتعب لغيرك بدنه ، وألجأ إلى سواك
همه » ثم أنشد يقول :

مَنْ عَامَلَ اللَّهَ بِتَقْوَاهُ وَكَانَ فِي الْخُلُوعِ يَرْعَاهُ
سَقَاهُ كَأَسَاً مِنْ صُنِي حَبِّهِ يَسْلُبُهُ لَذَّةَ دُنْيَاهُ
فَأَبْعَدَ الْخَلْقَ وَأَقْصَاهُمْ وَانْفَرَدَ الْعَبِيدَ بِمَوْلَاهُ (٢)

• وانظر هاهو أبو سليمان الدارنى تسمع قوم عليه ليلاً فسمعوه يقول :
« إن طالبنى بسريرى طالبتك بتوحيدك ، وإن طالبنى بذنوبى طالبتك
بكرمك ، وإن جعلتنى من أهل النار أخبرت أهل النار بحبى إياك » (٣)
قال ذو النون فى مناجاته لربه : -

« اللهم متّع أبصارنا بالجولان فى جلالك ، وسهّرنا عما نامت عنه عيون
الغافلين ، واجعل قلوبنا معقودة بسلاسل النور ، وأطلقنا من الأسر لنجول فى

(١) الطريق إلى الله ص ١١٩ .

(٢) صفة الصفوة ج ٤ ص ٤٠٧ ، ٤٠٨ .

(٣) الخلية ج ٩ ص ٣٥٥ .

خدمتك مع الجوالين» (١) .

لله در القائل :

قوم تخلّ لهم زهو بسيدهم والعبد يزهو على مقدار مولاه
تاهوا به عمّن سواه له يا حسن رؤيتهم في حُسن ما تاهوا

• وكان خليفة العبدى : يقوم إذا هدأت العيون فيقول : « اللهم إليك قمت
أبتغى ما عندك من الخيرات » ثم يعمد إلى محرابه فلا يزال يصلى حتى يطلع
الفجر ، وكان يدعو في السحر يقول :

« هب لى إنابة إخبات وإخبات منيب ، وزينى فى خلقك بطاعتك ،
وحسنى لديدك بحسن خدمتك ، وأكرمنى إذا وفد إليك المتقون ، فأنت خير
مستؤل وخير معبود وخير مشكور وخير محمود » . وكان إذا دعا فى السحر يقول :
« قام البطالون وقت معهم ، قمنا إليك ونحن متعرضون لجودك فكم من ذى جرم
قد صفحت له عن جرمه ، وكم من ذى كرب عظيم قد فرجت له عن كربه ،
وكم من ذى ضر كبير قد كشفت له عن ضرّه ، فبغزتك ما دعانا إلى مسألتك بعد
ما انطوينا عليه من معصيتك إلا الذى عرفتنا من جودك وكرمك ، فأنت المؤمل
لكل خير ، والمرجوّ عند كل نائبة » (٢) .

ومن مناجاتهم : « سيدى قصدك عبداً روحه لديك ، وقياده بيديك ،
واشتياقه إليك ، وحسراته عليك ، ليله أرق ، ونهاره قلق ، وأحشاؤه تحترق ،
ودموعه تستبق ، شوقاً إلى رؤيتك ، وحينئذ إلى لقاءك ، ليس له راحة دونك ،
ولا أمل غيرك » .

• ويقول يحيى بن معاذ « أحلى العطايا فى قلبى رجاؤك ، وأعذب الكلام على

(١) الخلية ٩/ ٣٥٨ .

(٢) الخلية ٦/ ٣٠٣ - ٣٠٤ .

لسانى ثناؤك ، وأحب الساعات إلى ساعة يكون فيها لقاؤك .

• ويقول آخر :

ارحم حشاشة نفس فيك قد ذهبت
ولو مضى الكل منى لم يكن عجباً
قبل المات فهذا آخر الرمق
وإنما عجي للبعض كيف بقى
ويقول آخر :

ألا خلوة أشكو إليك صباية
ها بين جلدى والبعضام ديباً
ويقول آخر :

زمانى كله بهم سرور
وهم عيشى وهم سمى وهم بصرى
ويقول آخر :

فروحي وريحاني إذا كنت حاضراً
إذا لم أنافس في رضاك ولم أغر
وإن غبت فالدنيا على محابس
لدينك فيمن ليت شعري أنافس ؟
• ويقول آخر :

فكيف يصنع من أقصاه مالكة
من غص داوى بشرب الماء غصته
فليس ينفعه طب الأطباء
فكيف يصنع من قد غص بالماء ؟
وكان أحد الصالحين يناجى ربه فى سجوده فى جوف الليل فيقول :

« إلهى ، أغلقت الملوك أبوابها ، وبابك مفتوح للسائلين ، إلهى ، غارت
النجوم ، ونامت العيون ، وأنت الحى القيوم الذى لا تأخذه سنة ولا نوم ، إلهى
فُرشَت الفُرش ، وخلص كل حبيب بحبيبه ، وأنت حبيب المهجدين وأنيس
المستوحشين .

• إلهى إن طردتنى عن بابك فألى باب من ألتجى ، وإن قطعتنى عن خدمتك
فخدمة من أرتجى .

● إلهي إن عذبتني فأني مستحق العذاب والنَّقم ، وإن عفوت عني فأنت أهل الجود والكرم ، يا سيدي لك أخلص العارفين ، وبفضلك نجح الصالحون ، وبرحمتك أناب المقصرون ، يا جميل العفو أذقني برد عفوك وحلاوة مغفرتك ، وإن لم أكن أهلاً لذلك فأنت أهل التقوى وأهل المغفرة .

ولله در أحمد بن زيد البحراني حيث يقول :

محب نفي ما التذم من غمضه الفكرُ
 وبات يراعى أنجماً بعد أنجم
 ويخدم مولاه بالطف خدمة
 به وبمن ساواه في الزهد والتقى
 محب خلا بالحب خلوة واجد
 يقول بذلت الحب يا منتهى المنى
 فلا تخزني يارب وارحم تصرعي
 وقد خفت من يوم المعاد مخافة
 بفضلك زدني منك قرباً وأدنى
 شفائي مقامي في الهوى وهو قاتلي
 وفي كبدي مما أقاسى من الهوى
 غزا الحب قلبي قاصداً يجيوشه
 وحقك لا أنساك مادمت باقياً
 المحب إن كتم حاله نطق به دمه
 ظفرتم بكتان اللسان فنم لكم

بكتان عين دمعها الدهر يتزف^(٢)

(١) استنشق نسيم الأنس ص ١٠٤ - ١٠٥ .

(٢) استنشق نسيم الأنس ص ١٠٨ .

معاتبه نفس ومناجاة متبجد

هذى مناجاة متبجد .. نفاث صدر وأشجان قلب يمم وجهه شطر الدار
الآخرة مستراح العابدين يبثها في خشوع وصدق تابعي جليل ، من القرون
الخيرية ، من تلامذة الصحابة ، تربي وصنع على أعينهم .. شرب من سلسبيل
القرآن والسنة وكحل أجفان قلبه بها . فانظر إليه كيف يستمطر الدمع حين يقول
في مناجاته ، يقول عون بن عبد الله بن عتبة :

« ويحى بأى شيء لم أعصى ربي

ويحى إنما عصيته بنعمته عندي

ويحى من خطيئة ذهبت شهوتها وبقيت تبعثها عندي في كتاب كنه كتاب لم

يغيبوا عني .

واسواتاه ، لم أستحيهم ولم أراقب ربي ، ويحى نسيت ما لم ينسوا مني . ويحى

غفلت ولم يغفلوا عني ، لم أستحيهم ولم أراقب .

واسواتاه ! ويحى ! حفظوا ما ضيعت مني ، ويحى ! طاوعت نفسي وهي

لا تطاوعني ، ويحى طاوعتها فيما يضرها ويضرني .

ويحى ألا تطاوعني فيما ينفعها وينفعني .. أريد إصلاحها وتريد أن تفسدني ،

ويحى إني لأنصفها وما تنصفتني ، أدعوها لأرشدنا وتدعوني لتغويني ، ويحى إنها

لعدو لو أنزلتها تلك المنزلة مني .

ويحى تريد اليوم أن تُردينني ، وغدا تحاصمني .

رب لا تسلطها على ذلك مني ، رب إن نفسي لم ترحمني فأرحمني ، رب

إني أعذرهما ولا عذرتني ، إنه إن يك خيراً أخذها وتخذلني ، وإن يك شراً أحبها

وتحبنى ، رب فعافني منها وعافها مني ، حتى لا أظلمها وتظلمني ، وأصلحني لها

وأصلحها لي ، فلا أهلكها وتهلكني ، ولا تكلني إليها ولا تكلها إلي .

ويحي ! كيف أفر من الموت وقد وُكِّل لي ، ويحي ! كيف أنساه ولا ينساني ؟
ويحي إنه يقص أثرى فإن فررت لقبني ، وإن أقت أدركني .
ويحي هل عسى أن يكون قد أظلمت فسّاني وصبّحتني ، أو طرقتني فبغتني .
ويحي أزعم أن خطيبتى قد أقرحت قلبى ولا يتجافى جنبى ، ولا تدمع عيني ولا
تسهر لى [ولا يسهر ليلى] . ويحي كيف أنام على مثلها ليل .
ويحي هل ينام على مثلها مثلى . ويحي ! لقد خشيت ألا يكون هذا الصدق
منى ؟ بل ويلي إن لم يرحمنى ربى ..

ويحي كيف لا توهن قوتي ولا تعطش هامتى .. بل ويلي إن لم يرحمنى ربى .
ويحي كيف لا أنشط فيما يطفئها عني .. بل ويلي إن لم يرحمنى ربى .
ويحي كيف لا يُذهبُ ذكرُ خطيبتى كسلى ، ولا يبعثنى إلى ما يذهبها عني ..
بل ويلي إن لم يرحمنى ربى .

ويحي لا تنهى الأولى من خطيبتى عن الآخرة ، ولا تذكرنى الآخرة من
خطيبتى بسوء ما ركبت من الأولى فويلي ثم ويلي إن لم يُتم عفو ربى ..
ويحي لقد كان لى فيما استوعبت من لسانى وسمعى وقلبى وبصرى اشتغال ..
فويل لى إن لم يرحمنى ربى .

ويحي إن حجبت يوم القيامة عن ربى فلم يركنى ولم ينظر إلىّ ولم يكلمنى ،
فأعوذ بنور وجهه من خطيبتى ، وأعوذ به أن أعطى كتابى بشمالى أو وراء ظهري
فيسود به وجهى .. وتزرقُ به مع العمى عيني .. بل ويلي إن لم يرحمنى ربى .
ويحي ! بأى شيء أستقبل ربى ؟

بلسانى أم ييدى أم بسمعى أم بقلبى أم ببصرى ، ففى كل هذا له الحجة
والطلبَةُ عندى ، فويل لى إن لم يرحمنى ربى .

كيف لا يشغلنى ذكر خطيبتى عما لا يعنينى ؟
ويحك يا نفس مالك تنسين ما لا يُنسى ؟

وقد أوتيت مالا يؤتى ، وكل ذلك عند ربى يُحصى ، فى كتاب لا يبىد ولا
يبلى .

ويحك لا تخافين أن تُجْزىَ فيمن يُجْزى ، يوم تجزى كل نفس بما تسعى ،
وقد آثرت ما يبنى على ما يبنى .

يا نفس ويحك ألا تستفيقين مما أنت فيه : إن سقمت تندمين ، وإن
صححت تأثمين ، مالك إن افتقرت تحزنين ، وإن استغنيت تُفتنين ، مالك إن
نشطت ترهدين فلم إن دُعيت تكسلين ؟ أراك ترغبين قبل أن تنصبي ، فلم
لا تنصين فيما ترغبين .

يا نفس ويحك ! لِمَ تُخالفين ؟ تقولين فى الدنيا قول الزاهدين وتعملين فيها
عمل الراغبين ، ويحك لم تكرهين الموت .

يا نفس ويحك ! أترجين أن تُرْضَىَ ولا تُراضين ، وتُجانبين وتَعْصين .
مالك إن سألت تُكثرين ، فلم إن أنفقت تقترين .

أتريدين الحياة ، تعظمين فى الرهبة حين تسألين ، وتقصرين فى الرغبة حين
تعملين ، تريدن الآخرة بغير عمل ، وتؤخرين التوبة لطول الأمل .

لا تكوفى كمن يقال هو فى القول مُدِلٌّ ويستصعب عليه الفعل .

ويح لنا ما أغرنا ، ويح لنا ما أغفلنا ، ويح لنا ما أجهلنا ، ويح لنا لآى
شء خلقنا ، أاللجنة أم للنار ، ويح لنا أى خطر خطرنا ، ويح لنا من أعمال قد
أخطرتنا ، ويح لنا مما يراد بنا ، ويح لنا كأنما يعنى غيرنا ، ويح لنا إن ختم على
أفواهنا ، وتكلمت أيدينا ، وشهدت أرجلنا ، ويح لنا حين تفتش سرائرنا ،
ويح لنا حين تشهد أجسادنا ، ويح لنا مما قصرنا ، لا براءة لنا ولا عذر عندنا ،
ويح لنا ما أطول أملنا ، ويح لنا حيث نمضى إلى خالقنا ، ويح لنا ولنا الويل
الطويل إن لم يرحمنا ربنا فارحمنا ياربنا .

رب ما أحكمك وأجبدك وأجودك وأرأفك وأرحمك وأعدلك وأقربك
وأقدرك وأقهرك وأوسعك وأفضاك وأبينك وأنورك وألطفك وأخبرك وأعلمك

وأشكرك وأحلمك وأحكّمك وأعطفك وأكرمك .

رب ما أرفع حجّتك وأكثر مدحتك ، رب ما أبين كتابك وأشدّ عقابك ،
رب ما أكرم مآبك وأحسن ثوابك ، رب ما أجزل عطاؤك وأجل ثناؤك ، رب
ما أحسن بلاءك وأسبغ نعماءك ، رب ما أعلى مكانك وأعظم سلطانتك ، رب
ما أمتن كيدك وما أغلب مكرك ، رب ما أعزّ ملكك ، وأتمّ أمرك ، رب
ما أعظم عرشك وأشدّ بطشك ، رب ما أوسع كريك وأهدى مهديك ، رب
ما أوسع رحمتك وأعرض جنتك ، رب ما أعزّ نصرّك وأقرب فتحك ، رب
ما أعمّر بلادك وأكثر عبادك ، رب ما أوسع رزقك وأزيد شكرك ، رب
ما أسرع فرجك وأحكّم صنعك ، رب ما ألطف خبرك وأقوى أمرك ، رب
ما أنور عفوك وأجل ذكرك ، رب ما أعدل حكمك ، وأصدق قولك ، رب
ما أوفى عهدك وأنجز وعدك ، رب ما أحضر نفعك وأتقن صنعك .

ويحي ! كيف أغفل ولا يغفل عني ، أم كيف تهنّئ معيشتي واليوم الثقيل
ورائي ؟ أم كيف لا يطول حزني ولا أدري ما يُفعل لي ، أم كيف تهنّئ الحياة
ولا أدري ما أجلي أم كيف تعظم فيها رغبتى والقليل منها يكفيني ، أم كيف آمن
ولا يدوم فيها حالي ... أم كيف يشدّ حبي لدار ليست بداري ؟ أم كيف أجمع
لها وفي غيرها قراري ؟

أم كيف يشدّ عليها حرصي ولا ينفعني ما تركت فيها بعدي ؟
أم كيف أوترها وقد أضرتّ بمن آثرها قبل .
أم كيف لا أبادر بعمل قبل أن يغلق باب توبتي .. أم كيف يشدّ إعجابي بما
يزايلني وينقطع عني .
أم كيف أغفل عن أمر حسابي وقد أظنني واقرب مني ؟ أم كيف أجعل شغلي
فيما قد تُكفّل به لي .

أم كيف أعاد ذنوبي وأنا معروض على عملي؟ أم كيف لا أعمل بطاعة ربي
وفيه المنجاة مما أحذر على نفسي .

أم كيف لا يكثر بكائي ولا أدرى ما يراد بي؟ أم كيف تفر عيني مع ذكر ما
سلف مني؟ أم كيف أعرض نفسي لما لا يقوى له هوائي؟
أم كيف لا يشتد هولي مما يشتد منه جزعي؟ أم كيف تطيب نفسي مع ذكر
ما هو أمامي؟

أم كيف يطول أمل الموت في أثرى؟ أم كيف لا أراقب ربي وقد أحسن
طلبي؟ ويحي فهل ضرت غفلي أحدًا سوائى .
أم هل يعمل لي غيري إن ضيعت حظي ..؟ أم هل يكون عملي إلا
لنفسى؟ فلم أدخر عن نفسي ما يكون نفعه لي؟.

ويحي كأنه قد تصرّم أجلى ثم أعاد ربي خلقي كما بداني؟ ثم أوقفني وسألني
وسأل عني وهو أعلم بي .. ثم أشهدت الأمر الذي أذهلني عن أحبائي وأهلي ،
وشغلت بنفسي عن غيري وبُدلت السموات والأرض وكاننا تطيعان وكنت
أعصى .

وسيرت الجبال وليس لها مثل خطيئتي ... وجمع الشمس والقمر وليس
عليهما مثل حسابي . وانكدرت النجوم وليست تطلب بما عندي .. وحشرت
الوحوش ولم تعمل بمثل عملي وشاب الوليد وهو أقل ذنبًا مني ..
ويحي ما أشد حالي وأعظم خطري فاعفر لي .

واجعل طاعتك همى ، وقوّ عليها جسدي ، وسخّ نفسي عن الدنيا ،
واشغلني بما ينفعني وبارك لي في قواها حتى ينقضي مني حالي .. وامنن عليّ
وارحمني حين تُعيد بعد اللقا خلقي ومن سوء الحساب فعافني يوم تبعثني
فتحاسبني ، ولا تعرض عني يوم تعرضني بما سلف من ظلمي وجرمي . وآمّني يوم
الفرع الأكبر يوم لا تهمني إلا نفسي ، وارزقني نفع عمل يوم لا ينفعني عمل
غيري .

إلهي أنت الذي خلقتني ، وفي الرحم صورتني ، ومن أصلاب المشركين
نقلتني ، قرناً فقرناً حتى أخرجتني في الأمة المرحومة فارحمني إلهي . فكما مننت
عليّ بالإسلام فامن عليّ بطاعتك وبترك معاصيك أبداً ما أبقيتني ، ولا تفضحني
بسرائري، ولا تخذلني بكثرة فضاحي .

سبحانك خالقي .. أنا الذي لم أزل لك عاصياً فمن أجل خطيئتي لا تقر
عيني ، وهلكت إن لم تعف عني . سبحانك خالقي بأى وجه ألقاك ، وبأى قدم
أقف بين يديك ، وبأى لسان أناطقك ، وبأى عين أنظر إليك ؟ وأنت قد
علمت سرائر أمري ، وكيف أعتذر إليك إذا ختمت على لساني ونطقت
جوارحي بكل الذي قد كان مني .

سبحانك خالقي .. فأنا تائب إليك .. فاقبل توبتي واستجب دعائي وارحم
شبابي ، وأقلني عثرتي ، وارحم طول عبرتي ، ولا تفضحني بالذي قد كان مني .
سبحانك خالقي .. أنت غياث المستغيثين ، وقرّة أعين العابدين ، وحبیب
قلوب الزاهدين ، فأليك مستغاثي ومنقطعي ، فارحم شبابي ، واقبل توبتي ،
واستجب دعوتي ، ولا تخذلني بالمعاصي التي كانت مني ، إلهي علمتني كتابك
الذي أنزلته على رسولك محمد ﷺ ثم وقعت على معاصيك وأنت تراني ، فمن
أشقى مني إذا عصيتك وأنت تراني ، وفي كتابك المتزل قد نهيتني ، إلهي أنا إن
ذكرت ذنوبي ومعاصيتي لم تقر عيني للذي كان مني فأنا تائب إليك فاقبل ذلك
مني ، ولا تجعلني لنار جهنم وقوداً بعد توحيدي وإيماني بك فاغفر لي ولوالدي
ولجميع المسلمين برحمتك آمين يارب العالمين^(١) .

(١) الخلية .

قالوا عن البكاء والمناجاة بالليل

- ابك على ظلام قلبك يضيء .
- ابسط في الدجى يد الطلب ، فأطيب ما أكل الرجل من كسب يده ،
وقل بلسان التملق
- أحببنا أنا ذاكُم العبد الذي راعيتموه ناشئاً ووليداً
حالت به الأحوال بعد فراقكم فرمى بأسرته وجاء فريداً
- إذا جلست في ظلام الليل بين يدي سيدك ، فاستعمل أخلاق الأطفال ،
فإن الطفل إذا طلب من أبيه شيئاً فلم يعطه بكى عليه .
- يا من نزلت به بليّة الطرد تروح إلى حديث المناجاة وإن لم تسمع منك ،
وابعث رسائل الأخران مع رياح الأسحار ولو لم تصل .
- أدلج القوم طول الليل في السرى ، وخافوا عوز الماء فتمّموا المزاد بالبكا
سلوا غير طرفي إن سألتهم عن الكرى
فما لجفون القنانتين مننام
- كان فتحي الموصلي يبكي الدموع ثم يبكي الدم ، فقيل له على ماذا بكيت
الدم؟ قال : « خوفاً على الدموع أن تكون ما صحت لي^(١) .
- والسعين لها دم ودمع سح ذا يكتب شجوه وهذا يمحو
- لا بد والله من قلق وحرقة ، إما في زاوية التعبد أو في هاوية الطرد ، فإمّا
أن تحرق قلبك بنار الندم على التقصير والشوق إلى لقاء الحبيب ، وإلّا فتار جهه
أشدّ حرّاً

(١) الدهش لابن الجوزي ص ٢٣٨ .

شجاك الفراق فما تصنع أتصبر للـلـين أم تجزعُ
إذا كنت تبكى وهم جيرة فكيف تكون إذا ودّعوا؟

• كان أحد العباد يصيح في جوف الليل : « قرّة عيني وسرور قلبي ما الذي أسقطني من عينك ، أقلت هذا فراق بيني وبينك » .

ما في الصحاب أخو وجد تطارحه حديث نجد ولا صبّ تجاربه
إليك عن كل قلب في أماكنه ساوٍ ، وعن كل دمع في مآقيه

• كان سرى يدافع أول الليل ، فإذا جن أخذ في البكاء إلى السحر .

• قال الإمام أحمد : « لقد رأيت قوماً صالحين ، رأيت عبد الله بن إدريس وعليه جبة من لبود قد أتت عليها سنون ، رأيت أبا داود الحفري وعليه جبة مخرقة قد خرج منها القطن وهو يصلي فيترجع من الجوع . ورأيت أيوب النجار وقد خرج من كل ما يملكه ، وكان في المسجد شاب مصفر يقال له العوفي يقوم من أول الليل إلى الصباح يبكي^(١) :

قد أكنت أطوى على الوجد الضلوع ولا أبدى الهوى وأسوم القلب كتماناً
فخانتني الصبر إذ ناديته ووقتُ لي الشئون^(٢) فعاد السر إعلاناً
أكتمُّ الوجد والعينان تظهره للحب أعظم مما رمته شاناً

• قال أبو عمران الجوني : أرتني أمي موضعاً من الدار قد انخر فقالت : هذا موضع دموع أبيك .

• المهجدون على شواطئ أنهار الدمع نزول ، فلو سرت عن هواك خطوات
لاحت لك الحيام

(١) الدهش لابن الجوزي ص ٣١٢ .

وصلوا إلى مولاهم وبقينا
فتجمعوا أهل القطيعة والجفا
كُنُفْرُ فَيْكَ السُّوْمُ
قالوا سهرت والعيون
وليس من جسمك إلا
وتنعموا بوصاله وشقينا
نبكى شهوراً قد مضت وسينا
فأين سمعى منهم
الساہرات نُومُ
جلدةً وأعظمُ

وما عليهم سهري
خُذْ أَنْتِ فِي شَأْنِكِ
ولا رقادى لهم
يادمعى وخلّ عنهم

• كان في خد عمر بن الخطاب خطان أسودان من البكاء ، وكان في وجه
ابن عباس كالشراكتين الباليين من الدمع :

أَلَا مَنْ لَعِينٍ مِنْ بَكَاهَا عَلَى الْحَمَى
وما كنت أدرى أن عيناً ركية
تجف ضروع المزن وهي حلوبُ
ولا أن ماء الماقيين شروب

• كان عطاء يبكى في غرفة له حتى تجرى دموعه في الميزاب ، فقطرت يوماً
إلى الطريق على بعض المارين فصاح : يا أهل الدار أماؤكم طاهر؟ فصاح
عطاء : اغسله فإنه دمع من عصى الله .

وقالوا لعطاء السلمى : ما تشهى ؟ قال : أشتهى أن أبكى حتى لا أقدر أن
أبكى .

• قالوا لثابت البناني : عالج عينك ولا تبكى . فقال أى خير في عين
لا تبكى :

بقلي منهم علق
وبى من حيم حرق
وما تركوا سوى رمى
ودمع قهيم علق
لها الأحشاء تحرق
فليتيم له رمقوا

• يا عجباً من خلّي يعذل ذا شجى ، ويحك خل شانه وشانه :
 فيا حبيهم زدنى جوى كل ليلة وياسلوة الأيام موعدك الحشر
 • سهر القوم يقع ضرورة ، لأن القلق مانع من النوم ، وليس لهم فى تلك
 الشدائد إلا جريان الدموع :

بلانى الحب فىك بما بلانى فشانى أن تفيض غروب شانى
 أبىة الليل مرتفقاً أناجى بصدق الوجد كاذبة الأمانى
 فتشهد لى على الأرق الثرىا ويعلم ماأجنّ الفرقدان
 فىا ولع العواذل خلّ عنى وياكف الغرام خذى عنانى
 • إن الذنب لا يغسل إلا بدمع ، وإنه لقلب رقيق قلب الفقيه الزاهد أبى

سهل الصعلوكى يظهر تأنيه لنفسه :

انام على سهو وتبكى الحائم وليس لها جرم ومنى الجرائم
 كذبت لعمرو الله لو كنت عاقلاً لما سبقتنى بالبكاء الحائم^(١)

• كيف لا تذهب العيون البكاء ؟ وما تدرى ما قد أعدّ لها :

أحليف النّوم أقلّ اللّوم فعندى اليوم بهم شغل

• لله در قوم ألقهم الخوف والفرق ، أطافت بقلوبهم الحرق ، يا نورهم إذا
 جنّ الغسق ، يا حسن دمعهم محققاً بالحدق ، كتبت عذرها فى الخدّ لا فى
 الورق ، دابت أجسامهم فلم يبق إلا رمق .

(١) الرقائق لمحمد أحمد الراشد نقلًا عن طبقات الشافعية ١٧١/٣ .

لورآيتهم يتشبثون بذيل الظلام ويأنسون بنوح الحمام ، وغاية لذاتهم الخلوات:

حمام الأراك ألا فـاخبرينا
فقد سقتِ وبحك نوح القلوب
تعالِ نغم مائماً للفرق
ونسعدك بالنوح كى تسعدى
بِمنِّ تهتفين ومن تندبينا
وأذريتِ بحك دمعاً معيناً
ونندب إخواننا الظاعنين
كذلك الحزينُ يواسى الحزيناً
نعم يا أخى :

وذو الشوق القديم وإن تعزى
مشوق حين يلقى العاشقين
نعم:

كلُّ كنى عن شوقه بلغاته
ولربما أبكى الفصيح الأعجمُ
• كان محمد بن واسع إذا جنّ عليه الليل يبكى ويقول فى بكائه « ويلي من
ذنوب قد أحصيت ، ومن صحيفة قد ملئت ، وربى قد علم ذلك ولم يخف عليه
من ذلك شيء : (١)

مَنْ كان يخشى الله جل جلاله
فلعلّه بعد التذكر والبكا
وتخفف الأوزار عن منشوره
يوم الحساب وموقف الحسرات (٢)
• جالس البكائين يتعدّ إليك حزنهم . يا مَنْ يشاهد ما يجرى على الخائفين ولا
يتزعج ، أقل الأقسام أن يبكى رحمة لهم .

(١) بستان الواعظين ورياض السامعين لابن الجوزى ص ١٧٥ تحقيق د . السيد الجميل طبع دار
الكتاب العربى .

(٢) بستان الواعظين ورياض السامعين ص ١١٧ .

لا راحة للمحب في الدنيا : إن أحسن الحجاب بكى على البعد ، وإن فتح له باب القرب خاف الطرد:

فبكي إن نأوا شوقاً إليهم وبكى إن دنوا خوف الفراق
● كم بيننا وبين الصالحين ، لا نحن إليهم ، ولا هم إلينا إلا إن كانت الثريا بالأيدى تُرام .. إلى ليلنا ونومنا يشكو ليهم عتاباً على تقصيرنا وجدهم .

شكونا إلى أحبائنا طول ليلنا فقالوا لنا ما أقصر النوم عندنا
وذلك لأنَّ النوم يغشى عيونهم سريعاً ولا يغشى لنا النوم أعينا
● كان مالك بن دينار قد اسودَّ طريق الدمع في خده :

وَمَنْ لَبَّهَ مَعَ غَيْرِهِ كَيْفَ حَالِهِ وَمَنْ سَرَّهُ فِي جَفْنِهِ كَيْفَ يَكْتُمُ^(١)

● كان داود عليه السلام يؤتى بالإبناء ناقصاً فلا يشره حتى يتمه بدموعه:

يَاسَاقِي الْقَوْمِ إِنْ دَارَتْ إِلَيَّ فَلَا تَمْرَجْ فَإِنِّي بَدْمَعِي مَازَجَ كَاسِي^(٢)

● بكى أبو الشعثاء رحمه الله عند موته فقيل له ما يبكيك ، فقال : لم أشتف من قيام الليل^(٣) .

● وبكى يزيد الرقاشي فقيل له ما يبكيك ، فقال أبكي على ما يفوتني من

قيام الليل وصيام النهار ثم جعل يقول : يا يزيد مَنْ يَصَلِّي لَكَ ، وَمَنْ يَصُومُ عَنْكَ ؟ ، ومن يتقرب إلى الله عز وجل بالأعمال الصالحة^(٤) .

● القى نفسك في الدجى على باب الذل وقل « الهى كم لك سواى ؟ ومالى

(١) للطف في الوعظ لابن الجوزى ص ٦٧ .

(٢) للطف في الوعظ لابن الجوزى ص ٦٧ .

(٣) كتاب عقود اللؤلؤ والمرجان في وظائف شهر رمضان للشيخ إبراهيم بن عبيد آل عبد المحسن . دار

نبة للطباعة .

سواك . عبيدك سوى كثير وليس لى سيد سواك فبفقرى إليك وغناك عنى ،
بقوتك وضعفى ، بعزك وذلى إلا رحمتنى وعفوت عنى ، هذه ناصيتى الكاذبة
الخاطئة بين يديك .. أسألك مسألة المسكين وأبتل إليك ابتهال الخاضع
الدليل ، وأدعوك دعاء الخائف الضرير ، سؤال من خضعت لك رقبته ورغم
لك أنفه ، وفاضت لك عينه ، وذلل لك قلبه .»

« إلهى .. تمّ نورك فهديت ، فلك الحمد ، عظم حلمك ، فغفرت فلك
الحمد ، بسطت يدك فأعطيت فلك الحمد ، ربنا وجهك أكرم الوجوه ،
وجاهك أعظم الجاه ، وعطيتك أفضل العطية وأهناها ، تُطاع ربنا فتشكر ،
وتُعصى فتغفر ، وتجب المضطر ، وتكشف الضر ، وتشفى السقم ، وتغفر
الذنب ، وتقبل التوبة ، ولا يُجزى بالآثك أحد ، ولا يبلغ مدحتك قول قائل .
يا حسن التجاوز ، يا من أظهر الجميل ، وستر القبيح ، يا من لا يؤاخذ
بالجريرة ، ولا يهتك السر ، يا واسع المغفرة ، يا باسط اليدين بالرحمة ،
يا صاحب كل نجوى ، يا منتهى كل شكوى ، يا كريم الصّبح ، يا عظيم المنّ ،
يا مبتدئا بالنعم قبل استحقاقها ، يا ربنا ويا سيدنا ويا مولانا ويا غاية رغبتنا ،
أسألك يا الله أن لا تشوى وجهى بالنار .»

« اللهم أنت أحق من ذكر ، وأحق من عبد ، وأعظم من ابتهى ، وأرأف
من ملك وأجود من سئل ، وأوسع من أعطى ، أنت الملك لا شريك لك ،
والفرد لا ند لك ، كل شيء هالك إلا وجهك ، لن تُطاع إلا بإذنك ، ولن
تُعصى إلا بعلمك ، تُطاع فتشكر ، وتعصى فتغفر ، أقرب شهيد ، وأدنى
حفيظ ، حُلت دون النفوس ، وأخذت بالنواصي ، وكبت الآثار ، ونسخت
الآجال ، القلوب لك مفضية ، والسر عندك علانية ، الحلال ما أحللت
والحرام ما حرمت ، والدين ما شرعت ، والأمر ما قضيت ، الخلق خلقك ،
والعبد عبدك وأنت الرؤوف الرحيم .»

« إلهي وَفَرُّ حَظِّي مِنْ خَيْرِ تُنَزِّلُهُ ، أَوْ إِحْسَانَ تُفْضِلُهُ ، أَوْ بَرًّا تُنْشِرُهُ ، أَوْ رِزْقًا تُبْسِطُهُ ، أَوْ ذَنْبًا تُغْفِرُهُ ، أَوْ خَطَاةً تُسْتَرُّهُ ، يَا إِلَهِي يَا مَنْ بِيَدِهِ نَاصِيَتِي ، يَا عَلِيمَ بَضْرِي وَمَسْكَتِي ، يَا خَبِيرًا بِفَقْرِي وَفَاقَتِي ، يَا رَبَّ أَسْأَلُكَ بِحَقِّكَ وَقُدْسِكَ ، وَأَعْظَمَ صِفَاتِكَ وَأَسْمَائِكَ أَنْ تَجْعَلَ أَوْقَاتِي بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ بِذِكْرِكَ مَعْمُورَةً ، وَبِحُدُومَتِكَ مَوْصُولَةً ، وَأَعْمَالِي عِنْدَكَ مَقْبُولَةً ، يَا مَنْ عَلَيْهِ مُعْوَلِي ، يَا مَنْ إِلَيْهِ شَكْوَتُ أَحْوَالِي ، قَوِّ عَلَى خِدْمَتِكَ جَوَارِحِي ، وَأَشَدِّدْ عَلَى الْعَزِيمَةِ جَوَانِحِي ، وَهَبْ لِي الْجِدَّ فِي خَشْيَتِكَ ، وَالِدَوَامَ عَلَى الْإِتِّصَالِ فِي خِدْمَتِكَ ، حَتَّى أَخَافَكَ مَخَافَةَ الْمُوقِنِينَ ، وَأَجْتَمِعَ فِي جِوَارِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ » .

« اللهم لا تحرمني خيرا ما عندك بسوء ما عندي »

« إلهي أنا الذي كلما طال عمري زادت ذنوبي ، أنا الذي كلما هممت بترك

خطيئة عرضت لي أخرى

واذنوباه ! خطيئة لم تبيل ، وصاحبها في أخرى

واذنوباه ! إن كانت النار لي مقبلاً ومأوى

واذنوباه ! إن كانت المقامع لرأس تهباً^(١)

لبست ثوب الرجا والناس قد رقدوا	وقت أشكو إلى مولاي ما أجد
وقلت : يا عدتي في كل نائبة	ومنَّ عليه لكشف الضر أعتدُّ
وقد مددت يدي والضرُّ مشتمل	إليك يا خير من مدَّتْ إليه يدُ
فلا تردنَّها ياربُّ خائبسة	فبحر جودك يَروى كل من يرد ^(٢)
إليك وإلا لا تُشدُّ الركائب	ومنك وإلا فالمؤمِّلُ خائب
وفيك وإلا فالغرام مضيعٌ	وعنك وإلا فالحدث كاذب

(١) النصيحة في الأذكار والأدعية الصحيحة للشيخ محمد إسماعيل من ص ٩٨ إلى ص ١٠٩ « مختارات »

(٢) النصيحة في الأذكار والأدعية الصحيحة للشيخ محمد إسماعيل ص ١١٠ .

(٣) النصيحة في الأذكار والأدعية الصحيحة للشيخ محمد إسماعيل ص ١١١ .

يقول إقبال :

نائح والليل ساج سادل يهجع الناس ودمعى هاطل (١)
هذه الجفون الموطّئات على السهد لله والتي تجود بدمع كالوابل الهطل
ما أحلاها من جفون :

لله أجفان عين فيك ساهرة * * * شوقاً إليك وقلب بالغرام شج
أرواحهم خشعت لله في أدب قلوبهم من جلال الله في وجل
نجاهم : ربنا : جشاك طاعة نفوسنا ، وعصينا خادع الأمل
إذا سجي الليل قاموه وأعينهم من خشية الله مثل الجائد الهطل
هم الرجال فلا يلهم لعب عن الصلاة ، ولا أكذوبة الكسل (٢)

لله ما أحلى أصوات المهجدين وهي تدعو بأفضل الدعاء من الأدعية القرآنية -
وما أكثرها - ثم الأدعية النبوية ثم ما ورد عن صالحى هذه الأمة فاحرص يا أخى أن
تكون مع هذه الرفقة وناج مولاك وامدحه بما هو أهل له فى دجى الليل

إلهى ثكلت خواطر أنست بغيرك ... عدمت قلباً يحب سواك

رباه ، عفوك إني للنور مُدت يدايا

أبكى وأبكى ويبكى دمعى ويبكى بكايا

وحفنة من دعاء غرفسه من دمايا

ولا لــــغفرك دوى يارب يوماً ندايا

إليك أنت صباحى مصفداً فى مسايا

فاسكب ضياءك إني ظمان ضل صدايا (٣)

(١) الأسرار والرموز ديوان لمحمد إقبال .

(٢) رقائق ص ١٧ .

(٣) قاب قوسين ديوان شعر لمحمود حسن إسماعيل

لم أدر من أى نبع أسقى حين الركابيا
والشط لا ماء فيه يطفى اللظى فى حشايا
رحمك يارب هذا إثمى وهذى تقايا
وذاك درى وهذى على الطريق عصايا
رحمك يارب إني وزورقى والخطايا
فى لجة .. ليس فيها م من الضياء بقايا
جفت وغاضت .. ولكن مازلت أزجى رجايا
غفرت أم لم فإني مازلت أدعوك يايا

يارب

• « اللهم نور ديانا

اللهم نور ديانا بنور من توفيقك ، واقطع أيماننا فى الاتصال بك ، وانظم
شئنا فى سلك طاعتك ، عجباً لمن عرفك ثم أحب غيرك ، ولن سمع مناديك ثم
تأخر عنك إلهى لا تعذب نفساً قد عذبها الخوف منك .

ولا تحرس لساناً كل ما يروى عنك

ولا تقذ بصراً طالما يبكى لك

ولا تحب رجاء هو منوط بك

إلهى ، ضع فى ضعفى قوة منك ، ودع فى كفى كفى عن غيرك ،

ارحم عبرة تترقق على ما فاتها منك

برء كبداً تحترق على بعدها عنك « يا أرحم الراحمين .

• ونحتم فصلنا هذا بمناجاة وتذلل وتسبيح لزين العابدين على بن الحسين

رحمته الله ^(١) :

(١) انظر زين العابدين للشيخ عبد الحليم محمود ص ١٣٣ ، ١٣٤ دار الإسلام - القاهرة .

« رب أفحمتنى ذنوبى ، وانقطعت مقاتلى فلا حجة لى ، فأنا الأسير بيليتى ،
المرتهن بعملى ، المتردد فى خطيئتى ، المتحير عن قصدي ، المنقطع بى . قد
أوقفت نفسى موقف الأشقياء المخترئين عليك ، المستخفين بوعدك .

سبحانك ، أى جرأة اجترأت عليك ، وأى تغرير غررت بنفسى ، مولأى
ارحم كبونى لخر وجهى وزلة قدمى ، وعد بلمك على جهلى ، وبإحسانك على
إساءتى ، فأنا المقر بذنبى ، المعترف بخطيئتى ، وهذه يدى وناصيتى : أستكين
بالقود من نفسى .

ارحم شيبتى ونفاد أيامى واقتراب أجلى ، وضعفى ومسكنتى ، وقلة حيلتى .
مولأى وارحمى إذا انقطع من الدنيا أثرى ، وانمحي من المخلوقين ذكرى
وكنت فى المنسين كمن قد نسى . مولأى وارحمى عند تغير صورتى وحالى ، إذا
بلى جسمى وتفرقت أعضائى وتقطعت أوصالى .

يا غفلتى عما يراد بى ، مولأى وارحمى فى حشرى ونشرى ، واجعل فى
ذلك اليوم من أوليائك موقى . وفى أحباتك مصدرى ، وفى جوارك مسكنى
يارب العالمين . سبحانك الله وحنانيك ، سبحانك اللهم وتعاليت : سبحانك
اللهم والعز إزارك ، سبحانك اللهم والعظمة رداؤك ، سبحانك اللهم والكبرياء
سلطانك ، سبحانك من عظيم ما أعظمك ، سبحانك سبحت فى الملاء الأعلى ،
تسمع وترى ما تحت الثرى .

سبحانك أنت شاهد كل نجوى ، سبحانك موضع كل شكوى ، سبحانك
حاضر كل ملاء ، سبحانك عظيم الرجاء ، سبحانك ترى ما فى قعر الماء ،
سبحانك تسمع أنفاس الحيتان فى قعور البحار ، سبحانك تعلم وزن السموات
سبحانك تعلم وزن الأرضين ، سبحانك تعلم وزن الشمس والقمر ، سبحانك

تعلم وزن الظلمة والنور ، سبحانك تعلم وزن الفىء والهواء ، سبحانك تعلم وزن
الريح كم هي من مثقال ذرة ، سبحانك قدوس ، قدوس .
سبحانك عجباً من عرفك كيف لا يخافك ، سبحانك اللهم وبمحمدك
سبحان العلى العظيم .

كم دمعاً سُفِحَتْ في الليل ساريةً
وكم تردّدَ في جنبى تعليلُ
وكم تنفسُ صبحٍ ماتسأته
إلا إبتهاً إلى الرحمن متبول
ومانداه سوى دمع أكفكفه
يارب علّ دعائى منك مقبول
خفق القلوب دعاء أنت تسمعه
وللجوارح تسبيح وتهليلُ

أهل الليل القرآن

«مزامير أنس ، في مقاصير قدس ، بألحان توحيد ، في رياض تمجيد ، بشدو
المثاني في تلك المعاني المؤدية بأهلها إلى النعيم الدائم في مقعد صدق عند ملك
مقتدر. هذا طعم الخبر فكيف طعم النظر».

والليل تملو به اللقيا وإن قصرت
ساعاتها ما أجلاها وأحلاه !!
فنوره يجعل الليل البهيم ضحى
فما أجل وما أجلى مُحَيَّاه^(١)

(١) رسالة شوق وحنين من ديوان نفحات ولفحات للقرضاوى ص ١٠٠

جعل الله عز وجل نزول القرآن نعمة لا تحصى فقال تعالى ﴿أولم يكفهم
أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم
يؤمنون﴾ (١)

• وقال تعالى ﴿وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب
ومهيماً عليه﴾ (٢)

قال ابن عباس : المهيمن : الأمين ، القرآن أمين على كل كتاب قبله .

• وقال تعالى : ﴿قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير
مما يجمعون﴾

قال ابن عباس : فضل الله الإسلام ، ورحمته : أن جعلكم من أهل
القرآن .

وسماه مولانا عز وجل شفاء فقال تعالى : ﴿وننزل من القرآن ما هو شفاء
ورحمة﴾ وسماه نوراً لتوقف الهداية عليه ﴿قد جاءكم من الله نورٌ وكتاب
مبين﴾

• وقال تعالى ﴿وهذا ذكر مبارك أنزلناه﴾

وقال تعالى ﴿لقد أنزلنا إليكم كتاباً فيه ذكركم﴾ أى شرفكم وما تُدكرون

به .

وسماه روحاً لتوقف الحياة الحقيقية عليه ، وهى حياة القلب فقال تعالى :
﴿وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ،
ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا﴾

(١) العنكبوت آية ٥١ .

(٢) المائدة آية ٥١ .

• وهو أحسن الحديث قال تعالى ﴿الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاقيقشع منه جلود الذين يخشون ربهم﴾ . ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله . ذلك هدى الله يهدى به من يشاء . ومن يضل الله فما له من هاد ﴿^(١) .

• وقال تعالى : ﴿لم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل : فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون﴾ ^(٢) .

• وقال تعالى : ﴿لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأته خاشعاً متصدعاً من خشية الله﴾ وقال تعالى في حق الذين أوتوا العلم : ﴿إذا بتلى عليهم يخرون للأذقان سجداً﴾ . وقال تعالى : ﴿ويخرون للأذقان يكونون وبزيدهم خشوعاً﴾ .

وبين القرآن ورجال الليل والليل أوتق العرى إلى يوم القيامة ، كيف لا وما بدأ نزول القرآن وإشراقه النور إلا في ليلة من الليالي .

ولنعلم قدر هذه الصلة يكفينا حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : « كان النبي ﷺ أجود الناس بالخير ، وأجود ما يكون في شهر رمضان ، لأن جبريل كان يلقاه في كل ليلة في شهر رمضان حتى ينسلخ ، يعرض عليه رسول الله ﷺ القرآن ، فإذا لقيه جبريل كان أجود بالخير من الريح المرسلة » ^(٣) . وفي الحديث كما قال الحافظ ابن حجر أن ليل رمضان أفضل من نهاره ، وأن المقصود من التلاوة الحضور والفهم لأن الليل مظنة ذلك لما في النهار من الشواغل والعوارض .

ولقد أمر الله سبحانه وتعالى نبيه بالتلاوة فقال تعالى ﴿وأمرت أن أكون من

(١) الزمراية ٢٣ .

(٢) الحديد آية ١٦ .

(٣) أخرجه البخاري كتاب فضائل القرآن باب « كان جبريل يعرض القرآن على النبي ﷺ ج ٩ ص ٤٣ .

المسلمين . وأن أتلو القرآن ﴿ وخاصة بالليل قال تعالى : ﴿ أو زد عليه ورتل القرآن ترتيباً ﴾ .

والأحاديث كثيرة في فضل تلاوة القرآن وتعليمه (١) .

• عن عثمان رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « خيركم من تعلم القرآن وعلمه » وعن عائشة (٢) قالت : قال رسول الله ﷺ : « الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة ، والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران » (٣) .

• وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال رسول الله ﷺ « إن الله يرفع بهذا الكلام أقواماً ويضع به آخرين » (٤) .

• وعن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ : « يقال لصاحب القرآن : اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا ، فإن منزلك عند آخر آية تقرؤها » (٥) .

• وعن ابن مسعود قال قال رسول الله ﷺ « من سره أن يحب الله ورسوله فلينظر في المصحف » (٦) .

• وعن عثمان بن عفان : « لو طهرت قلوبكم ما شبعتم من كلام ربكم » . وقال خباب بن الأرت : « يا هَتَّاهُ : تقرب إلى الله ما استطعت ، فإنك لن تقرب إلى الله بشيء أحب إليه من كلامه » (٧) .

(١) سفرد للقرآن كتيباً خاصاً من جمعنا إن مد الله في العمر .

(٢) رواه البخارى .

(٣) متفق عليه .

(٤) رواه مسلم .

(٥) حسن : أخرجه أحمد والترمذى وأبو داود والنسائى وصححه ابن حبان والحاكم وواقفه الذهبى وحسنه الألبانى فى المشكاة رقم (٢١٣٤) والأرناؤوط فى التعليق على شرح السنة ج ٤ ص ٤٣٥ .

(٦) حسن : أخرجه أبو نعيم فى الحلية والبيهقى فى شعب الإيمان ، وابن شاهين وابن عدى . وقال ابن رجب « الموقوف أصح » وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع رقم (٦١٦٥) .

(٧) خاطب نفسه أى يا هذه ، تفتح النون فيه وتسكن وتضم الهاء الأخيرة وتسكن وقيل معناها : يابلها .

وقال ابن مسعود : من أحب القرآن أحب الله ورسوله .

- وعن ابن عباس رضى الله عنه : ضمن الله لمن قرأ القرآن واتبع ما فيه هداه الله من الضلالة ووقاه سوء الحساب ، ذلك بأن الله يقول ﴿ فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى : ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكاً ﴾ .
- وقال إسماعيل بن أبى خالد : « وهدوا إلى الطيب من القول » القرآن .. ، « وهدوا إلى صراط الحميد » : الإسلام .
- وقال قتادة : « لم يجالس هذا القرآن أحد إلا قام بزيادة أو نقصان ، قضاء الله الذى قضى شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خساراً » .
- وعن « مطرف » فى قوله تعالى : ﴿ إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية يرجون تجارة لن تبور ﴾ قال هذه آية القراء .

- وعن عبد الله بن عمير : كان يقال أنقى الناس عقولاً قراء القرآن .
- وقال كعب : « عليكم بالقرآن فإنه فهم العقل ونور الحكمة وأحدث الكتب بالرحمن » .

- وقال جنذب : [أوصيكم بتقوى الله ، وأوصيكم بالقرآن فإنه نور الليل المظلم ، وهدى النهار فاعملوا به على ما كان فيكم من جهد وفلاحة] أ . هـ من قيام الليل للمروزي .

- وقال أحد الصالحين لتلميذه : أتخفظ القرآن ؟ قال : لا . قال : واغوثاه بالله لمريد لا يحفظ القرآن فبم يتنعم ، فبم يترنم ؟ فبم يناجى مولاه ؟
- وقال أحمد بن أبى الحوارى : سمعت ابن عيينة يقول : « لا تبلغون ذرورة هذا الأمر حتى لا يكون شىء أحب إليكم من الله عز وجل ، فمن أحب القرآن فقد أحب الله عز وجل » (١) .

(١) استنشاق نسيم الأنس لابن رجب ص ٤٠ .

ولله در القائل في علامة المحب لله :

ومن الدلائل أن يُرى متفهمًا لكلام مَنْ يحظى لديه السائل

وقال ذو النون : الأنس بالله العلم والقرآن^(١) .

● ومن كلام الفضيل بن عياض : « كفى بالله محبًا ، وبالقرآن مؤنسًا ،
وبالموت واعظًا ، اتخذ الله صاحبًا ، ودع الناس جانبًا » وقال « من لم يستأنس
بالقرآن فلا أنس الله وحشته »^(٢) .

● وقال زين القرآن محمد بن واسع : « القرآن بستان العارفين ، فأينما حلوا
منه حلوا في نزهة »^(٣) .

● ودموع العين جواب عند تلاوة القرآن .. قال علي رضي الله عنه في وصف
الصحابة « كانوا إذا ذكروا الله مادوا كما تميد الشجرة في اليوم الشديد الريح وجرت
دموعهم على خدودهم » .

● وقال زهير الباني : « إن لله عبادًا ذكروه فخرجت نفوسهم إعظامًا
واشتياقًا ، وقوم ذكروه فوجلت قلوبهم فرقًا وهيبة ، فلو حرقوا بالنار لم يجدوا
مسّ النار ، وآخرون ذكروه في الشتاء فارتضوا عرقًا من خوفه ، وقوم ذكروه
فحالت ألوانهم غيرًا ، وقوم ذكروه فجفت أعينهم سهراً^(٤) .

● وقال الله تعالى : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ
تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾^(٥) .

وفي الأثر « وينبئون إلى الذكر كما تنبئ النور إلى وكورها » .

وقال ابن عمر : أخبرني أهل الكتب أن هذه الأمة تحب الذكر كما تحب

(١) استنشق نسيم الأنس ص ٤٩ .

(٢) استنشق نسيم الأنس ص ٥٠ .

(٣) الخلية ج ٢ ص ٣٤٧ .

(٤) جامع العلوم والحكم ص ٣١٨ ، ٣١٩ طبعة دار عمر بن الخطاب .

(٥) الرعد الآية ٢٨ .

الحمامة وكرها . ولهم أسرع إلى ذكر الله من الإبل إلى وزودها يوم ظمئها» (١) .
• قال ذو النون : ما طابت الدنيا إلا بذكره .

وأشرف الذكر وأعلاه القرآن .

« والمحب لله طائر القلب كثير الذكر متسبب إلى رضوانه بكل سبيل يقدر عليه من الوسائل والنوافل دأباً وشوقاً
وكن لربك ذا حب لتخدمه إن المحبين للأحباب خدامٌ (٢)

• قال مالك بن دينار : « ما تنعم المتنعمون بمثل ذكر الله » (٣) . وصدق
رحمه الله ، والله در القائل :

لها أحاديث من ذكراك تشغلها عن الطعام وتلهيها عن الزاد
وكان رحمه الله يقول : « يا حملة القرآن ماذا غرس القرآن في قلوبكم ،
فإن القرآن ربيع المؤمن كما أن الغيث ربيع الأرض ، وقد ينزل الغيث من السماء
إلى الأرض فيصيب الحش فيكون فيه الحبة فلا يمنعها نثر موضعها أن تهترز
وتختصر وتحسن ، فيا حملة القرآن ماذا زرع القرآن في قلوبكم ، أين أصحاب
سورة ، أين أصحاب سورتين ، ماذا عملتم فيها » (٤) .

وقال أيضاً رحمه الله : إن الصديقين إذا قرئ عليهم القرآن طربت قلوبهم
إلى الآخرة ، ثم يقرأ ، اسمعوا ما يقول الصادق من فوق عرشه (٥) .

ولتلك الخاصية والصلة بين الليل والقرآن ، يكثر في السنة الاهتمام بالتلاوة
ليلاً وفضلها ، ويكفيك أن السكينة والملائكة تنزل بالقراءة ليلاً كما مرّ في
الحديث ، وهاك مجموعة من الأحاديث لنستشعر تلك الصلة : -

(١) ، (٢) جامع العلوم والحكم ص ٣١٨ ، ٣١٩ .

(٣) ، (٤) ، (٥) صفة الصفوة ج ٣ ص ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٢٨٦ .

قال رسول الله ﷺ « من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه »^(١) كفتاه من قيام الليل أو من الجن والشياطين ، فما بالك لو جمع مع هاتين الآيتين التهجد .

• عن عقبه بن عامر قال : قال رسول الله ﷺ : « اقرؤوا هاتين الآيتين في أواخر سورة البقرة فإن ربى أعطانيهما من تحت العرش »^(٢) .

• وعن البراء « كان رجل يقرأ سورة الكهف وإلى جانبه حصان مربوط بشطين فغشسته سحابة فجعلت تدنو وتدنو ، وجعل فرسه ينفر ، فلما أصبح أتى النبي ﷺ فذكر ذلك له فقال : تلك السكينة تنزلت بالقرآن »^(٣) .
وقال رسول الله ﷺ لعمر وكان يسير معه ليلاً :

« لقد أنزلت على الليلة سورة هي أحب إلي مما طلعت عليه الشمس ثم قرأ ﴿إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً﴾ »^(٤) .

• عن عقبه بن عامر قال : قال رسول الله ﷺ : « ألم تر آيات أنزلت الليلة لم ير مثلهن قط ﴿قل أعوذ برب الفلق﴾ ، و﴿قل أعوذ برب الناس﴾ »^(٥) .
أفلا ترى رحمك الله ترداد كلمة ليلة .. من قرأ في ليلة ، أنزلت الليلة ، ألا يدعو هذا رجال الليل أن يكثروا من القرآن دواء أشجانهم ، وقد علموا قول رسولهم ﷺ « من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة ، والحسنة بعشر أمثالها ،

(١) أخرجه البخارى ومسلم وأصحاب السنن الأربعة عن ابن مسعود ، وأيضاً أحمد في مسنده ، والدارمى .

(٢) صحيح : رواه أحمد في مسنده والطبرانى في الكبير وابن نصر وصححه الألبانى في صحيح الجامع رقم (١١٨٣) .

(٣) متفق عليه .

(٤) جزء من حديث عند البخارى باب فضل سورة الفتح .

(٥) رواه مسلم .

لا أقول : ﴿ آلم ﴾ حرف . ألف حرف ولام حرف وميم حرف «^(١)» .
 • وقال رسول الله ﷺ « ما أذن الله لشيء ما أذن للنبي أن يتغنى بالقرآن »^(٢) وهو سماع النبيين ألا تسمع قول رسول الله ﷺ لابن مسعود « إني أشتهى أن أستمعه من غيري » .

• قال الله تعالى عن القرآن وأثره على القلوب الصادقة ﴿ فتخبت له قلوبهم ﴾ .

وهل حرك أشجان المهجدين وهيج بلابل أحزانهم سوى سماع القرآن ليلاً . وكيف لا يدمنون تلاوة القرآن والقيام وهم يسمعون قول النبي ﷺ ودعاؤه لصحابي متهجد ، فعن عائشة رضي الله عنها قالت : « سمع رسول الله ﷺ رجلاً يقرأ في سورة بالليل فقال : « يرحمه الله لقد أذكرني آية كذا وكذا كنت أنسيتها من سورة كذا وكذا »^(٣) .

• أما عليم أهل التهجد بشغف رسول الله ﷺ وأمهات المؤمنين رضي الله عنهن بسماع القرآن من أبي موسى الأشعري ، قال رسول الله ﷺ « لو رأيتني وأنا أستمع لقراءتك البارحة لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل داود »^(٤) وذلك حين مرّ رسول الله ﷺ وعائشة عليه وهو يقرأ في بيته فقاما يستمعان لقراءته ، فقال أبو موسى « أما أني لو علمت بمكانك لحبّرتك لك تحبيراً » .
 وعن أنس أن أبا موسى قام ليلة فسمع أزواج النبي ﷺ صوته وكان حلو

(١) رواه الترمذى والدارمى وقال الترمذى حديث حسن صحيح ، غريب إسناداً وقال الألبانى صحيح انظر المشكاة رقم ٢١٣٧ .

(٢) متفق عليه .

(٣) البخارى باب نسيان القرآن ج ٩ ص ٨٥ .

(٤) رواه مسلم .

الصوت فقمّن يستمعن فلما أصبح قيل له فقال : لو علمت لحبّرته خنّ
تخييراً»^(١).

وكيف لا يترنّم المهجدون بالقرآن وهم يسمعون قول نبيهم ﷺ « حسنوا
القرآن بأصواتكم ، فإن الصوت الحسن يزيد القرآن حسناً »^(٢) .
وعن طاوس مرسلًا قال سُئل النبي ﷺ « أى الناس أحسن صوتًا بالقرآن ؟
وأحسن قراءة ؟ » قال « من إذا سمعته يقرأ أريت أنه يخشى الله » قال طاوس :
وكان طلق كذلك^(٣) .

فانظر رحمك الله إلى قول المهجدين عن القرآن :
قال أبو سليمان الداراني : « ربما أفتت في الآية الواحدة خمس ليالٍ ولولا
أنى أدع الفكر فيها ما جُزّتها أبدًا ، ولربما جاءت الآية من القرآن تطير العقل
فسبحان الذى ردّه إليهم »^(٤) .

● وقيل لرجل لِمَ لا تنام ؟ قال : إن عجائب القرآن قد أطرنّ نومى .
● وقال أحمد بن أبي الحوارى : « إني لأقرأ القرآن فأنظر فيه آية آية فيحار
عقلى فيها فأعجب من حفاظ القرآن كيف يهنيهم النوم ويسعهم أن يشتغلوا بشيء
من الدنيا وهم يتلون كلام الرحمن ؟ ! أما لو فهموا ما يتلون وعرفوا حقه ،
وتلذذوا به ، واستحلوا المناجاة به لذهب عنهم النوم فرحًا بما رزقوا »^(٥) .
يرحم الله سلفنا الصالح لقد قرأوا القرآن على أنه رسائل من ربهم فقدروا
حق قدره ، وقدروا المرسل ، أما نحن فمِمَّن يعاتبنا القرآن وقلوبنا غافلة .

(١) لفظ ابن سعد ، والإسناد على شرط مسلم كما قال الحافظ فى الفتح ج ٩ ص ٩٣ ، ٩٤ .
(٢) رواه الدارمى عن البراء بن عازب وقال الألبانى إسناداه صحيح ، انظر المشكاة حديث رقم ٢٢٠٨ .
(٣) حديث صحيح لطرفة رواه الدارمى وصححه الألبانى فى المشكاة حديث رقم ٢٢٠٩ .
(٤) صفة الصفوة ج ٤ ص ٢٣٢ .
(٥) صفة الصفوة ج ٤ ص ٢٣٨ .

قال الفضيل بن عياض : « ما ثمّ مصيبة أعظم من مصيبتنا يتلو أحدنا القرآن ليلاً ونهاراً ولا يعمل به وكُلُّه رسائل من ربنا إلينا » (١)
 إن كنت تزعم حبي فلم هجرت كتابي
 أما تأملت ما فيه من لذيذ خطابي

• قال شميظ بن عجلان في وصفه للمؤمنين « أتاهم عن الله تبارك وتعالى أمر وقد هم عن الباطل ، فأسهروا الأعين وأجاعوا البطون وأظماوا الأكباد وأنفقوا الأموال واهتضموا التالد والطارف في طلب ما يقربهم إلى الله عز وجل وفي طلب النجاة ممّا خوفهم به . » ويقول رحمه الله : « إن المؤمن اتخذ كتاب الله عز وجل مرآة ، فمرة ينظر إلى ما نعت الله عز وجل به المؤمن ومرة ينظر إلى ما نعت الله عز وجل به المُعْتَرِّين ، ومرة ينظر إلى الجنة وما وعد الله عز وجل ، ومرة ينظر إلى النار وما أعد الله عز وجل فيها ، تلقها حزينا كالسهم المرمى به شوقاً إلى ماشوقه الله عز وجل . وهرباً مما خوفه الله عز وجل منه . »

ولما كان القرآن بستان العارفين سهر العباد والمتهجدون معه وتأملوه وتدبروه وعاشوا في رياضه « والسير إلى الله بالتهجد بطريق التدبر بالأسماء والصفات ، شأنه عجب وفتح عجب » « والسائر على هذا الطريق له شهود خاص فيها ، مطابق لما جاء به الرسول ﷺ لا يخالف له ، وإذا كان السالك ذو همة عالية فذاك السابق حقاً ، وأحد الناس بزمانه ، لا يلحق شأوه ، ولا يُشَقُّ غباره ، وشتان بين من يتلقى أحواله وإرداته عن الاسماء والصفات ومن يتلقاه عن الرسوم والأذواق والوجد » (٢) .

أما نسمع قول الله عز وجل ﴿ لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون ﴾ (٣) ثم

(١) تنبيه المغترين للشعراني ص ١١٩ .

(٢) طريق المهجرتين ص ٢١٥ .

(٣) الحشر آية : ٢١

يرد ف هذه الآفة بأسمائه وصفاته ﴿ هو الله الذى لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم ﴾ إلى آخر السورة . فعرض بالنواجذ على هذا الطريق يرسمه لك شيخ الإسلام ابن القيم رحمه الله .

• قال محمد بن كعب القرظى : قرأت فى بعض الكتب : « أيها الصديقون أفرحوا بى وتنعموا بذكرى »^(١)

• ولما كان أشرف الذكر وأعلاه تلاوة القرآن - فكم يحلو التزم به وتحلو المناجاة حين تهدأ الأصوات ويتجاوب الكون فى الدياتى مع قارئ القرآن ذى الصوت الحسن .

واسمع رحمك الله إلى يحيى بن معاذ وهو يشوقك إلى القرآن لتكن من هؤلاء القوم الذين قال فيهم رحمه الله « قوم على فرش من الذكر فى مجلس من الشوق وبساتين من المناجاة بين رياض الأطراب وقصور الهيبة وفناء مجالس الأنس مع أنقى عرائس الحكمة بصدور الأفهام ، متاعى زفرات الوجد بفنون الأفراح ، وجوه الآخرة تعاطوا بينهم كتوس حبه ، سقاهم فيها ، وغوتم على شرها فرقان الشجى ، تجرى فى الأكباد ، تديم عليهم ذكر الحبيب ، ويبلبلهم معها هيمان الوجود .

طرب الحب على الحب	مع الحب يـدوم
عجباً لمن رأيناه	على الحب يـلوم
حول حب الله ما عشت	مع الشوق أحوم
وبه أقعد ما عشت	ت حياتى وأقوم ^(٢)

(١) مختصر قيام الليل ص ٢٧ .

(٢) نشأة التصوف الإسلامى .

يا أخى :

أتاك حديث لا يمل سماعه شهى إلينا نثره ونظامه
إذا ذكرته النفس زال عناؤها وزال عن القلب الكئيب قتامة
ولما كان الليل يا أخى وقت الأنس بالله والسمر ، وقت الذكر والصفاء ، وقت
الشوق والأنين والحنين ، ورجال الأنفاس هم رجال الليل يضيئون ظلمته بنور الإيمان
ويعملون صمته بكلام الرحمن ، حتى إذا جاء وقت السحر وما أدراك ما وقت السحر
استيقظت القلوب فتلقت من ربها ما تلقت ، وتحملت وتحملت ، وأذنت لربها
وحقت ، ولليل عند رجال الله مقام أى مقام ، ولما كان للإنسان فى الليل سبباً
طويلاً لمن أراد أن يذكر أو أراد شكوراً ، كان للقرآن فى الليل مع أهل الليل شأن
خاص ، وقد جعل الله الليل لأهله مثل الغيب لنفسه - والله المثل الأعلى - فكما لا يشهد
أحد فعل الله فى خلقه لحجاب الغيب الذى أرسله دونهم ، فهم خير عصابة فى حق
الله ، وهم شرفية فى حق أنفسهم ، فجعل الليل لباساً لأهله ، يلبسونه فيسترهم هذا
الليل عن أعين الأغيار يتمتعون فى خلواتهم الليلية بحبيهم فيناجونه من غير رقيب لأنه
جعل النوم فى أعين الرقباء سباتاً ، أى راحة لأهل الليل إلهية كما هوراحة للناس طبيعية
فإذا نام الناس ، استراح هؤلاء مع ربهم ، وخلّوا به حساً ومعنى ، فيما يسألونه من قبول
توبة وإجابة دعوة ومغفرة وغير ذلك ، فنوم الناس راحة لهم ، وإن الله تعالى ينزل
إليهم بالليل إلى السماء الدنيا فأهل الليل هم الفائزون بهذه الخطوة فى هذه الخلوة وهذه
المسامرة فى محرابهم ، فهم قائمون يتلون كلامه ويفتحون أسماعهم لما يقول لهم فى كلامه
سبحانه إذ قال تعالى ﴿ يا أيها الناس ﴾ يقولون نحن الناس فما تريد منا يا ربنا فى
ندائك هذا ، فيقول لهم عز وجل على لسانهم بتلاوتهم كلامه الذى أنزله ﴿ اتقوا
ربكم إن زلزلة الساعة شىء عظيم ﴾ وذلك هم رجال الليل يقطعونه ذكراً بقرآن
مولاهم ، يقرأونه وكانهم يستمعون إلى ربهم ويكلمهم بقرآنه ، فكل آية عندهم
سؤال وجواب ، وذلك لون من التذوق هبة من هبات الرحمن لأهل الليل ، ومقدار
تلك الهبة إنما يعرفها من ذاق .

عن أبي رجاء قلت للحسن : ما تقول في رجل قد استظهر القرآن كله عن ظهر قلبه ولا يقوم به ، إنما يصلى المكتوبة ، قال : لعمر الله ، ذاك إنما يتوسد القرآن . قلت : قال الله تعالى : ﴿ فاقْرَأُوا مَا تيسر منه ﴾ قال نعم ولو خمسين آية (١) .

وقال الحسن أيضاً : إن هذه القلوب سريعة الدور اقدعوها (٢) امنعوها هواها ، حادثوها بعبارتها وربيعها القرآن ، القرآن فإنه شافع مشفع ، وماحل مصدق ، والله ما دون القرآن من غنى ، وما بعد القرآن من فقر . فانظر رحمك الله إلى المتجدين ، إلى قوم لا يجدون لكلام المخلوقين شهوة ، ولا بغير كلام الله لذة . قال ذو النون رحمه الله :

منع القرآن بوعده ووعيده مقل العيون بليتها أن تهجعا
فهموا عن الملك الكريم كلامه فهماً تذلل له الرقاب وتخضع
فقال بعض من كان حاضرًا في المجلس : يا أبا الفيض من هؤلاء القوم يرحمك
الله ، فقال : ويحك « هؤلاء قوم جعلوا الركب لجباههم وسادًا ، والتراب لجنوبهم
مهادًا ، هؤلاء قوم خالط القرآن لحومهم ودماءهم فعزلم عن الأزواج وحركهم
بالإدلاج ، فوضعوهم على أفئدتهم فانفجرت ، وضمّوه إلى صدورهم فانشرحت ،
وتصدعت به همهم به فكدحت ، فجعلوه لظلمتهم سراجًا ، ولنومهم مهادًا ،
ولسيلهم منهاجًا ، ولحجتهم إفلاجًا ، يفرح الناس ويحزنون وينام الناس ويسهرون ،
ويفطر الناس ويصومون ، ويأمن الناس ويخافون ، فهم خائفون حذرون وجلون
مشفقون مشمرون ، يبادرون من الفتور ، ويستعدون للموت ، لم يتصغر جسم ذلك
عندهم لعظم ما يخافون من العذاب ، وخطر ما يوعدون من الثواب ، درجوا على
شرائع القرآن ، وتخلصوا بخالص القربان ، واستاروا بنور الرحمن ، فما لبث أن أنجز
لهم القرآن موعوده ، وأوفى لهم عهوده ، وأحلهم سعوده ، وأجارهم وعيده ، فنالوا

(١) مختصر قيام الليل ص ٨ .

(٢) أي كّفوها عما يطلع إليه من الشهوات .

به الرغائب ، وعانقوا به الكواعب ، وأمنوا به العواطب ، وحذروا به العواقب ، لأنهم فارقوا بهجة الدنيا بعين قالية ، ونظروا إلى ثواب الآخرة بعين راضية ، واشتروا الباقية بالفانية ، فنعم ما تجروا ، ربجوا الدارين ، وجمعوا الخيرين ، واستكملوا الفضلين ، بلغوا أفضل المنازل بصبر أيام قلائل ، قطعوا الأيام باليسير حذار يوم قطير ، وسارعوا في المهلة ، وبادروا خوف حوادث الساعات ، ولم يركبوا أيامهم باللهو واللذات ، بل خاضوا الغمرات للباقيات الصالحات ، وأوهن والله قوتهم التعب ، وغير ألوانهم النصب ، وذكروا ناراً ذات لب ، مسارعين إلى الخيرات ، منقطعين عن اللهوات ، بريثون من الريب والخنا ، فهم خرس فصحاء ، وعمى بصراء ، فعنهم تقصر الصفات ، وبهم تُدفع النقمات ، وعليهم تُنزل البركات ، فهم أحلى الناس منطقالاً ومذاقالاً ، وأوفى الناس عهداً وميثاقاً ، سراج العباد ، ومنار البلاد ، ومصاييح الدجى ، ومعادن الرحمة ، ومنابع الحكمة ، وقوام الأمة ، تجافت جنوبهم عن المضايح ، فهم أقبل الناس للمعذرة ، وأصفحهم للمغفرة ، وأسمحهم بالعطية ، فنظروا إلى ثواب الله عزوجل بأنفس تائقة وعيون رامية ، وأعمال موافقة ، فحلوا عن الدنيا مطى رحاهم ، وقطعوا منها حبال آمالهم ، لم يدع لهم خوف ربهم عزوجل من أموالهم تليداً ولا عتيداً ، فتراهم لم يشتهوا من الأموال كنوزها ، ولا من الأدبار خزوزها ، ولا من المطامع عزيزها ، ولا من القصور مشيدها ، بلى ، ولكنهم نظروا بتوفيق الله لهم وإلهامه إياهم فحركهم ما عرفوا بصبر أيام قلائل ، فضموا أبدانهم عن المحارم ، وكفوا أيديهم عن ألوان المطامع ، وهربوا بأنفسهم عن المآثم ، فسلكوا من السبيل رشاده ، ومهدوا للرشاد مهاده ، فشاركوا أهل الدنيا في آخرتهم ، عزوا عن الرزايا وغصص المنايا ، هابوا الموت وسكراته وكرباته وفجعاته ، ومن القبر وضيقة ومنكروا تكبير ، ومن ابتدارهما وانتهارهما ، وسؤالهما ، ومن المقام بين يدي الله عز ذكره وتقدست أسمائه (١)

(١) الحلية ج ١ ص ١٤ ، ١٥ .

رحمك الله يا أبا الفيض فهؤلاء هم المهجدون أهل الليل والقرآن وهذا نعمتهم .
قال الحسن : فضل القرآن على الكلام كفضل الله على عباده ^(١) .
وأهل الليل يا أخى لا يرضون بالقرآن بدلاً فهو داء قلوبهم ، فهم ما نسوا قول
الناصح لهم :

أطيلوا على السبع الطوال وقوفكم تدّر عليكم بالعلوم سحاب
وفي طيّ أثناء المثاني نفائس يطيب بها نشر ويُفتح باب
تلى فصّلت لما أتاه مجادل فأبلس حتى ما يكون جواب
أقرّ بأن القول فيه طلاوة ويعلو ولا يعلو عليه خطاب

انظرالى وصف أهل الليل ورجاله من المهجدين وخالهم مع القرآن يصفهم على بن
أبي طالب فيما روى عنه : « أمّا الليل فصافون أقدامهم تالين لأجزاء القرآن ، يرتلونه
ترتيلًا يحزنون به أنفسهم ، ويستثيرون دواء دائمهم ، فإذا مروا بآية فيها تشويق ركنوا إليها
طمعًا ، وتطلعت نفوسهم إليها شوقًا ، وظنوا أنها نصب أعينهم ، وإذا مروا بآية فيها
تخويف أصغوا إليها مسامع قلوبهم . وظنوا أن زفير جهنم وشهيقها في أصول آذانهم ،
فهم حانون على أوساطهم ، مفترشون لجباههم وأكفهم وركبهم وأطراف أقدامهم
يطلبون إلى الله تعالى فكاك رقابهم » ^(٢) .

قال أبو موسى الأشعري : « إن هذا القرآن كائن لكم ذخراً . وكائن لكم أجرًا ،
وكائن عليكم وزراً ، فاتبعوا القرآن ولا يتبعنكم القرآن . فإنه من يتبع القرآن يهبط به
في رياض الجنة ، ومن يتبعه القرآن يرخّ في قفاه حتى يقذفه في جهنم » ^(٣) وعن عقبه بن
عامر رضى الله عنه : « القرآن حجيج يوم القيامة فلكم أو عليكم » ^(٤) وقال الحسن :
« هذا القرآن قرأه عبید وصبيان لا علم لهم بتأويله ، ولم يأتوا الأمر من قبل أوله قال

(١) شرح السنة ج ٤ ص

(٢) نهج البلاغة ص ٢٤٢ - كتاب الشعب .

(٣) مختصر قيام الليل ص ٧٦ .

(٤) مختصر قيام الليل ص ٧٦ ، ٧٧ .

تعالى : ﴿ كتاب أنزلناه إليك ليدبروا آياته ﴾ وما تدبر آياته إلا اتباعه ، ما هو بحفظ حروفه وإضاعة حدوده ، حتى إن أحدهم ليقول : قد قرأت القرآن كله فما أسقط منه حرفاً ، وقد والله أسقطه كله ، ما ترى القرآن له في خُلُق ولا عمل ، حتى أن أحدهم ليقول : إني لأقرأ السورة في نفس والله ما هؤلاء بالقراء ولا العلماء ولا الحكماء ولا الورعة ، ومتى كان القراء تقول مثل هذا لا أكثر الله في الناس مثل هؤلاء . وقال أيضاً : « ما بق في أيدينا بقية غير هذا القرآن فاتخذوه إماماً ، واتمّنوه على أنفسكم ، واستغشوا عليه أهواءكم ، واعلموا أنه شافع مشفع وماحل مصدق ، من يشفع له القرآن يوم القيامة يُشفع ، ومن محل به صدق عليه ، وأيم الله إن من شرار هذه الأمة أقواماً قرأوا هذا القرآن جهلوا سسته وحرّفوه عن مواضعه . وإن أحق الناس بهذا القرآن من عمِل به وإن كان لا يقرؤه » (١) .

● ولما كان المهجدون في ظلم الدياجي جعلوا القرآن شعارهم ودارهم ، وعلموا أن لله أهلين من الناس وخاصة ، فعَلتْ بهم همهمهم أن يكونوا هم أهل الله وخاصته ، وسهروا ليلهم مع القرآن تلاوة ، وتدبراً ، تلاوة سَمَتَ بأرواحهم إلى رياض الفردوس ، وحنّت أسماعهم لصوت داود صاحب المزامير عليه السلام فاتخذوا من القرآن مزامير أنس في مقاصير قدس بألحان توحيد في رياض تمجيد ، وما طربت آذانهم إلا لشدو المثاني في تلك المعاني المؤدية بأهلها إلى النعيم الدائم في مقعد صدق عند ملك مقتدر وكان هذا لهم خيراً فما طعم النظر؟

ولما تدبروا آياته براهم الخوف برى القداح ينظر الناظر إليهم فيقول مرضى ، وما بهم مرض ، ويقول قد خولطوا وما خانط القوم من ذكر الآخرة أمر عظيم جعلوا الذكر جلاءً للقلوب ، تسمع به بعد الوفرة ، وتبصر به بعد العشوة ، وتتناقذ به بعد المعاندة ما ناجاهم ربهم في فكرهم ، وكلمتهم في ذات عقولهم فاستصحبوا بنور بقظة في الأبصار والأسماع والأفئدة .

ولقد اتخذ المهجدون القرآن من الدنيا بدلاً يقضون به أيام الحياة . فكأنهم قطعوا

(١) مختصر قيام الليل ص ٧٦ .

الدنيا إلى الآخرة وهم فيها فشاهدوا ما وراء ذلك فكأنما اطلعوا غيوب أهل البرزخ في طول الإقامة فيه . وحققت القيامة عليهم عداتها فكشفوا غطاء ذلك لأهل الدنيا . فلو مثلتهم لعقلك في مقاومهم المحمودة ، ومجالسهم المشهورة ، وقد نشروا دواوين أعماخهم ، وفرغوا نخاسة أنفسهم في كل صغيرة وكبيرة ، وحملوا ثقل أوزارهم ظهورهم فنشجوا نشيجاً وتجاوبوا نجيباً ، يعجون إلى ربهم من مقام خوف وندم واعتراف - لرأيت أعلام هدى قد أعدت لهم الكرامات وتزلت عليهم السكينة ، في مقام اطلع الله عليهم فيه فرضى سعيهم وحمد مقامهم ، يتنسمون بدعائه رَوْح التجاوز ، رهائن فاقة إلى فضله ، وأسارى ذلة لعظمته ، وجرح طول الأسي قلوبهم ، وطول البكاء عيونهم ، لكل باب رغبة إلى الله منهم يد قارعة ، يسألون مَنْ لا تضيق لديه المناذح ولا يجيب عليه الراغبون « (١) .

فهاهو عمر بن الخطاب رضى الله عنه قد حفرت الدموع خطان أسودان في وجهه .

قال الحسن : كان عمر رضى الله عنه يمر بالآية من ورده بالليل فيبكي حتى يسقط ، ويبقى في البيت حتى يعاد للمرض (٢) .

وسمع رضى الله عنه رجلاً يتهد في الليل ويقرأ سورة الطور ، فلما بلغ إلى قوله تعالى : ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾ . ماله من دافع ﴿﴾ قال عمر : قسم ورب الكعبة حق ، ثم رجع إلى منزله فرض شهراً يعود الناس لا يدرون ممرضه « (٣) .

وكان تحت عيني ابن عباس مثل الشراك البالي من كثرة الدموع .

وكان جماعة من عباد البصرة قد مرضوا من تدبر القرآن وخوف النار ولزموا منازلهم كالعلاء بن زياد وعطاء السلمى . واشتكى داود الطائى أياماً ، وكان سبب علته أنه مرّ بآية فيها ذكر النار فكررها مرارا في ليلته فأصبح مريضاً فوجدوه قد مات (٤) .

(١) بتصرف من نهج البلاغة ص ٢٧٠ .

(٢) مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب لابن الجوزى ص ١٦٨ ، ١٦٩ - دار الكتب العلمية - بيروت .

(٣) التخويف من النار ص ٢٩ .

(٤) التخويف من النار ص ٢٩ ، ٣٠ .

وسل منصور بن عمار عن قتيل جهنم ذلك الشاب الذي مرَّ ذكره ومات بسبب آية
 • واسمع يا أخى قوارع القرآن ومواعظه وتعال أخبرك بالعجب العجيب من حال
 سيد من سادات المسلمين على بن الفضيل بن عياض مات من سماع قراءة هذه الآية
 ﴿ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا ياليتنا نردّ ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من
 المؤمنين﴾^(١)

• وسل عمر بن المنكدر وسل سادات المهتدين عمّا فعلت آيات القرآن بهم . لقد
 كانت آيات القرآن محرك أشجانهم ومواجيدهم ، بل وهزهم الحنين إلى روضات
 الفردوس إذا ذكروا الجنة ، وتنعموا بكلام مولا لهم لأنهم علموا أن كلام الملوك ملوك
 الكلام ، وطافوا برياض الأسماء والصفات ، قدسوا مولا لهم بألسن التماذيح في
 القرآن ، وأفواه التسابيح وأورثهم ذلك شوقاً إليه وتذلاً بين يديه ، وجباً نخلت منه
 أجسادهم وفاضت مآقيهم بالدموع والعبرات

فما الحب حتى يلصق القلب بالحشا وتذبل حتى ماتجيب المناديا
 وتنحل حتى لا يبقى لك الهوى سوى مقلة تبكى بها وتناجيا
 كان القرآن روحهم وريحانهم ، ونزهتهم وبستانهم .
 والله در القائل :

شواهد أهل الحب باد دليلها بأعلام صدق ما يضل سبيلها
 جسوم أولى صدق المحبة والرضى تبين عن صدق الوداد نحوها
 إذا ناجت الأفهام أنس نفوسهم بألسنة تخفى على الناس قيلها
 وضجت نفوس المستهامين واشتكت جوى كان عن أجسامها شر ييلها
 يحنون حرنًا ضاعف الخوف شجوه ونيران شوق كالسعير عليلها

(١) التخويف من النار لابن رجب ص ٣١ .

وساروا على حب الرشاد إلى العلى تؤمهم تقواه وهو دليلها
فحطوا بدار القدس في خير منزل وفاز بزلفى ذى الجلال حلوها^(١)

ولا يعلم إلا الله ثم نفوسهم الظاهرة وقع آيات القرآن على أفئدتهم حتى أناطوا
برياض القدس . وكم روحهم نسيم الآيات ، ولم تصل إلينا إلا إشاراتهم وعباراتهم
وكم حاولوا إخفاءها ولكن غير التهجد يفوح عبثاً من خلال تلك الكلمات الثيرات .
إن العبارة الواحدة من عباراتهم ، من أثر التهجد بالقرآن لو اجتمع المتأخرون على
أن يأتوا بمثلهما ولو نعتقوا ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً ، وما كانت تخرج تلك الكلمات
منهم إلا عفواً .

دع الشوق لأناس يعرفون به قد مارسوا الحب حتى لان أصعبه
رحل من أصفه وبقي من لا أعرفه
لمن الطلول كأنهن يجذع ذى سلم سطور
تطوى معالمها الصبا طوراً وتنشرها الدبور
وكفّت بها من أدمعى فى الركب غادية درور
ولقل ما تحوى الدموع عُ وينفع الصبّ الزفير
أقوت من الحى الديا رُ فالها فى السبعين نور

(١) الخلية ج ٩ ص ٣٧٨ .

لما علموا قول رسولهم ﷺ : « إذا قام صاحب القرآن فقرأه بالليل والنهار وذكره ، وإن لم يقم به نسيه »^(١) .

يخبرهم ويقول لهم عبدة بن أبي لبابة الأسدي التابعي : « إذا ختم الرجل القرآن بنهار صلت عليه الملائكة حتى يمسي ، وإن فرغ منه ليلاً صلت عليه الملائكة حتى يصبح »^(٢) فكيف يطيب لهم العيش إلا بالتنافس في الختم وإنارة الليالي بصلاة الملائكة وهم أحوج الناس إليها . إن كانت تنزل بقراءتهم في الدياجي فهم مشتاقون إلى صلاتهم « كل يهيج لهم ذكرى تشوقهم إلى الملائكة الأعلى » .

فمنهم من كان يختم في كل يوم وليلة ، ولقد كان عثمان رضي الله عنه يختم في الوتر وصح ذلك عنه ، وتميم الداري وسعيد بن جبير ومجاهد والشافعي .

وعن كثيرين في كل ثلاث . والذين ختموا في الأسبوع مرة فكثيرون نقل ذلك عن عثمان وعبد الله بن مسعود وزيد بن ثابت وأبي بن كعب ، وجاعة من التابعين كعبد الرحمن بن يزيد وعلقمة وإبراهيم .

وقد كره جماعة من المتقدمين الختم في يوم وليلة ويدل عليه الحديث الصحيح عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « لم يفقه من قرأ القرآن في أقل من ثلاث »^(٣) وهذا اختيار أحمد وأبي عبيد وإسحاق بن راهويه وقد ثبت عن كثير من السلف - كما يقول الحافظ في الفتح : كالشافعي - أنهم قرأوا القرآن في دون ذلك .

(١) إسناده صحيح : أخرجه ابن نصر في « قيام الليل » عن ابن عمر ، وقال الألباني إسناده صحيح ورجاله

كلهم رجال الشيخين . انظر الأحاديث الصحيحة رقم (٥٩٧) .

(٢) أخرجه الدارمي ٤٦٩/٢ بسند صحيح كما قال الشيخ شعيب والشاويش في تحقيق شرح السنة ج ٤ ص ٤٩٣ .

(٣) إسناده صحيح : رواه أبو داود والنسائي والترمذي والدارمي وقال حديث حسن صحيح . وصححه النووي في « التبيان في آداب حملة القرآن » ص ٣٠ ، وقال الألباني : إسناده صحيح انظر المشكاة رقم

قال النووي : « والاختيار أن ذلك يختلف بالأشخاص ، فمن كان من أهل الفهم وتدقيق الفكر استحَب له أن يقتصر على القدر الذي لا يختل به المقصود من التدبير واستخراج المعاني ، وكذا من كان له شغل بالعلم أو غيره من مهات الدين ومصالح المسلمين العامة يستحب له أن يقتصر منه على القدر الذي لا يخل بما هو فيه ، ومن لم يكن كذلك ، فالأولى له الاستكثار ما أمكنه من غير خروج إلى الملل ولا يقرؤه هذرمة والله أعلم »^(١) .

« ولقد أغرب بعض الظاهرية فقال : يحرم أن يقرأ القرآن في أقل من ثلاث . وقال النووي : أكثر العلماء على أنه لا تقدير في ذلك ، وإنما هو بحسب النشاط والقوة ، فعلى هذا يختلف باختلاف الأحوال والأشخاص والله أعلم »^(٢) .

قال الحافظ ابن رجب في كتابه « لطائف المعارف » : (١٨١ ، ١٨٢) : - « وإنما ورد النهي عن قراءة القرآن في أقل من ثلاث على المداومة على ذلك ، فأما في الأوقات المفضلة ، كشهر رمضان خصوصاً الليالي التي يطلب فيها ليلة القدر أو في الأماكن المفضلة كمكة لمن دخلها من غير أهلها فيستحب الإكثار فيها من تلاوة القرآن اغتناماً للزمان والمكان وهو قول أحمد وإسحاق وغيرهما من الأئمة وعليه يدل عمل غيرهم كما سبق ذكره » أ . هـ .^(٣)
ولله در القائل :

لولا الذين لهم ورد يقومونا وآخرون لهم سرد يصومونا
لكدت أرضكم من تحتكم سحرًا لأنكم قوم سوء لا تطيعونا
ولقد بوب النووي وعقد فصلاً في المحافظة على القراءة بالليل وقال رحمه الله :
« ينبغي أن يكون اعتناؤه بقراءة القرآن في الليل أكثر ، وفي صلاة الليل أكثر والأحاديث والآثار في هذا كثيرة .

(١) « التبيان في آداب حملة القرآن » ص ٣٠ طبع مصطفى الحلبي ، وفتح الباري ج ٩ باب « في كم يقرأ القرآن من كتاب فضائل القرآن » ص ٩٧ .

(٢) الفتح ج ٩ ص ٩٧ .

(٣) مذهب مالك : جواز ذلك وسيأتي في التراويح فصل : - « من اختار الصلاة وحده على القيام مع الناس

وقال : وإنما رجحت صلاة الليل وقراءته لكونها أجمع للقلب وأبعد عن الشاغلات والملهيات ، والتصرف في الحاجات ، وأصون عن الرياء وغيره من المحبطات مع ما جاء الشرع به من إيجاد الخيرات في الليل فإن الإسراء برسول الله ﷺ كان ليلاً ، وحديث « ينزل ربكم كل ليلة ... » الحديث والصحيح عن رسول الله ﷺ قال « في الليل ساعة يستجيب الله فيها الدعاء في كل ليلة ، وكلما كثرت القراءة والصلاة كان أفضل إلا أن يستوعب الليل كله فإنه يكره الدوام عليه وإلا أن يضر بنفسه » (١) أ. هـ .

عجبت من جسم ومن صحة ومن فتى نام إلى الفجر والموت لا يؤمن من خطفاته في ظلم الليل إذا يسرى

• نعم يا أخى لقد كان للقرآن مع المهجدين شأن أى شأن علموا أن مولاهم « أنزله نوراً لا تطفأ مصابيحها فاستضاءوا به ، وسراجاً لا يخبو توقده ، وبحراً لا يدرك قعره ، فغاصوا طلباً للآله ، ومنهاجاً لا يضل نهجه فتركوا لأجله بنيات الطريق ، وشعاعاً لا يظلم ضوءه ، وفرقاً لا يخدم برهانه ، وتبياناً لا تهدم أركانه ، وشفاء لا تخشى أسقامه ، فجعلوه دواء أمراضهم ، وعزراً لا تهزم أنصاره فثبت عزهم به ، وحقاً لا تحذل أعوانه ، فهو معدن الإيمان لهم وبحبوحته (٢) ، وبتابيع العلم وبحوره ، فشرىوا من مناله ورياض العدل وغدرانه ، وأثافي (٣) الإسلام وبنيناه ، وأودية الحق وغيظانه (٤) ، وبحر لا يتزفه المسترفون ، وعيون لا يئضبها الماتحون (٥) ، ومناهل لا يغيضها الواردون ، ومنازل لا يضل نهجها المسافرون ، وأعلام لا يعنى عنها

(١) « التبيان في آداب حملة القرآن » للنوى ص ٣٢ ، ٣٤ .

(٢) بحبوحته : وسطه .

(٣) الأثافي : جمع أنفية : الحجر يوضع عليه القدر . أى عليه قام الإسلام .

(٤) غيطان الحق : جمع غاط أو غوط وهو المطمئن من الأرض .. أى أن هذا الكتاب منابت طيبة يركوبها الحق وينمو .

(٥) جمع ماتح : نازع الماء من الحوض .

الساثرون ، وآكام لا يجوز عنها القاصدون ^(١) . جعله الله ريباً لعطش العلماء ، وريباً لقلوب الفقهاء ، ومحاج لطرق الصلحاء ، ودواء ليس بعده داء ، ونورا ليس معه ظلمة ، وحبالاً وثيقاً عروته ، ومعقلاً منيعاً ذروته ، وعزاً لمن تولاه ، وسلاماً لمن دخله ، وهدى لمن اتقى به ، وعذراً لمن انتحله ^(٢) ، وبرهاناً لمن تكلم به ، وشاهدًا لمن خاصم به ، وفلجاً ^(٣) لمن حاج به ، وحاملاً لمن حملة ، ومطية لمن أعمله ، وآية لمن توسم ، وجنة لمن استلأم وعلمًا لمن وعى ، وحديثاً لمن روى ، وحكماً لمن قضى ^(٤) .
لما علموه هكذا سميت همهم إلى الرفيع من المحل ، واشتاقت نفوسهم إلى الملك الأعلى الأجل ، فلورأيتهم لرأيت قومًا يتلون كتاب الله بشفاه ذابله ، ودموع وابله ، وزفرات قاتله ، وأجسام ناحلة ، وخواطر في عظمته جائلة :

لله قوم شروا لله أنفسهم	فأتعبوها بزجر الله أزمانا
أما النهار فقد وافوا صيامهم	وفي الظلام تراهم فيه رهبانا
أبدانهم أتعبت في الله أنفسهم	وأنفس أتعبت في الله أبدانا
ذابت لحومهم خوف الحساب غدًا	وقطعوا الليل تسييحًا وقرآنا ^(٥)

(١) طرق الحق تنتهى إلى أعالي هذا الكتاب وعندها ينقطع سير السائرين .

(٢) انتحلته : انتسب إليه ودان به .

(٣) الفلج : الظفر والفوز - استلأم : لبس الأمة وهي الدرع وجميع أدوات الحرب أى كان القرآن وقاية له .

(٤) انظر نهج البلاغة .

(٥) بستان الواعظين لابن الجوزى ص ٣٧٦ .

هَبِّي
يا
رِيحَ السَّحَرِ

« لو شمت نسيم الأسحار لاستفاق منك قلبك الخمور »

بأبي الليل ما أظييه وما أعظم قدره عند الله عز وجل فقد أقسم به في كتابه الكريم والعظيم لا يقسم إلا بعظيم قال تعالى : ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى ﴾ وقال تعالى ﴿ وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى ﴾ وما أظيب السحرونسيمة ، هذا الوقت المبارك الذي نجي الله فيه نبيه لوطاً فقال ﴿ إِلَّا آل لوط نجيناهم بسحر ﴾ .

• يُروى بإسناد فيه ضعف عن مجاهد عن عطية عن أبي سعيد قال : إن الله عز وجل خلق جنة عدن من ياقوتة حمراء ثم قال لها تزيني فتزينت ، ثم قال لها تكلمي ، فقالت : طوبى لمن رضيت عنه ، فأطبقتها وعلقها بالعرش فلم يدخلها بعد ذلك إلا الله لا إله غيره يدخلها كل سحر ، فذلك برد السحر . وخرجه الحاكم والبيهقي بإسناد جيد عن مجاهد من قوله مختصراً وأنشد بعضهم :

تمر الصبا صفحاً بسكان ذى الغضا ويصدع قلبي أن يهب هبوبها
قريبة عهد بالحبيب وإنما هوى كل نفس حيث حل حبيبها^(١)

• عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ :

« لَنْ يُنَجِّي أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلَهُ » قالوا : وأنت يا رسول الله ؟ قال : « ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته ، سدّدوا وقاربوا واغدوا وورحوا وشيء من الدلجة ، والقصد القصد تبلغوا »^(٢) .

وفي موضع آخر من البخارى : « إن هذا الدين يسر ، ولن يشاد الدين أحداً إلا غلبه ، فسدّدوا وقاربوا وأبشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة »^(٣) .
وهذه الأوقات الثلاثة تكون أوقات السير إلى الله بالطاعات ، وهى آخر الليل وأول النهار وآخره . وقد ذكر الله هذه الأوقات في قوله تعالى : ﴿ واذكر اسم ربك بكرة وأصيلاً ، ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلاً طويلاً ﴾ وقال تعالى : ﴿ وسبح

(١) استنشاق نسم الأنس ص ٦ .

(٢) رواه البخارى ومسلم وأخرجه البخارى بلفظه فى الرقاق ١٨١/٧ وفيه « برحمة » بدل برحمته .

(٣) أخرجه البخارى بلفظه ولكن أسقط « هذا » من « إن هذا الدين » وزاد لفظ « هذا » فى « ولن يشاد هذا الدين » فى كتاب الإيمان ١٥/١٠ وأخرجه النسائى بلفظه فى كتاب الإيمان .

بمحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ، ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار
لعلك ترضى ﴿﴾ .

والدُّلجة والإدلاج : سير آخر الليل ، والمراد به هاهنا في الحديث العمل في آخر
الليل وهو وقت الاستغفار كما قال تعالى ﴿﴾ والمستغفرين بالأسحار ﴿﴾ وقال تعالى
﴿﴾ وبالأسحار هم يستغفرون ﴿﴾ .

• وفي الحديث عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ : « من خاف أدلج :
ومن أدلج بلغ المنزل ، ألا إن سلعة الله غالية ، ألا إن سلعة الله الخنة » (١) .
وسير الدلجة آخر الليل يقطع به سفر الدنيا والآخرة ، ولهذا في الحديث الذى رواه
أنس عن النبي ﷺ « إذا سافرتم فعليكم بالدُّلجة فإن الأرض تطوى بالليل » .
وقال بعض الفضلاء :

اصبر على مضض الإدلاج فى السحر وفى الرواح على الطاعات والبُكر
لا تضجرن ولا يُعجزك مطلبها فالهم يتلف بين اليأس والضجر
إنى رأيت وفى الأيام تجربة للصر عاقبة محمودة الأشر
وقل من جدّ فى أمر تطلبه واستصحب الصبر إلا فاز بالظفر

وقد روى أن الأشتر دخل على على بن أبى طالب رضى الله عنه بعد هدأة من الليل
وهو قائم يصلى فقال : يا أمير المؤمنين صوم بالنهار وسهر بالليل وتعب فيما بين ذلك ؛
فلما فرغ من صلاته قال : سفر الآخرة طويل فيحتاج إلى قطعة بسير الليل .
واعلم يا أخى أن مفاوز الدنيا تقطع بالأقدام ، ومفاوز الآخرة تقطع بالقلوب ،
فلتكن همة طالب الآخرة عالية فإن سلعة الله غالية .

(١) صحيح رواه الترمذى والحاكم فى المستدرک وعبد بن حميد والعقلى فى الضعفاء وأبو نعیم فى الحلیة ،
وصححه الحاكم ووافقه الذهبى وقال الترمذى هذا حديث حسن غريب وصححه الألبانى انظر
صحيح الجامع رقم (٦٠٩٨) .

يأبأئماً بالليل كم ترقد قم يا حبيبي قد دنا الموعد
 وخذ من الليل وأوقاته وردًا إذا ما هجع الرُقد
 من نام حتى ينقضى ليله لم يبلغ المنزل أو يجهد^(١)
 وللسحر والدعاء فيه والاستغفار شأن عظيم عند الله كما مر بك قول الله تعالى
 ﴿والمستغفرين بالأسحار﴾ ، وهو أفضل الليل ووقت التنزل الإلهي وقد مر بك من
 الأحاديث في فضله وفضل قيامه والاستغفار فيه ، ولا يحرمه إلا كل غمر مطرود .
 • وروى أنه لما قال أبناء يعقوب له « استغفر لنا » أخرجهم إلى السحر بقوله « سوف
 أستغفر لكم ربى » .

• وفي الزهد لابن حنبل « إن داود سأل جبريل فقال : يا جبريل أى الليل أفضل ؟
 قال : يا داود ما أدرى إلا أن العرش يهتز من السحر .
 كيف لا وهو وقت التنزل الإلهي ، ومن أبعد عنه فقد حرم الخير كله ونقول كما قال
 بعض السلف « اللهم إن منعتنى ثواب الصالحين فلا تحرمنى أجر المصاب على مصيبتى »
 ويقول الآخر « اللهم إن لم ترض عنا فاعف عنا » .
 • كان بعض الصالحين يقوم الليل فإذا كان السحر نادى بأعلى صوته :
 « يا أيها الركب المعرسون ، أكل هذا الليل ترقدون ؟ ألا تقومون فترحلون ؟ فإذا
 سمع الناس صوته وثبوا من فرشهم فيسمع من هنا بك ومن هنا داع ومن هنا تال ومن هنا
 متوضىء ، فإذا طلع الفجر نادى بأعلى صوته : « عند الصباح يحمد القوم
 السرى »^(١) .

ولقد مر بك دعاء خليفة العبدى إذا دعا فى السحر : « قام البطالون وقت
 قنا إليك ونحن متعرضون لجودك ، فكلم من ذى جرم عظيم قد صفحت له عن جرمه ،
 وكلم من ذى كرب عظيم قد فرجت له عن كربه ، وكلم من ذى ضر كثير قد كشفت له
 عن ضره ، فبعزتكم ما دعانا إلى مسألتك بعد ما انطوينا عليه من معصيتك إلا الذى

(١) لطائف المعارف ص ٤٢ ابن رجب طبع دار الدعوة بالإسكندرية .

- عرفنا من جودك وكرمك فأنت المؤمل لكل خير ، والمرجو عند كل نائبة .
- في كل الليل تهب الرياح ، ولكن لنسيم السحر خاصة ما أظنه تعطر إلا بأنفاس المستغفرين فَلْتَقَسَّ المحب عطر ينم على قدر طيبه .
 - قال سعيد بن الحسن : إذا كان من السحر ألا ترى يفوح ريح كل شجر .
 - قال سفيان : إن لله ريحاً مخزونة تحت العرش تهب عند الأسحار فتحمل الأئين والاستغفار .

أخى : أقعد على جانب وادى السحر فلعلى إبل القوم تمر بك « منهم تعلمت الحمام النوح والإبل الحيننا » وآسف المتقاعد عنهم ، واجسرة البعيد منهم .

- صحائف التائبين خدودهم ومدادهم دموعهم كما قال بعضهم « إذا بكى الخائفون فقد كاتبوا الله بدموعهم » .

واعجباً ! رسائل الأسحار تحمل ولا يدري بها الفلك ، وأجوبتها ترد إلى الأسرار ولا يعلم بها الملك :

صحائفنا إشارتنا وأكثر رسلنا الحرق
لأن الكتب قد تقرا بغير الدمع لانتق
لا تزال القصص تستعرض ، ويوقع بقضاء حوائج أهلها إلى أن يطلع الفجر ،
ينزل الله كل ليلة إلى السماء الدنيا فيقول هل من تائب فأتوب عليه ، هل من مستغفر
فأغفر له ، هل من داع فأجيب دعوته إلى أن ينفجر الفجر فلذلك كانوا يفضلون صلاة
آخر الليل على أوله .

نحن الذين إذا أتانا سائل نوليه إحساناً وحُسن تكرم
ونقول في الأسحار هل من تائب مستغفر لينال خير المغنم
الغنيمة تقسم على كل من حضر الوقعة فيعطى منها الرجالة والأجراء والعلمان من
الأمراء والأبطال والشجعان والفرسان ، فما يطلع فجر الأجر إلا وقد حاز القوم الغنيمة
وفازوا بالفخر وحمدوا عند الصباح السرى ، وما عند أهل الغفلة والنوم خبر مما جرى

يا نفس قومي فقد نام الوري
وأنت يا عين دعى عنك الكرى
إن تصنعى الخير فذو العرش يرى
عند الصباح يحمد القوم السرى^(١)
أخى : رياح هذه الأسحار تحمل أنين المذنبين وأنفاس المحبين وقصص التائبين ثم
تعود برد الجواب بلا كتاب .

أعلمتم أن النسيم إذا سرى
جهل الحبيب بأننى فى حبيهم
حمل الحديث إلى الحبيب كما جرى
سهر الدجى عندى ألد من الكرى
فإذا ورد بريد السحر يحمل ملطفات الألفاظ لم يفهمها غير من كتبت إليه
نسيم صبا نجد متى جئت حاملاً
ولا تذع السر المصون فإنى
تحيتهم فاطو الحديث عن الركب
أغار على ذكر الأعبة من صحبى
● يا يعقوب المهجر قد هبت ريح يوسف الوصل فلو استنشقت لعدت بعد العمى

بصيراً ولو جدت ما كنت لفقدته فقيراً

كان لى عيش أعيش به ضاع منى فى تقلبه
رب فارده على فقد عيل صبرى فى تطلبه
وأغثنى مادام بى رمت يا غياث المستغيثين به
● لو قام المذنبون فى الأسحار إلى مولا هم ، وتركوا النوم ، ومالوا إلى الاستغفار ،
واشاقوا إلى موقف نافع وابن عمر « أسحرا يا نافع ؟ » ومحمد بن واسع وهرم بن حيان
وخليفة وعتبة لرقت منهم القلوب ، وحثت إلى أيام الصالحين من سلفنا ، واعلم أنك :
● لو شممت رحيق الأسحار لاستفاق منك قلبك الخمور .

يا نائماً طول الليل ..

كنت تستطيب رياح الأسحار وما تغير المحب عز وجل ، كنت مع الرعيل الأول
فما الذى ردك إلى الساقه .

● يا نائماً طول الليل ما تحس برد السحر لقد دلت أغاريد الحمام على دنو الفجر ،

(١) لطائف المعارف من ٤٢ - ٤٣ .

صاح الديك فلم تتبه ، وأعاد فلم تفق ، فقوى ضرب الجناحين لطمًا على غفلتك .
• أرواح الأسحار لا يستنشقها مزكوم غفلة ، إنها لتأني بالطف الحبيب ثم تعود
فيحاء تطلب رسالة « ألا من مستغفر فأغفر له » .

• لو رأيت رياح الأسحار تحرك أشجار القلوب فتقع ثمار المحبة .

يا لذة خلّوهم بالحبيب ، يا وفور نصيبهم من ذلك النصيب

هبت رياح وصالمهم سحرًا لخدائق الأشواق في قسلي
واهتز عود الوصل من طرب وتساقطت ثمر من الحب
ومضت خيول الهجر سادرة مطرودة بعساكر القرب
وبدت شمس الوصل خارقة بشعاعها لسرادق الحجب
وصفا لنا وقت أضواء به وجه الرضا عن ظلمة العتب^(١)

• قف في السحر على أقدام الذل وقل « يا أيها العزيز منا وأهلنا الضر » .

• من لازم المنام لم ير إلا الأحلام .

• أما تستنشق ريح السحر أما تجد برد الفجر .

يامطولاً بالقيام مستلذاً بالنام
قم فقد فاتك يا مغبون أرباح الكرام
ونخلوا دونك بالمو لي وفازوا بالمرام

وكذا يسبقك القوم إلى دار السلام

• يانأماً طول الليل سارت الرفقة ، طلعت شمس الشيب وما انتهت من
الرقدة ، لو قمت وقت السحر رأيت طريق العباد قد غصّ بالزحام ، ولو وردت ماء
مدين وجدت عليه أمة من الناس يسقون ، وأسحرة ليل القوم ما أضواها ، قاموا على
أقدام التحير ، بين كفن الحذر ، وشارع الشوق ، سترهم ذيل الليل تحت مخيم الظلام ،
إن ناحوا فأشجى من مقيم ، وإن ندبوا فأفصح من خنساء .

(١) التبصرة ج ٢ ص ٣٢٥ .

سقوا بمياه أعينهم هناك الضال والرّندا
 بأنفاس كبرق في أنين يشبه الرعدا
 لاحت لهم الجادة فلما سلكوا قالوا : « ربنا الله » ثم استقاموا .
 هيات منك غبار ذلك الموكب ، أخبارهم أرق من النسيم . نومهم أعز من
 الوفاء ، السهر عندهم أحلى من رقدة الفجر ، كلما افتتحوها سورة وجدوا بها وجد
 يعقوب بقميص يوسف احضرو وقت السحرم مع القوم حين تفريق الخلع ، فإن لم تصلح
 أسهم لك من نصيب « وإذا حضر القسمة أولو القربى » ، لو صعدت عن صدرك
 صعداء أنفاس الأسف لأثارت سحاباً يقطر من قطريه قطر العفو ، لو أرسلت عبرة من
 جفن على جفاء أعادت نحس الزلل جُفا .

● أبواب الملوك لا تطرق بالأيدى ، ولا تضرب بالحجر : بل بنفس المحتاج ،
 وعُذرى إقرارى بأن ليس لى عذر ، إذا سارت ركائب الأسحار فابعث معهم رسالة
 لهف يحتوى على حسرة محصر .

يا سائق العيس ترفق واستمع منى وبلّغ إن وصلت عنى
 عرض بذكرى عندهم عساهم أن يسمعك سائلوك عنى
 قل ذلك المحبوس عن قصدكم معذب القلب فى كل فن
 يقول أهلت أن أزوركهم فى جملة الوفد فخاب ظنى
 ● يا هذا ، إذا حضر قلبك فنسيم السحر يذكرك ، وإن غاب فثابت ألف نبي

لا يوصلون التذكرة إليك
 ولى ألف باب قد عرفت سبيله ولكن بلا قلب إلى أين أذهب
 إن لم تكن مع القوم فى السحر ، تلمح آثار الحبيب عليهم وقت الضحى ، ترى فى
 صحائف الوجوه سطور القبول بمداد الأنوار « وجوه زهاها الحسن أن تبرقعا » .
 ● قاموا جميع الدجى على قدم الاعتذار ، ثم تساندوا إلى رواحل البكاء
 والاستغفار ، رفعوا رسائل الجوى فعاد جواب الأبرار .

• وآسفى متى رحلوا؟ ليت شعرى أين نزلوا؟
 • مالت بالقوم ربح السحر ميل الشجرة بالأغصان ، فهزّ منهم الخوف أفنان
 القلوب ، فانتثرت الأفنان ، فاللسان يتضرع ، والعين تدمع ، والوقت بستان ،
 خلوتهم بالحبيب تشغلهم عن نعم ونعمان . سورهم أساورهم والخشوع تيجان ،
 خضوعهم حلاهم فما در ولا مرجان ، أين أنت منهم ، كم بينك وبينهم .
 • ربح الأسحار ركابي الرسائل ، ونسيم الفجر ترجمان الجواب .

فياريح الصبا اقترحي على الأحشاء واحتكى
 أراك نَسِمتِ تختبرين ماعهدى وما ذمى
 فهذى فى يدى كيدى وذا فى وجنتى دسى
 • لسان الدمع أفصح من لسان التائب .

• يا من كان له قلب فانقلب ، يا من كان له وقت مع الله فذهب ، قيام السحر
 يستوحش لك ، صيام النهار يعاتبك . يا من كان قريباً فطرد يا عزيزى ما ألفت الشقاء
 فكيف تصبر .

قلت لليل : كم بصدر ر أنبئنى ما أروع الأسرار
 قال ماضاء فى ظلامى سر كدموع المنيب فى الأسحار^(١)
 • أفترى المؤمن إلا مصدق بجواب الليل فهو مسارع مستبق؟ أم ترى أهل البلاغة
 إلا فى إذاعة لما قال؟ يستملون الناس :

فاز من سبّح والناس هجوع
 يدفن الرغبة ما بين الضلوع
 ويغشيه سكون وخشوع
 ذا كراً لله والدمع هموع
 سوف يغدو ذلك الدمع شموع

(١) عبد الوهاب عزام - ديوان المثنى ص ٣٥ - انظر الرقائق لمحمد أحمد الراشد ص ٣٦ .

لتضىء الدرب يوم المحشر

سجدة لله عند السحر^(١)

ويلقنون المذنبين المخطئين طريق الجنة ، فيستملون المسرف في أخرى أن

عد إلى الله بقلب خاشع

وادعى ليلاً بطرف داعم

يتولاك بعفو واسع

ويبدل كل تلك السيئات

حسنات أجرها لن ينفدا

كل هذا العفو للعبد المتيب

سابقاً من خالق الكون الرحيم

للذي تاب إليه من قريب^(٢)

● أخى : لن تحل في جوار الجبار حتى تحل بضائع الأسحار .

● اجلس ليلة على مائدة السحر ، وذق طعم المناجاة تنسيك كل لذة .

● أرواح الأسحار أقوات الأرواح .

لم تثر وجدى حمامات اللوى بل غرامى علم الشجو الحماما

● - إذا جن الغاسق حن العاسق .

قلوب المحبين جمرة تحت فحمة الليل كلما هبّ عليها نسيم السحر التهبت وأجج

ما فيها من شوق إلى الله عز وجل

أفي نجد تحاورك القبول

صحبنا في ديارهم صباها

وأمطرنا سحب الدمع حتى

أظن الريح تفهم ما تقول
ينابها التنفس والنحول
حسبنا أنها مهج تسيل

(١) وليد - في محلة التربية الإيمانية ٦٣/٧

(٢) وليد - في أغاني المعركة ٩٤ . الرقائق ص ٣٦ ، ٣٧ .

وعجبنا ذاهلين فما علمنا أنحن السائلون أم الطلول؟

• يقول الداعية الكبير الشيخ حسن البنا رحمه الله وتقبله في عداد الشهداء عنده :

« أمامك كل يوم لحظة بالعادة . ولحظة بالعشى ، ولحظة في السحر تستطيع أن تسمو فيها كلها بروحك الطهور إلى الملاء فتظفر بنجر الدنيا والآخرة ، وأمامك مواسم الطاعات وأيام العبادات وليالي القربات التي وجهك إليها كتابك الكريم ورسولك العظيم ﷺ فاحرص أن تكون فيها من الذاكرين لا من الغافلين ، ومن العاملين لا من الخاملين . واغتم الوقت ، فالوقت كالسيف ، ودع التسويف فلا أضرمه »^(١)

• قال سفيان : إن لله ريحاً تسمى الصبحية مخزونة تحت العرش ، تهب عند الأسحار فتحمل الأتین والاستغفار

يانسيم الريح من كاظمة شد ما هجت الأسا والبرحا
الصبا إن كان لا بد الصبا إنها كانت لقلبي أروحا
اذكرونا مثل ذكرانا لكم رب ذكرى قربت من نزحا
وارحموا صبا إذا غنى بكم شرب الدمع وعاف القدحا
• يا هذا كنت تدعى جينا وتؤثر القرب منا ، فما هذا الصبر الذي قد عن عنا .

• « إلهي ما أكثر المعرض عنك والمعرض عليك ، وما أقل المتعرضين لك . ياروح القلوب أين طلابك ، يانور السموات أين أحبابك ، يارب الأرباب أين عبادك ، يامسبب الأسباب أين قصادك .

من الذي عاملك بلبه فلم يربح ، من الذي جاءك بكربه فلم يفرح ، أي صدر صدر عن بابك ولم يشرح ، من ذا الذي لاذ بجلك فاشتبهى أن يبرح يامعرضاً عنه إلى من أعرضت . يامشغولاً بغيره بمن تعوضت ؟ مت على من غبت عنه أسفا لست عنه بمصيب خلفا لن تسرى قرة عين أبداً أو ترى نحوهم منصرفا

(١) الرقائق ص ١٨ نقلا عن مجلة « الدعوة » في دورتها الأولى عدد ٨ سنة ١٩٥١ .

الفهرس



الفهرس

الصفحة	الموضوع
٥	إهداء
٧	مقدمة بقلم : الشيخ محمد أحمد إسماعيل
٩	تقريظ للشيخ عائض القرني
١٣	مقدمة بقلم الشيخ أبي إسحاق الحويني
١٧	مقدمة بقلم الشيخ صفوت نور الدين
١٩	مقدمة الكتاب
٢٧	فصل : لماذا قيام الليل ؟
٢٩	كونه صلاة .. والصلاة خير موضوع
٣١	مدرسة الليل مدرسة الإخلاص
٣٣	عنوان القيام ترك الأمانى وعلو الهمة
٣٦	قيام الليل باب التزكية الأعظم
٤٠	الجهاد يسقى بدمع التهجد
٤٥	فصل : ﴿وفي ذلك فليتنافس المتنافسون﴾
٦١	فصل : الترغيب في قيام الليل من القرآن الكريم
٦٣	الآية الأولى : ﴿تتجافى جنوبهم عن المضاجع﴾
٧٣	الآية الثانية : ﴿كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون﴾
٧٥	لطيفة
٧٦	لطيفة
٧٩	الآية الثالثة : ﴿والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً﴾
٨٢	الآية الرابعة : ﴿يأبؤها الزمّل قم الليل إلا قليلاً﴾

- ١٠٧ كلمات للحياة
- ١١١ الآية الخامسة : ﴿ ومن الليل فتهجد به نافلة لك ﴾
- ١١٧ لطيفة للقشيري
- ١١٨ الآية السادسة : ﴿ ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة ﴾
- ١٢٢ الآية السابعة : ﴿ أمن هو قانت آناء الليل ﴾
- ١٢٦ الآية الثامنة : ﴿ سيماهم في وجوههم من أثر السجود ﴾
- ١٢٧ الآية التاسعة : ﴿ ومن الليل فسبحه وأدبار السجود ﴾
- ١٢٨ الآية العاشرة : ﴿ ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلاً طويلاً ﴾
- ١٣٠ الآية الحادية عشرة : ﴿ وسبح بحمد ربك حين تقوم ﴾
- ١٣١ الآية الثانية عشرة : ﴿ فإذا فرغت فانصب ﴾
- ١٣١ الآية الثالثة عشرة : ﴿ الصابرين والصادقين والقانتين ﴾
- ١٣٢ فائدة لغوية
- ١٣٧ الآية الرابعة عشرة : ﴿ وجوه يومئذ مسفرة ﴾
- ١٣٧ الآية الخامسة عشرة : ﴿ وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة ﴾
- ١٤١ فصل : الترغيب في قيام الليل من السنة المطهرة
- ١٤٣ الترغيب في أن ينام الإنسان طاهراً ناوياً القيام
- ١٤٦ الترغيب في كلمات يقولهن إذا استيقظ من الليل
- ١٤٩ الحث على قيام الليل والترغيب فيه
- ١٥٧ تنبيهات وفوائد
- ١٧٥ فائدة طبية هامة
- ١٧٦ وبحث آخر في السهر وفائده في علاج الأمراض
- ١٩١ فصل : هدى رسول الله ﷺ في القيام
- ١٩٣ هدى رسول الله ﷺ في القيام
- ١٩٤ استعداده للقيام ، نومه ﷺ ذاكراً لله ناوياً القيام

١٩٦	أذكار النوم
٢٠١	هدية في التسوك لقيام الليل
٢٠٦	هدية فيما يفتح به القيام من الذكر والدعاء (أدعية الاستفتاح ليلاً)
٢٠٩	وقت قيامه ﷺ
٢١٢	قيامه لله ﷺ ما بين المغرب والعشاء
٢١٣	عدد صلاة النبي ﷺ بالليل
٢١٩	الكيفيات التي صلى بها رسول الله ﷺ في صلاة الليل والوتر
٢٢٥	كيفية قيامه كما ذكرها ابن القيم
٢٢٧	هدية إذا تكرر قيامه
٢٢٨	هدية في افتتاح صلاته بركعتين خفيفتين
٢٢٩	افتتاحه القيام بركعتين طويلتين أحياناً
٢٣٠	صفة صلاته ﷺ طولها
٢٣٢	حديث جامع
٢٣٤	هدية في القراءة ليلاً
٢٣٤	الترتيل في القيام
٢٣٥	وكان ﷺ يقف على رؤوس الآى
٢٣٧	وكان ﷺ - أحياناً - يرجع صوته
٢٣٩	بكاؤه في صلاته
٢٤٠	صفة قراءته
٢٤٣	هدية في التغنى بالقرآن
٢٥٠	قيامه بأية حتى الصباح
٢٥١	هدية في الجمع بين السورتين في ركعة
٢٥٤	هدية في طول ركوعه ليلاً ، وما يقول فيه
٢٥٥	أذكار الركوع

٢٥٧	هدية في الرفع من الركوع وأذكاره
٢٥٩	هدية في سجوده وأذكار السجود
٢٥٩	أذكار السجود عامة
٢٦٢	أذكار ما بين السجدين
٢٦٣	هدية في القيام والقعود في صلاة الليل
٢٦٥	فوائد من الأحاديث
٢٦٨	خاصية لرسول الله ﷺ في القيام والقعود ليلاً
٢٦٩	هدية في القيام عند مرضه
٢٧١	هدية في القيام في السفر
٢٧٣	نومه في السحر
٢٧٧	صلاته القيام جماعة أحياناً
٢٧٨	صلاته بعد العشاء ركعات أحياناً
٢٧٩	صلاته لركعتين بعد الوتر وهو جالس
٢٨٣	قضاؤه للتهجد إن نام عنه أو مرض
٢٨٤	متى يقضى من نام عن حزبه من الليل؟
٢٨٥	اجتهاده في القيام
٢٨٨	حسن صلاته وقيامه
٢٨٨	تطيه ﷺ للقيام
٢٨٩	نصحه لأهله وحضهم على القيام
٢٨٩	دعاؤه وحبه ﷺ لمن يعين على قيام الليل
٢٩١	تذكيره بالآخرة في الليل ليسهل القيام
٢٩١	قيامه عند الشدائد
٢٩١	ليلة بدر
٢٩٣	يوم الأحزاب
٢٩٦	قيامه في غزوة تبوك

٢٩٩	فصل : قيام الليل عند الأنبياء صلوات الله ، وسلامه عليهم
٣٠١	قيام موسى عليه السلام
٣٠٢	قيام عيسى عليه السلام
٣٠٢	قيام نبي الله داود عليه السلام
٣٠٤	قيام سليمان بن داود عليه السلام
٣٠٤	من قيام داود وآله
٣٠٥	قيام يحيى بن زكريا السيد الحصور المبارك عليه السلام
٣٠٦	قيام إدريس عليه السلام
٣٠٧	قيام ذي النون عليه السلام
٣٠٨	فصل : قيام الليل عند الصحابة رضوان الله عليهم
٣١٢	قيام أبي بكر الصديق رضى الله عنه
٣١٣	قيام الفاروق عمر رضى الله عنه
٣١٦	قيام ذى النورين عثمان بن عفان رضى الله عنه
٣١٧	قيام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضى الله عنه
٣١٩	قيام أبي الدرداء « حكيم الأمة » رضى الله عنه
٣١٩	قيام عبد الله بن مسعود رضى الله عنه
٣٢١	قيام معاذ بن جبل رضى الله عنه
٣٢٢	قيام أمير المؤمنين في الحديث أبي هريرة رضى الله عنه
٣٢٢	قيام أبي موسى الأشعري رضى الله عنه
٣٢٤	قيام الأشعريين قوم أبي موسى رضى الله عنه
٣٢٤	قيام ترجمان القرآن وحبر الأمة عبد الله بن عباس رضى الله عنهما
٣٢٦	قيام سلمان ابن الإسلام .. سلمان الخير .. سلمان الفارسي رضى الله عنه
٣٢٧	قيام عبد الله بن عمر رضى الله عنه
٣٢٨	قيام أبي ذر الغفاري رضى الله عنه

- ٣٢٩ قيام عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنه
- ٣٣٠ قيام أسيد بن حضير رضى الله عنه « صاحب السكينة والملائكة »
- ٣٣١ قيام تميم الدارى رضى الله عنه
- ٣٣٣ قيام عباد بن بشر رضى الله عنه
- ٣٣٥ قيام سالم مولى أبى حذيفة رضى الله عنه
- ٣٣٥ قيام عمرو بن العاص رضى الله عنه
- ٣٣٦ قيام سعيد بن عامر الجمحى رضى الله عنه
- ٣٣٧ قيام الحسن والحسين سبطى رسول الله ﷺ وريحانته من الدنيا
- ٣٣٧ قيام شداد بن أوس الأنصارى رضى الله عنه
- ٣٣٨ قيام الصحابى عامر بن ربيعة رضى الله عنه
- ٣٣٨ قيام أبى ريحانة
- ٣٤٠ قيام شهداء بئر معونة رضى الله عنهم
- ٣٤١ قيام عبد الله بن الزبير بن العوام « حمام المسجد » رضى الله عنهما
- ٣٤٢ قيام معاذ أبو حليلة القارىء رضى الله عنه
- ٣٤٢ قيام عبد الله ذى الجادين رضى الله عنه
- ٣٤٥ قيام علبه بن زيد الأنصارى الأوسى المتصدق بعرضه رضى الله عنه
- ٥٤٧ فصل : قيام الليل عند السلف .. هدى السلف فى القيام
- ٣٤٧ فائدة هامة
- ٣٥١ قيام سيد التابعين أويس القرنى
- ٣٥٣ قيام سيد التابعين سعيد بن المسيب
- ٣٥٣ قيام الأحنف بن قيس « سيد أهل البصرة » رحمه الله
- ٣٥٤ قيام عامر بن عبد الله .. عامر بن عبد قيس « راهب العرب »
- ٣٥٥ قيام مسروق بن عبد الرحمن أبى عائشة
- ٣٥٦ أبو العالية رحمه الله - قيام أبى الأحوص

٣٥٧	قيام هرم بن حيان رحمه الله
٣٥٨	قيام أبي سلمة الخولاني رحمه الله
٣٥٨	قيام عبد الرحمن بن الأسود بن يزيد
٣٥٩	قيام الحسن البصرى
٣٦٠	كلمات للحياة
٣٦٣	قيام الربيع بن خثيم رحمه الله
٣٦٤	قيام عروة بن الزبير بن العوام
٣٦٤	قيام مطرف بن عبد الله
٣٦٥	قيام أبي الصهباء صلة بن أشيم العدوى
٣٦٦	قيام محمد بن سيرين
٣٦٦	قيام مسلم بن يسار
٣٦٧	قيام معاوية بن قرّة
٣٦٧	قيام عمرو بن الأسود السكونى
٣٦٧	قيام أبي محمد ثابت البناني
٣٦٩	قيام قتادة بن دعامة
٣٦٩	قيام محمد بن واسع زين القراء
٣٧٠	قيام العلاء بن زياد العدوى
٣٧٠	قيام مالك بن دينار أبي يحيى الخائف الجار
٣٧١	قيام عبد الله بن غالب الحداني (أبي قريش العابد)
٣٧٢	قيام أيوب السخيتاني
٣٧٣	قيام سليمان بن طرخان
٣٧٣	قيام عبد الله بن عون
٣٧٣	قيام المنذر بن مالك
٣٧٤	قيام حسان بن أبي سنان
٣٧٤	قيام أبي همام شميظ بن عجلان

٣٧٥	قيام محمد بن المنكدر سيد القراء
٣٧٥	قيام صفوان بن سليم
٣٧٦	قيام أبو حازم رحمه الله
٣٧٦	قيام محمد بن كعب القرظي
٣٧٦	قيام عمرو بن دينار
٣٧٧	قيام يزيد بن أبان الرقاشي
٣٧٧	قيام عمر بن المنكدر
٣٧٧	قيام منصور بن زاذان زين القراء والفتيان
٣٧٧	قيام زين العابدين علي بن الحسين السجاد ذي الثقات
٣٧٨	قيام طاووس بن كيسان
٣٧٩	قيام عمرو بن عتبة بن فرق
٣٨٠	قيام محمد بن عمرو بن عتبة بن فرق
٣٨٠	قيام معضد أبي يزيد العجلي
٣٨١	قيام أبي إسماعيل مرة بن شراحيل « الطيب »
٣٨١	قيام همام بن الحارث النخعي
٣٨١	قيام أبي مريم زر بن حبيش
٣٨١	قيام أبي عبد الرحمن السلمى
٣٨٢	قيام عون بن عبد الله بن عتبة
٣٨٢	قيام أبي عبد الله سعيد بن جبير
٣٨٣	قيام زيد بن الحارث الأيامي
٣٨٣	قيام منصور بن المعتمر
٣٨٥	قيام أبي حيان بن سعيد التيمي
٣٨٥	قيام الواعظ البر عمر بن ذر
٣٨٥	قيام مكحول
٣٨٥	قيام عبد الرحمن بن أبي نعيم

٣٨٦	قيام عطاء بن ميسرة الخراساني
٣٨٦	قيام بلال بن سعد
٣٨٦	قيام عمر بن عبد العزيز
٣٨٩	قيام أبي عثمان النهدي
٣٩٠	قيام عبد العزيز بن محيريز
٣٩٠	قيام أبو إسحاق كعب الأحبار
٣٩٠	قيام عتبة الغلام
٣٩١	قيام المغيرة بن حكيم الصنعاني
٣٩١	قيام خليفة العبدى
٣٩٢	قيام عبد العزيز بن سلمان
٣٩٢	قيام هشام الدستوائى
٣٩٣	قيام عبد الواحد بن زيد
٣٩٣	قيام شيخ الإسلام أبى عمرو الأوزاعى
٣٩٤	قيام زياد بن عبد الله الحميرى
٣٩٤	قيام كهمس الدعاء
٣٩٥	قيام الليل عند الإمام أبى حنيفة
٣٩٦	قيام هارون الرشيد
٣٩٨	قيام أبى جعفر المنصور
٣٩٨	قيام إمام دار الهجرة مالك بن أنس رحمه الله
٣٩٩	قيام ابن أبى ذئب
٣٩٩	قيام الإمام المرضى سفيان الثورى
٤٠١	قيام أبى سلمة مسعر بن كدام
٤٠١	قيام سفيان بن عيينة
٤٠١	قيام على والحسن ابنى صالح بن حبيب
٤٠٢	قيام داود الطائى

٤٠٣	قيام إبراهيم بن أدهم
٤٠٤	قيام عثمان بن أبي دهرش
٤٠٤	قيام الفضيل بن عياض
٤٠٨	قيام عبد الله بن المبارك
٤٠٩	قيام عبد العزيز بن أبي رواد
٤٠٩	قيام محمد بن النضر الحارثي
٤١٠	قيام محمد بن يوسف الأصبهاني « عروس العباد »
٤١٠	قيام يوسف بن أسباط
٤١٠	قيام أبي معاوية الأسود
٤١٠	قيام علي بن الفضيل بن عياض
٤١١	قيام بشر بن الحارث الحافي
٤١١	قيام وكيع بن الجراح
٤١٢	قيام شعبة بن الحجاج
٤١٢	قيام يحيى بن سعيد القطان
٤١٣	قيام عبد الرحمن بن مهدي
٤١٣	قيام الإمام الشافعي ناصر السنة
٤١٤	قيام إمام أهل السنة معلم الخير أبي عبد الله أحمد بن حنبل
٤١٦	قيام الإمام البخاري
٤١٧	قيام أبي سليمان الداراني
٤١٨	قيام علي بن بكار
٤١٨	قيام ذى النون المصري
٤٢٠	قيام يحيى بن معاذ
٤٢٠	قيام السري السقطي
٤٢١	قيام الحكم بن أبان « سيد أهل اليمن »
٤٢١	قيام سهل بن عبد الله التستري

٤٢١	قيام العباس بن مساحق
٤٢١	قيام الجنيد سيد الطائفة
٤٢٢	قيام سمنون بن حمزة
٤٢٢	قيام أبو عبد الله الجلاء
٤٢٢	قيام إبراهيم الخواص
٤٢٢	قيام محمد بن جحادة
٤٢٣	قيام يزيد بن هارون
٤٢٣	قيام الإمام النووي
٤٢٤	قيام الليل عند شيخ الإسلام ابن تيمية
٤٢٧	قيام ابن قيم الجوزية
٤٢٨	قيام ابن بطة الحنبلي صاحب كتاب « الإبانة »
٤٢٩	قيام أحمد بن مهدي
٤٢٩	قيام عرفجة
٤٢٩	قيام شداد المجذوم
٤٢٩	قيام عابد من عباد الكوفة واقتيل جهنماه
٤٣٠	قيام الأسود بن يزيد بن قيس
٤٣١	قيام أنى إسحاق السبيعي
٤٣١	قيام حجر بن الربيع العدوي
٤٣٢	قيام رجال من بيت النبوة
٤٣٢	قيام علي بن عبد الله بن عباس .. السجاد .. قمر قريش
٤٣٢	قيام موسى الكاظم
٤٣٣	قيام المجاهدين
٤٣٣	قيام القسم .. الملك الشهيد نور الدين محمود زنكي
٤٣٥	الناصر صلاح الدين قاهر الصليبيين بطل حطين
٤٣٨	السلطان المجاهد محمد بن مراد الفاتح فاتح القسطنطينية

- ٤٣٩ الأمير عبد القادر الجزائري
- ٤٣٩ أسد برقة .. ابن السنوسية الشيخ الشهيد عمر المختار
- ٤٤٠ رهبان فرسان مجهولون
- ٤٤٠ سعيد بن الحارث والخالدة
- ٤٤٣ الشجاعة تسقى بدمع التهجد
- ٤٤٤ قيام الصحلى الجليل أوى رفاعة العدوى تميم بن أسد
- ٤٤٦ أئمة فقهاء ومحدثون ومتجددون
- ٤٤٦ قيام ابن قدامة صاحب « المغنى » شيخ الحنابلة
- ٤٤٦ الحافظ الذهبى
- ٤٤٧ الحافظ العراقى
- ٤٤٧ الحافظ نور الدين الهيثمى صاحب « مجمع الزوائد »
- ٤٤٧ قيام شيخ الإسلام ابن حجر العسقلانى
- ٤٤٧ قيام الإمام الشيرازى
- ٤٤٨ عباد آخرون
- ٤٤٨ رياح بن عمرو القيسى
- ٤٥٠ قيام عثمان بن مظعون رضى الله عنه
- ٤٥١ قيام تميم الدارى
- ٤٥١ قيام عبد الله بن رواحة
- ٤٥١ قيام سهيل بن عمرو
- ٤٥٢ قيام أبى ثعلبة الخشنى
- ٤٥٢ قيام راهب قريش « أبى بكر بن عبد الرحمن »
- ٤٥٣ قيام عمرو بن ميمون الأودى
- ٤٥٣ قيام يزيد بن الأسود الجرشى
- ٤٥٤ قيام سعيد بن المسيب
- ٤٥٤ قيام أبى رجاء العطاردى

٤٥٤	قيام أبى جعفر الباقر
٤٥٥	قيام عاصم بن سليمان الأحول
٤٥٦	قيام الوليد بن عبد الملك
٤٥٦	قيام الضحاك بن مزاحم
٤٥٦	قيام طلق بن حبيب
٤٥٧	قيام وهب بن منبه
٤٥٨	قيام ثابت البناني
٤٥٩	قيام أبى جعفر القارى
٤٥٩	قيام عابد وقصته مع ابن المنكدر
٤٦٠	قيام كرز بن وبرة الحارثى
٤٦١	قيام ربيعة بن أبى عبد الرحمن .. « ربيعة الرأى »
٤٦٢	قيام عطاء بن الثائب
٤٦٢	قيام شيخ الإسلام سليمان بن طرخان التيمى
٤٦٣	قيام عمران بن مسلم
٤٦٣	قيام الحارث بن يعقوب
٤٦٤	قيام أبى شجاع القتباني
٤٦٤	قيام مصعب بن ثابت
٤٦٥	قيام أبى بكر بن أبى مریم
٤٦٥	قيام الأوزاعى
٤٦٥	قيام فتح الموصلى الكبير
٤٦٦	قيام سعيد بن عبد العزيز
٤٦٦	قيام هُشَيْم
٤٦٧	قيام إسماعيل بن عياش
٤٦٧	قيام ابن المبارك
٤٦٨	قيام على بن الفضيل بن عياض

٤٦٩	قيام أبي بكر بن عياش
٤٦٩	قيام القاضي أبي يوسف
٤٦٩	قيام الرقاشي
٤٧٠	قيام جرير بن عبد الحميد
٤٧٠	قيام بشر بن المفضل
٤٧٠	قيام إسماعيل بن عليّة
٤٧١	قيام عبد الرحمن بن القاسم
٤٧١	قيام أبي عبيد القاسم بن سلام
٤٧١	قيام أحمد بن حرب
٤٧٢	قيام داود بن رشيد
٤٧٣	قيام راهب الكوفة: هناد بن السري
٤٧٣	قيام أحمد بن أبي الخوارى
٤٧٤	قيام السري السقطي
٤٧٤	قيام أبي أحمد القلانسي
٤٧٤	قيام أبي قلابة
٤٧٤	قيام المستملي أبي عمرو « حكمويه »
٤٧٥	قيام محمد بن عبد السلام الورّاق
٤٧٥	قيام علي بن حمشاذ
٤٧٥	قيام ابن الحداد
٤٧٦	قيام الصبغى
٤٧٦	قيام العسال
٤٧٧	قيام الغطريفى
٤٧٧	قيام حسينك « ابن منينة »
٤٧٨	قيام ابن حنزابة
٤٧٨	قيام عطية بن سعد

٤٧٨	قيام البندار
٤٧٩	قيام الإمام عبد الغنى المقدسى
٤٨٠	قيام أبى عمر المقدسى
٤٨١	قيام الحافظ أحمد بن مهدى بن رستم
٤٨١	قيام شيخ الإسلام بقى بن مخلد
٤٨٢	قيام الحصرى
٤٨٢	قيام الجوينى
٤٨٣	قيام ابن زياد
٤٨٣	قيام أبى النضر شيخ الشافعية
٤٨٣	قيام النرسى
٤٨٤	قيام الإمام الحازمى
٤٨٤	قيام ابن الحصرى
٤٨٤	قيام ابن دقيق العيد
٤٨٥	قيام أسد الشام اليونينى
٤٨٥	قيام أبى محمد الروابطى
٤٨٧	فصل : قيام الراكعات الساجدات
٤٨٩	أم المؤمنین خديجة بنت خويلد رضى الله عنها
	أم المؤمنین الصديقة بنت الصديق عائشة بنت أبى بكر رضى الله
٤٩٠	عنها
٤٩٠	أم المؤمنین حفصة بنت عمر بن الخطاب رضى الله عنها
٤٩١	قيام أم المؤمنین زينب بنت جحش رضى الله عنها
٤٩١	قيام أم الصهباء معاذة بنت عبد الله العدوية زوجة صلة
٤٩٤	حفصة بنت سرين أم الهذيل
٤٩٥	قيام أم الدرداء (الصغرى) جهيمة بنت حى الأنصارية

٤٩٦	قيام ابنة أم حسان الأسدية
٤٩٦	قيام رابعة العدوية
٤٩٧	قيام عجدة العجمية
٤٩٨	قيام حبيبة العدوية
٤٩٨	قيام عفيرة العابدة
٤٩٩	عمرة امرأة حبيب العجمي
٥٠٠	جارية خالد الوراق
٥٠٠	شعوانة رحمها الله
٥٠١	ريحانة
٥٠٢	منيفة بنت أبي طارق
٥٠٢	قيام بردة الصرمية وبكاؤها
٥٠٣	أم طلق رحمها الله
٥٠٣	أم حيان السلمية
٥٠٣	حسنة العابدة
٥٠٤	زجلة العابدة مولاة معاوية
٥٠٤	غصنة وعالية رحمهما الله
٥٠٤	غنضكة
٥٠٥	امرأة أبي عمران الجوني
٥٠٥	جارية عبيد الله بن الحسن العنبري قاضي البصرة
٥٠٥	الماوردية
٥٠٦	عابدة وأيتامها
٥٠٦	عابدة من البصرة
٥٠٧	ماجدة القرشية
٥٠٧	لبابة العابدة بيت المقدس
٥٠٨	فاطمة بنت عبد الرحمن الحراني ومنيرة السدوسية

٥٠٨	هنيدة
٥٠٩	عابدات الشام
٥٠٩	البيضاء بنت المفضل
٥٠٩	أم هارون
٥٠٩	رابعة زوجة أحمد بن أبي الحواري
٥١٠	امرأة الهيثم بن جهمز
٥١١	جوهرة العابدة البرائية زوج أبي عبد الله البرائي
٥١١	فاطمة بنت بزيع امرأة أبي عثمان
٥١١	عابدة
٥١٢	عابدة من بني عبد القيس
٥١٢	عابدة
٥١٣	عابدة
٥١٣	عابدة
٥١٣	عابدة
٥١٣	عابدة
٥١٣	عابدة
٥١٤	عابدة
٥١٤	سرية العابدة
٥١٥	فخرية بنت عثمان البصرية
٥١٥	عبدة البصرية
٥١٥	جارية الحسن بن صالح
٥١٧	فصل : غير من مواعظ المتجهدين
٥٢٢	مواعظ لذي النون المصري تدمى القلوب والأجفان
٥٣٤	وصف المتجهدين وليلهم بقلم ابن القيم
٥٤١	فصل : دموع المتجهدين ومناجاتهم

٥٥٤	بكاء المتجهدين وسهرهم خوفاً من النار
٥٦٨	معاقبة نفس ومناجاة متهجد
٥٧٤	قالوا عن البكاء والمناجاة بالليل
٥٨٧	فصل : أهل الليل والقرآن
٦١٣	فصل : هبى يا ريح السحر
٦٢٥	الفهرس